

نظام الحكم في إدارة الدولة وتصميم
عملها أفضل ما يراه المؤمنون على يد الأستاذ الدكتور

أعمال

المؤتمر العلمي الوطني المشترك الأول
مؤسسة علوم نهج البلاغة ومركز دراسات الكوفة

نظام الفكر والإدارة الأولى لتوضيح
عهد الأئمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
عليه السلام

أعمال

المؤتمر العلمي الوطني المشترك الأول

لمؤسسة علوم نهج البلاغة ومركز دراسات الكوفة

لسنة ١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م

(المحور الأخلاقي وحقوق الإنسان)

الجزء الثامن

إصدار

مؤسسة علوم نهج البلاغة

في العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م



العراق: كربلاء المقدسة - شارع السدرة - مجاور مقام علي الاكبر (عليه السلام)

مؤسسة علوم نهج البلاغة

هاتف: ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠ _ ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣

الموقع الالكتروني: www.inahj.org

الايمل: Inahj.org@gmail.com

الكتاب: أعمال المؤتمر العلمي الوطني المشترك الأول، نظام الحكم وإدارة الدولة في ضوء عهد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لمالك الأشتر (عليه السلام).

الجهة الراعية للمؤتمر: الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة ورئاسة جامعة الكوفة.

الجهة المقيمة للمؤتمر: مؤسسة علوم نهج البلاغة ومركز دراسات الكوفة.

المدة: أقيم في يومي ٢٤ - ٢٥ من شهر كانون الأول من العام ٢٠١٦م الموافق ٢٢ - ٢٤ من شهر ربيع الأول

من العام ١٤٣٨هـ

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق الوطنية ١٢١٣ لسنة ٢٠١٨م.

الناشر: العتبة الحسينية المقدسة.

عدد المجلدات ١٠ مجلد

عدد البحوث المشاركة: ١٢٨ بحثاً

الإشراف والمتابعة الفنية: وحدة الاخراج الفني في مؤسسة علوم نهج البلاغة.

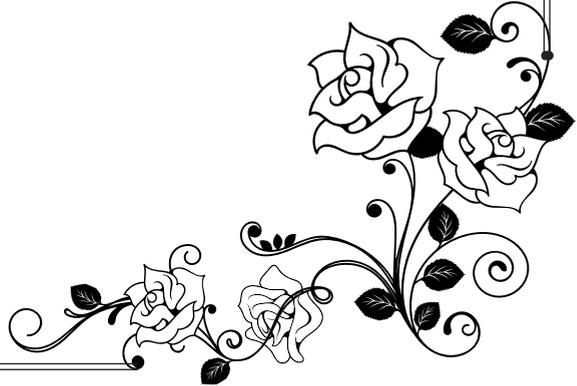
تنويه:

إن الآراء والأفكار الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

**حقوق الإنسان عند الإمام علي (عليه السلام)
في عهد مالك الاشر (قراءات في نماذج)**

م.د. خمائل شاكرا الجمالي

جامعة بغداد - مركز احياء التراث العلمي العربي



مقدمة

لقد شرف الله تعالى الإنسان وحباه بصنوف التوقير والاعزاز، والوان الدعم والتأييد، فضمن حقوقه، وحفظ وكرامته، وصان عرضه، وحرّم ماله ودمه، ووالى اليه الطافه، حتى اعلن في كتابه الكريم عنايته بالإنسان ورعايته له في الحياة وعلى كافة المستويات، وتأتي حقوق الإنسان كخطوة أولى في تحقيق العدالة في المجال السياسي. وأن موقف الإمام علي (عليه السلام) من حقوق الإنسان في الحرية البناءة المقيدة لا المفرطة، وهي حفظ حقوقه الإنسانية وكرامته، وصون النفس البشرية. الطرح الذي اوجده الإمام (عليه السلام) في هذا الجانب، أن الناس في نظره لهم حقوق بأجمعهم ولا يسوغ أن يكونوا عبيد غيرهم، وأن يُجر الانسان إلى نير العبودية، ويدفع الأنظمة إلى التجبر والتسلط والطغيان، فإذا ما أراد المجتمع الإسلامي أن يرتقي ذرى الحرية ويبلغ الاستقلال الحقيقي، فيحتم عليه في البدء أن يحكم الارتباط بالله ويقوم بشروط العبودية لله لا عبودية احد بحسب تعبير الإمام (عليه السلام)، فشروط العبودية لله، هي في الحقيقة قوانين حقوق الإنسان الواقعية للناس، وإذا لم تدعن الإنسانية إلى هذه الشروط، فستغدوا حقوقها واستقلالها الخارجي حالة مؤقتة، وهي عائدة إلى العبودية الأخرى، الإنسان للإنسان حتماً.

فهي اعتناق الإنسان لحقوقه وتحرره من اسوار الرق والطغيان، وتمتعه بحقوقه المشروعة، وهي من اقدس الحقوق واجلها خطراً، وابلغها في حياة الناس، لذلك اقر الإسلام هذا الحق وحرص على حمايته وسيادته في المجتمع الإسلامي، وليست الحقوق كما يفهمها الاغرار، هي التحلل من جميع النظم والضوابط الكفيلة بتنظيم المجتمع، واصلاحه وصيانة حقوقه وحرّماته، فتلك هي حقوق الغاب والوحوش، الباعثة على فساد المجتمع وتسيبه، وإنما الحقوق الحقّة هي التي تمتع الإنسان بالحقوق المشروعة التي لا تناقض حقوق الآخرين ولا تحجف بهم؛ فالحقوق البناءة إذا منحت من قبل الحاكم

للرعية؛ إنما تدل على عدل الحاكم ونظامه السياسي، لأنه سائس للرعية، وولي امرهم فهو اجدر الناس للعدل في حقوقهم واولاهم التحلي به، وعدل الحاكم هو اسمى المفاهيم الاخلاقية في النظام السياسي الإسلامي واروعها مجالاً وبهاءً، وابلغها اثراً في حياة الناس، وبعدل الحاكم يستتب الأمن وتسود الحقوق والرخاء وتسعد الرعية.

إن الحقوق هي من أهم المسالك العدل الحاكم سياسياً تجاه شعبه؛ مما يضمن استقرار ورفاهية المجتمع. فالحقوق التي سنها الإسلام للمسلمين، هي تلك الحقوق البناءة المشروعة المنضبطة، إذ لم يرى التاريخ الطويل للعالم لها نظيراً ولا مثيلاً، فإن الإسلام يعطي لكل فرد من المسلمين ولغير المسلمين من سائر البشر كامل الحقوق في جميع المجالات المشروعة، ما دام لا يضر بحقوق غيره. وأول ما يبدأ الإسلام بحقوق الإنسان فيه، حق الفكر واختيار الدين، فالإنسان له الحق بنظر الإسلام في مزاوله كل انواع الاعمال بمختلف اشكالها واحوالها في أي زمان ومكان، وله الحق في جميع تصرفاته، في نفسه وامواله وتصرفاته الشخصية، في جميع ابعاد الحياة الإنسانية. وإن الإنسان يولد وله الحق؛ ولقد قدس الإسلام حقوق الإنسان واعتبرها من أهم القيم الإنسانية على الاطلاق، وإنه اعظم الحقوق الإنسانية فهي حقوقه، ومن المفترض أن يتمتع الإنسان بحقوقه فيه كاملاً كما اراد الله ذلك قال تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾. الاعراف: ١٥٧

لقد سار الإمام علي (عليه السلام) بمبادئ الإسلام، التي هي مبادئ الرحمة والاخلاق الإنسانية؛ ولذا فإن الإمام (عليه السلام) جذر مصاديق الحقوق بأحب مفاهيمه، فقد منح الإمام علي (عليه السلام) الحقوق حتى لإعدائه وخصومه الذين تخلفوا عن بيعته، وقد منح الحقوق للخوارج ولم يجرمهم عوائدهم، مع العلم أنهم كانوا يشكلون اقوى تكتل معارض لحكومته، فلما اذاعوا الذعر والخوف بين الناس، انبرى إلى قتالهم، حفاظاً على النظام العام.

المبحث الأول

حقوق الإنسان عند الإمام علي (عليه السلام) في عهد مالك الأشتر

قد جهد الإسلام في حماية الإنسان وضمان حقوقه، وحفظ كرامته فرداً ومجتمعاً، مادياً ومعنوياً وادبياً، فشرع الحدود والديانات صيانة لارواحهم واموالهم وحرمتهم، وردعاً للعابثين بأمن المجتمع ومقدراته.^(١)

يقول عز الدين سليم : يتبين من مجريات التاريخ وحقائقه أنها كشفت بدون ادنى شك إلى أن انعطافاً كبيراً قد ترسخ بعد وفاة النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، وهذا الانعطاف والتغيير هو ليس لصالح حقوق الإنسان البشرية، ولا لكرامته واهدافه العليا، ولكن انقياد السلطة والخلافة الاسلامية للإمام علي (عليه السلام)، جعلت من اولويات خطوط سياسته واهدافها، ارساء قواعد الحقوق الإنسانية كما قدرها الله عز وجل.^(٢)

ويذهب محمد الريشهري : إن من دعائم ومرتكزات مواجهة الإمام علي (عليه السلام) للانحرافات السابقة وعدم مهادنتها، هي مداراة الناس حقوقهم الإنسانية، وصون كرامتهم، وجعل هذه الدعامة من الصفات التي يجب على مركز الخلافة أن تتقمصها وتدرجها على أرض الواقع. لذلك بدأ (عليه السلام) بمقارعة الاخطاء التي كانت تهدد أساس الإسلام وكيان الإنسان وضرب كرامته، منذ اليوم الأول من خلافته^(٣)

هذا وكان عصر الإمام علي (عليه السلام) عصراً نعم فيه الناس بالحقوق الإسلامية الواسعة، وهي اشبه بالحقوق التي منحها الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) للناس في صدر الإسلام، فكان المسلمون واليهود والنصارى والمجوس والمشركون، بل كل البشر يعيشون في ظل الإسلام حياة محترمة هانئة في عزة ورفاه في حكومة الإمام علي (عليه السلام)، فهو واضع الأسس العميقة للحقوق بعد النبي (صلى الله عليه واله وسلم) بأقواله ومنفذ ومطبق للحرية بأعماله وممارساته في اوساط الأمة.^(٤)

ويمكن القول أن مبادئ حقوق الإنسان وغيرها التي جسدها الإمام علي (عليه السلام) في فترة خلافته، ما هي إلا انعكاساً لتقدير وتكريم الإمام علي (عليه السلام) للإنسان لحقوقه الإنسانية، ورفع شأنه، والسمو بمقامه، وكيانه المادي والمعنوي. إذ سعى (عليه السلام) إلى جعل قيمة حقوق الإنسان بقيمة الجنة عند الله، يقول: ((إنه ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة، فلا تبيعوها إلا بها))^(٥) وفي مجال آخر، يوصي (عليه السلام) الولاية والملوك؛ بأن نفس الإنسان كريمة على الله وينبذ مخاصمة هذه النفس وظلمها، لأن في ذلك وقوعه خصماً مع الله تعالى، يقول: ((دارٍ عن المؤمنين ما استطعت، فإن ظهره حمى الله، ونفسه كريمة على الله، وله يكون ثواب الله، وظالمه خصم الله فلا يكون خصمك))^(٦).

إن حقوق الإنسان في الإسلام، تقوم على أساس الإيمان بمساواة افراد المجتمع في تحمل اعباء الأمانة الإلهية وتضامنهم في تطبيق احكام الله تعالى. ومن ثم اضطلاع النظام السياسي الإسلامي بكفالة الحقوق البناءة لكل البشرية، وهذا ما قام عليه النظام السياسي عند الإمام علي (عليه السلام) بضمان تنمية الحقوق البناءة والمشروعة.

هذه هي ابرز الحقوق الإنسانية التي جسدها الإمام علي (عليه السلام) والتي تعكس التزام الإمام (عليه السلام) بتعاليم الإسلام وسنة الرسول بهذا المبدأ، وبرزت بُعداً انسانياً عميقاً أيام خلافته وقبله، مما تعكس أسس العدالة الاجتماعية في حقوق الإنسان عند الإمام علي (عليه السلام) بكافة المجالات^(٧).

لقد امتدت حقوق الإنسان عند الإمام علي (عليه السلام) إلى المجال الانساني بعمق، فهي صيانة للكيان المادي والمعنوي للإنسان، وتكاملت وتفاعلت مع مجموعة من المجالات الأخرى التي مرت بنا سابقاً والتي آمن بها ودعى إليها الإمام علي (عليه السلام)، فضلاً عن تجسيدها بصورة حية وفاعلة في سلوكه العملي قبل وابعان مدة حكمه.

فقد ارسى (عليه السلام) عنايته الشاملة بالإنسان وحقوقه واهتمامه بالنفس الإنسانية، التي تعد مدخل للتربية الوجدانية وجعلها الهدف الأساسي لخلافته، من اجل الارتقاء بالإنسانية جمعاء صوب التكامل الذي نشده الإسلام^(٨).

من هذا المنطلق الإسلامي، أهتم الإمام علي (عليه السلام) لعهد ممالك الأشر بالإنسان في ضمان حقوقه، وصون كرامته ورعايتها، وصيانة مشاعره الدينية.. وتجسيد واعلاء ابعاد النفس الإنسانية. فقد سعى (عليه السلام) لعهد ممالك الأشر إلى رفض كل ما يبعث على الاستهانة بالإنسان وحقوقه، ويخدش كرامته ويلوث سمعته بسبه او التنابز بالألقاب واللمز والنميمة والتحقير الموجه ضده، سعياً منه (عليه السلام) لإشاعة حقوق الإنسان في العزة والكرامة في نفوس ابناء الأمة وفي ثنايا المجتمع^(٩).

ويعتبر عهد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لواليه على مصر مالك بن الحارث الأشر من أطول العهود ومن أهمها؛ ليس فقط لأنه يكشف العقلية الفذة التي يملكها الإمام علي (عليه السلام) في إدارة الأمور بل في القانونية، والشمولية، والإنسانية التي طبعت بنود العهد، ومما لاشك فيه أن العهد يعتبر وثيقة إسلامية رائعة في أهم القطاعات الحياتية التي هي إدارة الدولة، ومن هنا فإن دراسة العهد وتفكيك نصوصه ومحاولة فهم نظرية الحكم والإدارة في نظر الإمام علي (عليه السلام) الذي هو نظر الإسلام يعتبر مسألة في غاية الأهمية^(١٠).

وقد وردت التعاليم والقيم بعضها يتعلق بالأمور الاقتصادية، وبعضها بالأمور السياسية العسكرية والاجتماعية وبعضها تعاليم ممالك الأشر بوصفه حاكماً إسلامياً^(١١). إن عهد الإمام علي لمالك الاشر تعتبر أول وثيقة قانونية مفصلة تعالج واجبات الحاكم ووظائفه والعلاقات بين الشعب وبين الحاكم، وكما يفصل في الحديث عن السلطات الثلاث (التشريعية، القضائية، التنفيذية)، ويضع الضوابط لأشخاصها^(١٢).

الإسلام يرفض السياسات الطبقية التي تعتمد في إدارة شؤون البلاد على طبقة خاصة

ومن ثم توزع مغانم الحياة بين أفراد هذه الطبقة دون بقية أفراد الأمة فالحكم الإسلامي يجب أن يعتمد على القاعدة الواسعة من الشعب. الحل الوسط في الأمور بشرط أن يكون حقاً كي لا يححف بحقوق الآخرين^(١٣).

ثم أعلم يا مالك، أي قد وجهتك إلى بلادٍ قد جرت عليها دول قبلك، من عدل وجور، وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده، فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح، فأملك هوأك، وشح بنفسك عما لا يجل، فإن الشح بالنفس الأنصاف منها فيما أحببت أو كرهت. هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين (عليه السلام)، مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه، حين ولاه مصر : جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها^(١٤).

المبحث الثاني

قراءات في نماذج لحقوق الإنسان

- وَليَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ، وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ. وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء، وأقل معونة له في البلاء، وأكره للإينصاف وأسأل بالإلحاف، وأقل شكراً عند الإعطاء، وأبطأ عُذراً، عند المنع، وأضعف صبراً عند ملهمات الدهر من أهل الخاصة. وإنما عمادُ الدين، وجماع المسلمين والعدة للأعداء، العامة من الأمة؛ فليكن صغوك لهم، وميلك معهم^(١٥).

- وَأَشِعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلْلُ، وَتَعْرُضُ لَهُمُ الْعِلْلُ، يُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَا، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللهُ فَوْقَ مَنْ وَلَاكَ! وَقَدْ اسْتَكْفَاكَ أَمْرُهُمْ، وَابْتَلَاكَ بِهِمْ^(١٦).

- وَاجْعَلْ لِدَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تَفْرَعُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجَلِّسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَاماً، فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ اللهُ الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعَدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشَرَطِكَ، حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَعَتِّعٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (عليه السلام) يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: نُنْقَدَسُ أُمَّةٌ لَا يُؤْخَذُ لِلصَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَعَتِّعٍ^(١٧).

- إِيَّاكَ وَالِدِمَاءِ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْنَى لِنَقْمَةٍ، وَلَا أَعْظَمَ لَتَبْعَةٍ، وَلَا أُحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ، وَانْقِطَاعِ مَدَّةٍ، مِنْ سَفْكِ الدِمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا. وَاللهُ سَبْحَانَهُ مَبْتَدِئٌ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ، فِيمَا تَسْفَكُوا مِنَ الدِمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَلَا تَقْوِينَ سُلْطَانَكُمْ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ، بَلْ يَزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ. وَلَا عِذْرَ لَكَ عِنْدَ اللهِ وَلَا عِنْدِي فِي

قتل العمدة، لأن فيه قود البدن. وأن ابتليت بخطاءٍ وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بالعقوبة؛ فإن في الوخزة فما فوقها مقتلة، فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم^(١٨).

- يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، لا يدخل في الباطل ولا يخرج من الحق^(١٩).
- وَأَمْرُهُ أَنْ يَكْبِرَ نَفْسَهُ عِنْدَ الشَّهَوَاتِ، وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجُمُوحَاتِ، إِنَّ النَّفْسَ أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ، إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ^(٢٠).

- إن الله لم يخلق الإنسان عبثاً وإنما خلقه حرماً في أرضه وامنأ بين خلقه، وجمع الفتنة فنشرت النعمة عليكم^(٢١).

- وَإِذَا أَحَدٌ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أَوْ مَحِيلَةٍ، فَانظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَأُّ مِنْ إِلَيْكَ مِنْ طَهَاحِكَ، وَيَكْفُ عَنْكَ مِنْ غَرَبِكَ، يَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ!^(٢٢)

- أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمَنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوَى مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمَ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ، وَكَانَ لِلَّهِ حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ وَيَتُوبَ. وليس شيء أَدعى إلى تغيير نعمه الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإن الله سميع دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد^(٢٣).

- دارٍ عن المؤمنين ما استطعت، فإن ظهره همى الله، ونفسه كريمة على الله، وله يكون ثواب الله، وظالمه خصم الله فلا يكون خصمك^(٢٤).

- إنه ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة، فلا تبيعوها إلا بها^(٢٥).

- وإن عقدت بينك وبين عدو لك عقدة؛ أو البسته منك ذمة، فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة: فلا تغدرن بذمتك ولا تبخسن بعهدك، ولا تختلن عدوك، فإنه لا يجترئ

على الله إلا جاهل شقي^(٢٦).

- الوفاء توأم الصدق، ولا اعلم جنة أوفى منه^(٢٧).

- واوفوا بالعهد اذا عاهدتم، وادوا الامانات اذا ائتمتم^(٢٨).

- واياك والغدر بعهد الله والاخفار لذمته، فإن الله جعل عهده وذمته اماناً امضاء بين

العباد برحمته، والصبر على ضيق ترجوا انفراجه، خير من عذر تخاف وسوء عاقبة^(٢٩).

- وَكَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ، أَنْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَوْوَنَةً فِي الرَّخَاءِ، وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ،

وَأَكْرَهَ لِلْأَنْصَافِ، وَأَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ، وَأَقَلَّ شُكْرًا عِنْدَ الْأَعْطَاءِ، وَأَبْطَأَ عُذْرًا عِنْدَ الْمُنْعِ،

وَأَضْعَفَ صَبْرًا عِنْدَ مَلِمَاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ، وَإِنَّمَا عَمُودُ الدِّينِ، وَجَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ،

وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ، الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صِغُوكَ لَهُمْ، وَمَيْلَكَ مَعَهُمْ^(٣٠).

- ولا تترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيتولى الله الأمر شراركم، ثم تدعون فلا

يستجاب لكم^(٣١).

- وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ، وَأَشْنَاهُمْ عِنْدَكَ، أَطْلَبُهُمْ لِمَعَائِبِ النَّاسِ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ

عُيُوبًا، الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا، فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا

ظَهَرَ لَكَ، وَاللَّهُ يَجْزِيكَ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ، فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا

حُبُّ سِتْرِهِ مِنْ رَعِيَّتِكَ^(٣٢).

- أطلق عن الناس عقدة كل حقد، واقطع عنك سبب كل ونزٍ وتغاب عن كل ما لا

يصح لك، ولا تعجلن إلى تصديق ساع، فإن الساعي غاش، وإن تشبه بالناصحين^(٣٣).

- ولا تنقضن سنة صالحه عمل بها صدور الأمة، واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية، ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن؛ فيكون الاجر لمن سنهها، والوزر عليك بما نقضت منها^(٣٤).

- ولا تنصبن نفسك لحرب الله فإنه لا يد لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته، ولا تندمن على عفوه، ولا تبجحن بعقوبته، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندومة، ولا تقولن: إني مؤمر أمر فأطاع، فأطاع، فإن ذلك إدغال في القلب، ومنهكة للدين، وتقرب من الغير. وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة، فأنظر إلى عظم ملك الله فوقك، وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإن ذلك يطامن إليك من طماحك، ويكف عنك من غربك ويفي إليك بما عزب عنك من عقلك^(٣٥).

- أمره بتقوى الله، وإيثار طاعته، وأتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه، التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقى إلا مع جُحُودها وإضاعتها، وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه؛ فإنه، جل اسمه، قد تكفل بنصر من نصره، وإعزاز من أعزه^(٣٦).

- إياك ومساماة الله في عظمته، والتشبه به في جبروته فإن الله يذل كل جبار، ويهين كل مختال^(٣٧).

- ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل، ويعدك الفقر، ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور، فإن البخل والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله^(٣٨).

- وإياك والاعجاب بنفسك، والثقة بما يعجبك منها، وحب الإطراء، فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين^(٣٩).

- وإياك والمن على رعيّتك بإحسانك، أو التزديد فيما كان من فعلك، أو أن تعدّهم فتتبع موعدك بخلفك، فإن المن يبطل الإحسان، والتزديد يذهب بنور الحق، والخلف يوجب المقت عند الله والناس. قال تعالى: (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) (٤٠).

- إياك والعجلة بالأمر قبل أوانها، أو التسقط فيها عند إمكانها، أو اللجاجة فيها إذا تنكرت، أو الوهن عنها إذا استوضحت. فضع كل أمرٍ موضعه، وأوقع كل أمرٍ موقعه (٤١).

- وإياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة، والتغابي عما تعنى به مما قد وضح للعيون، فإنه مأخوذ منك لغيرك. وعمّا قليل تنكشف عنك أغطية الأمور، ويتتصف منك للمظلوم املك حمية أنفك، وسورة حدك، وسطوة يدك وغرب لسانك، واحترس من كل ذلك بكف البادرة، وتأخير السطوة، حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار: ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك. (٤٢)

- واعلم ان افضل عباد الله عند الله، إمام عادل هدي وهدى، فأقام سنة معلومة، وامات بدعة مجهولة، وأن السنن لنيرة لها اعلام، وأن البدع الظاهرة لها اعلام)) (٤٣).

والواجب عليك أن تتذكر ما مضى امن تقدمك من حكومة عادلة أو سنة فاضلة، أو أثر عن نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) أو فريضة في كتاب الله، فتفدي بما شاهدت مما عملنا به فيها، وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا، واستوثقت به من الحجّة لنفسي عليك، لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها. وأنا أسأل الله بسعة رحمته، وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة، وأن يوفقني وإياك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه مع حسن الثناء في العباد، وجميل الأثر في البلاد، وتمام النعمة، وتضعيف الكرامة، وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة، (إنإ إليه راجعون).

الخاتمة :

أن حقوق الإنسان وصلاح النفس وتعزيز قيمة الإنسان واشعاره بإنسانيته، ورفض سياسة التسقيط والتسطيح للكيان المعنوي للإنسان، لأن تعاليم وقيم الإسلام، تؤكد على حفظ حقوق الإنسان وصون الكرامة الإنسانية. وأن احترام الإمام علي (عليه السلام) لحقوق الإنسان، إنما هو جانب من جوانب ترسيخ الوحدة الإنسانية والاخوة الإيمانية. إذ أن من ركائز المجتمع السياسي الإسلامي النظرة الثابتة للوحدة الإنسانية بين جميع البشر، والرابطة الإسلامية بين جميع من يعتنق الإسلام، فالبشر كلهم من آدم، فلا بد أن يقوم بينهم تعاون مشترك على أساس القيم العليا الثابتة، من أجل الحفاظ على المسيرة البشرية من الانحراف عن إرادة الله، والرابطة الإسلامية هي إنسانية تمحو كل رابطة وصلة وعلاقة من نسب أو جنسية أو وطن أو لغة أو عنصر أو لون، وهذه الرابطة اختارها الله تعالى. ومن أجل تفعيل هذا كله تقف مسألة صون وحفظ واحترام حقوق الانسان، عنصراً فاعلاً في تحقيق الرابطة الإنسانية والأخوة الإيمانية.

على الرغم من تصلب الإمام علي (عليه السلام) في احقاق الحق، إلا أنه أدرك على أن منطق الحنان أرفع من منطق القانون، وأن عطف الأنسان على الإنسان وسائر الكائنات، إنما هو حجة الحياة على الموت والوجود على العدم. وإن الإمام علي (عليه السلام) يقرر أن المجتمع الصالح، هو المجتمع الذي تسوده العدالة الاجتماعية بأوسع معانيها وأشرف أشكالها، إنما أحد طرق ذلك هو سن القوانين أو ما هو من باب القانون، ولكن هذا القانون لا ينجلي في ذهنه ولا يصبح ضرورة، إلا إذا كان انبثاق طبيعي عن حقوق الإنسان الكونية الشاملة، التي تفرض وجود هذا القانون، لذلك ترى أن الإمام (عليه السلام) ملحاً شديداً الالحاح على النظر فيما وراء القوانين، وعلى رعايتها بما هو اسمى منها بالحق الإنساني، وإذا كانت القوانين المتعارف عليها تسمح للحاكم الإسلامي أن

يحارب المتآمرين و المنابذين والمخالفين، فإن عليه أن لا يفعل بعد أن يراعي كل جوانب الإنسانية في نفسه وقلبه ويستشير كل روابط الآخاء البشري في نفوس مقاتليه وقلوبهم، فإن الرأفة بالإنسان، وهي لديه وراء كل قانون تحمله، على أن يقول رأس العلم الرفق .
ويبدو مما تقدم أن الإمام علي (عليه السلام) اهتم بحق الإنسان، واعتبره قيمة أساسية لا تقل أهمية عن قيم الإنسان الأخرى. والإمام (عليه السلام) حدد الحقوق الإنسانية بامتلاك الإنسان بها هو إنسان من العزة، والشرف، والتوقير، فلا يجوز انتهاك حرمة وامتتهان كرامته لأن الانسان في نظر الإمام (عليه السلام) مكرم وقدّ فضله الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...﴾. الأسراء : ٧٠

لذلك فإن حقوق الإنسان الإسلامية المشروعة هي الشرف والعزة وقيمة الوجود التي تحقق الاحترام للإنسان واثبات الحقوق في النوع الإسلامي، كما اثبتت ذلك الآيات القرآنية فهو يحكم بشكل قطعي بأن حقوق الإنسان في التشريع الإسلامي موجودة في أي زمان ومكان حتى بعد موته وقتله وانزال القصاص الثابت به، ولا يحق لأحد أن ينزل الإهانة بالإنسان. فحق الإنسان الإنسانية يرتبط بحق الحياة، واذا لم يستطع النظام السياسي كفالة حقوق الإنسان، فلن يستطيع اثبات حق الحياة الطبيعية، الواجب مراعاتها لجميع الخلق*.

الهوامش

- (١) الصدر. محمد مهدي. أخلاق أهل البيت (عليهم السلام)، د.م، د.ن، د.ت)، ص ٤٦٥.
- (٢) عز الدين سليم. المعارضة السياسية في تجربة امير المؤمنين (عليه السلام)، ط ١، بيروت، دار الهادي للنشر، ٢٠٠٣، ص ٦٩.
- (٣) الريشهري، محمد. القيادة في الإسلام، تحقيق وتعريب: علي الاسدي، قم، مؤسسة دار الحديث الثقافية، د.ت، ص ٢٤٦.
- (٤) صادق الحسيني الشيرازي. السياسة من واقع الاسلام، ط ٤، بيروت، دار المجتبي لتحقيق والنشر، ٢٠٠٣، ص ١٥٦-١٥٧.
- (٥) لبيب بيضون. تصنيف نهج البلاغة، ط ٣، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٧هـ، ص ٧١٩.
- (٦) الطبرسي، ميرزا النوري. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ط ١١، قم، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤٠٨هـ، ص ٢٢٠.
- (٧) غسان عكلاوي، حقوق الإنسان عند الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٥، ص ٢٩٣.
- (٨) الريشهري، المصدر السابق، ص ٢٥٧.
- (٩) الطبرسي، المصدر السابق، ص ٢٤٣.
- (١١) ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ - ١٢٣٣م). الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ص ٢٨٧ - ٢٨٩.

- (١٢) لبيب بيضون، المصدر السابق، ص ٦٦٥.
- (١٣) ابن أبي الحديد، عز الدين ابو حامد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين المدائني (ت ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م). شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، د.م، ١٩٥٩، ص ٣٢١ - ٣٢٣.
- (١٤) جرداق، جورج، الإمام علي (عليهم السلام) صوت العدالة الإنسانية، ط ٢، قم، دار ذوي القربى، ١٤٢٤هـ، ص ١٨٧.
- (١٥) الطبرسي، أبي الفضل بن الحسن، مكارم الأخلاق، تصحيح وتعليق: علاء الدين الطالقاني، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٧٦هـ، ص ١٤٣ - ١٤٥.
- (١٦) جرداق، المصدر السابق، ص ١٦٥.
- (١٧) العاملي، جمال الدين. الدر النظيم، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، د.ت، ص ٣٧٦.
- (١٨) الدينوري، أبي محمد بن مسلم بن قتيبة. الإمامة والسياسة (تاريخ الخلفاء)، تحقيق: محمد الزيني، (د.م)، مؤسسة الحلبي للطباعة والنشر، د.ت، ص ١٣٣.
- (١٩) العاملي، المصدر السابق، ص ٣٧٨.
- (٢٠) الحراني، ابن محمد. تحف العقول فيما جاء من المواعظ والحكم عن آل الرسول، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط ٢، (قم مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٤هـ، ص ١٧٦.
- (٢١) الدينوري، المصدر السابق، ص ٣٧٦ - ٣٧٧.
- (٢٢) الدينوري، المصدر نفسه، ص ٣٧٧.
- (٢٣) الحسيني، هاشم معروف، سيرة الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام)، ط ٢، بيروت، دار القلم، ١٩٨٧، ص ١٤٩.
- (٢٤) الحكيم، محمد باقر، العلاقة بين القيادة والأمة من خلال رؤية نهج البلاغة، ط ١، قم، انتشارات الإمام الحسين (عليهم السلام) للطباعة والنشر والتبليغ، ١٤٢٥هـ،

ص ١٣٩.

(٢٥) حميد الله، محمد، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط ٣، بيروت، دار الإرشاد، ١٩٦٩، ص ٢٨٤.

(٢٦) الحراني، المصدر السابق، ص ١٨٢.

(٢٧) الحلي، أبو الحسين بن يوسف المطهر. كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين (عليهم السلام)، تحقيق: حسين الدركاھي، ط ١، طهران، دن، ١٤١١ هـ، ص ٣٥٦.

(٢٨) ابن أبي الحديد، المصدر السابق، ص ٣٢٦.

(٢٩) الحلي، نجم الدين جعفر، شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، تحقيق وتعليق: عبد الحسين محمد علي، بيروت، دار الأضواء، ١٩٨٣، ص ١٩٤.

(٣٠) السند، محمد، أسس النظام السياسي عند الامامية، جمع وتقرير: مصطفى الاسكندري ومحمد الرضوي، ط ١، (قم، باقيات للنشر، ١٣٢٦ هـ، ص ٢٩٨.

(٣١) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، قم، مطبوعات الشريف الرضي، ١٤١١ هـ، ص ١٧٧.

(٣٢) ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ). الإصابة في معرفة الصحابة، دار العلوم الحديثة، القاهرة، ١٣٢٨ هـ، ص ٢١٣.

(٣٣) طي، محمد. «مبادئ نظام الحكم الإسلامي بين الإلغاء والتطبيق»، مجلة المنهاج، بيروت، العدد ٢، ١٩٩٦، ص ٢٦٥.

(٣٤) السند، المصدر السابق، ص ٣٠١.

(٣٥) عبد الحميد، صائب. «أساس نظام الحكم في الإسلام»، مجلة تراثنا، قم، العدد ٤١، ١٤١٦ هـ، ص ٢٩٣.

(٣٦) العسل، إبراهيم. «الفكر الإنمائي عند الإمام علي (عليهم السلام)»، مجلة المنهاج، بيروت، العدد ٥، ١٩٩٧، ص ٣١١.

- (٣٧) ابن حجر، المصدر السابق، ص ٢١٣.
- (٣٨) فضل الله، محمد حسين. « تأملات في الحرية الفكرية والسياسية في الإسلام»، مجلة الثقافة الإسلامية، دمشق، العدد ١٦، ١٤٠٨هـ، ص ٢٤٧.
- (٣٩) زهير، محمد تقي. « النظام السياسي في الإسلام»، مجلة التوحيد، طهران، العدد ٩، ١٤٠٤هـ، ص ٢٦٤.
- (٤٠) زيتون، علي مهدي، «العدالة السياسية عند الإمام علي (عليهم السلام) بين الحكومة والشعب»، مجلة الثقافة الإسلامية، دمشق، العدد ٨٨، ٢٠٠٣، ص ٢١٩.
- (٤١) سلسلة العلوم والمعارف الإسلامية، «الحياة السياسية لائمة أهل البيت (عليهم السلام)» مؤسسة المعارف الإسلامية، الكتاب ١٤، د.ت، ص ٨٧.
- (٤٢) الشيرازي، المصدر السابق، ص ٣٢١.
- (٤٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، مصدر سابق، ج ٢، ص ٢٧٦، وابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ج ٧، ص ٦٨.

المصادر

- القرآن الكريم
- ١- ابن أبي الحديد، عز الدين ابو حامد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن الحسين المدائني (ت ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م). شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، د.م، ١٩٥٩.
- ٢- ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ - ١٢٣٣م). الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.
- ٣- ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ). الإصابة في معرفة الصحابة، دار العلوم الحديثة، القاهرة، ١٣٢٨هـ.
- ٤- جرذاق، جورج. الإمام علي (عليهم السلام) صوت العدالة الإنسانية، ط ٢، قم، دار ذوي القربى، ١٤٢٤هـ.
- ٥- الحراني، ابن محمد. تحف العقول فيما جاء من المواعظ والحكم عن آل الرسول، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط ٢، قم مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٤هـ.
- ٦- الحسيني، هاشم معروف. سيرة الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام)، ط ٢، بيروت، دار القلم، ١٩٨٧.
- ٧- الحكيم، محمد باقر، العلاقة بين القيادة والأمة من خلال رؤية نهج البلاغة، ط ١، قم، انتشارات الإمام الحسين (عليهم السلام) للطباعة والنشر والتبليغ، ١٤٢٥هـ.
- ٨- الحلي، أبو الحسين بن يوسف المطهر. كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين (عليهم السلام)، تحقيق: حسين الدراكاهي، ط ١، طهران، دن، ١٤١١هـ.

- ٩- الحلي، نجم الدين جعفر، شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، تحقيق وتعليق: عبد الحسين محمد علي، بيروت، دار الأضواء، ١٩٨٣.
- ١٠- حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ط ٣، بيروت، دار الإرشاد، ١٩٦٩.
- ١١- الدينوري، أبي محمد بن مسلم بن قتيبة. الإمامة والسياسة (تاريخ الخلفاء)، تحقيق: محمد الزيني، د.م، مؤسسة الحلبي للطباعة والنشر، د.ت.
- ١٢- الريشهري، محمد. القيادة في الإسلام، تحقيق وتعريب: علي الاسدي، قم، مؤسسة دار الحديث الثقافية، د.ت.
- ١٣- زهير، محمد تقي. «النظام السياسي في الإسلام»، مجلة التوحيد، طهران، العدد ٩، ١٤٠٤هـ.
- ١٤- زيتون، علي مهدي، «العدالة السياسية عند الإمام علي (عليهم السلام) بين الحكومة والشعب»، مجلة الثقافة الإسلامية، دمشق، العدد ٨٨، ٢٠٠٣.
- ١٥- سلسلة العلوم والمعارف الإسلامية، «الحياة السياسية لائمة أهل البيت (عليهم السلام)» مؤسسة المعارف الإسلامية، الكتاب ١٤، د.ت.
- ١٦- السند، محمد، أسس النظام السياسي عند الامامية، جمع وتقرير: مصطفى الاسكندري ومحمد الرضوي، ط ١، قم، باقيات للنشر، ١٣٢٦هـ.
- ١٧- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، قم، مطبوعات الشريف الرضي، ١٤١١هـ.
- ١٨- الشيرازي، صادق الحسيني. السياسة من واقع الإسلام، ط ٤، (بيروت، دار المجتبي لتحقيق والنشر، ٢٠٠٣.
- ١٩- الصدر. محمد مهدي. أخلاق أهل البيت (عليهم السلام)، (د.م)، (د.ن)، (د.ت).
- ٢٠- الطبرسي، أبي الفضل بن الحسن، مكارم الأخلاق، تصحيح وتعليق: علاء الدين

- الطالقاني، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٧٦ هـ.
- ٢١- الطبرسي، ميرزا النوري. مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، ط ١١، قم، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ١٤٠٨ هـ.
- ٢٢- طي، محمد. «مبادئ نظام الحكم الإسلامي بين الإلغاء والتطبيق»، مجلة المنهاج، بيروت، العدد ٢، ١٩٩٦.
- ٢٣- العاملي، جمال الدين. الدر النظيم، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، د.ت.
- ٢٤- عبد الحميد، صائب. «أساس نظام الحكم في الإسلام»، مجلة تراثنا، قم، العدد ٤١، ١٤١٦ هـ.
- ٢٥- عز الدين سليم. المعارضة السياسية في تجربة امير المؤمنين (عليه السلام)، ط ١، بيروت، دار الهادي للنشر، ٢٠٠٣.
- ٢٦- العسل، إبراهيم. «الفكر الإنمائي عند الإمام علي (عليهم السلام)»، مجلة المنهاج، بيروت، العدد ٥، ١٩٩٧.
- ٢٧- غسان عكلاوي، حقوق الإنسان عند الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٥.
- ٢٨- فضل الله، محمد حسين. «تأملات في الحرية الفكرية والسياسية في الإسلام»، مجلة الثقافة الإسلامية، دمشق، العدد ١٦، ١٤٠٨ هـ.
- ٢٩- لبيب بيضون. تصنيف نهج البلاغة، ط ٣، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤١٧ هـ.

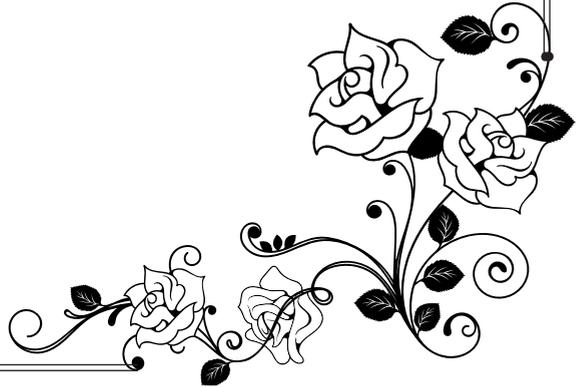
ركائز التضامن والوحدة في العراق بين الماضي والحاضر

عهد الإمام علي (عليه السلام) أنموذجاً

د. دريد موسى داخل الأعرجي

د. محمد أحمد زكي المرزوك

جامعة بابل - كلية التربية الأساسية - قسم اللغة العربية



الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله الطيبين
وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد :

إن الحديث عن التضامن والوحدة الوطنية والإسلامية هو في حقيقته ومعناه حديث
عن الإسلام، وعن الأمة العربية والإسلامية.

إذ أن التضامن كما يقال على وزن (تفاعل) والذي يفيد (المشاركة) ولا يكون إلا
بين أطراف متعددة تعمل متضامنة على تحصيل ما يضمن لها تحقيق سعادتها ويكفل لها
متطلبات حياتها في عزة وكرامة، وحرية إرادة، وإقامة مجتمع فاضل تسوده العدالة وتظله
الحرية ويعمره الأمن والرخاء.

وعليه فإن التضامن والوحدة الوطنية والإسلامية بهذا المعنى هو بعينه الدعوة إلى
الإسلام بكل معانيه وتعاليمه ومناهجه.

بل إن مفهوم التضامن هو نتيجة حتمية لدعوة الرسل جميعاً الذين دعوا أممهم لعبادة
الله وحده والالتفاف حول ما دعواهم إليه، والالتزام بما جاءوهم به من عند الله كما
قال صلى الله عليه وآله وسلم « نحن معاشر الأنبياء أبناء علات ديننا واحد »^(١). وقوله
سبحانه في دعوة إبراهيم - عليه السلام - وإسماعيل في رفع بناء البيت : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ
إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا
وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ
أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ
إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ
لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ

اللَّهُ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ
يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ البقرة.

وبعد محاجة اليهود والنصارى وابطالها، أمر سبحانه المؤمنين أن يعلنوها صريحة:
﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ
وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ البقرة.

فالدعوة إلى التضامن الإسلامي والوحدة الوطنية دعوة إلى الإسلام الذي دعت إليه
جميع الرسل في جميع الأمم.

تعدد الدعوات المعاصرة :

والدعوة إلى التضامن والوحدة الوطنية في بلدنا الحبيب قد جاءت في هذا العصر
الذي كثرت فيه الدعوات وتميزت فيه التكتلات، واختلقت فيه مناهج الحياة، وكل
حزب بما لديهم فرحون. وقد غشيت المجتمع العراقي والعالم الإسلامي من هذا كله
سحب معتمدة حجبت عن الكثيرين أضواء الحقيقة. وغزت عقول المسلمين حملات
فكرية مشككة أوقعت العوام في حيرة وتركتهم في متاهة. تشتت فيها الصفوف وتفرقت
فيها الكلمة وضاعت فيها الشخصية الإسلامية السليمة فطمع فيهم العدو وعجز عن
مساعدهم الصديق.

فاغتصبت بلادهم، ونهبت ثرواتهم، ودنست مقدساتهم. وعجز العالم كله ماثلاً
في المنظمة العالمية (هيئة الأمم) أن يفعل لنا شيئاً مهماً كان الحق واضحاً والظلم فادحاً.
وأصبحنا على كثرة عددنا نكاد لا يُعبأ بنا فتخلفنا عن مكانتنا المرموقة وتخلينا عن مواقع

قيادتنا الحكيمة؛ بل أصبحنا تبعاً لغيرنا وبدون اختيارنا. الأمر الذي جعل المخلصين من علمائنا الربانيين يبحثون عن الشخصية الإسلامية الضائعة، وعن المنهج العملي الصالح، ويتطلبون أقوم السبل التي تعيدنا إلى ما كنا عليه، وترد لنا حقوقنا، وتخلصنا من تبعيتنا لغيرنا، ونصبح حيث وصفنا الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ آل عمران ١١٠.

فأيقن أولئك المخلصون أن لن يصلح آخر هذه الأمة إلا الذي أصلح أولها ألا وهو العودة إلى الإسلام السمح، وليست تلك الدعوات الزائفة ولا المتفلسفة التي تدعو للطائفية، والقومية، والمذهبية، والعرقية، فدعوا إلى التضامن الإسلامي والوحدة الوطنية الحقيقية.

ثم يأتي هذا المؤتمر العلمي الهادف الذي يهدف لتوجيه الدعوة، وإعداد الدعاة فينعتقد في هذه الجامعة العلمية المباركة التي انطلق منها العلماء والدعاة والقادة على السواء. وموضوعه الآن: سبل تعزيز السلم المجتمعي في بلدنا العراق الحبيب ويدعو إلى تحقيق التضامن الإسلامي ووحدة المسلمين والعراقيين وقد حددت أهداف هذا المؤتمر في أهداف نبيلة بناء واضحة وافية وهي كالآتي:

أهداف المؤتمر من وجهة نظرنا:

جاءت أهدافه محددة في خمس نقاط وهي:-

١- تبصير العراقيين والأمة بالطريق الذي رسمته الدعوة الإسلامية النقية لتحقيق التضامن والوحدة لتعود كما كانت وكما يريد لها دينها أن تكون ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ آل عمران ١٠٣. ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ ﴿٩٢﴾ الأنبياء.

٢- تعميق الانتماء والولاء للبلد العراق وللأمة الواحدة عقيدة وسلوكاً، والتجاوب

مع مقوماتها من الأخوة والولاية، والتضامن، والاعتزاز بما اختصها الله به من الخيرية (كنتم خير أمة أخرجت للناس). ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ البقرة ١٤٣.

٣- إيجاد رأي عام وطني وإسلامي قوي يعي عن إيمان وبصيرة على هدى القرآن والسنة النبوية حقيقة التضامن والوحدة، ويربط حركته بهما في كل جوانب الحياة واتجاهاتها.

٤- تحكيم المنطق السليم وشريعة الإسلام بين جميع العراقيين والمسلمين والتسليم بما يحكمان به.

٥- أن يتحقق للوطن والأمة الإسلامية ما تسعى إليه من التقدم والقوة، وأن يراها العالم في مكانتها التي يجب أن تكون فيها لكي تعطي ذلك المكان ما هو مفقود إليه لتصحيح أوضاعه وإصلاح حياته.

وهذه الأهداف كلها تلتقي مع العمل الجاد الأكيد الشامل لكل الأفراد وعلى مختلف المستويات للانضواء تحت راية الدعوة إلى التضامن والوحدة الوطنية وتطبيقه عملياً على واقع حياتنا وفي منهج سلوكنا.

وقد شاركت في هذا المؤتمر العلمي المبارك عناوين لمواضيع مختلفة كفيلة بتحقيق هذه الأهداف بلغ عددها الكثير الكثير...

ومنها هذا الموضوع بعنوان ركائز التضامن والوحدة وبما أن المرتكزات في كل شيء وهي جمع ركيزة ما تكون بمثابة القواعد والأسس التي يقوم عليها، وظهرت لي أهمية العناية بهذا الموضوع أحببت الكتابة فيه آملاً التوفيق والسداد ومن الله تعالى العون والتأييد...

تمهيد بين يدي الموضوع

إن المتأمل لتاريخ الدعوات التي ظهرت في المجتمع الإنساني أيا كان شعارها وخاصة في منطقة الشرق الأوسط وبالأخص في دول المنطقة فإن لكل دعوة مرتكزات تركز عليها، ومنطلقات تنطلق منها. وقد تزيف أو تفلسف بها يوهم العامة ويغريهم بها.

من ذلك الدعوة إلى القومية فإنها تركز على الجنس والعنصر ولا تبالي بالمبادئ ولا بالعقائد، ولا بالمواطنة، والسلم الأهلي والمجتمعي، وهي أشبه ما تكون بدعوى الجاهلية من التعصب للقبيلة، ويكفي لفساد هذه الدعوة أنها كانت ولا تزال السبب في تمزيق الأمم التي تظهر فيها وأول خطر منها على الناس ضياع الدولة ومؤسساتها إذ عمل الطائفيون على إثارة الأحقاد بين الطوائف والأديان والأعراق حرصوهم على اختصاص البلد بطائفة أو عرق معين، فكان الخراب وضياع مقومات الدولة القوية، وتمزيق أوصال البلد إلى دويلات.

وفي أوروبا القومية الجرمانية وغير ذلك.

وآخر الولايات التي جاءت بها دعوة الطائفية والقومية تقسيم قبرص بين الجنسية التركية والجنسية اليونانية.

ومما يندى له الجبين ما سمعته أن في نيجيريا أثناء الحرب الفلسطينية جهزت سفينة حربية لتتجه إلى فلسطين لإنقاذ القدس فسمع المسؤولون التنادي بالقومية العربية وأن على العرب حماية القدس وعليهم مسؤوليتها، فقال المسؤولون هناك إذا كانت القضية الفلسطينية قضية عربية وليست إسلامية فلنسنا بعرب وأمروا السفينة بالعودة، إلى غير ذلك مما شهده العالم أخيرا.

وكل تلك الدعوات مع خطورتها فإنها محدودة الأفق محصورة الموطن مهزوزة المرتكزات لم تلبث أن تنهار فتنهدم بأصحابها.

وبعض تلك الدعوات قد تأبأها فطر البشر فتفرض عليهم بقوة السلطة كالاشرافية المتشددة، والتمييز العنصري، فتسلب الفرد أخص خصائص الإنسانية وهي حرية الاختيار، وتعطيل الإرادة وإهدار الكرامة.

أما دعوته التضامن والوحدة الوطنية والإسلامية :

فهي دعوة تتفق تماماً مع فطرة الإنسان التي فطره الله عليها، وتسايير طبيعته كل المساييرة وتتجاوب مع جبلته إلى أعماق نفسه.

ولهذا فلقد لمست شغاف القلوب واستجابات معها العواطف، فبرزت بين تلك الدعوات العديدة وكتب لها البقاء، وقوبلت بقبول حسن لأنها ارتكزت على مرتكزات أصيلة وعميقة وعملية واقعية لم تخرج عن طبيعة الإنسان، ولم تغاير عقيدته أو انتمائه الوطني والإسلامي، ولم تصطدم مع واقع حياته التي يحياها في هذا العالم. وهذا هو الإطار الكلي للفرد العراقي الوطني وللمجتمع.

وتتلخص تلك الركائز في نظري في أمور ثلاثة : -

(١) سُنَّة الحياة وتكوين الإنسان.

(٢) احترام وتطبيق منهج التشريع أو الدستور والقانون الوضعي والإسلامي جملة وتفصيلاً.

(٣) الواقع السياسي والوضع الاجتماعي الذي نعيشه مع العالم من حولنا...

ولكل ركيزة من هذه الركائز معطياتها، وفعاليتها لو تأملها كل عاقل ووطني لما حاد عنها ولبادر إلى الانتماء إليها، ولعرف أنها هي السبيل الوحيد التي تحقق له كل ما يتطلع إليه من استرجاع حقوقه المسلوبة، وتحقيق له الأمن والسلم المجتمعي.

وسنحاول بعون الله تعالى وتوفيقه بيان كل ركيزة من هذه الثلاثة ومدى عطائها

لدعوة التضامن والوحدة الوطنية...

وإني لأمل أن أكون بهذا العمل المحدود وجهد الطاقة أن أسهم ولو بالشيء اليسير في سبيل وحدة هذا البلد الحبيب أرضاً وشعباً، وأن أكون من بين العديدين من أفاضل المؤتمرين الذين تمكنهم ظروفهم من الاستيفاء والاستقصاء وبالله التوفيق...

الركيزة الأولى : تكوين الإنسان وسنن الحياة.

قام تكوين الإنسان على أن يكون تعاونياً متضامناً مع غيره لا إنعزالياً منفرداً بنفسه. ولعل معنى (إنسان) قد جاء من (الإيناس أو الأنس).

ففي تاريخ هذا الإنسان لم يستطع الإنسان الأول وهو أبو البشر آدم عليه السلام أن يعيش وحده ولو كان في جنة الفردوس. فخلق الله له من نفسه زوجة يسكن إليها ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ الأعراف: ١٨٩.

قال ابن كثير في تفسيره: ﴿ويقال إن خلق حواء كان بعد دخوله الجنة كما قال السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة: أخرج إبليس من الجنة وأسكن آدم الجنة فكان يمشي فيها وحيشاً ليس له زوج يسكن إليه فنام نومة فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه، فسألها من أنت؟

قالت: امرأة. قال: ولم خلقت؟ قالت: لتسكن إلي...﴾ (٢).

وذلك ما يشعر بأن تكوين الإنسان أساساً تكويناً جماعياً تعاونياً.

ثم بعد هبوطه إلى الأرض كانت حاجته أشد إلى من يعاونه فيها فبدأ بالإنجاب وتزاوج الأولاد، وإيجاد الأجيال والحفاظ على بقاء النوع. ومن ثم تقاسم أعباء الحياة.

ثم كانت الجماعة البشرية أمام العوامل الكونية التي اضطرتها اضطراراً على التضامن والتعاون والاتحاد لتواجه مجتمعة تلك العوامل التي لا يستطيع الفرد أن يواجهها كحماية أنفسهم من المخلوقات المتوحشة، وكتذليل الصعاب في الأرض لاستنبات نباتها،

واستحصاد زرعها، واستخراج كنوزها، وتصنيع موادها مما يحتاجونه في حياتهم على هذه الأرض.

ثم بعد انتشار الجماعة وتكاثر الجماعات جاءت التنظيمات الجماعية التي تميزت فيها التخصصات الميدانية وتخصص لها بعض أفراد الجماعة، ومن هذه التميزات أو التخصصات ما يأتي :

- ١- التميز مثلاً في مجال الاقتصاد من مأكّل وملبس ومسكن، وتخصص له رجال يعملون وينتجون ما يوفر للجماعة حاجاتها الاقتصادية.
 - ٢- وتميز مجال الدفاع وحفظ الأمن، وتخصص له عسكريون ومدافعون عن الجماعة.
 - ٣- وتميز مجال الطب والعلاج، وتخصص له أطباء ومعالجون.
 - ٤- وتميز مجال التعليم وغير ذلك من المجالات بقدر ما تستجد حاجة الجماعة، وهكذا.
 - ٥- ومن وراء ذلك كله السياسة والحكم والحكام والسياسيون مما هو في حكم الضرورة للجماعات البشرية، ولا يمكن أن تقوم كلها ولا بعضها إلا بتعاون الأفراد بعضهم البعض ؛ بل إن كل تلك المجالات ذات الاختصاصات لا يمكن أن تقوم واحدة منها منفردة بدون معاونة مع الآخرين.
- وإننا لنلمس ونشاهد ذلك في عالمنا المعاصر في جميع مؤسساته وفي مجموعها فيما بينها. ففي جميعها نجد أن كل مؤسسة تشتمل رئيساً ومرؤوسين وجميعهم من القاعدة إلى القمة كل في موقعه يؤدي واجبه أو هذا ما هو المفروض. ولا غنى لرئيس عن مرؤوس، أو العكس.

وكذلك فيما بين تلك المؤسسات كل منها تؤدي دورها في خدمة المجتمع مما لا تؤديه غيرها. وكل منها خادم ومخدوم في دائرة التعاون والتضامن كما قيل :

الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

فسنة الحياة تلزم الأحياء أفراداً وجماعات بالتضامن معاً، وقد امتدت فشملت هذه الركيزة الطبيعية جميع دول العالم كله اليوم طوعاً أو كرهاً سواء أكان في السلم أو في الحرب.

عن طريق تبادل منافعهم فيما بينهم فعند هذه سلع وإنتاج ولتلك حاجة ماسة إليها وقد قامت السوق الأوروبية بين دول أوروبا بتنظيم هذه العلاقة بسبب تفاوت الثروات الطبيعية والكفاءات البشرية. فالسلعة التي تفيض عند هذه تحتاجها تلك وكذلك العكس وهلمّ جرا.

ولا يمكن لأمة اليوم أن تعيش في معزل عن العالم حيث ارتبطت كلها بمصالح مشتركة فهي تسير في نظام تضامن إلزامي تمليه ظروف الحياة وتطورات العالم، وعلى سبيل المثال ترابط العالم في تسيير الخطوط الجوية والخدمات البريدية، والأعمال المصرفية، والإصدارات المالية، والتمثيل الدبلوماسي وغير ذلك مما له الصبغة العالمية.

ولا يبعد من يقول إن هذه السنة الكونية التعاونية ليست قاصرة على الإنسان بل هي أيضاً موجودة في عالم الحيوانات والحشرات ولا أدل على ذلك من عالم النحل والنمل. وعلى هذا فإن هذه الركيزة التضامنية فطرية كونية وهي إلزامية جبرية ليس للإنسان فيها اختيار ولا له عنها استغناء.

فإذن كانت هذه الركيزة الفطرية يجب أن تُقر في إطار قانوني منظم، وكانت دعوة التضامن من هذا المنطلق دعوة فطرية تسائر الفطرة وتساندها طبيعة الحياة.

وإذا كان لابد للإنسان أن يتضامن مع غيره ولكل جماعة أن تتعاون مع غيرها على أي مبدأ كان سواء كان عنصرياً بالجنس أو عقائدياً باسم الدين أو المذهب، أو اقتصادياً بالإنتاج أو عسكرياً بالأحلاف فلا أن يكون باسم ومنهج الوطن والمواطنة من باب أولى حيث أنه منهج التعاون على البر والتقوى. وأن الخلق كلهم عباد لله والأرض كلها له سبحانه...

الركيزة الثانية : منهج القانون والتشريع الإسلامي السمع.

ولكي نحدد معالم هذا المنهج نعود إلى مدلول التضامن والغرض منه وهو أن يجد الإنسان فرداً كان أو جماعة ما يضمن له حياة أفضل يتوفر له فيها ما ينقصه، ويسلم فيها مما يضره، ومعلوم أن هذين المطلبين جلب النفع ودفع الضرر هما مطلب كل عاقل كما قيل :

إذا أنت لم تنفع فضر فإنما يراد الفتى كيما يضر وينفع
أي يضر عدوه أو ينفع صديقه

والقانون يجب أن يشمل هذين المطلبين ومعهما الحث على مكارم الأخلاق وهو مطلب إنساني كما قال أكثم بن صيفي حين بلغه أمر ظهور دعوة الإسلام فأرسل ولده ليأتيه بخبر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما يدعو إليه، فرجع إليه وقال له : إنه يأمر بصلة الرحم وصدق الكلم، وأداء الأمانة والوفاء بالعهد وينهى عن كذا وكذا... فقال أكثم : إنه والله يا بني إن لم يكن ديناً فهو من مكارم الأخلاق.

وقد شرع الإسلام عقود المعاملات لجلب النفع وتبادل المصالح لتوفير حاجيات الإنسان. من مطعم وملبس ومسكن آمن في صناعة وزراعة وتجارة. كما شرع لدفع الضرر تحريم كل ضار بجواهر الحياة الخمسة - الدين - النفس - العقل - النسب والعرض. والمال. وجعل فيها حدوداً رادعة وزاجرة، وكذلك القانون والدستور.

كما أرشد ووجه لمكارم الأخلاق في الروابط الاجتماعية ابتداء من حقوق الزوجين وبر الوالدين. وحسن المعاشرة من العفو عن المسيء والإحسان والإيثار على النفس وغير ذلك، وكذلك روابط الجوار وصلة الأرحام، وكفالة الأيتام ومساندة الضعفاء، وعموم التعاون على البر والتقوى. وتظهر صور التضامن والوحدة في منهج الإسلام مفصلة ابتداء من العقيدة السليمة ثم

العبادات التي هي الغاية من خلق الثقلين الجن والإنس كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) الذاريات. فجميع المسلمين يلتقون على عبادة الله تعالى وحده وبالوجه الذي يرضاه.

وهذا المنهج قد ربط بين جميع الأمم الإسلامية كما قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ الشورى ١٣. فهي وحدة دينية تربط الحق بالخلق في إطار التشريع الإسلامي.

والمواطنة هي المرتكز والتي يجتمع عليها العراقيون جميعاً، ويستوي فيها الغني والفقير والكبير والصغير، ويلتقي عليها من بالشمال بمن بالجنوب. وهي الركيزة التي تحرر الإنسان من استعباد الاستبداد، ومن طغيان الساسة وعوامل الطغيان لأن الفرد بإحساسه بأن جميع الناس مواطنون متساوون في الحقوق والواجبات يجعله في حالة من الرضا تدفعه لأن يكون متعاوناً معطاءً في كل المجالات.

وأما ما يجمع المسلمين ولا يفرقهم فعوامل كثيرة ففي العبادات تتجلى هذه الصور عملياً بصور ملموسة وذلك كالآتي :-

(١) ففي الصلاة :

- أ- وحدة التوقيت مرتبطة بحركة كونية من طلوع الشمس إلى غروبها.
- ب- واستجابة النداء حي على الصلاة حي على الفلاح الله أكبر.
- ج- وحدة الواجهة إلى مركز العالم كله إلى البيت الحرام: ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ البقرة ١٤٤.

تبدأ هذه الوحدة في استدارة حول الكعبة ثم تتسع حتى تشمل أقطار العالم شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً.

(٢) وفي الصيام :

أ- وحدة الزمن في الصوم بشهر واحد للجميع: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾
البقرة ١٨٥.

ب- وحدة الشعور بالتعاطف والتراحم- يبدأ بالإمساك وينتهي بالإطعام وإخراج الفطرة طعمة للمساكين وطهرة للصائمين.

(٣)- أما الزكاة :

أ- فهي تضامن إلزامي يربط مختلف الطبقات بعضها ببعض ويقارب بين من باعدت بينهم المادة ويجمع بين من فرق بينهم الغنى والفقر حيث يلتزم الغني بإخراج زكاة ماله: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾^(١٩) الذاريات. ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ التوبة ١٠٣.
فالزكاة طهرة للنفوس من شح الأغنياء وحسد الفقراء، وزكاة للمال فلا تنقص وتصون المجتمع من حرب الطبقات وغزو الدعايات.

أما الحج وهو الركن الأعظم :

فهو عين التضامن ومظهر الوحدة في أظهر الصور وأقوى المعاني يفد الحجيج من كل فج عميق ملبين الداعي لحج بيت الله العتيق. مجددين العهد القديم مستجيبين نداء إبراهيم- عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- يخرج الحاج من أهله ودياره مفارقاً زوجته وصغاره حتى يأتي الميقات فيتجرد من ثيابه متخلياً عن مظاهر دنياه. مُتدثراً رداءه وإزاره متهيأً لحال أخراه.

هناك يعود الحجيج على مختلف ألوانهم وتباعد أقطارهم وتعدد لغاتهم يعودون

إلى الفطرة التي فطرهم الله عليها. وتعود إليهم فطرتهم التي ابتعدوا عنها فطرة الوحدة والإخاء والمساواة. فيستوي غنيهم وفقيرهم وأميرهم ومأمورهم. ويستوي عربيهم وعجميهم. وقاصيهم ودانيهم وحدة في الشكل والصورة ووحدة في الهدف والغاية يهتفون لبيك اللهم لبيك.

ب- وفي أرض عرفات في ذلك المشهد الفريد في تاريخ البشرية حاضرها وماضيها حواضرها وبواديه. مشهد يذكر بالماضي في عالم الذرة، حين أخرج الله من بني آدم من ظهورهم ذريتهم.

مشهد ينبههم لمستقبلهم يوم يجمع الله الخلائق ويحشرهم حفاة عراة. مشهد تذوب فيه فوارق الجنس والعنصر واللون وتتجلى فيه وحدة الأصل (كلكم لآدم وآدم من تراب). مشهد تفتح له حدود الأقاليم والأقطار والدول: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحُجِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ارْجِعُوا لِرَبِّكُمْ وَأَسَلِّمُوا لِحَدِيثِ الْوَيْلِ يُرْسِلُ فِي الْبَنَاتِ أَزْوَاجًا مِثْلَهُنَّ يَتَحَدَّاهُنَّ فِي الْعُقُبِ لَوَسِعَ عَنَقُ كُلِّ حَزَنٍ﴾ والحج.

مشهد تلتقي فيه الأشباح وتتعانق فيه الأرواح {ليشهدوا منافع لهم}.

أمانة الوحدة والمواطنة: ومن هنا نتحمل أمانة الدعوة والبلاغ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث حملها أصحابه لمن بعدهم: «بلغوا عني ولو آية». «رب مبلغ أوعى من سامع»^(٣) (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)، وهذه هي وصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للناس جميعاً.

الاجتماعيات :

وكما ظهر مدى التضامن والوحدة الوطنية في العبادات يظهر كذلك وبقوة في مجال الاجتماعيات لأن القانون والالتزام به يقيم المجتمع على قواعد مثالية عالية ترتفع عن مقاييس المادة والمعاوضة إلى حد البذل والإيثار.

أ- ففي أصل تكوين المجتمع توجد المساواة في المبدأ فلا فرق بين مواطن وآخر: { لا

تحقرن أحداً فإما أن يكون أماً لك في الدين أو نضيراً لك في الخلق } ففيها وحدة المواطنة جمعاء.

ب- وفي تكوين الأسرة التي هي لبنة بناء المجتمع. أقامها على روابط المودة والرحمة. فإذا جاء الأولاد : قابل بين عاطفة الأبوة بإيجاب بر البنوة وجعلها وفاء بحق قد استوفاه الأولاد من قبل ثم أظهر مدى حق الوالدين حين قرنه بحقه سبحانه في قضاء مبرم. ثم إن الولد سيستوفي مثل هذا الحق من أولاده إن هو أداه لأبويه. وهكذا دواليك. ج- ثم هو يراعي هذا الصنف من الناس الذي حرم رعاية الأبوين وذاق بؤس القطيعة وذل العزلة ألا وهو اليتيم فكفله بالرعاية وأحاطه بالحنان وقد جعل صلى الله عليه وآله وسلم لكافله أعلى المنازل في الجنة.

وهذا من أقوى دلائل الوحدة الوطنية والتضامن الإسلامي في المجتمع الإنساني. لأنه يطيب نفس الأب على ولده إذا حضرته الوفاة بأن المجتمع كافل له ولده. ثم إن هذا الولد اليتيم المكفول اليوم سيصبح غدا رجلاً ويكفل يتيماً غيره. د- ثم يفسح المجال خارج نطاق الأسرة فيأتي للجوار فيقول صلى الله عليه وآله وسلم : «الجار أحق بصقبه». «ولا يزال جبريل - عليه السلام - يوصيه بالجار حتى ظن صلى الله عليه وسلم أنه سيورثه»^(٤).

و- فتكون النتيجة ترابط الناس كالبناء الحصين «مثل المسلمين في توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد». «المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً»^(٥)، فأى تضامن بعد هذا وأي وحدة بعد هذا وأي وحدة تضاهي ذلك.

ومن هنا حمل الالتزام بالقانون وأخلاق الإسلام العراقيين جميعاً مسؤولية الحفاظ على تلك الوحدة وعلى هذا التضامن في السلم وفي الحرب أفراد أو جماعات. «كلكم راع وكل مسئول عن رعيته».

{ وتعاونوا على البر والتقوى }

وفرض حقوقاً عامة على كل مواطن لأخيه المواطن: «حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه. وإذا دعاك فأجبه. وإذا عطس فحمد فشمته. وإذا استنصحك فانصح له. وإذا مرض فعده. وإذا مات فشيعه»^(٦).

وتلك حقوق متبادلة بين الأفراد يتقاضونها فيما بينهم وقد استوعبت كامل وضع الإنسان من أول لقائه بالسلام عليه إلى آخر وداعه بالتشجيع إلى مثواه الأخير. ربط الإيمان بالمحبة والمودة والعاطفة والرحمة بينهم «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

وحرّم الجنة عليهم حتى تسودهم المحبة: «لن تدخلوا الجنة حتى تحابوا». فالوطنيون إذا ما ركزوا دعوتهم إلى الوحدة الوطنية والتضامن الإسلامي على وفق القانون كان تركيزاً قوياً ينطلق من عواطف وشعور كل مواطن حيث يحقق للجميع أفراداً وجماعات كل ما يسمو إليه دون أن تعترضه العقبات ولا تكدره الشبهات.

وهناك مجال الحكم في سلطاته الثلاث :

السلطة التشريعية. والسلطة القضائية. والسلطة التنفيذية، وهذه السلطات الثلاث وإن كانت بصورها موجودة في كل دولة إلا أنها في العراق تجربة جديدة تتميز بصبغة خاصة تنتعش أحياناً، وتتعرّش أحياناً أخرى.

فالسلطة التشريعية في كل أمة هيئة متخصصة تنظر في ظروف وملابسات حياة الأمة فتشرع لها ما تراه صالحاً.

ومهما يكن من شأن هذه الهيئة وتخصصاتها فهو عمل بشري جائز عليه الخطأ والصواب وهو ما يشهده العالم من طروء التغيير والتبديل فقد يكون ما رأوه اليوم يكون غير صالح في الغد.

وإن ما يطرأ على تلك الهيئات من سياسة داخلية واتجاهات فكرية قد تؤثر عليها إلى غير ذلك.

وقد نوه القرآن الكريم إلى أصل هذه السلطات وإلى تمييزها عما سواها. في قوله تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١٥﴾﴾ الحديد، لإرسال الرسل بالبينات من ربهم، وإنزال الكتاب لتشريع مناهجهم والميزان للعدالة...

والسلطة القضائية، ليقوم الناس بالقسط إذ القضاء تطبيق للمنهج التشريعي والقانوني.

وأنزل الحديد إشارة إلى السلطة التنفيذية وأداة لتطبيق التشريعات والقوانين فيكون المجتمع تحت سلطة حكم عادلة قوية حكيمة.

ومن هذا المنطلق في الحكم كان الظلم في غيره محققاً، أي في غير وجود هذه السلطات الثلاث أو في حال تعطيلها.

وفي مقابل ذلك لا تتم المواطنة إلا باحترام هذه السلطات من قبل الكبير قبل الصغير. ومن هذا المنطلق فإن ارتكاز دعوة التضامن والوحدة الوطنية إلى القانون، وفي ظل الحكم الديمقراطي لا تلاقيها صعوبات ولا تعطلها عقبات وهي دعوة مضمون لها النصر، مضمونة نتيجتها للمجتمع سعادة في الدنيا وفلاحاً في الآخرة.

الركيزة الثالثة : واقع الحياة الذي نعيشه والتيارات السياسية التي حولنا.

من الواضح بين حالة العالم السياسي والسياسة التي فرضت على الجميع وألزمت العالم كله العيش ضمن تكتلات سياسية، وأحلاف عسكرية واتفاقيات اقتصادية. وليس بوسع أي دولة أن تعيش وحدها في معزل عن هذا العالم بعيدة عن تلك التكتلات لقوة ترابط الدول بعضها مع بعض شاءت أم أبت.

ولم تعد السياسة مجرد تنظيم لعلاقات الدولة في الخارج بل أصبح الداخل مرتبطا بالخارج في السلم وفي الحرب عن طريق الإنتاج والتسويق. فهي منافع مشتركة ومصالح متبادلة. توثقت باتفاقيات عالمية أو ثقافية وأحلاف عسكرية. وأهم ذلك كله الأحلاف العسكرية لأنها لحماية الدولة بكل مرافقها والداعي لكل ذلك من اتفاقيات وأحلاف هو شعور تلك الدول بالضعف وبالحاجة إلى تضامنها بعضها مع بعض وذلك منذ الحرب العالمية الأخيرة حيث كانت عصبة الأمم لدولة أوروبا ضد هتلر والنازية لعجز تلك الدول منفردة عن مقاومتها.

وبعد عصبة الأمم جاءت هيئة الأمم وضمت دول العالم على أمل الحياة في أمن وطمأنينة. ولكن هيئة الأمم لم تحقق للعالم ما أمله فيها حيث أقيمت في بادئ أمرها على التخصيص والامتياز فمنحت الدول الكبرى حق النقض (الفيتو).

ومن العجب أن يمنح هذا الحق للدول القوية التي تستطيع أن تظلم وأن تتعدى مما يصعب معه استخلاص حق المظلوم أو استرجاع حق مغصوب.

وكان الأولى لو أجاز ذلك أن يعطى للدول الضعيفة لترد به عن نفسها.

وأن أحداث التاريخ وخاصة في الدول النامية لتشهد بذلك.

فقامت جامعة الدول العربية وكان قيامها مظهراً من مظاهر تضامن دول المنطقة مها

قيل عن أسباب قيامها.

وكل تلك الهيئات والمؤسسات العالمية لم تستطع استتباب الأمن ولا منح الطمأنينة للعالم فنشأت تكتلات وأحلاف عسكرية انطلقت في سياق التسليح النووي بما يهدد العالم كله بالدمار. وذلك في حلفي الناتو وحلف شمال الأطلسي.

وانقسم العالم إلى معسكرين اقتصاديين شيوعي في الشرق، ورأسمالي في الغرب وما بقي من العالم يدعى بدول عدم الانحياز.

ولكن عدم انحيازه لم يعزله عن غيره ولم يبعده عن الخطر ومن ثم أوجد لنفسه ارتباطات فيما بينه وعقدت له عدة مؤتمرات لدراسة وضعه ووضع التدابير لصالحه.

وآخر ما يكون ما حدث في المنطقة من قيام مجلس تعاون دول الخليج دفع قيامه واقع العالم السياسي وحاجة دول المنطقة إلى التعاون الأخوي وقد شمل عدة مجالات عامة اقتصادياً وسياسياً وأمنياً وثقافياً وإعلامياً. فهو أصدق صورة لما نرجوه لبلدنا العراق الحبيب من التضامن والوحدة الوطنية.

ومع هذا كله فإن هذه المؤسسات الدولية على اختلاف مناهجها وأشكالها فهي إما إقليمية محدودة وإما عالمية غير عادلة.

أما التضامن والوحدة الوطنية المنشودة في بلدنا الحبيب العراق فليس هو بالتضامن المادي النفعي وإنما هو تضامن أخوي عاطفي إنساني ديني دعا إليه الإسلام والتزم الوطنيون بمضمونه ولا غنى لهم عنه.

«المسلم أخو المسلم لا يخذله ولا يظلمه ولا يسلمه، المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً، لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(٧).

وتحت هذا الشعار واستجابة لهذا النداء: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) يدعوا الوطنيون إلى التضامن والوحدة الوطنية الحقيقية بكل قوة ووضوح في عراقنا الغالي.

وحدة العراق المنشودة :

إن الوحدة الوطنية والتضامن متلازمان ويلزم من وجود كل منهما وجود الآخر لأن البلد المتحد المتضامن، والأمة المتضامنة، متحدة.

والوحدة الوطنية في نظر الإسلام وتعاليمه تركز على مرتكزين رئيسين :

(١) وحدة الجنس.

(٢) وحدة العقيدة.

ومن ورائها عناية الله وإنعامه على عباده وامتنانه.

(١) أما وحدة الجنس ففي إرجاعهم إلى أبيهم آدم عليه السلام وأمه حواء: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) ومن وراء هذا التعارف إخاء وتراحم: وقد صور الإمام علي عليه السلام معنى وحدة الجنس فقال في أبيات له:

الناس من جهة التمثيل أكفاء أبوهم آدم والأم حواء

(ب) أما وحدة العقيدة فهي الوحدة المعنوية التي تقابل الوحدة الحسية لأن العقيدة عمل القلب لا علاقة لها بالجنس ولا باللون ولا بالمكان ولا بالزمان فيرتبط فيها جميع أبناء البلد الواحد فيؤمن أنه وكل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله، وسكن في جوارك، شعر يقينا أن كل من اتصف بذلك أنه أخ له في دينه، أو في إنسانيته، وملتمزم معه في تكاليفه فيرتبط آخر الأمة بأولها بل صالح هذه الأمة بصلحاء الأمم.

(ج) أما عناية الله في هذه الوحدة وإنعامه على هذا البلد فهو من تأليف هذه القلوب وتقارب هذه النفوس يلقي العراقي أخاه العراقي من أقصى الأماكن فيؤويه بعد أن هجر من دياره. فإذا هو يبادل المشاعر ويواسيه في أهله وماله ويتبادل معه التعاطف. وذلك تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا لِلَّهِ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ آل عمران ١٠٣.

وبعد امتنانه بها شرع ما يحفظها. وما يديمها فبعد قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ١١﴾ الحجرات.

كما نهى عن سوء الظن وعن التجسس والغيبة. وهي كلها عوامل فرقة وتمزيق الوحدة الوطنية بينما دعا إلى تقوية هذه الوحدة بالتراحم والتعاون وحسن الجوار وكل ما فيه معاني الإنسانية من عفو وتسامح إلى حد الإحسان إلى المسيء.

وهنا نربط بين ما ذكر من ركائز ودعامات وبين ما جاء من أسس راقية لبناء المجتمعات الصالحة والوحدة القوية في عهد الإمام علي عليه السلام لواليه على مصر مالک الأشر.

فنقول :

أولاً : التعريف بمالک الأشر :

هو مالک بن الحارث بن عبد يغوث بن سلمة بن ربيعة بن جزيمة ابن سعد بن مالک بن النخع بن عمرو بن علة بن مالک بن أدد، وكان فارساً شجاعاً، ومن أصحاب الأمام علي عليه السلام وقد قال فيه أمير المؤمنين بعد موته : «رحم الله مالکاً، فلقد كان لي كما كنت لرسول الله صلى الله عليه وآله»^(٨).

اما سبب لقبه بالأشر، فالأشر يعني اختلال في العين وقد حدث بضربة جاءته من عدو في احد ميادين القتال^(٩).

وقد ولد قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وآله بسنوات قليلة حسبما ذكر السيد محسن الأمين في كتابه أعيان الشيعة. وقد عاصر النبي صلى الله عليه وآله ولكنه لم يره ولم يسمع

حديثه .

وقد نشأ مالك في بيئة عربية وقبيلة عريقة المكسب، وهي من قبائل اليمن التي انتقلت الى العراق، وقد دخل الاسلام وقاتل أيام الخليفين أبو بكر وعمر؛ لكنه اختلف مع الولاة الذين عينهم عثمان بن عفان على الكوفة فنفي عدة مرات الى الشام وبيع الإمام علي عليه السلام وأيده وقاتل معه.

وعندما حصلت بعض الاضطرابات في مصر عينه الامام علي عليه السلام والياً عليها عام ٣٨هـ وارسل معه وصايا سميت بعهد الأشر. ولكن مالك لم يصل الى مصر لأنه قتل مسموماً قبل ان يصل اليها.

ظروف ومصادر وسند «عهد الأشر»

ان عهد أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) الى الأشر بن الحارث النخعي يعتبر من أهم الوثائق السياسية التي تعالج قضايا الحكم والادارة وشؤون الدولة وعلاقتها مع الأمة والحقوق والواجبات المترتبة على الحاكم تجاه الأمة، وواجبات الأمة تجاه الحاكم، مما يؤدي للوحدة والتضامن بين افراد الوطن الواحد، ولقد اعتنى الباحثون والمحققون بهذا العهد بشكل كبير سواء من ناحية السند او الشرح او تأكيد نسبه الى أمير المؤمنين علي عليه السلام وقد روى هذا العهد و اشار اليه غير واحد من المحدثين والمؤرخين والعلماء وقد اشار اليه النجاشي والشيخ الطوسي وورد في نصه في نهج البلاغة (قسم الكتب الكتاب الرقم ٥٣ وفي معادن الحكمة (ج ١ نص ١٠٩)) وفي تحف العقول ص ١٢٦ والعديد من كتب الأحاديث والمصادر.

كما جرى شرحه من قبل العديد من العلماء والباحثين وترجم الى لغات اخرى. ومن الكتب التي اشارت الى العهد :

١ - آداب الملوك للسيد الجليل نظام العلماء الميرزا رفيع الدين الطباطبائي التبريزي المتوفى

سنة ١٣٢٦هـ.

٢- اساس السياسة في تأسيس الرياسة للواعظ الماهر الشيخ محمد بن المولى اسماعيل الكجوري الطهراني المتوفى سنة ١٣٥٣هـ.

٣- شرح عهد أمير المؤمنين للعلامة المجلسي المولى محمد باقر الأصفهاني المتوفى سنة ١١١١هـ.

٤- مقتبس السياسة وسياج الرياسة وهو شرح للعهد مأخوذ من شرح الشيخ محمد عبده لنهج البلاغة.

كما صدرت كتب اخرى تحدثت عن العهد وتمت ترجمته للفارسية والتركية وتم التأكد من سنده ونسبه للإمام علي عليه السلام من خلال دراسات وأبحاث عديدة.

ثانياً : أهداف العهد وأهم موضوعاته

جاء في مقدمة العهد المنسوبة الى أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال عليه السلام «هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر في عهده اليه حين ولاه مصر :

١- جباية خراجها : ويشير الى الوضع الاقتصادي الضروري لاستقرار الدولة فإذا استقرت الدولة تمكنت من الحفاظ على وحدتها وتضامنها.

٢- جهاد عدوها : ويشير الى بناء منظومة أمنية متخصصة في مجالات الأمن، وبناء جيش يكون هو المسؤول الأول عن الدفاع عن وحدة البلد وتماسكه.

٣- استصلاح أهلها : ويشير الى التضامن الاجتماعي الذي هو احد الضروريات التي جاء بها الاسلام، وتحسين العلاقات الاجتماعية، وبناء الشخصية المتوازنة للأفراد لينتج عنه مجتمعا متوازنا بأفكاره وتصرفاته، وترسيخ الوعي عند الأفراد بضرورة التمسك بوحدة المجتمع وتضامنه.

٤- عمارة بلادها : ويشير بذلك الى العمل على بناء البنى التحتية للدولة لجعل الفرد مسؤولاً هو الآخر من خلال توفير الخدمات اللازمة لحياة الانسان الكريمة، فإذا ما توفرت الخدمات للفرد صار لزاماً عليه المحافظة عليها.

وهذا العهد دليل عمل للمالك الأشر في حكم مصر ويتضمن أربعة أهداف :

- ١- الدفاع والأمن (جهاد عدوها).
- ٢- الاصلاح الاجتماعي (استصلاح أهلها).
- ٣- التنمية الاقتصادية (عمارة بلادها).
- ٤- مالية الدولة التي تنفق على هذه الأبواب (جباية خراجها). وتقوم على جباية الخراج وسائر الضرائب.

وقد تضمن العهد حوالي أربعين فقرة تناولت الموضوعات التالية : السيرة الحسنة، العلاقة مع الرعية، عدم التكبر، الانصاف، العدل، الوشاة، الاستشارة، دور الوزراء وصفاتهم، الاحسان، السنة، دور العلماء، العلاقة بين طبقات المجتمع، دور قادة الجيوش والعلاقة بهم، اختيار القضاة، الشبهات، اختيار العمال والولاء، خيانة العمال، الخراج ومالية الدولة، الكتاب وأصحاب الديوان، فنون الكتاب، التجار والاحتكار، الاهتمام بالفقراء، اصحاب الحاجات والمصالح، واجبات الحاكم، اداء الفرائض، عدم الاحتجاب عن الناس، دور الحاشية، الاستفادة من الاعلام، العلاقة بالأعداء والعهود، وصفات خاصة، نصوص لها علاقة بحقوق الانسان والقضاء.

ولقد تضمنت نصوص العهد تعاليم واضحة ومحددة حول دور الحاكم وعلاقته بالرعية وكيفية اقامة العدالة وعدم الظلم ودور القضاء وسنختار بعض النصوص مع شرح بسيط لها.

ومما قاله الامام علي عليه السلام في عهده :

« واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذي خلقك وتقعده عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متمتع (متردد) فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في غير موطن : لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متمتع، ثم احتمل الخرق (العنف) منهم والعي (العجز عن البيان) ونح عنهم الضيق والأنف (التكبر) ييسط الله عليك بذلك أكناف (أطراف) رحمته ويوجب لك ثواب طاعته. وأعط ما أعطيت هنيئاً وامنع في إجمال وإعذار. »

في هذه الفقرة يدعو الامام علي عليه السلام مالك الأشر إلى تخصيص وقت للقاء مع الناس ليستمع اليهم وإلى شكواهم بحيث يحدثونه بدون خوف أو وجل وبعيداً عن الشرطة والحراس ويطلب منه ان يستجيب لمطالبهم وان يتقبل ما لديهم من مشاكل وان يجيهم بهدوء وراحة واذا تعذر عليه الاستجابة ان يحدثهم بشكل محب. وبذلك يستطيع كل انسان ان يصل الى الحاكم دون وساطة ما يشكل احد اساليب الحكم المباشر بعيداً عن الوسائط والمحسوبيات.

تطبيق العدالة :

قال أمير المؤمنين عليه السلام « والزم الحق من لزمه من القريب والبعيد وكن في ذلك صابراً محتسباً واقعاً ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع وابتغ عاقبته بما يتقل عليك منه، فان مغبة (نتيجة) ذلك محمودة. »

وفي هذا النص يؤكد الامام ان واجب الحاكم الكبير هو ان يتحرى تطبيق العدالة بدقة وامانة دون ان يراعي في ذلك اية اعتبارات عاطفية او عائلية او مصلحة خاصة.

فحين يجيد المقربون الى الحاكم عن الحق فيجب تطبيق العادلة عليهم كما تطبق على سائر افراد الشعب.

حول القضاء :

لقد تحدث الامام في عهده لمالك الأشتر عن القضاء في عدة فقرات فأشار لصفات القاضي والضمانات الواجبة لنزاهة القضاء.

ومما قاله : « ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعيته في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ولا تحكه الخصوم (اي لا تجعله عسير الخلق) ولا يتهدى في الزلة (اي لا يستمر في الخطأ)...وأصر مهم عند اتضاح الحكم ممن لا يزدهيه (لا يؤثر به) إطراء ولا يستميله إغراء وأولئك قليل.»

ومن خلال هذه الصفات يحرص الامام لضرورة اختيار القاضي النزيه والعدل لتطبيق العدالة وهذه اهم الوسائل لإحقاق الحق.

ملاحظة : من خلال استعراض هذا العهد والذي مضى عليه اكثر من حوالي ١٤٠٠ سنة يمكن القول ان الإمام علي عليه السلام اراد ان يضع اسساً واضحة لإدارة الحكم وتطبيق العدالة وايصال الحقوق لأصحابها ومنع الظلم عن الناس وهذه هي اهم مميزات ما يسمى اليوم «الحكم الرشيد» او مبادئ النزاهة والعدالة والشفافية والمحاسبة والتي تعتبر اهم اسس الحكم الصالح والصحيح، ولو ان المسؤولين والحكام والقادة يلتزمون بهذه المبادئ لعالجنا الكثير من المشاكل التي ادت الى الثورات والانتفاضات.

فهذه كلها روافد تصب في أصل أوجه الوحدة الوطنية المنشودة ترونها فتتمو على أثرها.

الخاتمة

وإذا كانت دعوة الوحدة الوطنية والتضامن كدعوة ظهرت في هذا العصر متميزة من بين الدعوات التي انطلقت في العالم وخاصة بين العراقيين. من وطنية ومدنية ديمقراطية وشعارات متعددة.

فإن الدعوة إلى التضامن والوحدة الوطنية والسلم المجتمعي في هذا الوقت بالذات صار ضرورة ملحة وهي أولى وأحرى للبلد لتعود به إلى صميم وحدته والحفاظ على كيانه، وإثبات شخصيته، وتثبيت دعائمه على تلك الركائز الثلاث...

وإذا كانت في ظهورها ومنطلقها من وطنيين ومثقفين وعلمائنا، ومن جوار هذه الجامعة العريقة، فإنها بلا شك قد لامست شغاف القلوب المخلصة، وأيقظت شعور الشعب المقهور، ولا طفت عواطف كل مواطن غيور حريص على وحدة بلده وشعبه، فلقيت بحمد الله قبولاً لدى المثقفين الوطنيين واستقبلت بترحاب منهم.

ولا نزال نسمع كل حين وآخر بنتائج عظيمة حيث تنادي بعض الشخصيات المعترية إلى الوحدة الوطنية، ونبد الفرقة والطائفية بكل أشكالها، والتزامها بتنفيذ القانون واحترامه والعمل بموجبه بما يضمن سيادة القانون.

ومن ثم يلتقي قادة هذا البلد بشعبهم ويلتف هذا الشعب حول قادته الوطنيين. واليوم ومن رحاب الجامعة العراقية ومن أرض بغداد العلم مهد العلم والعلماء ومنطلق الوطنيين والمثقفين تتجدد تلك الدعوة للوحدة الوطنية، والسلم المجتمعي الذي يضمن العيش الكريم لجميع المواطنين.

وهذه الوحدة الوطنية والسلم المجتمعي المنشود بصفاء محاسنه بريء من كل شائبة نزيه عن كل غرض شخصي أو مادي بعيد عن أي اتجاه سياسي أو فكر أجنبي فإنه بحمد الله ليعلوا على الشبه ويسمو عن الشكوك فمصلحته للجميع.

كما أنها بارتكازها على تلك الركائز الثلاث التي أسلفنا وهي ركيزة طبيعة تكوين الإنسان وسنة الحياة. وركيزة احترام القانون. وركيزة الحالة السياسية والوضع الاجتماعي الذي نعيشه. فإنها تركز على عوامل قبولها وتحمل دواعي بقائها، وضمان السلم الأهلي والمجتمعي.

كما تحقق للعراقيين كل مطالبهم وتمكن لها، والوحدة الوطنية والتضامن لا يقتصر نفعه على مجموعة صغيرة فقط ؛ بل على المواطنين كافة لو آمنوا بها وأيدوها. ونحن لا نفرط في التفاؤل أو نتطلع إلى غير العراقيين وإنما ندعو إلى التضامن والوحدة الوطنية العراقية تحت شعار الوحدة والإخاء.

وإن دور الدعاة من الوطنيين والمتقنين والأكاديميين إبراز أهمية التضامن وضرورة الوحدة الوطنية على ضوء القانون وحكمة التشريع ما أمكن ذلك وإظهار محاسنها.

﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ التوبة.

كما إنا لنهيب بالجهات المختصة أن تمد يد العون وتبذل كل الجهد لمساعدة دعاة الوحدة الوطنية الحقيقية بما يستطيعون به القيام بواجبهم وأداء عملهم على الوجه الذي يروونه وتتطلبه دعوتهم في مراكز عملهم.

وصلى الله وسلم وبارك على إمام المرسلين وخاتم النبيين وعلى آله وصحبه وسلم...

الهوامش

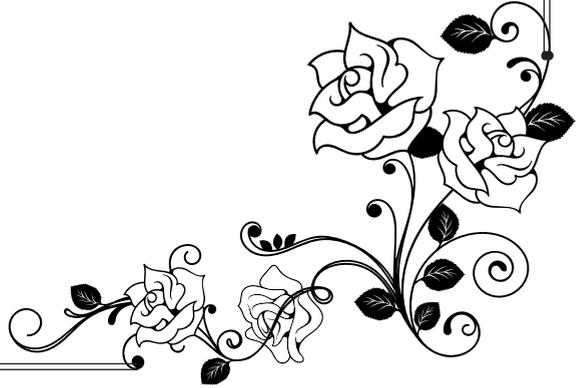
- ١ رواه الطبراني في المعجم برقم (٢٣٨٥).
- ٢ ينظر تفسير ابن كثير ١ - ٧٩.
- ٣ رواه أحمد في المسند برقم (٦٥٢٠).
- ٤ رواه مالك في الموطأ برقم (٢٣٧١).
- ٥ رواه أحمد في المسند برقم (٤٦٢٢).
- ٦ رواه الطبراني في المعجم برقم (٣١١٢).
- ٧ رواه الطبراني في المعجم برقم (٣٢١٩).
- ٨ شرح نهج البلاغة ٣٢٦.
- ٩ مالك الأشتر ٨٢.

المصادر

- بعد القرآن الكريم.
- ١- أضواء على أوضاعنا السياسية، عبدالرحمن عبد الخالق، دار الهلال بغداد، ط ١، سنة ١٩٧٨ م.
 - ٢- أزمة العراق (رؤية من الداخل)، السيد حسين الشامي الموسوي، لندن، ١٩٩١ م.
 - ٣- أعيان الشيعة، محسن الأمين، دار التعارف.
 - ٤- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ت ٧٧٤ هـ، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٩ هـ.
 - ٥- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد.
 - ٦- عهد الأشر، شمس الدين محمد مهدي، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ط ٢، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
 - ٧- مالك الأشر، محمد تقي الحكيم.
 - ٨- المعجم الكبير للطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني ت ٣٦٠ هـ، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د. سعد بن عبد الله الحميد و د- خالد بن عبد الرحمن الجريسي، د.ت.
 - ٩- المسلمون والعمل السياسي، عبدالرحمن عبد الخالق، الكويت، سنة ١٩٨٥ م.
 - ١٠- مسند أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ت ٢٤١ هـ، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة الكويت، ط ١، ٢٠٠١ م.
 - ١١- موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني ت ١٧٩ هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٩٨٥ م.

القيم الأخلاقية الفاضلة للقائد الرسالي
في فكر الإمام أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام)
لمالك الاشر (رضي الله عنه) وتوظيفها في مؤسسات الدولة مستقبلا
دراسة تحليلية

أ.د. صباح حسن عبد الزبيدي
جامعه بابل- كلية التربية للعلوم الإنسانية



الفصل الاول

مدخل عام شامل

مشكلة البحث واهميته :-

من المعلوم إن لكل مجتمع له ثقافته التي تمثل عاداته وتقاليده وقيمة ويحاول المجتمع تربية أبنائه في إطارها، وهو يرى عادة ان نقل الثقافة من جيل الى جيل اخر مهم جدا لأجل الحفاظ على تماسك المجتمع من هذه القيم الأخلاقية الفاضلة (البطولة والفروسية والشجاعة والإيثار والتضحية بالنفس والكرم والجهاد في سبيل الله، فالعادات والتقاليد والدين والأعراف والقيم المنتشرة في المجتمع تعد كلها من مصادر هامة في تعليم الأفراد الاتجاهات الايجابية وتعزيز الانتماء الى الوطن والتاريخ والأرض والاعتزاز بالقيم العربية الأصلية، والإسلامية

ومن المعلوم ايضا ان الانسان عنصر من عناصر هذا الكون، ونمط مثالي رفيع بين انماط ما خلقه الله سبحانه وتعالى، وبذلك جعله الله هذا الانسان خليفته في الارض وعرفه وميزه واعطاه منزله رفيعة عن بقية المخلوقات، وقد وصفه الله سبحانه وتعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الاسراء ٧٠)

ومن ابرز مظاهره العناية الالهيه انه أستخلف الانسان وتم اختياره كالأنبياء والرسل الى العباد لنشر مبادئ الدين المتمثلة بالعبادة والتوحيد ونشر المبادئ الإنسانية بين الناس لأجل اسعاد الانسان والبشر في الدنيا والاخر، وبذلك امرنا الله سبحانه وتعالى في الطاعة

والعبادة والتمسك بالعمل الصالح، وقوله تعالى ﴿مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الفتح ١٧)

وبذلك كان الرسول الاعظم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) واهل بيته الطاهرون المثل الاعلى في الثبات على المبادي السامية والاخلاق الفاضلة، وكان الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالي (عليه السلام) (هو سر رسول الله ومثال حي في الثبات على المبادي التي جاء به القران الكريم والسيرة العطرة لبنينا محمد (صلى الله عليه واله وسلم) في هذه الارض.

وعليه ان وظيفه التربية الحديثة اليوم وهي بناء ومساعدة الفرد والمجتمع البشري في اعداده وتأهيله وتدريبه وتطويره لكي يساهم في العمل وزيادة الانتاج والإنتاجية التي تحتاجه التنمية الشاملة

وعلى هذا الاساس اخذت تهتم ببناء الشخصية المتكاملة (العقلية + الجسمية + الوجدانية + المهارية + الاجتماعية)

ان بناء الشخصية كما هو معروفه جاء من نتاج التفاعل المستمر بين العوامل الوراثية والعوامل البيئية التي تؤثر على الفرد منذ ولادته وفي مختلف مراحل حياته وبهذا الصدد يؤكد أصحاب الاختصاص بناء الشخصية بقولهم (إن الحكم على الشخصية مسألة دقيقة وحساسة، تحتاج إلى استيعاب كبير لجملة النظريات ومعرفة عناصرها وديناميكية، فالقدرة في ضبط الشخصية يتم بضبط معايير تقيس القدرات والمهارات العقلية والجسمية والوجدانية والمهارية ليس عن طريق الملاحظة لتكوين انطباعات وصور حقيقة عن الشخصية ومن خلال المزج بين التربية وعلم النفس وتجاوبها مع ظروف المجتمع وتغيراته، وذلك لمسيرة التغيرات والتطورات بما يطلبه المجتمع وتطلعاته المستقبلية ومن المعلوم ايضا

وفي ضوء ما تقدم ان الدين والقيم الاخلاقية دعامة كل نهضة وتقدم المجتمع والحضارة فهي الحارس الوحيد الذي يحمي الامم من الانهيار والضياع.. بهذا الخصوص اكد علماء الاخلاق على اهمية الاخلاق بقوله ((لو بذل الانسان في سبيل السيطرة على كبح جماع نفسه بعض الشيء بقدر من الجهد على القوى الطبيعية لكان عالمنا اليوم عالم طهارة وسعادة.))

من المؤكد ان الاخلاق تعد من العلوم العملية التي يسعى علماء الاخلاق الى السعادة والكمال امام العوائق والتحلل الخلقي وتوضيح ماهي الاعمال الحسنه التي يجب القيام بها وماهيه الاعمال السيئة التي يجب تجنبها

وفي ضوء ما تقدم ففي القرون الأخيرة ظهرت العديد من الاتجاهات والدراسات الفكرية حول (النزعة الإنسانية ونحو الليبرالية، والتساهل والتسامح والإباحية... الخ) والتطور العلمي والتكنولوجي الذي جذب اللذة وتأمين الرفاه والربح المادي مما دفع القوى العظمى الى بسط نفوذها في العالم

ومن هنا تظهر مشكله البحث، من خلال طرح عدة تساؤلات وهي :- (من المعلوم ان العالم الذي نعيش فيه لازال غير منسجم ولا متزن من الناحية الاخلاقية فالتقدم المادي جعل حياتنا لا قيمة لها بسبب الفرق الشاسع بين الجانب المادي والاخلاقي مع العلم ان الاديان اتفقت على اختلاف انواعها على اهمية الاخلاق والقيم الاخلاقية الفاضلة لذلك نجد الدين الاسلامي مثلاً يمجّد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم من خلال القرآن الكريم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم ٤) وكذلك حينما يقف الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) ليوضح الدعوة الاسلامية ومبادئها الاخلاقية بقول (انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق) وبذلك يجعل المتخلقين بالأخلاق والقيم الفاضلة اقرب الناس اليه وفي قول (صلى الله عليه واله وسلم) (ان احبكم الي واقربكم مني منازل يوم القيامة

احسنكم اخلاق).

وتأسيسا على ما تقدم يقف في مقدمه بعد النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) الامام الامير المؤمنين علي ابن ابي (عليه السلام) في تجسيد القيم الأخلاقية الفاضلة والتي يريدها تعزيزها في القائد الرسالي مالك الاشر (رضي الله عنه)، وكيف يمكن تعزيزها في مؤسساتنا التربوية مستقبلا؟

اهميه البحث

- التأكيد على القيم الأخلاقية الفاضلة التي جاء بها الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) القناعة، الكرم، العفة، الأمانة، التأخي، اليقين، الكلم الطيب، محاسبه النفس، التوبة، طاعه الله وتقواه، الثبات على المبدأ، الشكر... الخ
١. بناء شخصيه قوية العقيدة، قوي في الفكر الاسلامي، متمسكة بتطبيق القيم الأخلاقية الفاضلة في مؤسساتنا المختلفة مقتديه بهذه القيم في عملها مستقبلا مستمدة من منابع القيم الإسلامية واهل البيت (عليهم السلام).
 ٢. استنباط القيم الأخلاقية الفاضلة من منابعها الأساسية (القران الكريم والسيرة النبوية المطهرة والعترة الطاهرة ويقف في مقدمة ذلك سيدنا ومولنا الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام)
 ٣. جعل هذه القيم خطوط عريضة في بناء الامه الإسلامية التي تستنير بقادتها ورموزها الدينية فب بناء الفرد والمجتمع.
 ٤. استرشاد القائد الرسالي من منبع هذه القيم وتطبيقها في الحياه العامة ولاسيما من سيرة الائمة (عليهم السلام).

اهداف البحث :- يهدف البحث الإجابة على الاسئلة الانيه :-

١. ما مضمون القيم الأخلاقية الفاضلة بصورة عامة والاسلام بصورة خاصة ؟
٢. ما مضمون القائد الرسالي ؟ وما هيه القيم الأخلاقية الفاضلة التي ينبغي ان يحملها في نظر الاسلام؟
٣. ما مضمون القيم الأخلاقية الفاضلة للقائد الرسالي ملك الاشر (رضي الله عنه) في فكر الامام امير المؤمنين على ابي طالب عليه السلام ؟
٤. هل بالإمكان توظيفها في مؤسسات التربوية بالوقت الحاضر ؟
٥. حدود البحث :- يقتصر حدود البحث على الادبيات التي تناولت مفهوم القيم الأخلاقية الفاضلة بصورة عامه وفي نظر الاسلام بصورة خاصة القائد الرسالي المنشورة حتى عام ٢٠١٥
٦. تحديد المصطلحات :- سيتم تحديد المفاهيم والمصطلحات التي وردت في متن البحث وهي (١- القيم، ٢:- الاخلاق ٣- القيم الاخلاقية ٤:- القائد والقيادة ٥-القائد الرسالي ٦- الامام الامير المؤمنين علي ابن ابي طالب(عليه السلام) ٧- مالك الاشر(رضي الله عنه)
٧. اولاً:- القيم. وتعرف بعدة تعاريف هي :-
٨. القيم المادية- هي كالمعادن النفيسة.
٩. القيم المعنوية- وهي الاستقامة وحسن السمعة.
١٠. القيم في نظر علماء الاجتماع- هي حقائق تعبر عن التركيب الاجتماعي يعتمد الافراد والجماعات على تطبيقها بغية الوصول اهداف ما.(النزه جي:١٩٩٠).
١١. عرفها الخوري هي القواعد والسلوك التي يستطيع الناس من خلالها وبواسطتها ان يستمد امالهم ويجربوا تصرفاتهم(خوري:١٩٨٣).
١٢. عرفها احمد هي مجموعة من القوانين والمقاييس تنبثق من جماعة ما وتتخذها

معايير للحكم على الاعمال والافعال والتصرفات وتكون لها في القوة والتأثير على الجماعة بحيث يصبح لها صفة الالتزام والضرورة والعمومية واي خروج عليها او انحراف عن اتجاهاتها يصبح خروجا عن المبادئ الجماعة واهدافها ومثلها العليا. (بركات: ١٩٨٢).

١٣. عرفها كنعان هي معيار للحكم على كل ما يؤمن به مجتمع ما ويؤثر في سلوك أفراده حيث يمكن خلالها الحكم على شخصية الفرد، من حيث صدق الانتماء نحو المجتمع لكل افكاره ومعتقداته واهدافه وطموحاته وقد تكون هذه القيم ايجابية او سلبية. (كنعان: ١٩٩٩)

ثانياً :- الاخلاق Ethies. وتعرف بعدة تعاريف :-

١. ويعرفها مهدي واخرون هي الفعل السلوكي الذي يتضمن العادات والتقاليد والآداب والمثل المرعية في مجتمع ما. (مهدي واخرون: ٢٠٠٢).
٢. ويعرفها عبدالعزيز:- هي السلوك الذي يسلكه الانسان في الحياة (عبد العزيز: ١٩٨١)
٣. يمكن تعريف الاخلاق اجرائياً: هي مجموع الصفات والخصائص التي يحملها الانسان والتي تدعوه الى سلوك معين طبقاً للمعايير الاجتماعية المرغوبة والتي تستند بالأساس الى القاعدة الشرعية الالهية في عمل الخير والحق والجمال ومن ثم السعادة وتحدد منها عوامل كثيرة منها العوامل الوراثية والبيئية للسلوك الانسان ويمكن ان تظهر من خلال التنشئة الاجتماعية والتربية وتهذيب بالدين والقانون الطبيعي للحياة.

ثالثاً :- :- القيم الاخلاقية. وتعرف بعدة تعارف منها :-

١. عرفها احمد (بانها مجموعه من العادات والتقاليد والمعايير والاهداف العليا التي يؤمن بها المجتمع وتعمل على تنظيم الحياه الاجتماعية وتوجيه السلوك الاخلاقي نحو

وجهه الخير والفضيلة ودرء الاخطار والمشكلات التي تواجه المجتمع. (بركات، ١٩٨٢)

٢. تعرفها الطهطاوي:- بانها (مجموعه المبادئ والقواعد والمثل العليا التي يؤمن بها الناس ويتفوقون عليها فيما بينهم ويتخذون منها ميزانا يزنون به اعمالهم ويحكمون تصرفاتهم المادية والمعنوية). (الطهطاوي، ١٩٩٦)

رابعا:- القائد : ويعرف القائد بـ

(وهو الشخص الذي يستخدم (اسلوب ووسائل) في التأثير على الاخرين، فالوسائل اما ديمقراطية واما ديكتاتورية حسب طبيعة الموقف، ويقسم القادة الى نمطين حسب المواقف وحسب الاسلوب) وينقسم الى نمطين (قادة مواقف وقادة مبتكرين). (بدوي، ١٩٧٧)

خامسا:- القائد الرسالي :- ويمكن تعريف اجرائيا

وهو الشخص الذي يتميز بخصائص وصفات شخصيه متكاملة (عقلية + جسميه + وجدانيه + مهاريه + اجتماعيه) عن بقية الاشخاص ويحمل رساله بناء هدفها بناء الانسان والمجتمع بعيدا عن التسلط والقوة.

سادسا:- الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام)

وهو الامام علي بن ابي طالب امير المؤمنين (عليه السلام) شخصيه عظيمه لا تنحصر على المسلمين فحسب بل هي شخصيه عالميه للناس كافة نستمد منها دروس وعبر في الحياه، ولد الامام في (١٣) من شهر رجب عام ٢٣ قبل الهجرة النبوية الشريفة، وقد قدر له ان يولد في بيت الله الحرام واحتضنه ابن عمه الرسول الاعظم محمد (صلى الله عليه واله

وسلم) منذ صغره فقد غداه من علمه عندما بعثه الله سبحانه وتعالى، فكانت حياته مشتركة مع حياه الرسول محمد(صلى الله عليه واله وسلم) فكان الشخصية الوحيدة التي يليق هذه المكانة والمنزلة، وقد عاش حياه مجاهد في سبيل نشر الاسلام والحفاظ عليه حتى قتل مظلوما شهيدا المحراب على يد اشق الاشقياء عبد الرحمن ملجم في (١٩) من شهر رمضان سنه (٤٠) هـ ((سوادي ٢٠١٠))

من المعلوم ان الدين الاسلامي، هو دين الاخلاق الكريمة، والمثل العليا وفي هذا الصدد يقول الامام امير المؤمنين(عليه السلام)((لو كنا لا نرجو جنه ولا نخشى نارا ولا ثوبا ولا عقابا لكان ينبغي لنا ان نطلب مكارم الاخلاق، فأنها تدل على سبيل الناجح. سابقا:- القائد الرسالي(مالك الاشر) (رضي الله عنه) :- وهو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن سلمه بن ربيعه النخعي، ولد ما بين (٥-٣٠) قبل الهجرة، ولقب بالأشتر(لان احدى عينيه شترت، اي شقت في معركة اليرموك، وقد عاصر مالك الاشر(رضي الله عنه) النبي محمد(صلى الله عليه واله وسلم) ولكنه لم يراه ولم يسمع حديثه، وقد شارك في حروب الرده في زمن ابي بكر وله دور كبير في معركة اليرموك التي دارت بين المسلمين والروم سنه (١٣) هـ وعلى اثرها شقت احد عينيه ولقب بالأشتر، وعندما جاء الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام) بعد تولى الخلافة عام(٣٦هـ) جعله واليا على مصر وارسله الى مصر ومعه شهاده من الامام امير المؤمنين علي ابي طالي(عليه السلام)(اما بعد فقد بعثت اليكم عبدا من عباد الله لا ينام ايام الخوف ولا يتكل من الاعداء ساعات الروح، اشد على الفجار من حريق النار).

وفي ضوء ما تقدم كانت حياته حافله بالجهاد، وقد رزقه الله الشهادة علي يد معاوية، وقد دس السم عن طريق رجل من اهل الخوارج، فتوفي مسموما، صابرا محتسبا سنه (٣٧) ودفن في مصر(سوادي ٢٠١٠).

رابعاً: - منهجية البحث :-

اعتمد الباحث في منهجيته على البحث الوصفي التحليلي للأدبيات التي تحدثت عن القيم الأخلاقية الفاضلة في القائد الرسالي مالك الاشر النخعي (رضي الله عنه) للرسالة الموجه له في فكر الامام امير المؤمنين (عليه السلام) وتعزيزها في مؤسساتنا التربوية مستقبلاً.

الفصل الثاني**القيم الأخلاقية الفاضلة بصورة عامة ونظرة الاسلام لها بصورة خاصة**

وشملت محورين هما :-

المحور الاول :- القيم الأخلاقية الفاضلة بصورة عامة :-**طبيعة القيم بصورة عامة :-**

من المعلوم، ان القيم تحتل منزلة بالغة الاهمية في الفكر الفلسفي والفكر الأخلاقي كما هي تحظى باهتمام العلماء ولاسيما رجال الدين والتربية والاجتماع وسائر الناس نظراً لان فكرة القيمة وإحكامها من اكثر المسائل اتصالاً بالإنسان وفي ضوء ما تقدم، تنوعت المؤلفات التي تبحث عن موضوع القيم وأنواعها وطبيعتها ومصادرها، وكذلك تعددت المذاهب والتفسيرات حول ترتيبها وتصنيفها كما جاءت عليها الادبيات المنشورة والتي تؤكد ان فكرة القيمة قد انبثقت قديماً عن الفلسفات اليونانية التي رأت ان قيم (الحق والخير والجمال) هي قيم اذليه خالدة ودلت عليها بأسماء والقيم تتضمن جملة من المعتقدات والأفكار والمشاعر التي تؤثر او تحدد للتقويم او الاختبار والتفضيل باتجاه افكار ومواقف الاشخاص وشخصياتهم لأنها تعبر عن السلوك المفضل، (زهرا: ١٩٨٥)

مكونات القيم :-

من الواضح ان القيم انتاج اجتماعي وأخلاقي ترتبط بالفرد والجماعات والمجتمع، فهي اطر مرجعية للسلوك وذلك من خلال عملية التنشئة الاجتماعية يتعلمها او يكتسبها الانسان من خلال القواعد او المعايير الاجتماعية المرغوبة لدى المجتمع،

ان اختلاف القيم وتنوعها يرتبط باختلاف المجتمعات التي ترتبط بقواعد السلوك، ويرى (بارسوتز وآخرون) من علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا ان مكونات القيم بأنها مكونة من العناصر، يؤكد علماء النفس والتربية والاجتماع والفلسفة والدين ان للقيم لها مكونات وهي :-

١. المكون العقلي :- الوعي -اي ان السلوك يرتبط بالقدرات العقلية التي تنمي القدرات العقلية -التفكير والتخيل والتصور، التقصي والبحث والاكتشاف والتعبير اللغوي.

٢. المكون الوجداني -النفسي -التقدير اي السلوك يرتبط بالقيم الروحية والدينية والإنسانية والعاطفية التي تنمي القيم التعاون، المساعدة، الثقة بالنفس، حب الوطن، التسامح، احترام القانون، النظام.

٣. المكون السلوكي -الفعل، اي ان السلوك يرتبط بالقدرات الحركية، البدنية، الجسمية، التي تنمي المهارات الحركية المختلفة عند الإنسان لمزاولة الأنشطة المختلفة.

وفي ضوء ما تقدم تساهم هذه المكونات الثلاثة في تحديد نوعيه القيم ووظيفتها ومعناها التي تساعد الفرد في تخصيص طاقه القيم وشحذها وتوجيهها بين مظاهر الفعل، لذلك نقول ان هذه العناصر متداخلة ومتفاعله بينها يتأثر الفرد بالمجتمع الذي يعيش فيه، فهي تعكس ثقافته المجتمع والمعايير الاجتماعية، وعند ذلك تنتج القيمة وتترتب في التعليم (الشناوي،

واخرون: ٢٠٠١)

اهمية القيم :-

من الواضح ان للقيم لها دورا مهم في توجيه سلوك الفرد او الجماعة او المجتمع، فهي تقود الى اصدار الاحكام على الممارسات العلمية والتربوية التي يقوم بها، لذلك فهي الاساس السليم لبناء الشخصية الاعتبارية وتكمن اهميتها ب:-

من المعلوم ان للقيم اهمية تكمن ب

١. تزويد الفرد بشعور من التوجيه الداخلي النابع من صميم الذات
 ٢. تمكن الفرد من ضبط نفسه وتحديد توقعاته من الاخرين
 ٣. تعد وسيلة للحكم على سلوك الافراد
 ٤. تزويد الفرد بالوعي اللازم لمعرفة الامور ومحاکمتها والتمييز بين (الصواب والخطاء) والاخلاقي وغير الأخلاقي.
 ٥. تشكل اطارا عاما للجماعة ونمط من انماط الرقابة الداخلية في حركتنا ومعايير تصرفنا. (هندي، صالح واخرون : ١٩٩٠)
 ٦. فهي مرجع الحكم هن سلوك الافراد
 ٧. هي هدف يسعى الفرد او المجتمع الى تحقيقها
 ٨. هي باعث على خلق الدافع
 ٩. هي قدرة الفرد في تحمل المسؤولية تجاه حياته العامة مما تسعفه الاحساس بالأمان والرضا او الرفض
- خصائص القيم :- يؤكد علماء النفس والتربية والاجتماع والدين الفلسفة بان للقيم عدة خصائص هي :-

١. انها انسانية :- اي ان افكارها مرتبط بالفرد الانسان.
٢. انها اجتماعية :- اي انها تتطلق من اطار اجتماعي محدد يتم الحكم على سلوك الفرد

٣. انها ذاتيه :- اي ان لكل فرد يحس بها ذاتيا.
٤. انها عموميه :- اي انها تشكل طابعا عاما ومشارك بين ابناء المجتمع.
٥. انها نسبيه :- اي انها تختلف من شخص لأخر ومن زمان لأخر ومن ثقافه لأخرى.
٦. انها مثاليه :- اي انها ليست شيئا تحمل معنى واحد.
٧. انها تجريبية :- اي انها لها تقدير خاص بها.
٨. انها مرتبه هرميا :- اي بانها تترتب بشكل تدريجيا من الأهمية والتفصيل لكل فرد مرتبط بالتكوين النفسي الموجه للفرد.
٩. انها وجدانية :- اي انها تحمل الوعي والادراك والوجدان والنزعة النفسية.
١٠. انها ذات صبغه احكام تسيير الراي والحكم على الشخص بالخير او الشر. (الشناوي واخرون: ٢٠٠١)

انواع القيم :-

- يؤكد علماء التربية والنفس والاجتماع والفلسفة والدين، ان للقيم انواع عدة وقد قام الباحث باستنباطها وعرضها بالشكل الآتي :-
١. القيم النظرية :- وهي القيم التي يهتم بها الفرد ويحاول ان يكتشفها متخذ وصفه للأشياء
 ٢. القيم الاقتصادية :- وهي القيم التي يهتم بها الفرد او الجماعة التي ترتبط بالثروة، من حيث زياتها في الانتاج، التسويق، استهلاك البضائع، استثمار الاموال.
 ٣. القيم الجمالية :- وهي القيم التي يهتم بها الفرد او الجماعة التي ترتبط بما هو جميل من حيث الشكل، التوافق، التنسيق.
 ٤. القيم الاجتماعية :- وهي القيم التي يهتم بها الفرد او الجماعة التي ترتبط بما يساعد على تحقيق غايات اجتماعيه سليمة.

٤. القيم السياسية :- وهي القيم التي يهتم بها الفرد والجماعة التي ترتبط بالسيطرة والحكم والتحكم في الاشياء او الاشخاص.
٥. القيم الدينية :- وهي القيم التي يهتم بها الفرد او الجماعة التي ترتبط بالمعتقدات والعبادات والتعاليم الدينية التي تؤكد على وجدانيه الله سبحانه وتعالى وتعاليمه ونشرها عبر الملائكة الى الانبياء والرسل.
٦. القيم المعرفية :- وهي القيم التي يهتم بها الفرد او الجماعة التي ترتبط باكتشاف الحقائق والمعارف والسعي الى اكسابها للمتعلمين.
٧. القيم الخاصة :- وهي القيم التي يهتم بها الفرد او الجماعة المرتبطة بالمناسبات الاجتماعية المعينة في منطقته معينه.
٨. القيم العامة :- وهي بالقيم التي يهتم بها الفرد والجماعة ويارسها شرائح المجتمع وهي تمثل الاعراق والتقاليد.
٩. القيم الضمنية :- وهي القيم التي يهتم بها الفرد او الجماعة والتي يستدل بها من خلال الاختبارات والاتجاهات المكونة للسلوك الخاص بالفرد او الجماعة ونمطيتها.
(الشناوي واخرون : ٢٠٠١)

نظريات اكتساب القيم :-

يؤكد علماء النفس والتربية والاجتماع والفلسفة والدين واللغة، ان هناك عدة نظريات تساهم في اكتساب القيم حسب وجهات منظرها هي :-

اولا:- نظرية التحليل النفسي :- وهي التي ترى ان عمليه اكتساب القيم (القيم والأخلاقية) تبدأ بمن مرحلة الطفولة المبكرة، حيث يقوم الوالدين بوضع القواعد الأخلاقية والقيم للطفل وتحديد فيما يفعل وما لا يفعله من خلال (اللذة) ومن هنا يتكون نظام القيم والقواعد، ويمثل هذه النظرية (الجانب الانا الاعلى) (الضمير) ومن منظرها هو فرويد

ثانياً:- النظرية السلوكية :- وهي التي ترى ان عمليه اكتساب (القيم والأخلاقية) تتم عن طريق التعزيز الايجابي او السلبي، وذلك من خلال تفاعل الفرد مع (المثيرات البيئية) ومن هنا يتعلم الطفل الاستجابات التي تدعم سلوكه، والمحرك للسلوك (المثير والاستجابة) من خلال بتعزيزها او انطفاها ومن منظريه هذه النظرية السلوكية -باقلوف -سكنر.. الخ

ثالثاً:- النظرية المعرفية :- وهي التي ترى ان عمليه اكتساب (القيم الأخلاقية) تتم عن طريق تفكير الطفل للمحاكاة النموذج الاجتماعي ثم التوازن والتكيف، اي ان تحقيق التوازن والتكيف للعلاقات الاجتماعية مع القدرات العقلية، ومن روادها (بياجيه) الذي درس تطور النمو الاخلاقي عند الطفل وطريقه تفكيره حو (الأسئلة الصواب والخطأ) لمفهوم القوانين الاجتماعية. (الشناوي، واخرون : ٢٠٠١)

مراحل نمو القيم الأخلاقية :-

عندما نتحدث عن شخصية الفرد، فإننا نتحدث عن معتقدات وقيم وسلوك ذلك الفرد التي تظهر عبر المواقف المتغيرة وبالرغم من عدم وجود تعريف واحد متفق عليه لوصف شخصية الإنسان، فإننا نستطيع إن نذكر أكثر التعاريف شيوعاً وقبلاً، وهو التعريف الذي أكد على (البورت) الذي يعرف الشخصية بأنها تنظيم القوى المميزة للأنظمة النفسية والبدنية داخل الفرد والتي تقرر الطابع المميز لسلوك وأفكار الفرد وفي ضوء ما تقدم، تعرف الشخصية بأنها مجموع الصفات والطباع الفردية التي يختص بها الفرد والتي تميزه عن غيره على الأفراد من الواضح إن احد العلماء وهو (أريكسون) قسم مراحل نمو الشخصية إلى مراحل بدا من مرحلة الميلاد حتى الشيخوخة،)

١- مرحلة الأولى :- وهي المرحلة التي تمد من الميلاد وحتى سنة تقريبا، حيث يكتسب الطفل في هذه المرحلة الثقة أو عدم الثقة بالاعتماد على مساعدة الآخرين في أوقات الضيق، وهذا يعتمد على كون يعتمد على إلام مستجيبة أو غير مستجيبة لبقاء الطفل.

٢- المرحلة الثانية :- وهي المرحلة التي تمتد بين (١-٣) سنة يكتسب الطفل شعورا بالاستقلال لاسيما إذا كانت ألام والأب في ضبط النفس وبالعكس فانه يؤدي إلى الخضوع والاستسلام وبذلك ينتاب شخصية الطفل الشك والخجل .

٣- المرحلة الثالثة :- وهي المرحلة التي تمد من (٣-٥) سنوات وفيها يتعلق الطفل بوالديه ولهما الأثر في الرعاية لتوفير العواطف وإشباعها وبذلك فالطفل يكتسب الحب وصدق المشاعر، وبالعكس إذا كانت الرعاية غير علمية فإنها تنعكس عن شخصيته، بالجانب السلبي وهو الشعور بالذنب وروح المبالاة والصراعات الاجتماعية.

٤- المرحلة الرابعة :- وهي المرحلة التي تمتد بين (٦-١١) سنة وفيها يترك الفرد البيت ويذهب إلى المدرسة فالطفل يدرك المشاعر والرضا والاستحسان من خارج العائلة وبذلك ينشأ عند الطفل في الشعور بالإنتاجية أو الشعور بالنقص .

٥- المرحلة الخامسة :- وهي المرحلة التي تمتد بين (١٢-١٨) سنة وفيها تظهر صراع ما بين الفرد وتحقيق الهوية وتزداد القدرات والاستعدادات لدور الاجتماعي وفقدان اثر المجتمع، ونمو الرغبات الكثيرة وفق القدرات والاستعدادات.

٦- المرحلة السادسة :- وهي المرحلة التي تمتد بين (١٩-٢٥) وفي هذه المرحلة يشعر الفرد بالاختلاط والاندماج في المجتمع من خلال بناء علاقات جنسية تعتمد على الشعور المتبادل بالمحبة والاحترام ويشعر الفرد إن المجتمع يضغط عليه .

٧- المرحلة السابعة :- وهي المرحلة التي تمتد بين (٢٥-٥٠) وفيها يشعر الفرد في اختيار المهنة والمساهمة في حياة الأجيال اللاحقة وتكوين العائلة والإنجاب والتفكير بالمستقبل .

٨- المرحلة الثامنة :- وهي المرحلة التي تمتد بين (٥٠- فما فوق) فيها هذه يشعر الفرد بتكامل الشخصية وفهم الحياة الشاملة و يكون أكثر ايجابية في الحياة.
(الربيعي:١٩٩٤)

تحديد منابع الاخلاق في الانسان :- يؤكد علماء التربية والنفس والاجتماع ان منابع

الاخلاق في الانسان تكمن من خلال ما يلي

١- منابع النمو الاخلاقي لدى الطفولة :-

من المعلوم ان النمو الاخلاقي لدى الطفل تتمثل بالرغبة في تحقيق اللذة والسعادة وهي مساية لمبادئ القيم الاجتماعية والثقافية التي يعيش فيه وتتحكم فيها قوى رادعة(خارجية) سلطة الالباء المدرسين بالتالي ينمو(الضمير الاخلاقي) داخل الانسان وبذلك عد النمو الاخلاقي لدى الطفولة بالنمو(السلوكي) فالسلوك الخلقي الذي يقوم به الطفل هو خوفا من العقاب.(ويكون سلوك سلطوي)

٢- منابع النمو الاخلاقي لدى الراشد(الشباب)

ان نمو الضمير الاخلاقي لدى الراشد هو شعور الشباب بالواجبات والالتزام والمسؤولية وهو شعوره بالواجب، الولاء، الشفقة، الرحمة، الحب، فهي انفعالات وجدانية ويقول ان النمو الخلقي لدى الشباب هو سيكولوجي، ارادي) يرى الكاتب عبد العزيز انه يمكن استخلاص القيم الاخلاقية ومعرفتها من خلال :

- ١ . دراسته الشخصية وتحليل عناصر الجسم من حيث الصيغة الكيميائية.
- ٢ . دراسته الشخصية عن طريق تحليل تقاسيم الوجه والجمجمة.
- ٣ . دراسة الشخصية عن طريق الجانب الوجداني او الانفعالي.
- ٤ . دراسة الشخصية عن طريق مكامن النفس.
- ٥ . دراسة الشخصية بقياس الذكاء.
- ٦ . دراسة الشخصية بقياس رجاحة العقل.(عبد العزيز، ١٩٨١)

المحور الثاني :- القيم الأخلاقية الفاضلة في نظر الاسلام بصورة خاصة، وشمل:

نظرة الفلسفة الإسلامية للقيم الأخلاقية الفاضلة ومصادرها :-

من المعلوم، ان نظرة الفكر الاسلامي للقيم يقوم على اساس الايمان بان الله سبحانه وتعالى كحقيقته مطلقه والتسليم بأحكامه التي هي قيم ربانية روحية، ولها تطبيقات مادية في الحياه والتي تهدف الى بناء الانسان والمجتمع المسلم

مصادر القيم الأخلاقية الفاضلة في نظر الفلسفة الإسلامية :- وهي :-

- ١- الوحي :- وهي القيم المتلوة من الله سبحانه وتعالى والتي اكد عليها القران الكريم والانبياء والمرسلين والاولياء الصالحين، وهذه القيم لا تخضع للتجربة وتأبى ان تختبر علميا، فهي صائبة لا تحتاج الى تصديق او تصويب ولا تخضع لتجارب البشر.
- ٢- موضوعيه :- وهي القيم التي ليست ذاتيه وانما هي لا تخضع الى تأويل الفرد او مزاجه او هواه، ولا تتأثر بالظروف والاحوال ولا تكون مطيه لتحقيق مارب ومنافع شخصيه.
- ٣- مطلقه :- وهي القيم التي تكون ثابتة وليست نسبيه لا تتغير ولا تتبدل وانما تمثل اطار(حياه الفرد والمجتمع).
- ٤- متوازنه :- وهي القيم التي توازن بين(القيم الروحية) واساسها الايمان وبين القيم(المادية) متفرقه تساهم في تطبيقها في مجالات الحياه المادية في اطار(الفرد والمجتمع) من حيث العلاقة الفرد مع ربه مع نفسه مع الفرد الاخر مع المجتمع(هندي، صالح ذياب واخرون: ١٩٩٠)

القيم الأخلاقية الفاضلة في نظر الاسلام واهل البيت (عليهم السلام) بصورة

خاصه :-

قام الباحث بعرض هذه القيم الأخلاقية الفاضلة والتي استمدتها من امهات الكتب وعرضها بالشكل الاتي:-

اولا:- القناعة :- وهي من القيم الأخلاقية الفاضلة، وهي تعني (الاكتفاء من المال بقدر الحاجة والكفاف، وعدم الاهتمام فيما زاد عن ذلك) وقد وصف الله سبحانه وتعالى الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) (ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم) وقال تعالى (ولا تمدن عينك الى ما متعانا به ازواجاتهم زهره الحياه الدنيا) وقال الباقر (عليه السلام) يصف القانع (لا من قنع بما رزقه الله فهو من اغنى الناس)

ثانيا الكرم :- وهي من القيم الأخلاقية الفاضلة وتعني (بذل المال او الطعام او اي ما نفع الناس، مشروع عن طيب نفس) وهي من اشرف وانبل السجايا واعز المواهب واخلد المآثر، وقد وصف الله سبحانه وتعالى النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ الدخان ١٧ وقال الامام جعفر بن محمد (عليه السلام) (عن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) (السخي قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة، والبخيل بعيد عن الله، بعيدا عن الناس، قريب من النار).

ثالثا:- العفة :- وهي من القيم الأخلاقية الفاضلة، وتعني (الامتناع والترفع عما لا يحل او لا يجمل من شهوات البطن والجنس والتحرر من استرقاقها المذل) فهي من السمات الدالة على سمو الايمان وشرف النفس، وقال الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) (اكثر ما تلج به امتي النار، الاجوفان البطن والفرج) وقال الامام الباقر (عليه السلام) (ما من عباده افضل عند الله من عفه بطن وفرج)

رابعا :- الأمانة :- وهي من القيم الأخلاقية الفاضلة وتعني (اداء ما ائتمن عليه الانسان

من الحقوق) وقد وصف الله سبحانه وتعالى الامناء بقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ المؤمنون ٨- وقوله تعالى ايضا ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ المعارج وقال الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) (اداء الأمانة يجلب الرزق، والخيانة تجلب الفقر).

خامسا:- التأخي :- وهي من القيم الأخلاقية الفاضلة التي اوجدها الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ليطفى بها نار التناكر والتناحر والفتن والتشتت بين افراد المجتمع وحل محلها السلام والوثام والرحمة لتكوين امه موحدة يسودها العدل المساواة والحرية، وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات ١٠)

سادسا :- اليقين :- وهو من القيم الأخلاقية الفاضلة ويعني (الاعتقاد بأصول الدين وضراوته اعتقادا ثابتا، ومطابق للواقع لا تزعه الشبه) وكما هو معروف ان بالعمل الصالح، وقد وصف الله سبحانه وتعالى اصحاب اليقين بقوله ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴿(الذاريات ٢٠-٢١) وقال الامام الصادق (عليه السلام) (ان الايمان افضل من الاسلام، وان اليقين افضل من الايمان، وما من شيء اعز من اليقين) ويقال ان صاحب اليقين، يرى الله سلوكه من اقوال وافعاله الظاهر منها والباطن).

سابعا :- الشكر :- وهو من القيم الأخلاقية الفاضلة، ويعني (عرفان النعمة من المنعم وحمده عليها واستعمالها في مرضاته) وبذلك فالشكر واجب مقدس من المنعم وهو الله سبحانه وتعالى للمخلوقات، وبذلك دعت الشريعة الإسلامية التحلي بالشكر والثناء لله سبحانه وتعالى على هذه النعم، وصف الله سبحانه وتعالى الشكر ﴿أذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ البقرة ١٥٢، وقوله تعالى ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾ سبا ١٥، ويقال عن الشكر انواع (شكر

القلب، وهو تصور النعمة، والشكر اللسان، حمد النعمة، والشكر الجوارح، اطاعه

الله في استعمال، العين، اللسان، اليد... الخ

ثامنا :- الكلم الطيب :- وهو من القيم الأخلاقية الفاضلة وتعني (صون اللسان عن تبادل المهارات الباعثة على توتر العلاقات الاجتماعية في اثاره الضغائن والاحقاد بين افراد المجتمع وذلك من خلال تعويد اللسان على الكلم الطيب والحديث المهذب النبيل، وبذلك امرنا الله سبحانه وتعالى بطيب الكلام وقوله تعالى ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ الاسراء ٥٣ وقوله تعالى ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ البقرة ٨٣ وقال الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) (نجاه المؤمن في حفظ لسانه).

تاسعا:- التوبة :- وهي من القيم الأخلاقية الفاضلة، وتعني تطهير النفس من الذنوب والدنس والآثام قبل تفاقم غوائلها، اي تداركها، وهي الاقلاع عن الشهوات العارمة والاهواء الجاحمة، خوفا من عقابه وسخطه، وهناك تعريف اخر (هو الإنابة الى الله سبحانه وتعالى والعزم على طاعته ونبذ معصيته بحزم مستقر في اللسان والقلب) وبذلك جعل الله سبحانه وتعالى التوبة تخفيف من الذنوب ازاء المعاصر والعفو، وقد وصف الله سبحانه وتعالى التوابين بقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ البقرة ٢٢٢ وقوله تعالى ﴿أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا مِّجْهَالَةً ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الانعام ٥٤، وقال الامام الصادق (عليه السلام) (اذا تاب العبد توبه نصوحا، احبه الله تعالى فستر عليه في الدنيا والأخرة).

عاشرا:- محاسبه النفس ومراقبتها :- وهي من القيم الأخلاقية الفاضلة وتعني (محاسبه النفس كل يوم عما عملته من الطاعات والمعاصي. فان رجحت كفة الطاعات على المعاصي، والحسنات على السيئات عليه ان يشكر الله تعالى، وبالعكس فعليه ان

يجاسب نفسه بالتأنيب والتوبيخ، وبذلك تكون (المراقبة) هي ضبط النفس وصيانتها من الاخلال بالواجبات ومقارنته بالمحرمات وتريض النفس على المحاسبة والمراقبة، وقال الامام موسى الكاظم (عليه السلام) (ليس منا من لم يحاسب نفسه كل يوم فان عمل حسنه استزاد الله تعالى، وان عمل سيئة استغفر الله تعالى منها وتاب اليه).
 احد عشر :- طاعه الله وتقواه - وهي من القيم الأخلاقية الفاضلة والدينية، وتعني (الخضوع لله سبحانه وتعالى والامثال لأوامره ونواهيه) وما التقوى النفس عما يضرها في الاخره والدنيا وقوله تعالى ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ الاحزاب ٧١ وقوله تعالى ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الفتح ١٧) وقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق ١-٣) (السيد مهدي الصدر: ٢٠١١)

ثانيا:- :- الثبات على المبدأ:- وهي من القيم الأخلاقية الفاضلة، وتعني (الاقرار بالمبادئ والقيم الفاضلة قولاً وفعلاً امام المحن والشداد)، لذلك كان الثبات على المبدأ من القيم المقدسة والواجب ادائها في الانسان والامه اتجاه نفسها وشعبها، ولنا في هذا الصدد الامام الحسين (عليه السلام) وهو يقاتل الناكثين والمارقين اذ قال عليه السلام (اني لا ارى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برماً). (القزويني، بلا)

الفصل الثالث

القائد وطبيعة القيادة

وشملت محورين هما :-

المحور الاول :- القائد، من حيث سماته، سلوكه القيادي

اولا:- القائد، وهو الشخص الذي يستخدم (اسلوب ووسائل) في التأثير على الاخرين...
١. السمات الشخصية للقائد :- يؤكد علما التربية والنفس والاجتماع بان للقائد سمات عديدة منها :-

اولا:- البنية الجسدية السليمة :- حيث يتميز القائد بصفات قوة التحمل، وضبط النفس في المواقف الصعبة والثقة بالنفس.
ثانيا:- المظهر الشخصي :- ان توفر المظهر الشخصي يليق بمكانه القائد من حيث الهندام والشكل والمزاج المرح وتعامله مع معيته.

ثالثا:- قدرة الذكاء والتركيز :- ان توفر قدره الذكاء والفطنة واستذكار واستنباط الحلول والآراء والحنكة، بعيدا عن الغفلة وضعف التركيز وفقدان القدرة على التأثير.

رابعا:- توفر النضج الانفعالي : ان توفر النضج الانفعالي، اي الاتزان الانفعالي في مسك زمام الامور بعيدا عن الغضب، وعدم تحمل المسؤولية، وعدم التوازن في الامور.

خامسا:- توفر الحماس والاندفاع المستمر :- ان توافر الحماس والاندفاع المستمر، اي ايمان القائد بالعمل والمنسق والمثابرة لإنجاز العمل بعيدا عن الكسل والتراخي والفسل.

سادسا:- توفر القدرة في الاقتناع :- تتم توفر القدرة على الاقتناع يساهم في نقل المعلومات والافكار والخطط مما يؤدي الى انجاز العمل او المهمة.

سابعاً:- توافر البصيرة :- ان توفر البصيرة والادراك والانتباه في معرفه تفاصيل العمل او الواجب في جمع المعلومات والقدرة في استنباط التوقعات، بعيدا عن الغفلة والتراخي.

ثامناً:- توفر الجاذبية، ان توفر الجاذبية الذاتية يجعل الافراد متمسكين ومنظورين تحت لواء القائد مما يجعل القائد الانساني مقبول من قبل الجماعة(الصفار، ٢٠٠٢).

تاسعاً:- البلوغ والعقل والرجولة والشجاعة والاسلام والعمل بفرائض الدين والتقوى، وعدم الضعف والسفاهة، :- اي عالم بالعبادات والسياسة والاحكام ومؤديا للفرائض كلها ومؤمن بها ومتجنب الكبائر ما ظهر ما بطن....الخ السلوك القيادي:- لقد اهتم المشتغلون بالبحث في علم النفس والاجتماع بدراسة السلوك القيادي يؤكد علماء التربية والنفس والاجتماع، بان هناك سلوك قيادي يتسم بعدة خصائصه هي:-

١. المبادأة والمثابرة والطموح :- اي ان الجماعة تنظر الى القائد بان يكون صاحب مبادا بالعمل، واكثر قوة في الابتكار بالمواضع، فهو اول من تتوقع منه الجماعة ان يكون اكثر مثابرة واقوى اهتمام للطموح.
٢. التفاعل الايجاب:- ان الجماعة تنظر الى القائد بان يكون صاحب نشاط وتفاعل ايجابي مع الجماعة وله القدرة في الذكاء الاجتماعي بحيث يظهر الود للجميع.
٣. السيطرة :- ان الجماعة تنظر الى القائد بان يكون صاحب قوى ومكانه في الامثال له بين الجماعة وفي بالمواقف المختلفة.
٤. العلاقات العامة :- ان الجماعة تنظر الى القائد بانه صاحب علاقات اجتماعيه ناضجه بين اعضاء الجماعة ويعمل كحارس وراقب على سلامة تماسك الاجتماعي.
٥. التمثيل الخارجي : ان الجماعة تنظر الى القائد بانه له القدرة على تمثل الجماعة في الخارج وكسفير لها وناطق عن لسانها.

٦. التكامل :- ان تنظر الجماعة للقائد بانه صاحب قدره في وحدة اهداف الجماعة ويعمل على تخفيف حدة التوتر ويحترم الجماعة ويعمل على تدعيم هذه العلاقات.
٧. التخطيط العام :- ان الجماعة تنظر الى القائد بان صاحب نظرة في التخطيط والتنظيم والتوجيه والتركيز والانتباه على الهدف.
٨. الاعلام :- ان الجماعة تنظر الى القائد بانه صاحب اعلام في ايصال المعلومات والافكار بتوجيهات ارشادية اعلاميه الى الجماعة.
٩. الاتزان المتبادل بين القائد والجماعة : ان الجماعة تنظر الى القائد بانه صاحب نظر الى اقامة العلاقات الإنسانية المتبادلة وتوحيد.(زهران، ١٩٨٤)
١٠. الوعي :- ويقصد بالوعي -وعي القائد بمدى التأثير في الجماعة واتباع الاسلوب الافضل في ممارسته وكذلك وعي القائد بالعوامل والمحددات:
١١. الاحساس والتعاطف :- اي قدره القائد على فهم حاجات ورغبات وشعور الجماعة، فالق درة في معرفه حاجات الافراد ورغباتهم تؤدي الى فهم المثيرات والسلوك الصحيح يؤدي الى التعامل مع معرفه ردود افعال الاخرين
١٢. الثقة :- ان ثقة القائد اولا بنفسه من خلال ما يمتلكه من قدرات واستعدادات تؤثر ايجابيا في قياده الجماعة، وكذلك ثقته بجماعته يترتب عليه تحقيق او انجاز الواجب
١٣. القدرة على الاتصال :- اي قدره القائد على ايصال الاهداف ومخاطبه الجماعة بوضوح يؤدي الى عدم الفوضى في بعملية بناء القيادة.(سام.فؤاد واخرون ١٩٨٩)

المحور الثاني :- القيادة، من حيث المفهوم، طبيعتها، شروطها، نظرياتها، محدداتها، مهارات القيادة الفعالة، اهداف القيادة الرسالية، وتم عرضها بالشكل الاتي:-
طبيعية القيادة بصورة عامه:-

لقد فرس علماء النفس السمه على انها الصفة الشخصية المميزة للفرد والصفة بصورة عامه، اما تكون(ايجابيه وسلبيه) والذي يتحكم فيها الموقف والاموال في تغير هذه السمات ومن هذه السمات(متحرر، متحفظ، لديه ثقة بالنفس، شكوك، يعتمد على النفس، يعتمد على الاخرين، استنادا الى نظريات بناء الشخصية السوية، واصحاب هذه النظرية(البورت، ريموند كاتل) وبذلك تحدث علم النفس الحديث عن نظرية السمات وهي عبارة عن وصف لنماذج سلوكيه مألوفة في الشخص الواحد، كان يصف الشخص بانها(اجتماعي، مثابر، حيوي، عدواني، اتكالي، قلق، وسواس، رقيق، قاس، متشائم، متفائل، متغلب الخ)، وقد قام الباحث بعرض طبيعة القيادة حسب الادييات بالشكل الاتي :-

من المعلوم ان قيادة المجتمع البشري امر ضروري والقائد ضروري لأنه يمثل الراعي لهذه الامه في السراء والضراء وبدون لا تصلح الاعمال، كما قال الامام الصادق(عليه السلام)(ان الارض لا تصلح الا بإمام). (الكافي ٢ : ٢١:-)

ومن الواضح ان القيادة تنبع من داخل الجماعة، وتظهر تلقائيا، وغالبا ما تكون مسبوقه بعملية تنافس عليها من قبل عدد من الجماعة، والجماعة هي التي تحدد اهدافها وليس القائد والتفاعل الديناميكي بين الافراد زهو الشرط الاساسي ظهور القيادة وسلطه القائد وبخلعونها عليه افراد الجماعة الذين يختارون القائد لهم ويصبحون اتباعه. وعلى الرغم من اهتمام الكثير من العلماء والكتاب والباحثين والفلاسفة بدراسة موضوع(القيادة) فلا تزال القيادة لغز محير وموضوع غامض ولم يتمكن العلماء والكتاب

من الاتفاق على تعريف موحد لمفهوم القيادة، وهنا نذكر بعض التعاريف (زهران ١٩٨٤).
 ١. مفهوم القيادة: وهي دور اجتماعي رئيسي يقوم به فرد (القائد) اثناء تفاعله مع غيره من افراد الجماعة ويتسم هذا الدور بالقوة والقدرة على التأثير في الاخرين والتوجيه لبلوغ الاهداف.

٢. وهي سلوك يقوم به الفرد - القائد لتحقيق اهداف الجماعة وتحريكهم نحو تحقيق الاهداف وتحسين التفاعل الاجتماعي بين الجماعة. (زهران ١٩٨٤)

اولاً:- شروط القيادة :- يرى الكتاب والباحثين ان هناك شروط للقيادة

أ- وجود الشخص القائد :-

ب- وجود مجموعه من الافراد المتجانسين وفق الاهداف والتطلعات :-

ج- ممارسه المهارات :-

د- وجود هدف اسمي :-

ثانياً:- محددات فاعليه القيادة :-

لقد اكدت جميع النظريات على (الشرطية والموقفية والسمات) ان اسلوب القيادي

يتأثر بعدة عوامل ومتغيرات وهي :-

١. عوامل تتعلق بالقائد نفسه :- لكل قائد قدراته، واتجاهاته، واعتقاداته، وميوله،

واهتماماته، وتوقعاته، واهافه، وطموحاته، وفلسفته وقيمه، مما تجعل من السهل

عليه اتباعها وتحقيق اهدافه بسهولة.

٢. عوامل تتعلق بالجماعة التي يقودها :- من المعروف ان الجماعة لهم قيمهم وميولهم

وكذلك قدرات وخبرات وقيم وميول واستعدادات في تحمل المسؤولية، واهتماماتهم

بالمشكلة، ومدى تفهمهم والتزامهم بأهداف المنشودة، وبطبيعة الحال ان الاسلوب

- القيادي المناسب لهم يتطلب من القائد (الحنكة، ومعرفة القبول والرفض).
٣. الموقف :- من اهم المتغيرات التي تحدد وصوح العمل والاساليب والاجراءات في اتباع الاسلوب القيادي في خلق الموقف، ومدى خلق الموقف ومدى توفر مستلزمات النجاح.
٤. عوامل تتعلق بالمنظمة والجماعة :- نلاحظ ان لكل جماعه او منظمة لها اهداف خاصه بها ترتبط بها القيم والعادات والتقاليد والمعايير الاجتماعية والبناء التنظيمي للجماعة، وعلى القائد ان يفهم هذا البناء الوظيفي.
٥. عوامل بيئية :- اي ان هناك عوامل بيئية (خارجه عن نطاقه المنظمة) وعلى القائد ان يعرف ثقافته المجتمع الساد والثقافات الفرعية والجماعة التي ننتمي اليها والاوزاع السياسية والاقتصادية التي يقررها المجتمع، (حريم ٢٠٠٩)

- مهارات القيادة الفعالة :- تؤكد الدراسات فهذا المجال توفر مهارات القيادة وهي :-
١. المهارات الذاتية : وتمثل هذه في الشخصية المهارات (الدوافع، طاقه، الانجاز)، وكذلك اداره الوقت بشكل متكامل وقبول المخاطرة
٢. المهارات النفسية :- وتشمل هذه في الشخصية وتشمل (تقمص الاخرون، التعامل بإنسانيه، حسن الخلق)
٣. المهارات الإدارية :- وتشمل هذه في الشخصية وتشمل (توجيه ومراقبه والتقويم والتنبؤ الإدارة)
٤. المهارات الفنية :- وتشمل هذه في الشخصية وتشمل (تشخيص وترتيب وان مبادئ تكوين، وكيفيه اتخاذ القرار). (وهران، يحيى علي ٢٠١٢)

اهداف القيادة الرسالية :- وقد قام الباحث بوضع اهداف للقيادة الرسالية.

٥. ان يكون هدف القائد المسلم، هو وحدانية الله سبحانه وتعالى من خلال عبادته والاخلاص له

٦. ان يكون هدف القائد المسلم، هو القرآن الكريم المصدر الوحيد للتشريع الاجتماعي في كل امور المجتمع في حل مشكلات الفرد والمجتمع وجوانب الحياه الاخرى(القانونية السياسية)

٧. ان يكون هدف القائد المسلم، هو النموذج والأسوة الحسنه للرسول الاعظم والائمة(عليهم السلام) هم قادة المجتمع الاسلامي، فهو القدوة التي يستمد منها الفرد في اقواله وافعاله وانعكاسها في جوانب الحياه

٨. ان يكون هدف القائد المسلم هو الفرد الانسان والنفس البشرية والمرتبط بالقيم الربانية الوسائل في تحقيق غايه الفرد والمجتمع

٩. ان يكون هدف القائد المسلم هو(الجهاد في سبيل الله)لأبناء الانسان وبناء المجتمع الاسلامي.

الفصل الرابع

القائد الرسالي والقيم الأخلاقية الفاضلة التي ينبغي ان يحملها في فكر الاسلام

لقد نشر المسلمون اخلاق ومبادئ الدين الاسلامي ولاسيما مبادئ الحرية، الاخاء، المساواة والتسامح والتشاور في الامر... الخ في جميع بلدان العالم التي انتقلت اليها الحضارة الإسلامية ومنها الى اوروبا واسيا وافريقيا، وقد عرف المسلمون الاخلاق السامية، مثل التسامح، الشهامة والشجاعة والاقدام والمروءة والنبل، وان الشهامة العربية بين الاقوام الاخرى، وكانت المثل العليا

ويذكر الباحث (جوستان لوبون) في وصف الشهامة العربية بانها (من خصائص العرب والمسلمين العشر التالیه) سلامه القلب، البساطة، وخفه الروح، وملكه الشعر، البلاغة، القوة وحذق، ركوب الخيل، واداره الرمح، والسيف، والقوس.... وهذه الخصال معروفة بين المسلمين لا يستطيع ان ينكرها اح. (الابراشي ١٠٧٤)

ان موضوع القيادة والزعامة في الاسلام ولاسيما في زمن الخليفة العادل الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام) كانت تحمل كل الصفات القيادة الناجحة ولكن بعد استشهاده تحولت الى تشويه حقيقي، ومن المعلوم ان القيم الاخلاق الفاضلة هي الاساس في بناء الشخصية الإسلامية وتنظيم المجتمع، وهي مصدر سعادته واستقامته وتكامل شخصيته للإنسان السوي وكذلك السلوك الاخلاقي.

وفي ضوء ما تقدم نظر الاسلام الى التربية الأخلاقية من اهم عناصر التربية الإنسانية التي اعتنى بها الاسلام واكد على اهميتها في عدة مواضيع بالنسبة للفرد والمجتمع، ومن القيم الأخلاقية التي نظر اليها الاسلام واهتم بها هي :- ((الصدق، الرحمة، العدل، الأمانة، المحبة، الايثار، الثقة بالنفس، الجد في العمل، الشجاعة، الفروسية، الكرم، احترام الجار، مساعدة الناس، الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، الجهاد في سبيل،

التقوى، اطاعه الله ورسوله... الخ

وعن الامام الصادق (عليه السلام) ان قال (ان الله عز وجل خص رسله ب (مكارم الاخلاق، فاتصفوا في بعشرة -اليقين، القناعة، الصبر، الشكر، والحلم، وحسن الخلق، والسخاء، الغيرة، الشجاعة، والمروءة... الخ)

وبناء على ما تقدم بهذا الحديث تضمن قيم تربوية وأخلاقية للقائد الرسالي في تهذيب النفس وتحريرها من الرذائل لتنمية الروح الإيمانية للإنسان كما ارادها الله سبحانه وتعالى في نبيه محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وقد وصفه جل القدير (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم : ٤) وكذلك قول الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ((انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق) ويرى الباحث ان هناك أخلاقية فاضله التي ينبغي ان يحملها القائد الرسائل وهي انظر الى الجدول رقم ()

١ الكرم :-	٢ الايثار :-	٣ العفة :-
٤ الأمانة :-	٥ التفاني :-	٦ العدل :-
٧ الاخلاص :-	٨ اليقين :-	٩ الصبر :-
١٠ الشكر :-	١١ التوكل على الله :-	١٢ الخوف من الله :-
١٣ الرجاء في الله :-	١٤ الكلم الطيب :-	١٥ التوبة :-
١٦ محاسبه النفس :-	١٧ طاعه الله وتقواه	١٨ الثبات على المبدأ :-
١٩ النصيحة في الله ورسوله	٢٠ الحلم :-	٢١ الرأفة :-
٢٢ السخاء :-	٢٣ السباحة :-	٢٤ الرجاء في الله :-
٢٥ البصيرة :-	٢٦ الصدق :-	٢٧ كظلم الغيظ :-

ملاحظة :- لا يمكن ان نتوسع في شرح هذه القيم الأخلاقية الفاضلة لانها تحتاج وقت اكبر

الفصل الخامس

القائد والقيادة للأمام امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)

الفذة عبر التاريخ

المقدمة :-

ان الله سبحانه وتعالى بعث الانبياء والرسل عليهم السلام من اجل ان يوصلوا الخليفة للكمال الذي يستطيعون به ان يعبدوا الله تبارك وتعالى حق عبادته، وحق معرفته وهذه هي مهمه الانبياء والرسل وتنتهي مهمه الانبياء بالتتويج بمهمه الوحي الحاكم المهدي المنتظر (عليه السلام)

ومن المعلوم ان كل النبوات التي سبقت نبينا محمد (صلى الله عليه واله وسلم) اكدت وبشرت بالمهدي المنتظر (عليه السلام) الذي سوف يحقق العدالة الإلهية

لقد اختص النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) الامام علي ابن ابي طالب (عليه السلام) وهو وصي رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) والامام الذي فرض الله طاعته على المسلمين جميعا، فقد ادبه رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فكان بكل ما يملك من الصفات المعنوية والنفسية والجسدية قادرا على ايصال الانسان وقيادته الى كماله وسعادته، اي لقد احاط الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) بعلم رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وعلم رسول الله من الله تعالى، وليس عن طريق الوحي والاكتساب والتحصيل، بل من عند الله وهو لاجمال للباطل ان يدخل بل هو الحق والصحيح والمطابق للواقع، وقال تعالى (ربي زدني علما)

وبناء على ما تقدم، ان الامام علي بي ابي طالب (عليه السلام) هو تلميذ الرسول

الاعظم (صلى الله عليه واله وسلم) الذي فرع علومه في صدره وعلمه ابواب العلم، حتى قال الامام علي بي ابي طالب (عليه السلام) (لانا اعلم بالتوراة من اهل التوراة، واعلم بالإنجيل من اهل الانجيل) وبذلك فهو عالم بالشريعة وتعاليم الاسلام والقضاء والفتوى ودرجات الايمان بالله ومعرفته نابعه من القران الكريم ومصاحبه رسول الله محمد (صلى الله عليه واله وسلم)

وفي ضوء ما تقدم امرنا الله ورسوله (التسمك بولايته، فهو المثال الالهي الذي كان مقدر له ان يقيم حكم الله في الارض لتغير شكل الحياه على الاض وقادر على ايجاد الحلول السليمة بكل المشاكل التي تعاني منها البشرية، وبذلك تبقى اقواله واقعا نموذجاً حياً للإنسانية نستضيء به في ليها الطويل، وتبقى اقواله وحكمته ومواقفه مصباح هدي ينير الدرب للذين تهفو نفوسهم نحو الكمال

وبناء على ما تقدم بعد المحنة العظيمة التي اصبحت الامه الإسلامية بوفاة النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) اقتصر دور الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) على المعونة والمشورة طيلة المدة التي سبقت خلافته وكان هذه المدة حافلة بالإنجازات والانتصارات، هدفها هو الحفاظ على الاسلام وانقاذ البشرية، وبذلك اجتمع الناس حول الامام امير المؤمنين (عليه السلام) ويبعه بالخلافة امير المؤمنين وابتهجت الارض بعدالة، وطفق المؤمنون يرتلون يأت الشكر لله سبحانه وتعالى، الا ان يد الظالمه لم تقطع انياها فقد وقفت لتقطع طريق الحق والنور ودخل امير المؤمنين في صراع مرير مع الناكثين في حرب الحمل، ومع القاسطين في حرب صفين ومع الخوارج في حرب النهروان القائد والقيادة الفذة للامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام. (الشيخ علي الفتلاوي

مضامين القيم الأخلاقية الفاضلة للقائد والقيادة في فكر الامام علي بن ابي طالي (عليه السلام) الفذة:

من المعلوم، ان الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) كان حريصا على تثقيف الناس وتعليمهم علوم محمد واله محمد (صلى الله عليه واله وسلم) لتكون لهم حصنا من الزرع والضلال وكان هدفه ان ينشل الانسان من كل العقائد الزائفة وترسبات الجاهلية التي كانت تعصف بالنفوس ونردهم عن الاسلام وكان يعلم الناس عبادة الله سبحانه وتعالى وتوحيده ويدعوهم الى (معرفة الله وعبادته) لأنه يعلم ان العبادة مع معرفه تكون حصنا من وساس الشيطان، ومن اهواء النفس، لذا فهو يعرف الدين بمعرفة الله تعالى فيقول عليه السلام (اول الدين معرفته) والعبادة لغة هي غايه التذلل والخضوع لذلك لا يستحقها الا المتعلم الاعظم الذي غايته الافضال والانعام وهو الله سبحانه وتعالى وذلك استناد الى قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿الذاريات ٥٦-٥٨.

وقد اكد على القيم الأخلاقية الفاضلة وتعزيزها ونشرها في المجتمع الاسلامي والمسلم وهي :-

١. الصدق :- وهي من القيم الأخلاقية الفاضلة وتعني (مطابقه القول للواقع)، وهو اشرف الفضائل النفسية والمزايا الخلقية لخصائص الشخصية ولها اثر في حياه الفرد والمجتمع، وبذلك يعد رمز الاستقامة الصلاح وسبب النجاح والنجاة، وقد وصف الله سبحانه وتعالى بقوله تعالى ﴿قال الله هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ سورة المائدة ١١٩، وقال الرسول محمد (صلى الله

عليه واله وسلم) في الصدق (زينه الحديث الصدق) وقال امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) (الزموا الصدق فانه منجاه).

٢. الحلم وكظم الغيظ :- وهما من القيم الأخلاقية الفاضلة في ضبط النفس ازاء مثيرات الغضب، ودليلا على سمو النفس وكرم الاخلاق وسبب للمودة والاعتزاز، وقدم مدح الله سبحانه وتعالى للحلماء والكاظمين الغيظ في محكم كتابه العزيز ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالصَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ سورة ال عمران (١٣٤) وكذلك قوله تعالى ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ سورة الفرقان ٦٣، وقال امير المؤمنين علي ابن ابي طالي (عليه السلام) في الحلم (اول عرض الحليم من حلمه، وان النفس انصاره على الجاهل).

٣. التواضع :- وهي من القيم الفاضلة وتعني (احترام الناس حسب اقدارهم، وعدم الترفع عليهم) وقد وصف الله سبحانه وتعالى النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ﴿وَاحْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الشعراء ٢١٥، وقال الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) (ان احبكم الي واقربكم مني يوم القيامة مجلسا، احسنكم خلقا واشدكم تواضعا، وان ابعدم مني يوم القيامة، الثرثارون وهم المستكبرون) وقال امير المؤمنين علي بن ابي طالي (عليه السلام) (ما احسن تواضع الاغنياء للفقراء طلبا لما عند الله واحسن منه فيه الفقراء على الاغنياء انكالا على الله).

٤. الايثار :- وهي من القيم الأخلاقية الفاضلة وتعني (الاجاد بالعطاء وهم بأمس الحاجة اليه) وقد وصف الله سبحانه وتعالى اهل البيت عليهم السلام ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ الانسان ٨-٩ وقوله تعالى ايضا ﴿يُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ

وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿الحشر ٩﴾
 وقال الامام الصادق (عليه السلام) بحق امير المؤمنين على ابن ابي طالب (عليه السلام) (كان علي اشبه برسول الله . كان يأكل الخبز والزيت ويطعم الخبر واللحم).
 ٥. العدل :- وهي من القيم الأخلاقية الفاضلة ويعني (مناعة نفسه تردع صاحبها عن الظلم، وتحفزه على اداء الحقوق والواجبات بشكل عادل) وقد امرنا الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل ٩٠ وقال الله تعالى ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الانعام ١٥٢ وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ النساء ٥٨، وقال الامام الرضا (عليه السلام) (استعمال العدل والاحسان مؤذن بدوام النعمة، وقال الامام امير المؤمنين (عليه السلام)، (لابنه الحسن (عليه السلام) (يابني اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك، فاحب لغيرك ما تحب لنفسك واکره له ما تكره لها، ولا تظلم كما لا تحب ان تظلم، واحسن كما تحب ان يحسن اليك واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل ما لا تعلم، وان قل ما تعلم، ولا تقل ما لا تحب ان يقال لك).

٦. الصبر :- وهو من القيم الأخلاقية الفاضلة ويعني (احتمال المكروه او المكاره من غير جزع، وهي قسر النفس على مقتضيات الشرع والعقل في اوامرها ونواهيها، وبذلك فهو من السمات البطولة في الظفر والنجاح، وقد امرنا الله سبحانه وتعالى التحلي بالصبر وقال تعال في محكم كتابه العزيز (وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) ال عمران

١٤٦ وكذلك قوله تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ الانفال ٤٦ وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُوقِي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ الزمر ١٠، وقال الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) (من لم ينجح الصبر، اهلكه الجزع) وقال الامام الصادق (عليه السلام) (الصبر من الايمان بمنزله الراس من الجسد فاذا ذهب الراس ذهب الجسد، وكذلك اذا ذهب الصبر ذهب الايمان).

٧. التوكل :- وهي من القيم الأخلاقية الفاضلة وتعني (الاعتماد على الله في جميع الامور وتفويضها اليه، والاعراض عما سواه، فهي قوة القلب واليقين) وقد امرنا الله سبحانه وتعالى بالتوكل عليه وقال سبحانه تعالى ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ الطلاق ٣ وقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ال عمران ١٥٩ وقوله تعالى ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ التوبة ٥١ وقال الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) في وصيه لابنه الحسن (عليه السلام) (والجىء نفسك في الامور كلها الى الهك، فانك تلجئنا الى كهف حريز ومانع عزيز).

٨. الاخلاص :- وهي من القيم الأخلاقية الفاضلة، وتعني (صفاء الاعمال من الشوائب والرياء وجعلها خالصه لوجه الله تعالى) وقد صف الله سبحانه وتعالى (الخلص) بقوله تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ الكهف ١١٠ وقوله تعالى ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۗ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ الزمر ٢-٣ وقال الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) (من اخلص لله اربعين يوما، فجر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه) وقال امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) (الدنيا كلها جهل الا مواضع العلم، والعلم كله جهل

الا ما عمل به، والعمل كله رياء الا من كان مخلصا والاخلاص على خطر، حتى ينظر العبد بما يختم له).

٩. الخوف من الله تعالى :- وهي من القيم الأخلاقية الفاضلة وتعني (تألم النفس خشيه من عقاب الله من جزاء عصيانه ومخالفته) فهي من القيم الأخلاقية الدينية التي تعني الابتعاد عن الشرور والآثام ما يغضب الله في القول والفعل، وبذلك وصف الله سبحانه وتعالى الخائفين من الله بقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ الملك ١٢، وقوله تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ النازعات ٤٠-٤١، وقال الامام امير المؤمنين علي ابن طالب (عليه السلام) (لا يكون المؤمن موقنا حتى يكون خائفا راجيا، ولا يكون خائفا راجيا حتى يكون عاملا لما يخاف ويرجوا).

١٠. الرجاء في الله تعالى :- وهي من القيم الأخلاقية الفاضلة وتعني (هو انتظار محبوب تمهدت له اسباب الحصول عليه، كمن زرع بذره في ارض طيبه ورعاها بالسقي والمدارات، فرجاء منها الناتج والنفع) لذلك فالرجاء في الله تعالى هو الجناح الثاني من الخوف، اللذان يطير بهما المؤمن الى افاق طاعه الله والفوز بشرف الرضا، وفي ضوء ما تقدم، يعني الرجاء في الله تعالى (النهى عن الياس والقنوط) وقد وصف الله سبحانه وتعالى الذي يرجو الله تعالى ﴿وَقُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ الزمر ٥٣ وقوله تعالى ﴿وَلَا تَيَاسُؤْا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَاسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ يوسف ٨٧ وقال الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالي (عليه السلام) (لرجل اخرجه الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه، ايا هذا باسك من رحمه الله اعظم من ذنوبك) وقال الامام الصادق (عليه السلام) (لا يكون المؤمن حتى خائفا راجيا ولا يكون خائفا راجيا حتى يكون عاملا لما يخاف ويرجو). (السيد مهدي الصدر

٢٠١١).

١١. البصيرة :- وهي الوعي والتعقل، فالإنسان الواعي والعاقل هو الذي يفكر بالعواقب ويتجنب سخط الله وغضبه، لان الدنيا كما يقول امير المؤمنين علي ابن ابي الطالب (عليه السلام) (انما الدنيا دار مجاز والاخر دار قرارا، فخذوا من ممركم لمركم) لذلك نقول ان الانسان العاقل هو الذي يميز عن المعاصي يبتعد عن الذنوب لان عقله يصونه من هذه المآثم والخطايا، وقد سئل الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ما العاقل يا رسول الله، قال (العمل بطاعة الله وان العامل بطاعة الله هم العقلاء) (القزويني، بلا).

الفصل السادس

القيم الأخلاقية الفاضلة الموجهة من قبل الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) الى مالك الاشتر النخعي (رضي الله عنه)

دراسة تحليلية.

قام الباحث بتحليل الرسالة ووجد ان هناك قيم اخلاقية فاضله اكد عليها الامام امير المؤمنين (عليه السلام) وهي، انظر الى القوائم (١ و ٢) :-

قائمة رقم (١) القيم الأخلاقية الفاضلة التي يريد بها الامام امير المؤمنين في القائد الرسالي مالك الاشتر (رضي الله عنه)

المحبة	٣.	الرحمة	٢.	المساواة	١.
الطاعة	٦.	العفو	٥.	اللطف	٤.
العدل	٩.	مقاومه الشهوات	٨.	اقامة الفرائض والسنة النبوية المطهرة	٧.
الانصاف	١٢.	احترام القانون	١١.	العمل الصالح	١٠.
المشاورة	١٥.	الستر	١٤.	حمد النعمة	١٣.
العمل الجيد	١٨.	الاحسان	١٧.	الصدق	١٦.
الشجاعة	٢١.	النصيحة لله ورسوله	٢٠.	طلب العلم والحكمة	١٩.
الكرم	٢٤.	الساحة	٢٣.	السخاء	٢٢.
القبول بالقدر	٢٧.	الثناء على العمل	٢٦.	العرف	٢٥.
طلب الخراج	٣٠.	المراقبة	٢٩.	الاختيار	٢٨.
تنظيم العمل	٣٣.	مساعدة الناس	٣٢.	الرعاية	٣١.

قائمة رقم (٢) واجبات ومسؤوليات مطلوبة في القائد الرسائل لملك الاشتر (رضي الله عنه) كما
حددها الرسالة

١	التقيد بالقانون وضبط النفس	٢	اخذ العبرة ممن سبقه في الحكم	٣	العمل الصالح والرحمة بالناس والعفو
٤	اطاعه القانون وعدم التكبر	٥	العدل والانصاف	٦	الابتعاد عن سخط الناس
٧	الابتعاد عن المخبر الواشي	٨	الابتعاد عن المستشار البخيل والجبان	٩	عدم استخدام مسؤول سابق خان لشعبه
١٠	استخدام التقاه الصادقين	١١	الاحسان وحسن الضن	١٢	صنيع عملك
١٣	ادامه العمل الجيد السابق	١٤	مجالس العلماء والخبراء	١٥	الاهتمام بالاجهزة الامنيه والقضاء
١٦	مراعاة التجار والكسبة	١٧	مراعاة المستضعفين من الناس	١٨	اخيار قياده الجيش
١٩	رعاية وجهاء الناس	٢٠	صفاه فاده الجيش برعاية الجنود	٢١	العدل والتواضع مع الناس
٢٢	اختيار المدراء والقضاة	٢٣	اختيار الولاة	٢٤	مراقبه اعمال المسؤول المقربين
٢٥	متابعه الضرائب واعمار البنى التحتية	٢٦	توفير الخدمات للناس اولاثم الضرائب	٢٧	اختيار السكرتير والجهاز الاداري والمالي
٢٨	الاهتمام بالتجارة والصناعة	٢٩	منع الاحتكار ومعاقبه المحتكر	٣٠	رعاية الايتام والمسنين
٣١	ضرورة لقاء المسؤول المباشر مع الناس وادامته	٣٢	ضرورة اجابه المسؤولين في الدرجة السفلى	٣٣	ضرورة جدولته العمل اليومي وبذل الجهد
٣٤	امامة الناس في الصلاة وبساطتها	٣٥	عدم اطاله الاحتجاب عن الناس	٣٦	الحذر من الحاشية ومراقبتهم

٣٦	الركن الى السلم والصلح ومنع الحرب	٣٧	الحفاظ على العهد مع العدو	٣٨	صفه وثيقه العهد
٣٩	حفظ حريه دم المواطن	٤٠	عدم تكبر المسؤول والاعجاب بنفسه	٤١	عدم التسرع والاستثار بالمسؤولية
٤٢	ضرورة الاتعاظ بسلوك الحكومات السابقة	٤٣	التأكد على الصلاة، والزكاة، والثناء في العبادة وتمام النعم وتضعيف الكرامة،	٤٤	والخاتمة بالشهادة

ملاحظة:-

لأجل استلهم المعاني السامية للرسالة التي وجهها الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام) الى عامله مالك الاشر(رضي الله عنه)
سيقوم الباحث باختيار(القيم الأخلاقية الفاضلة) التي اكد عليها الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب(عليه السلام) والذي يدعو فيها الى تعزيز القيم الأخلاقية الفاضلة انظر الى الجدول رقم() يمثل القيم الأخلاقية الفاضلة وتكرارها في الرسالة الموجه الى مالك الاشر(رضي الله عنه)

ت	القيم الأخلاقية الفاضلة	تكرارها	ت	القيم الأخلاقية الفاضلة	تكرارها
١	العدل والانصاف	٤	٢	المساواة	١
٣	الاخلاص	٣	٤	الأمانة	٦
٥	التواضع	٥	٦	طاعه الله وتقواه	٣
٧	القناعة	٢	٨	المشورة	٣
٩	القدوة	٧	١٠	الفساد	٤
١١	الرعاية والاهتمام	٢	١٢	الشكر	١

ادناه القيم الأخلاقية الفاضلة كما مثبت بالجدول اعلاه

اولا:- العدل والانصاف:-

١- الا مر بالتقيد بالقانون وضبط النفس: أمره بتقوى الله، وإيثار طاعة، واتباع ما أمر به في كتابه: من فرائضه وسننه، التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقى الامع جحودها واضاعتها وأن ينصر الله سبحانه بيده وقلبه ولسانه، فإنه، جل اسمه، قد تكفل بنصر من نصره، وإعزاز من أعزه.

أمره أن يكسر نفسه عند الشهوات، ويزعها اي (يكفيها) عند الجمحات (منازعات النفس إلى شهواتها ومآربه)، فإن النفس أمارة بالسوء، إلا ما رحم الله).

٢- العمل الصالح والرحمة بالناس والعفو: فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح، فاملك هواك، وشح بنفسك (ابتعد) عما لا يحل لك، فإن الشح بالنفس الا انصاف منها فيما أحببت لهم وكرهت.

وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكون عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكله م، فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق، يقرط (يسبق) منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، يؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطيهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، ووالي الا مر عليك فوقك، والله فوق من ولاك وقد استفاك) (طلب منك كفاية أمرك والقيام بتدبير مصالحهم) أمرهم، وأبتلاك بهم.

٣- إطاعة القانون وعدم التكبر: ولا تنصبن نفسك لحرب الله (مخالفة شريعته بالظلم والجور)، فإنه لا يدي لك بنقمته (أي لا طاقة لك بها)، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته. ولا تتدمن على عفو، ولا تبجحن (تفرح بزهو) (بعقوبة، ولا تسرعن إلى بادرة) (يبدر من الحدة عند الغضب) وجدت منها مندوحة (متسعا)، ولا

تَقُولَنَّ: إِنِّي مُؤَمَّرٌ (مسلط) أمر فاطع، فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ (إدخال الفساد) فِي الْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ (مضعفة) لِلدِّينِ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغَيْرِ (حادثات الدهر بتبدل الدول).
وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أَهْبَةً (الكبرياء) أَوْ (مُخِيلَةً) (الخيلاء)، فَانظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يِضَامِنٌ (يخفص) (إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ) (النشوز والجماح)، وَيُكْفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ (الحدة)، يَفِيءُ (يرجع) إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَكَ (غاب) عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ.

٤ - العدل والإنصاف، وظلم العباد: إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ (السمو) اللَّهُ فِي عَظَمَتِهِ، وَالتَّشْبَهُ بِهِ فِي جَبْرُوتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ، وَيَهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ.

أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوَى (تميل) (إِلَيْهِ) مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَفْعَلُ تَظْلِمًا، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَصِمَهُ اللَّهُ أَدْحَضَ (أبطل) حُجَّتَهُ، وَكَانَ اللَّهُ حَرْبًا حَتَّى يَنْزِعَ (يقلع عن ظلمه) (وَيَتُوبَ).

وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةِ عَلَى ظُلْمٍ، فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَّدِينَ، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ

ثانياً: - المساواة

وقال (عليه السلام) (اشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف، بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضاربا تغتنم اكلهم فانهم صنفان : اما اخ لك في الدين واما نظيرك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتي على ايديهم في العمد والخطاء، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب ان يعطيك الله من عفوه، فانك فوقهم، ووالي الامر عليك فوقك، والله فوق من ولاك).

ثالثا: - الاخلاص :

١- إدامة العمل الجيد: وَلَا تَنْقُضْ سُنَّةَ صَالِحَةٍ عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْفُتُو، وَصَلَحَتْ عَلَيْهِ الرَّعِيَّةُ، لَا تَحْدِثَنَّ سُنَّةَ تَضَرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السَّنَنِ، فَيَكُونَ الْإِجْرُ بِمَنْ سَنَّهَا، وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا.

٢- استخدام التقاة الصادقين: وَالصَّقُ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصَّدِّقِ، ثُمَّ رُضُّهُمْ (عَوْدَهُمْ) عَلَى الْأَيْطُرُوكِ وَلَا يَبْجُحُوكِ (يفرحوك بنسبة عمل عظيم اليك ولم تكن فعلته) بِيَاطِلَ لَمْ تَفْعَلُهُ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْأَطْرَاءِ تَحْدِثُ الرَّهْوَ (العُجْبَ)، وَتَدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ (الكِبْرِ).

٣- مجالسة العلماء والخبراء: وَأَكْثَرُ مَدَارَسَةِ الْعُلَمَاءِ، وَمُنَافَثَةِ (مجالسة) الْحُكَمَاءِ، فِي تَثْبِيْتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرٌ بِلَادِكَ، وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ، وَلَا غَنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ: فَمِنْهَا جُنُودُ اللَّهِ مِنْهَا كِتَابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ، وَمِنْهَا عَمَّالُ الْإِنْصَافِ وَالرَّفْقِ، وَمِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ وَالْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذَّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ، وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصَّنَاعَاتِ، وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكِنَةِ، وَكُلُّ قَدْ سَمَى اللَّهُ سَهْمَهُ (نصيبه من الحق)، وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ وَفَرِيضَتِهِ فِي أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ عَهْدًا مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظًا

رابعا: - الأمانة :

١- الحفاظ على العهد مع العدو: وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ عَقْدَةً، أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً (عهدًا)، فَحُطُّ عَهْدِكَ (احفظه وصنه) بِالْوَفَاءِ، وَارْزُقْ ذِمَّتَكَ بِالْأَمَانَةِ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ لِحُتَّةٍ (ضح بنفسك دون عهدك) دُونَ مَا أُعْطِيتَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعًا، مَعَ تَفْرِيقِ أَهْوَائِهِمْ، وَتَثْبِيْتِ آرَائِهِمْ، مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ، وَقَدْ لَزِمَ ذَلِكَ الْمَشْرُوكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ (وجدوها وييلة، مهلكة)، فَلَا تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ، وَلَا تَحْيِسَنَّ

بَعْدِكَ (خاس بعهد: خانه ونقضه)، وَلَا تَخْتَلِنَنَّ (تخادع) عَدُوَّكَ، فَإِنَّهُ لَا يَجْتَرِئُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا جَاهِلٌ شَقِيٌّ.

٢- حفظ حرمة دم المواطن -: إِيَّاكَ وَالِدَمَاءَ وَسَفْكَهَا بغيرِ حِلِّهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنِقْمَةٍ، وَلَا أَعْظَمَ لَتَبِعَةٍ، وَلَا حَرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ، وَأَنْقِطَاعِ مُدَّةٍ، مِنْ سَفْكِ الدَّمَاءِ بغيرِ حَقِّهَا، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ مَبْتَدِئُ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ، فِيمَا تَسْفِكُوا مِنَ الدَّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا تَقُولَنَّ بِسُلْطَانِكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُضَعِّفُهُ يَوْهَنُهُ، بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ، وَلَا عِذْرَ لَكَ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمِدِ، لَان فِيهِ قَوْدٌ (قصاص) الْبَدَنِ، وَإِنْ أَبْتَلَيْتَ بِخَطَا وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ (أردت تأديباً فأعقبت قتلاً) (سَيْفُكَ) أَوْ يَدُكَ بِعُقُوبَةٍ، فَإِنَّ فِي الْوَكْزَةِ (اللكمة) فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةٌ، فَلَا تَطْمَحَنَّ بِكَ (ترتفعن بك) نَخْوَةٌ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ.

٣- صفة وثيقة العهد: وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمْنًا أَفْضَاهُ (أفشاه) بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ، وَحَرِيْبًا (ما حرم عليك أن تمسه) يَسْكُنُونَ إِلَى مَنَعَتِهِ (ما تمتنع به من القوة) يَسْتَفِيضُونَ (يفزعون اليه بسرعة) إِلَى جِوَارِهِ، فَلَا إِذْغَالَ (افساد)، وَلَا مُدَالَسَةَ (خيانة)، وَلَا خِدَاعَ فِيهِ، وَلَا تَعْقِدَ عَقْدًا تَجُوزُ فِيهِ الْعِلْلُ (وذلك يطرا على الكلام عند إبهامه وعدم صراحته) وَلَا تَعُولَنَّ عَلَى لَجْنٍ (ما يقبل التوجيه كالتورية والتعريض) بَعْدَ التَّأْكِيدِ وَالتَّوْتُّقَةِ، وَلَا يَدْعُونَكَ ضَيْقُ أَمْرٍ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ اللَّهِ، إِلَى طَلَبِ أَنْفَسَاخِهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضَيْقٍ تَرَجُّو أَنْفِرَاجَهُ وَفَضْلَ عَاقِبَتِهِ، خَيْرٌ مِنْ غَدْرِ تَخَافُ تَبِعَتَهُ، وَأَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنَ اللَّهِ فِيهِ طَلِبَةٌ (مطالبة الله إياك بحقه في الوفاء الذي غدرت به)، لَا تَسْتَقِيلُ فِيهَا دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ.

٤- توفير الخدمات للناس أو لا ثم الضرائب: فَإِنْ شَكُوا ثِقَلًا أَوْ عِلَّةً (نزول علة سماوية) بزرعهم أضرت بثمراته)، أَوْ أَنْقِطَاعِ شَرْبِ (ماء السقي من الانهار) أَوْ بَالَةِ (ما يبلى) الأَرْضِ مِنْ نَدَى وَمَطَرٍ - سَقْيِ الدِّيمِ، أَوْ إِحَالَةِ أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا غَرَقٌ (كالفيضانات)

أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ (الجفاف)، خَفَّفَتْ عَنْهُمْ بِمَا تَرَجُّو أَنْ يُصْلِحَ بِهِ أَمْرَهُمْ، وَلَا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفَتْ بِهِ الْمُؤُونَةَ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيَّ كُلِّ فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ، وَتَرْيِينَ وَلاَئِكَ، مَعَ اسْتِجْلَابِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ، وَتَبَجُّجِكَ بِاسْتِيفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ (إِدْعَاؤِكَ بالنجاح في نشر العدل بينهم)، مُعْتَمِدًا فَضْلَ قُوَّتِهِ (زيادة قوتهم عمادًا لك تستند إليه عند الحاجة)، بِمَا ذَخَرْتَ (وَفَرْتَ) عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ هُمْ (الترفيه والاراحة)، وَالثِّقَّةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ فِي رِفْقِكَ بِهِمْ، فَرُبَّمَا حَدَّثَ مِنْ الْأُمُورِ مَا إِذَا فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدِ احْتِمَالُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ، فَإِنَّ الْعُمَرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَلْتَهُ، وَإِنَّمَا يُؤْتِي خَرَابُ الْأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ (الفقر والحاجة) أَهْلِهَا، إِنَّمَا يُعَوِّزُ أَهْلَهُ لَا شَرَفٍ أَنْفُسِ الْوَأَةِ عَلَى الْجَمْعِ (لتطلع أنفسهم إلى جمع المال، ادخارًا لما بعد زمن الولاية إذا عزلوا)، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ، وَقَلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعَبْرِ.

٥- مراقبة أعمال المحافظ والمسؤولين المقربين: ثُمَّ تَفَقَّدَ أَعْمَالَهُمْ، وَأَبْعَثَ الْعِيُونَ (الرقباء) مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لَا مُورِهِمْ حَدْوَةً هُمْ (سوق لهم وحث) عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ، وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ.

وَتَحَفَّظُ مِنَ الْأَعْوَانِ، فَإِنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةِ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عِيُونِكَ، أَكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِدًا، فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ، وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلٍ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ، وَوَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ، وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهْمَةِ.

٦- متابعة الضرائب وإعمار البنى التحتية: وَتَفَقَّدَ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ، فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحًا لِمَنْ سِوَاهُمْ، وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ لَا بِهِمْ، لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَأَهْلِهِ.

وَلِيَكُنْ نَظْرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظْرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ، إِنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرِكُ لَا بِالْعِمَارَةِ، وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بَعِيرِ عِمَارَةِ أَخْرَبَ الْبِلَادَ وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمَّ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلًا

خامسا :- التواضع :-

لرعاية وجهاء الناس: ثُمَّ الصَّقْ بَدَوِي المُرُوءَاتِ وَ الاحْسَانِ، وَأَهْلِ البِيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَ السَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ، ثُمَّ أَهْلَ النَّجْدَةِ وَ الشَّجَاعَةِ، وَ السَّخَاءِ وَ السَّمَاحَةِ، فَإِنَّهُمْ جَمَاعٌ مِنْ الكَرَمِ (مجموع منه)، وَ شَعْبٌ (جمع شعبة) مِنْ العُرْفِ (المعروف).

ثُمَّ تَفَقَّدَ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُهُ الوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا وَ لَا يَتَفَاقَمَنَّ (يعظم) فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوِيَّتُهُمْ بِهِ، وَ لَا تَحْقِرَنَّ لُطْفًا (تستصغر لطفًا بسيطًا) تَعَادَتِهِمْ بِهِ وَ انْ قَلْ فَانْهُ دَاعِيَهُ لَهُمْ إِلَى بَذْلِ النِّصِيحَةِ لَكَ وَ جِبْنِ الظَّنِّ بِكَ وَ لَا تَدْعُ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ اتِّكَالًا عَلَى جَسِيمِهَا فَانْ لِيَسِرْ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعًا يَتَفَعَّلُونَ بِهِ وَ لِلْجَسْمِ مَوْضِعًا لَا يَسْتَعْنُونَ عَنْهُ.

٢- مراعاة التجار والكسبة: وَ لَا قِيَامَ لَهُمْ جَمِيعًا إِلَّا بِالتُّجَّارِ وَ دَوِي الصَّنَاعَاتِ، فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمُ (المنافع)، وَ يَقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ، وَ يَكْفُونَهُ مِنْ التَّرْفُقِ (التكسب) بِأَيْدِيهِمْ مِمَّا آيَلُغُهُ رِفْقٌ غَيْرِهِمْ.

٣- مراعاة المستضعفين من الناس: ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَ الْمَسْكِنَةِ الَّذِينَ يَحِثُّ رِفْدُهُمْ (مساعدتهم وصلتهم) وَ مَعُونَتُهُمْ.

وَ فِي اللَّهِ لِكُلِّ سَعَةٍ، وَ لِكُلِّ عَلَى الوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يَصْلِحُهُ. (وَلَيْسَ يَخْرُجُ الوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْإِهْتِمَامِ وَ الِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ، وَ تَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ، وَ الصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ).

٤- رعاية ذوي الدخل المحدود من الناس: ثُمَّ اللهُ اللهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنْ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ وَ الْمَسْكِينِ لِ وَ الْمُحْتَاجِينَ وَ أَهْلِ البُؤْسَى (شديد و الفقر) وَ الزَّمْنَى (جمع زمين وهو المصاب بالزمانة بفتح الزاي أي العاهة)، فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعًا (السائل) وَ مُعْتَرًّا (المتعرض للعطاء بلا سؤال)، وَ أَحْفَظُ اللهُ مَا اسْتَحْفَظَكَ. (طلب منك حفظه) مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، وَ اجْعَلْ لَهُمْ قِسْمًا مِنْ بَيْتِ مَالِكَ، وَ قَسِمَا مِنْ غَلَاتِ (ثمرات)

صَوَافِي (جمع صافية وهي أرض الغنيمة) الاسلام في كل بلد، فَإِنَّ لِلا قَصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلا ذَنْبِي، وَكُلُّ قَدِ اسْتُرْعِيَتْ حَقَّهُ، فَلَا يَشْغَلُنَا عَنْهُمْ بَطْرٌ (طغيان بالنعمة)، فَإِنَّكَ لَا تُعْذِرُ بِتَضْيِيعِ التَّافِهَةِ (البسيط الحقير) إِحْكَامِكَ الْكَثِيرِ الْمُهْمِّ. فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ) (اهتمامك عن ملاحظة شؤونهم) عَنْهُمْ، وَالا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ (أماله إعجاباً وكبراً) وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعِيُونَ (تكره أن تنظر اليه احتقاراً وازدراءً)، وَتَحْفَرُهُ الرَّجَالُ، فَفَرِّغْ إِلا وَلَتَكَ ثِقَتَكَ) اجعل للبحث عنهم أشخاصاً يتفرغون لمعرفة أحوالهم يكونون ممن تثق بهم (من أهل الخشية والتواضع، فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ اَعْمَلْ فِيهِمْ بَأْءَ عَذَارٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى (بما يقدم لك عذراً عنده) يَوْمَ تَلْقَاهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَةِ أَحْوَجُ إِلَى الا انصافِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكُلُّ فَاعْذِرْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي تَأْذِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ.

٥- رعاية الايتام والمسنين: وتعهد اهل اليتيم وذوي الرقة في السمن (المتقدمون فيه) مما لأحيله له ولا ينصب للمسألة نفسه، وَذَلِكَ عَلَى الْوَلَاةِ ثَقِيلٌ، وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ، وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللَّهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَرُوا أَنْفُسَهُمْ، وَوَثِقُوا بِبَصْدِقِ مَوْعُودِ اللَّهِ لَهُمْ.

سادسا: - طاعه الله وتقواه :-

١- إمامة الناس في الصلاة وبساطتها: وَإِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ لِلنَّاسِ، فَلَا تَكُونَنَّ مُنْفَرَاً وَلا مُضَيِّعاً) لا تُطِلْ الصلاة فتكره بها الناس ولا تضيع منها شيئاً بالنقص في الاركان، بل التوسط خيراً)، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ وَلَهُ الْحَاجَّةُ. وَقَدْ سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى الْيَمَنِ كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ؟ فَقَالَ: «صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَضْعَفِهِمْ، وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً.»

٢- الركون الى السلم والصلح ومنع الحرب: وَلَا تَدْفَعَنَّ صَلْحاً دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ اللَّهُ فِيهِ رِضَى، فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَاً (الراحة) لِحُنُودِكَ، وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ، وَأَمْنًا لِبِلَادِكَ،

وَلَكِنَّ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ ضُلُوحِهِ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ رَبِّهَا قَارِبٌ لِيَتَغَفَّلَ (يغدرك في غفله)، فَخُذْ بِالْحَزْمِ وَأَتِهِمْ فِي ذَلِكَ حُسْنَ الظن.

٣- عليّ يذكر مالكا بوصية الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): وَقَدْ كَانَ فِيهَا عَهْدٌ إِلَيَّ رَسُولُهُ فِي وَصَايَاهُ: (تخصيضا على الصلاة والزكاة وما ملكت أيما أنكم)، فِذَلِكَ أَخْتِمُ لَكَ مَا عَهْدَ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ.

سابعاً :- القناعة :-

١ :- اخذ العبرة من سبقه في الحكم: ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ، أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُورٌ قَبْلَكَ، مِنْ عَدْلِ وَجُورٍ، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِكَ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوَلَاةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ

٢- جدولة العمل اليومي وبذل الجهد: وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ، فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ، وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيهَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ، وَأَجْزَلَ (أعظم) تِلْكَ الْأَقْسَامِ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلَّهِ إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النَّيَّةُ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ. وَلِيَكُنْ فِي خَاصَّةٍ مَا تُخْلِصُ لِلَّهِ بِهِ دِينَكَ: إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةٌ، فَأَعْطِ اللَّهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ، وَوَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ كَامِلًا غَيْرَ مَثْلُومٍ (مخدوش بشيء من التقصير ولا مخرق بالرياء) وَلَا مَنْقُوصٍ، بِالْغَا مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ.

ثامناً :- المشورة :-

١- المُخْبِرِ وَالْوَاشِي: أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ (احلل عقد الحاقد من قلوب الناس بحسن السيرة معهم)، وَأَقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وَتَرٍ (العداوة) وَتَغَابٍ (تغافل) عَنْ كُلِّ مَا يَضْحُ (يظهر) لَكَ، وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ، فَإِنَّ السَّاعِيَ (النام بمعائب الناس غاش، وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ.

٢- المستشار البخيل والجبان: وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلَ يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ (الا حسان بالبذل)، اْوَيْعِدُكَ الْفَقْرَ (يخوفك منه لو بذلت) وَلَا جَبَانَ يُضَعِّفُكَ عِنَا أُمُورٍ، وَلَا حَرِيصًا يُزِنُ لَكَ الشَّرَّه (اشد الحرص) بِأَجْوَرٍ، فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحَرِصَ غَرَائِزَ (طبائع متفرقة) حَرِيصٌ أَابَالَهُ نَّ مَعَهَا سُوءُ الظَّنِّ (ج) طبائع متفرقة (شئى يجمعها سوء الظن بالله).

٣- عدم استخدام مسؤول سابق خائن لشعبه: شَرُّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزَيْرًا، وَمَنْ شَرَّ كَهْمُ فِي الْإِثَامِ، فَلَا يَكُونُ تَلَكَّ بَطَانَةَ (خاصته وحاشيته) فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثْمَةِ (المدنيين) وَإِخْوَانُ الظَّلْمَةِ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُ خَيْرٌ اَلْحَلْفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَ نَفَادِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ أَصَارِهِمْ (الذنب والاثم) (وَأَوْزَارِهِمْ (الذنوب) وَأَثْمِهِمْ، مِمَّنْ يُعَاوَنُ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ، وَلَا آثِمًا عَلَى إِثْمِهِ، أُولَئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَوْوَنَةً، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً، وَأَخْتَى عَلَيْكَ عَطْفًا، وَأَقْلُّ لِيغْيِرِكَ اَلْفَاءَ (الالفة والمحبة) فَاتَّخِذْ أُولَئِكَ خَاصَّةً لِحَلُولَاتِكَ وَحَفَلَاتِكَ، ثُمَّ لِيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَهُمْ بِمُرِّ اَلْحَقِّ لَكَ، وَأَقْلَهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللهُ لِأَوْلِيَائِهِ، وَإِقْعَاً ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ.

تاسعا :- القدوة :-

١- استخدام التقاة الصادقين: وَالصَّقُ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصَّدِيقِ، ثُمَّ رُضُّهُمْ (عودهم) عَلَى أَلَا يُيَطَّرُوكَ وَلَا يَبْجَحُوكَ (يفرحوك بنسبة عمل عظيم اليك ولم تكن فعلته) بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْأَطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ (العُجْبَ)، وَتَدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ (الكِبَرِ).

٢- الإحسان وحسن الظن: وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةِ سَوَاءٍ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيدَ الْأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ تَدْرِيبًا لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ، وَالزَّمُّ كُلًّا مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ.

اعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ وَالِ بَرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ وَتَخْفِيفِهِ

الْمُرُونَاتِ عَلَيْهِمْ، وَتَرَكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قَبْلَهُمْ (عندهم) فليكن مِنْكَ فِي ذَلِكَ أَمْرٌ يَجْمَعُهُمْ لَكَ بِهِ حَسَنَ الظَّنِّ بِرِعِيَّتِكَ فَإِنْ حَسَنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَبًا (التعب) (طويلاً، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ أَحْسَنَ الظَّنَّ حُسْنَ ظَنِّكَ حَسْنَ ظَنِّكَ بِهِ لَمَنْ حَسَنَ بِلاؤُكَ عِنْدَهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بِلاؤُكَ (صنعك وفعلك) عنده.

٣- قيادة الجيش: قَوْلٌ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَآمَامِكَ، (وَأَنقَاهُمْ [جَبِيئًا]) (مؤثماً تقياً) وَأَفْضَلَهُمْ حِلْمًا (العاقل) مِمَّنْ يَبْطِئُ عَنِ الْعَصَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُدْرِ، وَيَرِافُ بِالضُّعْفَاءِ، وَيُنْبُو عَلَى الْأَقْوِيَاءِ (يتجافى عنهم ويبعد)، وَمِمَّنْ لَا يَشِيرُهُ الْعُنْفُ، وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ

٤- صفاة قادة الجيش ورعايتهم للجنود: وَلِيَكُنْ آثَرُ (أفضل وأعلى منزلة) رُؤُوسِ جُنُودِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَسَّاهُمْ (ساعدهم بمعونته لهم) فِي مَعُونَتِهِ، وَأَفْضَلُ عَلَيْهِمْ مَنْ جِدَّتْهُ (أفاض عليهم من غناه) بِمَا يَسْعُهُمْ يَسْعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ (وهو من يبقى في الحي من النساء والعجزة بعد سفر الرجال)، حَتَّى يَكُونَ هُمُّهُمْ هَمًّا وَاحِدًا، فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ.

٥- اختيار المدراء والقضاة: ثُمَّ اخْتَرِ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ، مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ، وَآمَحْكُهُ الْخُصُومُ (لج في الخصومة، وأصر على رايه) وَلَا يَتِمَّادَى (يستمر ويسترسل) فِي الزَّلَّةِ (السقطة في الخطأ) وَالْأَيَّاصِرُ (يعيا في المنطق) مِنَ الْفِيءِ (الرجوع إلى الحق) إِذَا عَرَفَهُ، وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ، وَلَا يَكْتَفِي بِأَذْنِ فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ (أقربه وأبعده) أَوْفَقَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ، وَأَخْذَهُمْ بِالْحُجَجِ، وَأَقْلَهُمْ تَبَرُّمًا (الملل والضجر) بِمَرَاجَعَةِ الْخُصْمِ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكْشِفِ الْأُمُورِ، وَأَصْرَمَهُمْ (أقطعهم للخصومة وأمضاهم) عِنْدَ اتِّصَاحِ الْحُكْمِ، مِمَّنْ أَيْزِدْهِهِ إِطْرَاءً (لا يستخفه زيادة الثناء عليه)، وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءً أَوْلَيْكَ قَلِيلٌ.

ثُمَّ أَكْثَرَ تَعَاهُدًا (تتبعه باستكشاف والتعرف) قَضَائِهِ، وَأَفْسَحَ لَهُ فِي الْبَدْلِ مَا يُزِيلُ

عَلَّتُهُ (أَوْسَعَ لَهُ فِي الْعَطَاءِ بِمَا يَكْفِيهِ)، وَتَقَلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ، وَأَعْطَاهُ مِنَ الْمُنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ، لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ اغْتِيَالَ الرَّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ.
فَانظُرْ فِي ذَلِكَ نَظْرًا بَلِيغًا، فَإِنَّهُ ذَا الدِّينِ قَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الشَّرَارِ، يَعْمَلُ فِيهِ بِأَهْوَى، وَتَطَلَّبُ بِهِ الدُّنْيَا.

٦- اختيار الولاية المحافظين: ثُمَّ أَنْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ، فَاسْتَعْمَلْهُمْ اخْتِيَارًا (با الامتحان)، وَلَا تُولِهِمْ مُحَابَاةً (من الميل الشخصي) وَأَثَرَةً (استبدادًا بلا مشورة)، فَإِنَّهُمَا جَمَاعًا مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْحِيَانَةِ. وَتَوَخَّ (اطلب وتحرر) مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَيَاءِ، مِنْ أَهْلِ الْبَيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالْقَدَمِ (السابقون) فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَافًا، وَأَصَحُّ أَعْرَاضًا، وَأَقْلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَافًا، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظْرًا.
ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الْإِرْزَاقَ (أوسع لهم فيه)، فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ، وَغِنَى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَمَّتْ أَيْدِيهِمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ (نقصوا في أدائها أو خانوا).

٧- اختيار السكرتير والجهاز الإداري والمالي: ثُمَّ أَنْظُرْ فِي حَالِ كِتَابِكَ، فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ، وَاخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لَوْجُودِ صَالِحِ الْإِخْلَاقِ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ (لا تطغيه) الْكِرَامَةُ، فَيَجْتَرِئُ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافِ لِكَ بِحَضْرَةِ املا (جماعة من الناس تملأ البصر - مع الجمهور بغيابك) وَلَا تُقْصِرْ بِهِ الْعَفْلَةَ عَنْ إِيْرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ، وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ عَنْكَ، وَفِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَيَعْطِي مِنْكَ، وَلَا يُضْعِفُ عَقْدًا اعْتَقَادَهُ لَكَ (معاملة عقدها لمصلحتك)، وَلَا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عَقَدَ عَلَيْكَ (إذا وقعت مع أحد في عقد كان ضرره عليك لا يعجز عن حل ذلك العقد)، وَلَا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الْأُمُورِ، فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ.

ثُمَّ لَا يَكُنْ اخْتِيَارَكَ إِيَاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ (قوة الظن وحسن النظر في الامور) وَاسْتِنَامَتِكَ (السكون والثقة) وحسن الظن منك فان الرجال يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوَأَةِ (أي يتوسلون اليها لتعرفهم) بِتَصْنُعِهِمْ (بتكلفتهم إجادة الصنعة) وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ، لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْأَمَانَةِ شَيْءٌ، وليكن اختبارهم بما ولو لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ، فَاعْمِدْ لَا حَسَنِهِمْ كَانَ فِي لِ الْعَامَّةِ أَثَرًا، وَأَعْرِفِهِمْ بِأَمَانَةٍ وَجَهًا، فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ وَلِمَنْ وَلِيَتْ أَمْرَهُ.

وَأَجْعَلْ لِرَاسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَاسًا مِنْهُمْ لَا يَقْهَرُهُ كِبَرُهَا وَلَا تَشِيَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا وَمَهْمَا كَانَ فِي كِتَابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَايَيْتَ (تغافلت) عَنْ أَلْزِمَتِهِ.

عاشرا :- الفساد - النزاهة :-

١- سُخْطُ النَّاسِ: وَلِيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعْمَهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِلرِّضَى الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ (يذهب برضاهم)، وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يَغْتَفِرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ.

وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ، أَثَقَّ لَ عَلَى الْوَالِيِّ مَوْوَنَةً فِي الرَّخَاءِ، وَأَقَلَّ مَوْوَنَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ، وَأَكْرَهَ لِلْأَنْصَافِ، وَأَسْلَبَ بِالْحَافِ (الحاح والشدة في السؤال) وَأَقَلَّ شُكْرًا عِنْدَ الْعَطَاءِ، وَأَبْطَأَ عُذْرًا عِنْدَ الْمَنْعِ، وَأَضْعَفَ صَبْرًا عِنْدَ مُلِمَاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ، وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ، وَجِمَاعُ (جماعة) الْمُسْلِمِينَ، وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ، الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صِغُوكَ (الميل) لَهُمْ وَمِيلُكَ مَعَهُمْ.

وَلِيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ، وَأَشْنَاهُمْ (أبغضهم) عِنْدَكَ، أَطْلَبَهُمْ لِمَعَائِبِ النَّاسِ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا، الْوَالِيُّ أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا، فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ، وَاللَّهُ يُحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ، فَاسْتُرِ الْعُورَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سِتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ.

٢- منع الإحتكار ومعاقبة المحتكر: وَعَلِمَ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ مُضِيقًا (عسر المعاملة) فَاحِشًا (كبيراً)، وَشَحَّاحًا (بخلاً) (قِيحًا، وَاحْتِكَارًا) (حبس الطعام ونحوه عن الناس لا يسمحون به لا بأثمان فاحشة) لِلْمَنَافِعِ، وَتَحَكُّمًا فِي الْبِيَاعَاتِ، وَذَلِكَ بَابُ مَصْرَّةٍ لِلْعَامَّةِ، وَعَيْبٌ عَلَى الْوَأَةِ، فَاْمَنْعَ مِنَ الْاِحْتِكَارِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ مَنَعَ مِنْهُ. لِيَكُنَ الْبَيْعُ بَيْعًا سَمَحًا: بِمَوَازِينِ عَدْلٍ، وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ (المشتري)، فَمَنْ قَارَفَ (خالط) حُكْرَةً (الاحتكار) (بَعْدَ لَنْبِكَ أَيَاهُ فَنَكَلُ) (عاقبه) وَعَاقِبَ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ (تجاوز حد العدل).

٣- النهي عن المنّة وإعجاب المسؤول بنفسه: وَإِيَّاكَ وَالْاِعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وَحُبَّ الْاِطْرَاءِ (المبالغة في الشناء)، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثِقِ فُرْصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ، لِيَمَحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ. وَإِيَّاكَ وَالْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ، أَوْ التَّزْيِيدَ (إظهار الزيادة في الاعمال للافتخار) فِيهَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ، أَوْ أَنْ تَعِدَّهُمْ فَتَتَّبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ، فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الْاِحْسَانَ، وَالتَّزْيِيدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ، وَالْخُلْفَ يُوْجِبُ الْمَقْتَ (البغض والسخط) عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ، قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ).

٤- نهى المسؤول عن التسرع والاستثثار: (و) إِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالْاُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا، أَوْ التَّسَاقُطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا، أَوْ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ (الاصرار على النزاع)، أَوْ الْوَهْنَ (الضعف) عِنْدَ إِذَا اسْتَوْضَحَتْ، فَضَعَّ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ، وَأَوْقَعَ كُلَّ عَمَلٍ مَوْقِعَهُ.

وَإِيَّاكَ وَالْاِسْتِثْثَارَ (تخصيص النفس بزيادة) بِمَا النَّاسُ فِيهِ أَسْوَةٌ (متساوون)، وَالتَّغَايِبَ (التغافل) عَمَّا تُعْنَى بِهِ بِمَا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ، فَإِنَّهُ مَأْخُودٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ، وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَعْطِيَةُ الْاُمُورِ، وَيَتَّصِفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ، اْمَلِكُ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ (الشموخ والإباء)، وَسُورَةَ (الحِدة) حَدِّكَ (البأس)، وَسَطْوَةَ يَدِكَ، وَعَرْبَ لِسَانِكَ (حدّ اللسان

كحد السيف) وَاحْتَرَسَ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ يَكْفُ الْبَادِرَةَ (ما يبدو من اللسان عند الغضب من كسباب ونحوه)، وَتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ، حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ الْأَخْتِيَارَ، وَلَنْ تَحْكُمَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تَكْثُرَ هُمُومُكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ.

حادي عشر :- العناية والرعاية :-

١- الاجهزة أ ملنية والقضاء: فَأَلْجُوذُ، بِإِذْنِ اللَّهِ، حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَزَيْنُ الْوُلَاةِ، وَعِزُّ الدِّينِ، وَسُبُلُ الْأَمَنِ، وَلَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ.

ثُمَّ الْأَقْوَامُ لِلْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَهُ مِنْ الْخِرَاجِ الَّذِي يَقْوُونَ بِهِ فِي جِهَادِ عَدُوهِمْ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يَصْلَحُهُمْ، وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ (يقضي حوائجهم). ثُمَّ لَا قَوَامَ لَهُذَيْنِ الصَّنَفَيْنِ إِلَّا بِالصَّنْفِ الثَّلَاثِ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعَمَالِ وَالْكَتَّابِ، لَمْ يُحْكَمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ (العقود القضائية)، وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ يُؤْتَمِنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِ الْأُمُورِ وَعَوَامِهَا

٢- التجارة والصناعة: ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتَّجَارِ وَذَوِي الصَّنَاعَاتِ، وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا: الْمُقِيمِ مِنْهُمْ، وَالْمُضْطَرِّبِ بِإِلَاهِ (المتردد به بين البلدان)، وَالْمُتَرَفِّقِ (المكتسب) بِيَدَيْهِ، فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ، وَأَسْبَابُ الْمُرَافِقِ (ما ينتفع به من الأدوات وأنية)، وَجَلَابِهَا مِنَ الْمُبَاعِدِ وَالْمَطَارِحِ (الأماكن البعيدة)، فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ، وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ، وَحَيْثُ لَا يَلْتَمِسُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهِ (لا يمكن وصول الناس إليها)، وَلَا يَجْتَرِوْنَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُمْ سَلَمٌ (أي أن التجار والصناع مسالمون) وَلَا أَمْتَحَافُ بِيَا قِتَهُ (دهاؤه)، وَصُلْحُ الْأَخْشَى غَائِلَتُهُ، وَتَفَقُّدُ أُمُورِهِمْ بِحَضْرَتِ وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ.

ثاني عشر: - الشكر :-

يدعو لنفسه ولمالك بالتوفيق وعاقبة الشهادة: وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ، أَنْ يُوفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ مِنْ الْأَقَامَةِ عَلَى الْعُذْرِ الْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِهِ، مَعَ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِي الْعِبَادِ، وَجَمِيلِ الْأَثْرِ فِي الْبِلَادِ، وَتَمَامِ النِّعْمَةِ، وَتَضْعِيفِ الْكِرَامَةِ (زيادة الكرامة اضعافاً)، وَأَنْ يُخْتِمَ لِي وَلِكَ بِالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ، (قسم الشؤون الثقافية).

اولا :- الاستنتاجات

١. ان القيم الأخلاقية الفاضلة لها منزلة كبيرة في فكر الاسلام ولاسيما الكتاب، ورجال الدين، القانون، علم الاجتماع، التربية، وعلم النفس ويقف في مقدمتهم (اهل البيت) (عليهم السلام) لأنها هي الاساس في بناء شخصيه الانسان الفرد والمجتمع كما اكد القران الكريم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم : ٤) وكذلك قول الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) ((انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق)).
٢. ان القيم الأخلاقية الفاضلة في نظر الاسلام، والائمه (عليهم السلام) تنبع من مصادرها الأصلية وهي (القران الكريم والسنة النبوية المطهرة واهل البيت) (عليهم السلام) كما قال الامام الصادق (عليه السلام) قال (ان الله عز وجل خص رسله ب(مكارم الاخلاق، فاتصفوا في بعشرة -اليقين، القناعة، الصبر، الشكر، والحلم، وحسن الخلق، والسخاء، الغيرة، الشجاعة، والمروءة... الخ)
٣. تنظر الفلسفة الإسلامية للقيم الأخلاقية الفاضلة بانها فطرية ومكتسبه، اي تكتسب من البيئة التي يعيش فيها الفرد والمجتمع وبذلك تكون هذه القيم بصورة عامه على نوعين هما (سلبية وإيجابية) يسير عليها المجتمع وبالتالي تكون معايير اجتماعيه للفرد والمجتمع يسير بموجبها

٤. ان القيم الأخلاقية الفاضلة في نظر الاسلام واهل البيت(عليهم السلام) عديده ومنها لا الحصر(الكرم، العفة، الأمانة، التأخي، اليقين، الكلم الطيب، التوبة، محاسبه النفس ومراقبتها، طاعه الله وتقواه، الثبات على المبدأ، العدل، الاخلاص، المشورة، الشجاعة، النزاهة، التواضع، الايثار، السخاء، الرجاء في الله، البصيرة.... الخ.

٥. ان القائد الرسالي وهو الشخص الذي يتميز بصفات وخصائص ويحمل القيم الأخلاقية الفاضلة كما يتصورها الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب(عليه السلام) عديدة ومنها((العدل والانصاف، المساواة، الاخلاص، الأمانة، التواضع، طاعه الله وتقواه، القناعة، المشورة، القدوة، النزاهة، الرعاية والاهتمام، والشكر) كما جاء في الرسالة الموجه الى مالك الاشر(رضي الله عنه).

٦. ظهرت في الرسالة التي وجهها الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب(عليه السلام) ان هناك واجبات ومسؤوليات تقع على عاتق القائد الرسالي وعددها(١٤) مسؤوليه وواجب :-

- أ. تقيده بالقانون وضبط النفس
- ب. اخذ العبرة ممن سبقه في الحكم
- ت. العمل الصالح للناس والعفو عنهم
- ث. اعتماده المشورة بعيدا عن (المخبر الواشي، البخيل، الجبنان، والمسؤول الخائن لشعبه)
- ج. استخدام القادة الصالحين في الجيش والاجهزة الأمنية ولاسيما مسؤوليات الدولة
- ح. الاهتمام بالعلماء والخبراء والحكماء والاهتمام بهم ولاسيما الامن والقضاء
- خ. التواضع مع وجاء الناس والمستضعفين وذوي الحاجات الاخرى (الدخل المحدود)
- د. ضروه اختيار الولاة والمدراء لأجل توفير الخدمات للناس ومراقبه اعمالهم
- ذ. ضرورة الاهتمام في جدول العمل اليومي المنظم

- ر. ضرورة امامه الناس في الصلاة وبساطتها
 ز. ضرورة الحفاظ على العهد مع العدو وحرمة دم المواطن وممتلكاته
 س. ضرورة استخدام قيم النزاهة عند التعامل مع الناس وبقية الطبقات الاخرى في
 انجاز الواجب والمسؤوليات
 ش. ضرورة الاهتمام بالحرف والمهن ولاسيما التجارة والصناعة لأنها تكمل الواحدة
 الاخرى
 ص. ضروره ابعاد شبح الحرب والجنح الى السلم

ثانياً :- التوصيات والمقترحات

١. التأكيد على وزاره التربية والتعليم العالي بتضمين المناهج الدراسية بدأ من مرحله رياض الاطفال حتى المراحل العليا الجامعية هذه القيم لأنها هي الاساس في بناء شخصيه الانسان الفرد والمجتمع.
٢. حث المدرسين واعضاء هيئه التدريس في تكريس هذه القيم في نفوس الطلبة من خلال الأنشطة العلمية والأدبية والاجتماعية لتكون منهج عمل لهم في المستقبل.
٣. التأكيد على السلطة الرابعة ولاسيما القنوات الإعلامية ان تبرز مضامين القيم الأخلاقية السامية التي جاء بها الاسلام ولاسيما اهل البيت(عليهم السلام) لأنها هي الاساس في التعايش السلمي.
٤. اقامة مؤتمرات وندوات وحلقات نقاشيه حول مضامين الرسالة كل حسب اختصاصه لترسيخ مضامين القيم والواجبات والمسؤوليات.
٥. تكليف مراكز البحوث التربوية والنفسية والاجتماعية بالبحث عن مغزى هذه القيم وكيفية الاقتداء بها مستقبلاً.

المصادر

١. الابراشي، محمد عطية، الاسلام منقذ للإنسانية، مكتبة مصر، مصر، ١٩٧٤ م
٢. بركات احمد لطفي بركات في الفكر التربوي الاسلامي ط- الرياض دار المريخ
١٩٨٢
٣. بدوي، احمد زكي، قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، ١٩٧٧
٤. حريم، حسين، السلوك التنظيمي، سلوك الافراد والجماعات في منظمات الاعمال،
دار حامد، الاردن ٢٠٠٩
٥. خوري توما المناهج التربوية ومرتكزات تطويرها وتطبيقاتها ط- بيروت ١٩٨٣
٦. زهران، حامد عبد السلام، علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب، القاهرة ١٩٨٤
٧. سالم، فؤاد الشيخ واخرون، المفاهيم الإدارية الحديثة، دار المستقبل للنشر والتوزيع،
الاردن ١٩٨٩
٨. الشناوي، محمد واخرون، التنشئة الاجتماعية للطفل، دار صفاء للنشر والتوزيع،
الاردن، ٢٠٠١
٩. صالح ذياب هندي واخرون، الثقافة الاسلامية، دار الفكر للطباعة والنشر، الاردن
٢٠٠٠.
١٠. صالح ذياب هندي واخرون،، صالح ذياب واخرون، اسس التربية، دار الفكر
للنشر والتوزيع، الاردن، ١٩٩٠
١١. الصفار، فاضل الشيخ، ادارة المؤسسات من التأهيل الى القيادة، دار العلوم بيروت
٢٠٠٢.
١٢. الصدر، محمد مهدي، اخلاق اهل البيت مؤسسه دار الكتب الاسلامي قم ٢٠٠٨
١٣. الطهطاوي، سيد احمد، القيم التربوية في القصص -القران الكريم، دار الفكر،

القاهرة ١٩٩٦.

١٤. عبد العزيز صالح التربية وطرق التدريس دار المعارف بمصر ١٩٨١.
١٥. علي جابر الربيعي، شخصية الإنسان، تكوينها، طبيعتها واضطراباتهما، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٤.
١٦. كنعان احمد علي اداب الاطفال والقيم التربوية دار الفكر دمشق ١٩٩٩.
١٧. مهدي عباس علي وآخرون اسس التربية وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة الموصل ٢٠٠٢.
١٨. النوره جي، احمد خورشيد مفاهيم في الفلسفة والاجتماع، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٠.
١٩. وهران، يحيى علي، مهارات الحياه وبناء المجتمع، جامعه المنصورة ٢٠١٢
الكتب والبحوث والمراجع المعتمدة في هذا البحث وهي :-
٢٠. العلامة السيد مهدي الصدر، أخلاق أهل البيت، دار الكتاب الإسلامي، إيران ٢٠٠٨.
٢١. هاشم الموسوي، التربية الأخلاقية والاجتماعية، منظمة الإعلام الإسلامي، إيران ١٩٩٣
٢٢. الشيخ الجليل رضي الدين الطبرسي، مكارم الاخلاق، مركز نشر كتاب
٢٣. قمي، عباس، خمسون دراسا في الاخلاق، دار الجوادين، كربلاء المقدسة ٢٠١٢
٢٤. القزويني عبد الكريم الحسني -الوثائق الرسمية لثورة الامام الحسين مكتبة الشهيد الصدر بلا.
٢٥. سوادى، فليح، عهد الامام علي ابن ابي طالي (عليه السلام) الى واليه على مصر، مالك الاشر (رضي الله عنه)، العتبة العلوية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية ط-١، ٢٠١٠.

٢٦. سلطان محمد السيد مفاهيم تربوية في الاسلام مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع الكويت ١٩٧٧.

٢٧. الشيخ علي الفتلاوي، رساله في فن الالقاء والحوار والمناظرة، العتبة الحسينية المقدسة، سلسله (١٦).

٢٨. الزبيدي، صباح حسن عبد، القيادة الحسينية المجتمعية اسلوب ثوري في بناء المجتمع واصلاحه من خلال الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، بحث مقدم الى مهرجان ربيع الشهادة العلمي الثقافي الخامس للمدة من (٣-٧) شعبان، كربلاء المقدسة.

٢٩. الزبيدي، صباح حسن عبد، شخصية الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) تجسد للقيم الأخلاقية والتربوية، دراسة تعريفية، للمشاركة في المؤتمر الدولي الثالث تحت شعار، (الإمام موسى بن جعفر الكاظم، مصدر عطاء خالد للإنسانية) للمدة ٢٥-٢٦-٢٠١٢.

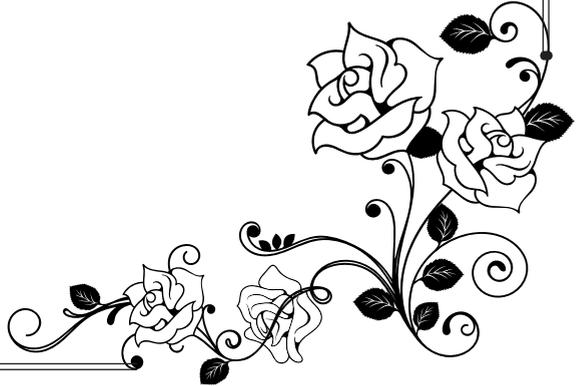
٣٠. الزبيدي، صباح حسن عبد، بناء منظومه قيم المواطنة الصالحة واثرها في المناهج الدراسية لتساهم في بناء شخصيه الطالب العراقي، بحث مقدم الى المؤتمر العلمي الرابع لأبحاث المهبة والتفوق، الجامعة الأردنية وبالتعاون مع المؤسسة الدولية للشباب والبيئة والتنمية للفترة من ١١-١٢-١٥-٢٠١٥ الاردن.

صالح الراعي وإصلاح الرعية

قراءة في عهد الامام علي (عليه السلام) لمالك الاشتهر (رضي الله عنه)

م.د عبد الزهرة جاسم الخفاجي

الكلية الإسلامية الجامعة - النجف الأشرف



المقدمة

الحمد لله حمد الشاكرين، والشكر لله شكر الذاكرين، والصلاة وأتم التسليم على خاتم النبيين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد.

فقد شهدت الفترة التي سبقت خلافة الامام علي (عليه السلام)، مزيجاً من الفتن واضطراباً في أنظمة الحكم التي اعتمدت القوة والقسوة للتوسع وتثبيت حكمها، كما اعتمدت مبدأ الأثرة في توزيع الفيء بخلاف ما كان عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله). إذ حصل ابتعاد عن نهج النبوة، وحصلت أوضاع لم يكن أكثر الصحابة يجذبونها ويرضون عنها، وقد بلغ الإنحراف أوجه في خلافة عثمان لأن بطانة قد التفت حوله من أقربائه، الذين كانوا محل ثقته، وهؤلاء أساءوا استغلال ثقة عثمان بهم، فتلاعبوا بالثروات والمناصب مما سبب حالة من الغضب في أوساط من الرعية، انتهى بمقتل عثمان بن عفان. وفي خضم هذه المعطيات قبل الإمام علي (عليه السلام) اختيار الأمة له خليفة للمسلمين على أن تكون حرته مطلقة في الإصلاح والتغيير.

إن أهم ما يميز به الإمام علي (عليه السلام) أنه يمتلك أهم عناصر الإصلاح وهما: المبادرة والتصدي، كما أنه كان يُقرن القول بالفعل، وكان منهجه في الإصلاح يقوم على ثنائية (الراعي والرعية): (فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوَلَاةِ وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ) ولذلك كانت أولى خطواته في اصلاح ما أفسده الذين سبقوه على المستوى الإداري هو التغيير الشامل للولاة، وعلى المستوى الاجتماعي هو إلغاء مبدأ الأثرة والعودة إلى مبدأ الأسوة في توزيع الفيء مخاطباً الناس قائلاً: (فأما هذا الفيء فليس لاحد على أحد فيه أثرة وقد فرغ الله من قسمته فهو مال الله، وانتم عباد الله المسلمون).

وقد وجد الإمام علي (عليه السلام) أن نجاح مشروعه الإصلاحية، يتطلب ثقافة تدعمه، وتشجع الناس على ترك ما اعتادوا عليه من عادات سيئة، وتُخصّصهم من القوى التي تقف بوجه الإصلاح. فأولى تثقيف الأمة اهتماماً بالغاً، وكان متميزاً بهذا الجانب، ويكاد لا يخلو مصدر من مصادر التراث العربي والإسلامي من كلام له (عليه السلام). وقد بادر الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ) رحمه الله فاختر من هذا الكلام وجمعه في كتاب أسماه نهج البلاغة.

ويُعدُّ عهده لمالك الأشتر (رضي الله عنه) لما ولّاه مصر من أهم وأطول كُتبه (عليه السلام). ومع أنه (عليه السلام) أراد من العهد أن يكون توجيهاً لأحد ولاته في ممارسة ما عُهد إليه من الأمور وبيّن له الإطار الإسلامي الذي يتكفل بإرساء حكومة العدل الإلهي، والتأسيس لنظام إداري وحقوقية يبدأ من الحاكم نفسه، إلا أن الواقع يفيد شمول هذا العهد لكافة الأفراد وفي كل عصر ومصر. وهذا ما جعله من أهم المصادر التي تُستسقى منه المبادئ التي تُنير طريق الولاية في إدارة ما تولّوه، في كل زمان، وفي كل مكان.

ما يعانیه المجتمع الإنساني بشكل عام والمجتمع الإسلامي بشكل خاص وما في العراق بشكل اخص فيما يتعلق بولاية الأمور (الرعاة) والمجتمع (الرعية) من سوء إدارة صارت فيه مفردة الفساد تتردد على السن الجميع بشكل يؤشر على ان الفساد صار ظاهرة تنخر في اركان الإدارة والمجتمع. صارت الحاجة ملحة للعودة الى ذلك المعين الثر لاصلاح ما فسد.

في عهده لمالك الأشتر (رضي الله عنه) قدم الامام علي (عليه السلام) مشروعاً متكاملًا لاصلاح الراعي والرعية. رسم فيه اختيار (الراعي) الصالح وما يجب عليه لرعيته ووضع فيه تصورا للرعية ومشكلاتها ووضع الحلول الواقعية لتلك المشكلات.

لقد كُتِبَ الكثير بشأن عهد الامام (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه) إلا

اننا نجد ان هذا الأثر الخالد ما زال يرفدنا بما نحتاج اليه كلما دعت الحاجة الى ذلك وفي مختلف مجالات الحياة. فهو دستور دائم يستمد ديمومته من فكر الامام علي (عليه السلام) الذي لم يبلغ احد بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما بلغه. يؤكد ذلك قول الامام الحسن (عليه السلام) يوم نعاه للناس: (قَدْ قُبِضَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ رَجُلٌ مَا سَبَقَهُ الْأَوَّلُونَ وَ لَا يُدْرِكُهُ الْآخِرُونَ).

وقد خصص هذا البحث لجوانب من عهده لمالك الاشر، لما فيه من فائدة للإنسانية بشكل عام وما تعانیه امتنا بشكل خاص، وفي هذا البحث محاولة لاعادة قراءة عهد الامام (عليه السلام) لمالك الاشر، ودراسة لبعض ما جاء فيه خاصة فيما يتعلق بصلاح الراعي باعتباره يسوس الامة ومنهج الامام علي (عليه السلام) في اعداده ليُصلح من خلاله الرعية، ولذلك جاء البحث تحت عنوان [اصلاح الراعي وإصلاح الرعية- قراءة في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشر (رضي الله عنه)] وليتحقق الهدف المنشود من البحث فقد جاء في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وعلى النحو الآتي :

المقدمة : للتعريف بالبحث

- ١ . المبحث اول:- مدخل سُلط في الضوء على عناصر أساسية في البحث هي : مالك الاشر، و العهد، وبيان أهمية مصر.
- ٢ . المبحث ثاني:- تعريف الصلاح ومن هو الراعي وتناول بعض ما جاء في العهد عن صلاح الراعي.
- ٣ . المبحث ثالث:- تعريف الإصلاح وبين المقصود بالرعية وإصلاحها من خلال ما جاء في العهد.
- ٤ . الخاتمة:- وفيها عَرَض ما توصل اليه الباحث.

المدخل

إنَّ بيان معاني الالفاظ ومدلولاتها من مضانها، يُعد من أهم المرتكزات التي تمكن الباحث من تشكيل تصور عام للأفكار التي يطرحها فتوضَّح لديه الخطوط العريضة لموضوع الدراسة، كما تساعده على ديمومة التواصل مع موضوعه وفكرته الأساسية، لذلك تم تسليط الضوء في هذا المبحث على الالفاظ التي تشكل موضوع البحث وهي :

مالك الاشتر (رضي الله عنه) :

هو (مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن الحارث بن جذيمة بن سعد بن مالك بن النخع من مذحج)^(١).

ان التعرف على شخص مالك الاشتر ومعرفة أبعاد وخصائص هذه الشخصية، تمكننا من الوقوف على سبب اختيار الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) له لتولي إدارة مصر في مثل ذلك الوضع الصعب بدلاً من محمد بن أبي بكر، ولا بد ان يكون لمالك شخصية جديرة بثقة الامام علي (عليه السلام) وقد كان كذلك، فقد قال فيه عليه السلام (كان الاشتر لي كما كنت لرسول الله)^(٢). بهذه الكلمات نوّه امير المؤمنين (عليه السلام) بمقام (مالك بن الحارث النخعي)^(٣) عنده. والنخعي نسبة إلى النخع^(٤).

لم يُعرَف الكثير عن مالك قبل الإسلام، كما لم تُحدد المصادر التي تناولت سيرته تاريخ ميلاده واكتفت بالقول : « وُلِد قبل الإسلام بقليل... قبل بعثة النبي بعقدين او ما يزيد عن ذلك قليلاً »^(٥) واسلم على عهد رسول الله (صلى الله عليه واله) ولكن لم يُذكر متى اسلم. فهو وإن عاصر النبي لكنه لم يره او يسمع حديثه، وقد عُدَّ من التابعين، وكان صاحب دين، وقد ذُكر عند رسول الله (صلى الله عليه واله) فقال فيه « انه المؤمن حقاً »^(٦)، كما كان من الذين قال فيهم رسول الله « عصابة من المؤمنين » الذين شهدوا موت

ابي ذر الغفاري^(٧).

وقد شخص فيه الامام علي (عليه السلام) هذه الخصلة عندما قال له: «فَأِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ وَأَقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ الْأَيْثِمِ...»^(٨).

اشتهر (بالأشتر)^(٩) حتى غلب هذا اللقب على اسمه، وقد لحق به هذا اللقب جراء إصابة عينه في معركة اليرموك قرب حمص وهي المعركة التي دارت بين المسلمين والروم سنة (١٣ هـ)، وكان قد برز الى ماهان قائد جيش هرقل «فأخرج ماهان عموده وضرب به مالكا على البيضة التي على رأسه فغاصت في جبهة مالك فشترت عينه، فمن ذلك اليوم سمي بالأشتر»^(١٠). كما لقب «بكبش العراق»^(١١) لانه المقدم على جيش الامام علي عليه السلام وحامل رايته.

لم تكن علاقته مع الامام علي مبنية على أسس شخصية وانما كانت مبنية على أساس الايمان الصادق برسالة الإسلام وبنبوة محمد (صلى الله عليه واله)، وهذا ما عبر عنه مالك بنفسه قائلا: « فوالله إنا لنعلم أنه ما على ظهر الأرض وصي نبي سواك، وإنا لنعلم أن الله لا يبعث بعد نبينا (صلى الله عليه وآله) نبياً سواه، وإن طاعتك لفي أعناقنا موصولة بطاعة نبينا»^(١٢).

وكانت علاقة متميزة فقد ثبت مع الإمام علي (عليه السلام) عندما تخاذل أصحابه عنه وفر بعضهم الى معاوية فخاطبه حينها الامام قائلا « أنت من آمن الناس عندي و أنصحهم لي و أوثقهم في نفسي إن شاء الله»^(١٣).

وقد شخص فيه الامام علي (عليه السلام) خصلاً قلما تجتمع لغيره « كان ممن لا يخاف وهنه ولا سقطته، ولا بطؤه عما الاسراع إليه أحزم، ولا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل »^(١٤)،

يعزز من هذه الصفات النصيح في علاقته مع الامام فقد قال (عليه السلام) فيه : « كان رجلاً لنا ناصحاً وعلى عدونا شديداً »^(١٥).

لم يكن مالك الاشر في معزل عن الاحداث التي عصفت بالامة الإسلامية، فقد كان رافضاً للظلم أياً كان مصدره، و كان معارضاً لسياسة ولاة عثمان المتعسفة فكان رده بليغاً على سعيد بن العاص والي الكوفة يوم قال : « إِنَّهَا السَّوَادُ بَسْتَانٌ لِقْرِيشٍ ، فَقَالَ لَهُ الْأَشْتَرُ : أَتَجْعَلُ مَرَاكِزَ رَمَاحِنَا وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْنَا بَسْتَانًا لَكَ وَلِقَوْمِكَ ؟ وَاللَّهِ لَوْ رَامَهُ أَحَدٌ لَقَرَعَ قَرَعًا يَتَصَاوَأُ مِنْهُ »^(١٦)، الامر الذي ترتب عليه نفي الاشر واصحابه الى الشام، كما كتب اليه عثمان يتوعده : « إني لأراك تضمير شيئاً لو أظهرته لحل دمك، وما أظنك منتهيّاً حتّى تصيبك قارعة لا بقيا بعدها، فإذا أتاك كتابي هذا فسر إلى الشام لإفسادك قبلك وأنت لا تألوهم خبالاً »^(١٧). ولذلك كان من اشد المعارضين لسياسة عثمان بن عفان وكان من قادة وفد الكوفة الى عثمان سنة ٣٥ هـ^(١٨)، وقد دعاه عثمان لمعرفة ما يريد الناس قائلاً له : « يَا أَشْتَرُ، مَا يُرِيدُ النَّاسُ مِنِّي ؟ قَالَ : ثَلَاثًا، لَيْسَ لَكَ مِنْ إِحْدَاهُنَّ بُدٌّ، قَالَ : مَا هُنَّ ؟ قَالَ : يُخَيِّرُونَكَ بَيْنَ أَنْ تَخْلَعَ هُمْ أَمْرَهُمْ فَتَقُولَ : هَذَا أَمْرُكُمْ فَاخْتَارُوا لَهُ مَنْ شِئْتُمْ، وَبَيْنَ أَنْ تَقْصَّ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنْ أَبَيْتَ هَاتَيْنِ فَإِنَّ الْقَوْمَ قَاتِلُونَكَ، قَالَ : أَمَا مِنْ إِحْدَاهُنَّ بُدٌّ ؟ قَالَ : لَا »^(١٩). وانتهت الاحداث بمقتل عثمان.

بعد مقتل عثمان بن عفان تهافت الناس على الإمام علي (عليه السلام) يطلبون مبايعته، فامتنع قائلاً لهم : « دعوني والتمسوا غيري، فإنما مستقبلون أمرآ له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت، والمحجة قد تنكرت، واعلموا

أني إن أحببتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل، وعتب العاتب...»^(٢٠). ولكن بعد إصرارهم على مبايعته قبلها (عليه السلام) وكان قبوله مشروطاً فقد قال (عليه السلام): «إِنَّكُمْ قَدْ اخْتَلَفْتُمْ إِلَيَّ وَأَتَيْتُمْ، وَإِنِّي قَائِلٌ لَكُمْ قَوْلًا إِنْ قَبِلْتُمُوهُ قَبِلْتُ أَمْرَكُمْ، وَإِلَّا فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهِ»^(٢١).

قالوا: ما قلت قبلناه ان شاء الله، فجاء فصعد المنبر فاجتمع الناس اليه فقال: اني قد كنت كارها لامركم فايتمم الا ان اكون عليكم الا وانه ليس لي امر دونكم، الا ان مفاتيح مالكم معي الا وانه ليس لي ان آخذ منه درهما دونكم، رضيتم؟ قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد عليهم ثم بايعهم على ذلك^(٢٢). فتمت البيعة في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المدينة المنورة يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين للهجرة. لاشك ان إصرار الإمام علي (عليه السلام) على وضع امر مال المسلمين بيده اثار شكوك ولاة عثمان الذين سخروا جهاز الحكم لمصالحهم الخاصة، وأثروا ثراءً فاحشاً مما اختلسوه من بيوت المال، ووجوه بني أمية وعشائر قريش، وأيقنوا أن الإمام سيصادر الأموال التي منحها لهم عثمان بغير حق..

وسرعان ما بدأت المؤامرات تحاك للوقوف بوجه المشروع الإصلاحى للإمام علي (عليه السلام) فكانت بدايتها في مكة المكرمة بقيادة عائشة وطلحة والزبير؛ فنكثوا البيعة وخرجوا الى البصرة بمن معهم من بني امية ومن حولهم. وكانت الأخبار تصل تباعاً الى الإمام (عليه السلام) بما دُبّر في مكة، ثم بخروج عائشة بمن معها.

أمر الإمام (عليه السلام) بأن يُنادى في الناس بالتأهب للمسير الى العراق. فأتاه من يعتذر إليه من الخروج، بحجة أن هذه فتنة، أو بأنهم لا يقاتلون مسلماً. وكان لملك الاشر موقف يختلف عن الآخرين، إذ لما بلغه نداء الإمام علي (عليه السلام) اسرع اليه وقال له: «يا أمير المؤمنين، إنا وإن لم نكن من المهاجرين والأنصار، فإننا من التابعين بإحسان.

وإن القوم وإن كانوا أولى بما سبقونا، فليسوا بأولى بما شركناهم فيه. وهذه بيعة عامة، الخارج منها طاعن مستعتب. فحُصَّ هؤلاء الذي يريدون التخلف عنك باللسان، فإن أبوا فأديهم بالحبس»^(٢٣).

ومن هنا صارت مواقف الأشر وأضحة جليّة المعالم؛ فأصبح جندياً مخلصاً لأمير المؤمنين (عليه السلام)، ولم يفارقه قطُّ ولازمه في كل معاركه، فقد تولى امر تحشيد الناس في الكوفة بعد ان استأذن الإمام قائلًا له: «فإن رأيت جعلت فداك أن تبعثني في أثرهم فإن أهل الكوفة أحسن لي طاعة وإن قدمت عليهم رجوت أن لا يخالفني أحد منهم»^(٢٤). فأذن له. وكانت مواقفه مشهودة في حرب الجمل، أمّا في صفين فكادت تكون نهايتها على يديه لولا خدعة رفع المصاحف، فقد كان على (عدوة فرس) من النصر، ولكنه رضي بما رضي به أمير المؤمنين (عليه السلام)^(٢٥).

كان معاوية يحسب للاشتر حسابه. وكان يعده من اخلص أصحاب علي « فقد عده ضمن الخمسة الذين قنت عليهم وهم: علي والحسن والحسين - عليهم السلام - وعبد الله بن عباس، والاشتر ولعنهم»^(٢٦)، حتى انه قد ساءه ان سمع اخبار ارسال علي مالك الاشتر لولاية مصر، وكان معاوية يعتقد ان الاشتر لو وصل الى مصر لم يعد لمعاوية امل في استمالتها لجانبه لذلك بذل طاقته في منعه من الوصول اليها، وقد كان له ذلك على يد رأس اهل الخراج المقيم في (القلزم)^(٢٧) حيث بعث اليه معاوية كتابا جاء فيه: « أن عليا قد بعث بالاشتر إلى مصر وإن كفتينيه سوغتك خراج ناحيتك ما بقيت، فاحتل في قتله بما قدرت عليه»^(٢٨).

فاحتال الدهقان « وحمل إليه طعاما دس في جملته عسلا جعل فيه سما، فلما شر به الاشتر قتله ومات من ذلك»^(٢٩)، عندها «قال عمرو بن العاص: إن لله جنوداً من عسل»^(٣٠)، وفي رواية ان معاوية هو الذي قال « إن لله جنوداً من عسل»^(٣١)، في حين يقول ابن كثير

« فلما بلغ ذلك معاوية وعمراً وأهل الشام قالوا : إن الله جنوداً من عسل »^(٣٢).

ولأهمية الاشتهر فقد قال معاوية : « كان لعلي ابن ابي طالب يمينان قطعت احدهما

يوم صفين - يعني عمار بن ياسر - وقطعت الأخرى اليوم - يعني مالك الاشتهر »^(٣٣).

لقد صدق ابن ابي الحديد وهو يصف الاشتهر : « الله أم قامت عن الأشتهر، لو أن إنسانا

يقسم أن الله تعالى ما خلق في العرب و لا في العجم أشجع منه إلا أستاذة (علياً) عليه

السلام لما خشيت عليه الإثم »^(٣٤).

ولذلك قال فيه الامام وهو يخاطب أصحابه : « ليت فيكم إثنين مثله، بل ليت فيكم

مثله واحداً يرى في عدوي مثل رأيه »^(٣٥).

وقد أبتّه (عليه السلام) قائلاً : « الله ذرُّ مالك ! وما مالك ؟! لو كان جَبَلًا لكان فَنَدًا،

ولو كان حَجْرًا لكان صَلْدًا، أما والله لَيَهْدُنَّ موْتُكَ عالمًا، وَلَيُفْرِحَنَّ عالمًا، على مثل مالكِ

فَلتَبِكِ البواكي وهل موجود كمالك »^(٣٦).

وقال (عليه السلام) : « لا أرى مثله بعده أبداً »^(٣٧). ولذلك تتوقف الأقلام في مدح

مالك عند مدح الامام علياً (عليه السلام) فقد مدحه «ومدحُ الإمامِ إمامِ كلِّ مدح، ومن

تصدَّى للقول بعَدَه فقد تعرَّض للقدح »^(٣٨).

إن في ما تقدم من مشاهد سيرة مالك الاشتهر يعطي صورة عن ان الرجل كان من

ذوي الحزم والحسم والإعتداد بالرأي لا يتردد إطلاقاً في اتخاذ الإجراء الكامل والحاسم

فيما يرى انه الصواب وما يجب ان يكون. هذه الصفات التي اهلته ليكون مرشح الامام

علي لادارة ولاية تعد الأهم بين ولايات الدولة الإسلامية، وعلى وفق منهج كان انموذجا

يتعدى حدود الدولة الإسلامية لو أتيح له التطبيق.

عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر :

معنى العهد لغة :

العَهْدُ : « الوَصِيَّةُ والأمر قال الله عز وجل : (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ) وكذا قوله تعالى (وَعَهَدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ) وقال البيضاوي أي أمرناهما لكون التوصية بطريق الأمر. وقال شيخنا : وجعل بعضهم العهد بمعنى الموثق إلا إذا عُدِّيَ بِإِلَىٰ فهو حينئذٍ بمعنى الوصية «^(٣٩)». والعهدُ التقدُّمُ إلى المرءِ في الشيءِ والعهد الذي يُكتب للولادة وهو مشتق منه «^(٤٠)». والعهدُ... عهدٌ إليه من باب فهم أي أوصاه ومنه اشتق العهدُ الذي يُكتب للولادة «^(٤١)»

معنى العهد اصطلاحاً :

قال الجرجاني : « العهد : حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال . هذا أصله ثم استخدم في الموثق الذي يلزم مراعاته »^(٤٢).

اعتاد الإمام علي (عليه السلام) أن يكتب لولاته أوامر ووصايا يرجعون إليها في إدارة ولاياتهم بالرغم من معرفته الدقيقة لولاته إلا أنه كان حريصاً على أن يوجههم الوجهة الصحيحة من خلال رسم الخطوط العريضة لما يجب ان تكون عليه سياساتهم في إدارة ولاياتهم، «فقد كتب الى محمد بن ابي بكر برنامجاً أخلاقياً لتهديب النفوس وتطهير القلوب وتقوية عنصر التقوى في الانسان»^(٤٣). وعهد الإمام علي (عليه السلام) هو كتاب كتبه لمالك الأشتر النخعي عندما قرر أن يوليه على مصر و أعمالها حين اضطرب أمر واليها محمد بن أبي بكر، وقد وصف بأنه أطول عهد كتبه الإمام وأجمعه للمحاسن^(٤٤). وما يلاحظ على العهد انه جاء على فقرات، تكون بدايتها على صيغة الأمر، وهذا يعني أن الإمام علياً (عليه السلام) أراد بذلك إلزام الوالي بتنفيذ ما جاء بالكتاب، مشعراً إياه ان هناك عيناً تراقبه ولذلك تكررت عبارات التنبيه والتحذير في فقرات الكتاب. والعهد

« نسيج وحده، ومنه تعلم الناس الآداب والقضايا والأحكام والسياسة »^(٤٥).

يتبين مما جاء في العهد إن غرض الإمام (عليه السلام) هو اصلاح الحكم والحاكم وجوهر هذا الإصلاح هو العدل المنصف المعزز بالعمو المتعد قدر المستطاع عن العقوبة « ولا تندمن على عفو ولا تبجن بعقوبة »^(٤٦) والذي عناه الامام علي (عليه السلام) أن العفو والنصح وتعريف المخطيء بخطئه افضل في بناء المجتمع السليم من العقوبة. مؤكدا على إنسانية العلاقة بين الراعي والرعية. القائمة على التسامح والرحمة والمواساة، مشعرا الوالي أنه تحت عين المراقبة في حركاته وسكناته.

وأهمية هذا العهد انه: «ناظر لجميع ابعاد وجهات الإدارة والتدبير لأمر الحكومة، ويحتوي على أصول ثابتة وقواعد متماسكة لا يطرأ عليها القدم، ولا تبلى أبداً وترسم في مضامينها كافة تفاصيل الحياة السياسية والإدارية في الحكومة الإسلامية»^(٤٧).

غير أن العهد لم يصل إلى مصر وإنما « صار إلى معاوية لما سمَّ الأشر ومات قبل وصوله إلى مصر فكان ينظر فيه ويعجب منه »^(٤٨). وقد كانت خسارة للإنسانية لأن الإمام علياً (عليه السلام) أراد من العهد ان يكون خطاباً للحكام مسلمين وغير مسلمين من خلال شخص مالك الأشر، كما أن العهد كتب في زمن هو من أكثر ازمنة الدولة الإسلامية عدلاً للإنسان، وإنصافاً لحقوقه لأنه زمان خلافة الإمام علي (عليه السلام).

أهمية مصر :

كانت مصر غنيةً بجندها وثرية بخراجها فقد « جبا عمرو بن العاص مصر لعمر بن الخطاب اثني عشر ألف دينار، فصرفه عنها عثمان بعبد الله بن أبي سرح فجباها أربعة عشر ألف دينار »^(٤٩)، « واستقر خراج مصر في أيام معاوية على ثلاثة آلاف ألف دينار... »^(٥٠) وهو مبلغ كان يغطي العديد من النفقات التي كان يحتاجها معاوية في حربه مع الإمام علي (عليه السلام)، وفي تثبيت حكمه وشراء الذمم، وكانت مصر في

مقدمة الولايات التي انتفضت على عثمان فكان على رأس وفدها إليه « الغافقي بن حرب العكي »^(٥١). وبعد ان تمت البيعة للإمام علي (عليه السلام) دخلت مصر في طاعته، فعين قيس بن سعد والياً عليها « وخرج في سبعة من أصحابه حتى أتى مصر وقرأ عليهم كتاباً يعلمهم بمبايعته وطاعته وأنه أميرهم »^(٥٢)

وبدخول مصر في طاعة علي (عليه السلام)، وانتصاره على الناكثين في البصرة، وجد معاوية نفسه بين فكي كمانشة؛ لذلك حاول استمالة مصر اليه بكل الوسائل فعرض على قيس ان ينقلب على الإمام علي « ويعظم قتل عثمان ويطوّقه علياً، ويحصّه على البراءة من ذلك ومتابعته على أمره، على أن يوليه العراقيين إذا ظفر ولا يعزله، ويولي من أراد من أهله الحجاز كذلك ويعطيه ما يشاء من الأموال... »^(٥٣)، لم يفلح معاوية في ما سعى اليه وباءت كل محاولاته بالفشل.

وبعد انصراف الناس من صفين انتظارا لنتائج التحكيم بايع اهل الشام معاوية خليفة، واختلف الناس بالعراق على الامام علي (عليه السلام)، فما كان لمعاوية هم إلاّ مصر فكان يرجو « أن يكون إذا ظهر عليها ظهر على حرب علي، لعظم خراجها، قال: فدعا معاوية من كان معه من قريش.. ومن غيرهم... فقال لهم: أتدرون لم دعوتكم؟ إني قد دعوتكم لأمر مهم أحب أن يكون الله قد أعان عليه... فقال عمرو بن العاص: أرى والله أمر هذه البلاد الكثير خراجها والكثير عددها وعدد أهلها، أهمك أمرها، فدعوتنا إذن لتسألنا عن رأينا في ذلك، فإن كنت لذلك دعوتنا، وله جمعتنا، فاعزم وأقدم، ونعم الرأي رأيت! ففي افتتاحها عزك وعز أصحابك، وكبت عدوك وذل أهل الخلاف عليك »^(٥٤). وكانت مصر في نفس عمرو بن العاص لأنه هو الذي فتحها في سنة تسع عشرة من الهجرة في خلافة عمر فكان لعظمها في نفسه وجلالتها في صدره و ما قد عرفه من أموالها وسعة الدنيا لا يستعظم أن يجعلها ثمنا من دينه. ولذلك ساوم معاوية عليها فقد قيل « كتب

علي إلى عمرو، فأقرأه معاوية وقال: قد ترى (ما كتب إلي علي)، فيما أن ترضيني، وإما أن ألحق به، قال: ما تريد؟، قال: مصر، فجعلها له^(٥٥). وهكذا فان « عمرو بن العاص بايع معاوية على قتال علي بن ابي طالب عليه السلام وان له مصر طعمة مابقي »^(٥٦). وقد حاول عدد من الكتاب ان يفندوا هذا الاتفاق باعتباره لا يليق باصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؛ إلا أن العقاد قال فيه: «ولو اجتمعت التواريخ قاطبة على نقضه، ان الاتفاق بين الرجلين كان اتفاق مساومة ومعونة على الملك والولاية، وان المساومة بينهما كانت على النصيب الذي آل الى كل منهما. ولولاه ما كان بينهما اتفاق»^(٥٧).

ولما اضطرت مصر على محمد بن أبي بكر واشتدت الفتنة فيها كتب الى الامام علي يخبره بذلك ومما جاء في كتابه: «فإن كان لك في أرض مصر حاجة فامدني بالأموال والرجال» فلما قرأ الإمام كتاب محمد ساءه ذلك كثيراً وقال: «ما لمصر إلا أحد الرجلين صاحبنا الذي عزلناه عنها-يعني قيس بن سعد بن عبادة-أو مالك بن الحارث-يعني الأشر هذا فانتدب الإمام (عليه السلام) مالكا وولاه عليها»^(٥٨). وكتب اليهم يعرفهم به «فقد بعثت إليكم عبداً من عباد الله لا ينام أيام الخوف، ولا ينكل عن الأعداء ساعة الرّوع، أشدُّ على الفجّار من حريق النار، وهو مالك...»^(٥٩).

المبحث الأول صلاح الراعي

الصلاح لغة :

من المؤكد أن الصلاح هو الأساس الذي يقوم عليه بناء المجتمع السليم، وبغيره لا يمكن للحياة أن تستقيم؛ إذ لا يمكن للإنسان أن يعيش سعيداً في مجتمع يسوده الفساد، وتكمن أهمية الصلاح في كونه « جامعاً لكل خير، وله مراتب غير متناهية ومرتبة الكمال فيه مرتبة عليا ولذا طلبها الأنبياء^(٦٠)»^(٦١). ولذلك جاء تعريف الصلاح على أنه نقيض الفساد.

(صَلَحَ) «الصَّادُ وَاللَّامُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الْفَسَادِ. يُقَالُ: صَلَحَ الشَّيْءُ يَصْلُحُ صِلَاحًا»^(٦٢). وفي تعريف آخر «الصَّلَاحُ : ضِدُّ الْفَسَادِ»^(٦٣). وفي تعريف آخر أن الصَّلَاحَ يعني : «الاستقامة، و- السَّلامَة من العيب»^(٦٤).

الصلاح اصطلاحاً :

«هو سلوك طريق الهدى. وقيل هو استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل والشرع. والصلاح القائم بما عليه من حقوق العباد وحقوق الله تعالى»^(٦٥). وعرفه الالوسي قائلاً : «الصلاح هو عبارة عن الإتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي»^(٦٦).
الراعي : «الوالي.. وكل من ولي أمر قوم فهو راعيهم وهم رعيته»^(٦٧).

ان ما جاء في عهد الامام علي(عليه السلام) الى مالك الاشرع يعكس رؤية الامام علي(عليه السلام) في كيفية ادارة دفة الحكم، فالإمام(عليه السلام) يؤكد على أهمية البعد الشخصي، والصفات الشخصية التي يجب أن تتوفر في من يتصدى للقيادة والتي تلعب

دوراً أساسياً في نجاح القائد أو فشله، ولذلك جاء العهد شاملاً بكل ما يتعلق بمؤسسة الحكم مبتدئاً بتحديد مسؤولية الراعي ومبينا خطورة منصبه وما يتطلبه من خصائص لا بد أن يتحلّى بها من يتصدى لمسؤولية هذه الوظيفة، وأنَّ ضرورة هذه الخصائص تزداد كلما كان المنصب مهماً. ولذلك فإن الإمام علياً (عليه السلام) كان يختار الرجل المناسب للمكان المناسب، ولم يحدث أنه اختار من ولاته من لا يمتلك المؤهلات الذاتية للحكم التي تحفظ له توازنه في إدارة ما أوكل إليه من مهمة، كما جاء في قوله (عليه السلام) : «إذا قوي الوالي في عمله حرَّكته ولايته على حسب ما هو مركز في طبعه من الخير والشر»^(٦٨). وهذا ما كان يتمتع به مالك الاشر على حد وصف الامام علي (عليه السلام) قائلاً له : «أما بعد، فانك من استظهر به على إقامة الدين وأقمع به نخوة الأئيم، وأسدَّ به ثغر المخوف»^(٦٩). فوالاه مصر وقال له : «ليس لها غيرك، أخرج رحمك الله! فإني إن لم أوصك اكتفيت برأيك واستعن بالله على ما أهمك، فاخلط الشدة باللين، وارفق ما كان الرفق أبلغ، واعتزم بالشدة حين لا يغني عنك إلا الشدة»^(٧٠)، وحدد له مهام وظيفته في مصر «جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها»^(٧١).

وكان الإمام علي (عليه السلام) يرى ان عملية الإصلاح تكاملية بين الراعي والرعية «فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلَاحِ الْوَلَاةِ وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ»^(٧٢)، وصلاح الوالي يبدأ من إصلاح ذاته، وعلى من يريد ان يتولى ادارة غيره ان يبدأ بادارة نفسه كما جاء في قول الامام علي (عليه السلام) : «مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا فَعَلَيْهِ أَنْ يَبْدَأَ فَلْيَبْدَأَ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ وَ لِيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ»^(٧٣).

وبهذا الاتجاه جاءت وصاياه، وأوامره الى عماله والتي يهدف فيها الى اصلاح نفس (الراعي)، وقد تضمن عهده (عليه السلام) الى مالك الاشر توجيهات واضحة لبناء شخصية الوالي أمره فيها بأمور هي على ما يبدو اركان صلاح الراعي : «أمره بتقوى

الله وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه: من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها، وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه، فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره وإعزاز من أعزه. وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات ويزعها عند الجمحات، فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم الله»^(٧٤).

والإمام علي (عليه السلام) عندما يأمر بذلك انها يريد أن يُخضع (ذات نفس) ولاته الى عملية إصلاح شامل لأن النفس هي الميدان الأول للإصلاح، وبها يبدأ الإصلاح الحقيقي، فالذي يقدر على اصلاح نفسه يكون على غيرها أقدر، وفلاح العبد في الدنيا والآخرة مرتبط بصلاح نفسه فقد قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^(٧٥). وهكذا حدد الامام علي (عليه السلام) أسس صلاح الوالي: « أن يكون متقياً مطيعاً لله، متبعاً لأوامره، ناصر له تعالى، قامعاً شهوته عن الحرام، مانعاً نفسه عن المعاصي»^(٧٦). وسيتناولها البحث كما يأتي:

١- أن يكون متقياً مطيعاً لله تعالى :-

التقوى: «من الوقاية، وهي ما يحمي به الإنسان نفسه»^(٧٧). وقد وردت (التقوى) في القرآن الكريم بهذا اللفظ في خمس عشرة مرة كما وردت بصور بيانية أخرى في مواضع عدة^(٧٨). ولمفردة التقوى مساحة كبيرة في كلام الإمام علي (عليه السلام)، وتكاد لا تخلو منها خطبة من خطبه أو كتاب يوجهه الى عامل من عماله، ومما قاله في التقوى: «التَّقْوَى سِنْخُ الْإِيمَانِ»^(٧٩) أي اصله واساسه، وقال (عليه السلام): «إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ، وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ، وَعَتَقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَهٖ، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَاكَةٍ، بِهَا يَنْجُو الْهَارِبُ، وَتُنَجِّحُ الْمَطْلِبُ، وَتُنَالُ الرَّغَائِبُ»^(٨٠). وفي بيان علامات المتقين ماجاء في قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالتَّيْبِينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى

وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بَعَثَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٨١﴾. وفيما نقل عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: «كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: لأهل التقوى علامات يُعرفون بها: صدق الحديث، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد، وقلة الفخر والبخل، وصلوة الأرحام، ورحمة الضعفاء، وقلة المؤاتاة للنساء، وبذل المعروف، وحسن الخلق، وسعة الحلم، وأتباع العلم فيما يقرب إلى الله عزَّ وجلَّ»^(٨٢)، و التقوى كما فسرهما الامام الصادق (عليه السلام) «ان لا يفقدك الله حيث امرك، ولا يراك حيث نهاك»^(٨٣)، فالتقوى إذن: «قوة روحية تتولد من التمرين العملي الذي يحصل من الحذر المعقول من الذنوب»^(٨٤). فهي حالة في الانسان تنمو بالمتابعة الفكرية والتربية الروحية، ولذلك كان الأمام علي (عليه السلام) ينمي التقوى في المجتمع من خلال الخطب والرسائل ومتابعة تنفيذ ما يطرحه بنفسه ومن خلال جهاز رقابي واسع.

ولم تنزل التقوى دعوة جميع الأنبياء الى الأمم التي بعثوا اليها فكانت هدفا تسعى الرسالات السماوية الى تحقيقها في نفوس الناس كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيداً﴾^(٨٥). فالتقوى اذن «شريعة عامة لجميع الأمم لم يلحقها نسخ ولا تبديل، بل هي وصية الله في الأولين والآخرين»^(٨٦). والتقوى تنتهي بصاحبها الى الجنة كما يقول الإمام علي (عليه السلام): «أَلَا وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلِّ حُجَلٍ عَلَيْهَا أَهْلُهَا، وَأَعْطُوا أَرْزَمَتَهَا، فَأُورِدَتْهُمْ الْجَنَّةَ»^(٨٧). وبين (عليه السلام) أهمية التقوى في الحياة الدنيا وعاقبة المتقين في الآخرة فقال: «فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحَرُزُ وَالْجَنَّةُ، وَفِي غَدِ الطَّرِيقُ إِلَى الْجَنَّةِ»^(٨٨).

ويخلص الطباطبائي في تفسيره للآية الكريمة: «لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»^(٨٩) إلى القول: «وأما تكرار التقوى ثلاث مرات، وتقييد المراتب الثلاث جميعاً به فهو لتأكيد الإشارة إلى وجوب مقارنة المراتب جميعاً للتقوى الواقعي من غير غرض آخر غير ديني، وقد مر في بعض المباحث: أن التقوى ليس مقاماً خاصاً دينياً بل هو حالة روحية تجامع جميع المقامات المعنوية أي لكل مقام معنوي تقوى خاص يختص به»^(٩٠).

وقرّن الإمام علي (عليه السلام) التقوى بالطاعة لله تعالى فقال: (وإيثار طاعته) على أن تؤثر هذه الطاعة عمّا سواها، فمن وصيته لأحد عماله: «واعمل بطاعة الله فيما ولاك منها»^(٩١)، كما اعتبر أن طاعة الله وطاعة الإمام من فعل المتقين؛ فقد كتب إلى سعد بن مسعود واليه على المدائن: «..وأطعت ربك، وأرضيت إمامك فِعْلُ الْمُبِرِّ النُّقِيِّ النَجِيبِ»^(٩٢).

٢- أن يكون متبعاً لأوامر الله تعالى:

«واتباع ما أمر به في كتابه: من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها»^(٩٣).

ولاشك أن امر الإمام علي (عليه السلام) لمالك ومن خلاله لكل الولاية باتباع فرائض الله تعالى، لكي تكون حياتهم امتداداً لتلك الفرائض، وتعبيراً عن عبوديتهم لله تعالى، وتطبيقاً لما في تلك الفرائض من مفاهيم الاستعانة بالله والثقة به. وهنا يرسم الإمام علي (عليه السلام) لولائه طريق العلاقة بالله تعالى، ليكون الوالي على صلة دائمة مع الله تعالى، فيتجنب الزلل، أو الإنحراف عن طريق الحق من خلال استشعاره المستمر بوجود الرقيب معه.

وقد بين رسول الله (صلى الله عليه وآله) أهمية إداء الفرائض: «قال إن الله تعالى يقول: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي حتى أحبه)»^(٩٤).

كما بين الإمام علي (عليه السلام) المقصود بالفرائض فقال: «أما ما فرضه الله سبحانه في كتابه فدعائم الإسلام، وهي خمس دعائم: وعلى هذه الفرائض الخمس بني الإسلام، فجعل سبحانه لكل فريضة من هذه الفرائض أربعة حدود لا يسع أحدا جهلها، أولها الصلاة ثم الزكاة ثم الصيام ثم الحج ثم الولاية، وهي خاتمها والجامعة لجميع الفرائض والسنن»^(٩٥). وقد اعتبر إداء الفرائض من أفضل العبادات فقال: «لا عبادة كأداء الفرائض»^(٩٦).

ومن كلام للإمام الحسن العسكري (عليه السلام) بين فيه ما أراد الله تعالى بفرض الفرائض يقول به: «إن الله بمنه ورحمته لما فرض عليكم الفرائض لم يفرض ذلك عليكم لحاجة منه إليكم بل برحمة منه لا إله إلا هو عليكم ليميز الخبيث من الطيب وليبتلي ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم لتسابقوا إلى رحمة الله ولتتفاضل منازلكم في جنته ففرض عليكم الحج والعمرة وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والولاية»^(٩٧). وأداء الراعي لفرائض الله هو بمثابة الإعداد المعنوي له.

وأهم الفرائض المقرّبة إلى الله تعالى، عدل الراعي في رعيته كما جاء في حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن أحب العباد إلى الله يوم القيامة وأدناهم إليه مجلساً إمام عادل»^(٩٨).

ومن المؤكد أن النموذج الأمثل بالعدل بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو الإمام علي (عليه السلام)، ويكفي أن نسوق مثلاً لأهمية العدل عند الإمام علي بن أبي طالب ما جاء في كلام ابن الأثير المؤرّخ المعروف في وصف عدالة الإمام (عليه السلام): «إن زهده

وعدله لا يمكن استقصاؤهما، وماذا يقول القائل في عدل خليفة يجد في مالٍ جاءه من أصفهان رغيفاً فيقسّمه أجزاءً كما قسّم المال، ويجعل على كل جزء جزءاً، ويساوي بين الناس في العطاء، ويأخذ كأحدهم»^(٩٩).

٣- أن يكون ناصرًا لله تعالى :

«وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه، فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره وإعزاز من أعزه»^(١٠٠). يؤكد الامام (عليه السلام) ان على الراعي ان ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه، فالقلب يحيا بذكر الله لقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(١٠١). واهمية القلب تكمن في كونه المتصرف في الانسان ومنه يكتسب الاستقامة او سواها فقد قال رسول الله (صلى الله عليه واله): «أَلَا إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»^(١٠٢). وقد تعهد الله تعالى نصر من نصره في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(١٠٣)، وهذا وعد من الله تعالى والله لا يخلف وعده. وقد بين الله تعالى صفات من يستحقون النصر فقال: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ* الَّذِينَ إِذْ مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^(١٠٤). وفي نصر الله تعالى صلاح الراعي كما جاء في قول الراغب: «والنصر من الله معونة الأنبياء والأولياء وصالحي العباد بما يؤدي إلى صلاحهم عاجلاً أو آجلاً وذلك تارة يكون من خارج بمن يقيضه الله فيعينه وتارة من داخل بأن يقوي قلب الأنبياء أو الأولياء أو يلقي الرعب في قلوب الأعداء»^(١٠٥).

٤ - أن يكون قامعاً شهوته عن الحرام :

« وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات ويزعها عند الجمحات، فإن النفس أمانة بالسوء إلا ما رحم الله »^(١٠٦).

يعد اجتناب محارم الله تعالى ركناً من اركان العقل، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): « اجْتَنِبْ مَحَارِمَ اللَّهِ وَأَدِّ فَرَائِضَ اللَّهِ تَكُنْ عَاقِلاً »^(١٠٧)، و كان الإمام علياً (عليه السلام) حريصاً على تربية أتباعه على الكف عن المحارم، فمن وصية له لابنه الحسن (عليهما السلام): «..ولا ورع كالكف عن محارم الله »^(١٠٨).

«وشح بنفسك عما لا يحل لك»، الإنسان مجبول على حب الشهوات ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾^(١٠٩). ولكن الإمام علي (عليه السلام) يريد من عامله ان يكون ضنيناً بنفسه لا يعطيها لمفاتيح الدنيا بلا حساب ولا حدود وذلك بترويضها والتضييق عليها فيما تحب من الحلال حتى يتمكن منها وتنقاد اليه فيما ينهاها عن الحرام. وقد رسم الامام علي (عليه السلام) منهجا لترويض النفس فقال: « وَأَيْمُ اللَّهِ يَمِيناً أَسْتَشِينِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهْشُ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُوماً، وَتَقْنَعُ بِالْمَلْحِ مَأْدُوماً وَلَا دَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ، نَضَبَ مَعِينُهَا، مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا »^(١١٠).

ان من اصعب ما يُبتلى الانسان به هو ابتلاؤه بنفسه ويتحدد مستقبل الانسان في ديناه او في الاخرة على مدى نجاحه في هذا الامتحان. فقد قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(١١١). وقد اعتبر النبي (صلى الله عليه واله) منازعة النفس هواها هو الجهاد الأكبر فقد روي عن علي بن ابي طالب (عليه السلام): « أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعث سرية، فلما رجعوا، قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد

الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ فقال: جهاد النفس، ثم قال (صلى الله عليه وآله): (افضل الجهاد من جاهد نفسه بين جنبيه)»^(١١٢)، وفي حديث للإمام علي (عليه السلام) يقول: «أشجع الناس من غلب هواه»^(١١٣)، ويرى (عليه السلام): «ان صلاح النفس مجاهدة الهوى»^(١١٤)، ويحذر من شهوات النفس ويعتبرها مفتاحاً لمعصية الله تعالى فيقول: «مَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ شَيْءٍ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ. فَرَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ، وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ، فَإِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ مَنْرِعًا، وَإِنَّهَا لَا تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوَى»^(١١٥). وكسر النفس عن الشهوات هي دعوة الى التعفف « إذ من المستحيل أن يكون عفيفاً متى استرسل مع شهواته »^(١١٦)، ويعرف ضبط النفس ومنعها من الاسترسال وراء رغباتها عند فلاسفة الأخلاق بـ(الاعتدال)، وعرف ارسطو الاعتدال بأنه: «الوسط القيم في كل مايتعلق بالذات»^(١١٧)، في حين ان عدم الاعتدال يعني: «افراطاً في اللذات وأنه مذموم»^(١١٨).

ويرى الإمام علي في التقوى ترويضاً للنفس على كبح الشهوات والوصول الى ضفة الأمان؛ فتحدث عن نفسه قائلاً: «وإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ أَمْنَةً يَوْمَ الخَوْفِ الأَكْبَرِ، وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ المَزَلِّقِ»^(١١٩)

٥- أن يكون مانعاً نفسه عن المعاصي :

«فليكن احب الذخائر اليك العمل الصالح». يؤكد الامام علي (عليه السلام) في صلاح الراعي على العمل الصالح ويوصي مالكا بان يكون احب ما يكتنزه في حياته، لان العمل الصالح إذا اجتمع مع الايمان في شخص نفذ حب ذلك الشخص الى قلوب الناس وحظي بالقبول في اوساط رعيته ان كان راعيا، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(١٢٠). وخير من جسد الايمان المقرون

بالعمل الصالح هو الامام علي (عليه السلام) ولذلك يذهب المفسرون الا ان هذه الاية قد نزلت بحقه^(١٢١).

وبين (عليه السلام) مقومات العمل الصالح للإنسان قائلاً:

«فاملِك هَوَاك». و في اللغة : «الهوى مقصوراً : هَوَى النَّفْسِ، وَإِذَا أَضْفَتَهُ إِلَيْكَ قَلْتَ هَوَايَ، وَالهَوَى : الْعِشْقُ يَكُونُ فِي مَدَاخِلِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالهَوِيُّ : الْمَهْوِيُّ، وَهَوَى النَّفْسِ : إِرَادَتَهَا وَالْجَمْعُ الْأَهْوَاءُ»^(١٢٢). وقال الراغب : «الهوى : ميل النفس إلى الشهوة، ويقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة وقيل : سمي بذلك ؛ لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية وفي الآخرة إلى الهاوية، والهوى : سقوط من علو إلى سفل»^(١٢٣).

في الاصطلاح : الهوى «ميلان النفس إلى ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشر»^(١٢٤). أما المراد باتباع الهوى في الاصطلاح الشرعي « فهو السير وراء ما تهوى النفس وتشتهي أو النزول على حكم العاطفة من غير تحكيم العقل أو الرجوع إلى شرع أو تقدير لعاقبة»^(١٢٥).

والهوى واحد من أهم نوازع الإنسان الداخلية التي تلعب دوراً كبيراً في إفساد حياة الإنسان فتكون حائلاً بينه وبين الهداية. ولا يعني نهى الإسلام الانسان عن اتباع الهوى أنه أراد حرمانه من التمتع بالملذات أو منعه من إشباع غرائزه ؛ ف «الناس أبناء الدنيا ولا يلام الرجل على حب أمه»^(١٢٦). وإنما أراد له ان يمتلك إرادته في التحكم برغباته وميوله حتى يستطيع توجيهها في الطريق السليم، دون أن يطلق لها العنان فتصبح مدمرة بدل أن تكون نافعة له وللجميع، وقد أشار الله تعالى لما يترتب على اتباع الهوى فقال : ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ..﴾^(١٢٧). وتحكم الإنسان في هواه يؤكد لديه صفة الإنسانية لأن الذي يملكه هواه لا يختلف عن الحيوان لقوله تعالى : ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ

يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿١٢٨﴾. فالهوى حجاب بين المرء والواقع ومن يملكه هواه لا يرى الأمور الا بما يتناسب مع رغباته وان كان ذلك يخالف الواقع وبذلك فإنه يغيب عقل الانسان ويفسده بإبعاده عن الواقع. وقد بين الامام علي (عليه السلام) دور الهوى في تغييب العقل في مناسبات عدة فقال: «العقل صاحب جيش الرحمن، والهوى قائد جيش الشيطان، والنفس متجاذبة بينهما فايها غلب كانت في حيزه» (١٢٩) و «سبب فساد العقل الهوى» (١٣٠)، ويبين (عليه السلام) أثر الهوى على العقل فيقول: «لا عقل مع هوى» (١٣١).

فاتباع الراعي هواه يعني وجود والٍ يدير الأمور بغير عقل. ويربط الامام (عليه السلام) بين العدل وعوامل النفس كالهوى والعاطفة فيقول: «اما بعد فان الوالي اذا اختلف هواه منعه ذلك كثيراً من العدل فليكن امر الناس عندك في الحق سواءً فانه ليس في الجور عوض عن العدل فاجتنب ما تنكر امثاله» (١٣٢). وكان اكثر ما يخشاه الامام علي (عليه السلام) اتباع الانسان هواه فقد قال: «ان اخوف ما أخاف عليكم اثنان، اتباع الهوى وطول الامل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق» (١٣٣). واتباع الهوى يعمي البصيرة وهو واحد من المهلكات التي أشار اليها رسول الله (صلى الله عليه واله) بقوله: «ثلاث مهلكات: شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه» وقد أشار الله تعالى الى خطورة اهواء النفس بقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ (١٣٤).

مما تقدم فإن الإمام علياً (عليه السلام) أراد أن يربي ولاته على الفضيلة، وأن يعمل كل واحد منهم لخدمة رعيته، أن يكونوا أحراراً لا تستعبدهم الشهوات، ولا يتحكم فيهم الهوى، فينحرفوا عن جادة الحق، وأن يخلصوا العبادة لله وحده، مع أنه لم يطلب منهم ترك الدنيا، وانما أمرهم أن يأخذوها برفق، بالطريقة التي تجمعها بالآخرة. وقد ضرب لهم من

نفسه أنموذجاً، مع علمه ان أحداً لا يستطيع أن يبلغ مبلغه حتى وإن كان من أصحابه فقال يحثهم على الاقتداء به: «أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدْ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطَمْرِيهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصِيهِ. أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَلَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ، وَعِقَّةٍ وَسَدَادٍ فَوَاللَّهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تَبْرًا، وَلَا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفَرًّا، وَلَا أَعَدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِي طِمْرًا» (١٣٥).

المبحث الثاني إصلاح الرعية

الإصلاح لغة :

« إصلاح مشتق من الفعل أَصْلَحَ، صَلَحَ، صَلَحَ... والإصلاح نقيض الإفساد... وَأَصْلَحَ الشَّيْءَ بَعْدَ فُسَادِهِ أَقَامَهُ» (١٣٦) وَأَصْلَحَهُ : «ضِدَّ أَفْسَدَهُ، وَقَدْ أَصْلَحَ الشَّيْءَ بَعْدَ فُسَادِهِ» (١٣٧)، وفي معجم مقاييس اللغة: « اسْتَصْلَحَ الشَّيْءُ ضِدَّ اسْتَفْسَدَ» (١٣٨)، وجاء في مختار الصحاح: «أَصْلَحَ: أَعَادَ شَيْئًا إِلَى حَالِهِ حَسَنَةً وَأَزَالَ مَا فِيهِ مِنْ فُسَادٍ» (١٣٩). والإصلاح هو الإتيان بالصلاح كما قال صاحب المصباح المنير: «أَصْلَحَ: أَتَى بِالصَّلَاحِ وَهُوَ الْخَيْرُ وَالصَّوَابُ» (١٤٠).

يتبين في ما سبق ذكره من تعريفات (للإصلاح) أنه يعني من الناحية اللغوية إزالة الفساد.

الإصلاح اصطلاحاً :

يختلف معنى الإصلاح باختلاف مورد مادة (أَصْلَحَ) في القرآن الكريم؛ فقد ذَكَرَتْ التفسيرات تعريفات للإصلاح حسب المقام الذي ذُكِرَتْ فِيهِ، فورد بعدة معانٍ منها: محو التباغض بين المتخاصمين: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا

وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٤١﴾. وما يقابل الفساد: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٤٢﴾، و ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَابِطٌ لَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿١٤٣﴾ وما يقابل السيئة: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٤٤﴾، وتوفيق الله لعباده لعمل الصالحات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ ﴿١٤٥﴾، و ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ ﴿١٤٦﴾. كما عرفه صاحب مجالس التذكير بأنه: «ارجاع الشيء الى حالة اعتداله بإزالة ما طرأ عليه من فساد» ﴿١٤٧﴾، وفي روح المعاني: «انه الإستقامة على التوبة، ولعله مُندرجٌ على التوبة ومكمل لها» ﴿١٤٨﴾.

يتبين من التعريفات السابقة ان اللغويين عرفوا الإصلاح بنقيضه على قاعدة تعريف الشيء بضده كما في قول المتنبي:

« وَ نَذِيْمُهُمْ وَ بِهِمْ عَرَفْنَا فَضْلَهُ وَ بَضْدُهَا تَمَيِّزُ الْأَشْيَاءِ » ﴿١٤٩﴾

وفي الوقت الذي لا يحتاج فيه الإفساد الى كبير مجهود وكثرة في التفكير؛ فإن الإصلاح يتطلب جهدا كبيرا وتفكيراً عميقاً وإعداداً يعتمد على حجم الإصلاح المراد اجراءه. وبناء على ذلك فان سهولة الإفساد يقابلها صعوبة الإصلاح.

والصلاح والإصلاح يشتركان بإزالة الفساد وكلاهما يحقق للإنسان مرضاة الله تعالى، والصلاح يعني تحقيق الاستقامة في ذات الشخص، في حين ان الإصلاح يتعدى صلاح نفسه الى غيره إذ الهمزة فيه للتعدية إلى مفعول واحد، والأصل صَلَحَ اللازم. ويمكن القول: لا إصلاح بدون صلاح، وبدون العودة إلى الذات وبدون تغيير ما بالنفوس فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ ﴿١٥٠﴾.

الرعية :

تعريف الرعية لغة :

« اصل الرعي حفظ الحيوان اما بغذائه الحافظ لحياته، او بجذب العدو عنه، ثم جعل للحفظ والسياسة كما في قوله تعالى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾^(١٥١)، أي ما حافظوا عليها حق المحافظة^(١٥٢) والرعية : «العامه»^(١٥٣)، وفي المصباح المنير الرعية : « عامة الناس الذين عليهم، راع يدير امرهم ويرعى مصالحهم»^(١٥٤)، فالرعي يعني : « حفظ الغير لمصلحة»^(١٥٥).

ومن ذلك فإن الرعية « كل من شمله حفظ الراعي ونظره»^(١٥٦). فالناس راع وهو السائس ومرعي وهو المسوس.

و بعد ان تعرفنا على منهج الإمام علي (عليه السلام) في الوصول بـ(الراعي) إلى مستوى الصلاح، نعرّج على الطرف الثاني في العملية الإدارية وهم (الرعية)، فقد كان الإمام علي (عليه السلام) يسعى لبناء مجتمع متكامل يرتقي إلى مستويات متقدمة من الرفاهية والنزاهة والأمان بتطبيق الصيغة الإسلامية الصحيحة، وهو في اهتمامه بالرعية انما يستمد ذلك من رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث يضع الاهتمام بالناس بمستوى إداء الفرائض فيقول: « أمرني ربي بمدارة الناس كما أمرني بأداء الفرائض»^(١٥٧). وقد كان منهج الإمام علي (عليه السلام) في إصلاح الرعية يقوم على ثنائية (الواجبات والحقوق) أي تعريف رعيته بما عليهم من واجبات، وبيان ما لهم من حقوق على رعاتهم، ضمن دائرة الشرع، وفي اطار مصلحة الوطن والمواطن فيقول (عليه السلام): « ايها الناس ان لي عليكم حقا، ولكم عليّ حق، فأما حقكم علي النصيحة لكم وتوفير فيئكم وكفايتكم فليس من حق الحاكم ان ينام ليلته وفي وطنه معوز واحد، وعلي تعليمكم كي لا تجهلوا، أمّا حقي عليكم الطاعة حين أمركم والوفاء لي ولوطنكم»^(١٥٨).

ومن الجدير بالذكر في هذا الموقف، ان الإمام علياً (عليه السلام) قد سبق وبقرون عديدة الأمم التي ما فتئت تكيل الاتهام للإسلام وتصفه بالتخلف، والتي تبهرنا بحضارتها، فهي لم تكن تعي دور الرعية في الإصلاح، فعلى سبيل المثال لا الحصر يقول غوستاف لوبون (١٨٤١ م - ١٩٣١ م)^{١٥٩}، ان الجماعة (الرعية) لم تكن صاحبة الدور الفاعل في رسم الاحداث التاريخية « ولم يكن لرأي الجموع وزن يُذكر بل لم يكن له قيمة في الغالب »^(١٦٠)، ويعزو رسم الاحداث الى ما يدور بين ملوكها، ولكن مع تطور الزمن تبدل الامر؛ فصارت « الغلبة لصوت الجماعات فهو الذي يرسم للملوك خططهم »^(١٦١)، مما يشير الى فهم متأخر لدور الرعية في إحداث الإصلاح، في حين أن ماورد في عهد الامام علي (عليه السلام) يؤكد على أهمية دور الرعية في صناعة الاحداث، فأولاه اهتماماً، وقد كان منهجه عليه السلام في اصلاح الرعية يتوزع على محاور عدة، منها:

أولاً : علاقة الراعي بالرعية

وفي هذا الميدان فقد خصص الإمام علي (عليه السلام) الجزء الأكبر من عهده الى الأشر بما اشتمل عليه من أوامر ونصائح لرسم العلاقة بين الراعي والرعية بما يضمن إصلاح الرعية، ومنها.

١ - حسن التعامل :

تدرج الامام علي (عليه السلام) في صلاح الراعي مبتدئاً بترتيب علاقة الراعي بالله تعالى ثم علاقته بنفسه ليتتهي به الى ترتيب علاقته برعيته، والتعامل مع الرعية أمر في غاية الأهمية لأنه مهمة وواجب الراعي، وتكمن أهميته في ان الرعية تشمل جميع البشر ضمن حدود رعايته، وقد يكون منهم المسلم وغير المسلم، وكل من هؤلاء يحتاج معاملة حسب مقتضى الحال. ويأتي في مقدمة ما يجب ان يتحلى به الراعي هو حسن التعامل حيث

وصف الله تعالى رسوله الكريم (صلى الله عليه واله) في قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(١٦٢). وتأتي الرأفة والرحمة في مقدمة حسن التعامل حيث قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(١٦٣). كذلك كان الامام علي (عليه السلام) وهو ابن مدرسة رسول الله (صلى الله عليه وآله) يتعامل مع رعيته على أساس من الرحمة والاخوة؛ فاذا كانت الرعية تخشى ظلم حكامها فان الامام علي (عليه السلام) على غير ذلك، اذ كان هو من يخشى أن يظلم رعيته كما عبر عن ذلك في خطبته قائلاً: «وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ الْأُمَّةُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا وَأَصْبَحَتْ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي»^(١٦٤) وفي هذا الإطار كانت وصاياه لولاته وعماله؛ ففي عهده لمحمد بن ابي بكر حين ولاه مصر يوصيه: «فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ وَأَبْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وَأَسِرْ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظَرَةِ حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ وَلَا يَبْئَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ»^(١٦٥)، والامام علي (عليه السلام) وهو يستمد مفهوم السلطة من المفهوم القرآني والنبوي، نجده يدفع الكثير من توجيهاته ونصائحه في كيفية التعامل مع الرعية مؤكداً على أن: «حسن السياسة يستديم الرياسة»^(١٦٦)، وأن: «رأس السياسة استعمال الرفق»^(١٦٧)، وكما أن: «حسن السياسة قوام الرعية»^(١٦٨)؛ فإن: «من حسنت سياسته وجبت اطاعته»^(١٦٩).

ولم يقتصر بوصيته للملك الاشر «وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللفظ بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتتم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ»^(١٧٠). بالرحمة لأهل مصر فقط وانما أراد هذه الرحمة ان تفيض على الإنسانية جميعا منطلقاً (عليه السلام) من وحدة الخلق فهو خير من يعلم بما يريد الله تعالى في قوله: «

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(١٧١)، وما يعنيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين يقول: «يا أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى»^(١٧٢)، و«أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ»^(١٧٣). وبناءً على ذلك كان الناس من وجهة نظر الإمام علي (عليه السلام) صنفين: «إِمَّا أَخُ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الخَلْقِ»^(١٧٤)، ومن منظار المساواة ولكي يضمن التعايش بين الراعي ورعيته لم يكتف (عليه السلام)، من الراعي بأن يتصف بالرحمة والمحبة، وإنما أمره بالتجاوز عن الخطأ والزلل؛ فقد يخطأ الإنسان، والخطأ صفة ملازمة له على حد قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَاءٌ، وَخَيْرُ الخَطَائِينَ التَّوَّابُونَ»^(١٧٥)، فلا بد من الصفح عن المسيء، والعفو عن المخطئ، والتماس العذر لهم فإن: «أَعْرَفَ النَّاسِ بِاللَّهِ أَعَذَّرَهُمْ لِلنَّاسِ وَإِنْ لَمْ يَجِدْ لَهُمْ عُدْرًا»^(١٧٦) وفي مقابل ذلك فإن: «شر الناس من لا يقبل العذر ولا يقيّل الذنب»^(١٧٧)، وإن من النتائج المترتبة على الإحسان تسهيل مهمة الوالي كما جاء في قول الإمام علي (عليه السلام): «احسن الى المسيء تملكه»^(١٧٨). وهكذا فقد وضع (عليه السلام) أساساً رسم فيه طريقاً واضحة المعالم بعيدة عن اللبس في العلاقة بين الراعي والرعية.

٢- خيلاء السلطة:

ثم ينتهي (عليه السلام) الى ما يصيب الراعي من خيلاء الغرور جراء امتيازات السلطة فيأمره بان يتذكر سلطة الله تعالى وعظم ملكه وقدرته الواسعة. «وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة فانظر إلى عظم ملك الله فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإن ذلك يطامن إليك من طهاك، ويكف عنك من غربك، ويفى إليك بما عزب عنك من عقلك إياك ومساماة الله في عظمتة والتشبه به في

جبروته، فإن الله يذل كل جبار ويهين كل مختال»^(١٧٩).

ولعل أوضح صورة لعدالة السلطة هو التواضع وتعتبر السلطة من بين دواعي الغرور القوية لأنها تبعث في نفوس المتسلطين الزهو والغرور فيتيهون على الناس تكبراً واذلالاً، وأنجع علاج لهذه الظاهرة كما يراه الإمام علي (عليه السلام) هو العودة إلى الله تعالى والتفكير في عظمته كي يعرف الوالي قدر نفسه ويدرك ان ما يختال به من جاه منحتة إياه السلطة إنما هو نعمة من الله تعالى انعم به عليه.

ونجد من المفيد أن نقارن بين سلطة رسم معاملها الإمام علي (عليه السلام) مستمدة من القرآن الكريم وتعاليم الرسالة الإسلامية، وبين سلطة رسمت معاملها الفلاسفات الحديثة التي تستند إلى الواقع كما يقول أصحابها وكيفية تعاملها مع الجماهير (الرعية) ففي الوقت الذي يأمر فيه الإمام علي (عليه السلام) الأشر: «ولا تكونن عليهم سبعا ضارياً تغتنم أكلهم»^(١٨٠)؛ فإن ميكافيلي ينصح أميره أن «يتصرف كالحیوان فهو يقلد الثعلب والأسد»^(١٨١). كما ينصح بالتظاهر بالصفات الطيبة «أن يبدو رحيماً، وفياً حلو الصفات، صادقاً، متديناً»^(١٨٢) أمام من يراه ويسمعه ويؤكد ميكافيلي على التظاهر بالتدين فيقول: «وهذه الصفة الأخيرة ضرورية جداً لأن الناس يحكمون على ما يرونه بأعينهم وليس على ما يدركونه... وفي كافة أعمال البشر - وخاصة الأمراء - فإن الغاية تُبرر الوسيلة»^(١٨٣) حيث صور ميكافيلي سلطة الأمير بأنها منقطعة الصلة عن أي قواعد أخلاقية وأطلق مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة) ورأى أن السلطة دائماً قاسية وغاشمة وظالمة ومستغلة وأن هذا من حقها ولو لم تفعل ذلك لاستضعفتها الجماهير وسحقتها. ومن خلال هذه المقارنة يصير بالإمكان ان نحكم على اية سلطة وخاصة تلك التي توصف بالاسلامية على أي المنهجين تحكم.

٣- حلم الراعي :

ومن صلاح الراعي في تعامله مع الرعية أن لا يكون سريع الغضب شديد البطش بل أن يكون حليماً حكيماً ولذلك يأمر الإمام علي (عليه السلام) مالكاً قائلاً: «إملك حمية انفك، وسورة حدك، وسطوة يدك وغرب لسانك»^(١٨٤)؛ فالغضب الخارج عن سيطرة النفس يؤدي الى الهلكة وقد حذر من هذه النهاية فقال: «انكم ان اطعمتم سورة الغضب اوردمت نهاية العطب»^(١٨٥)، وعلى الانسان بشكل عام والراعي بصورة خاصة ان يتحرس مما يؤدي به الى الغضب وان يتجنب الانفعال ذلك «أَنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَأَنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ»^(١٨٦) والغضب يعني فقدان العقل لأن «من لم يملك غضبه لم يملك عقله»^(١٨٧). ولذلك فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ينصح من يغلبه الغضب أن يرجع الى الله تعالى فيقول: «فاذا غضبت فاقعد وتفكر في قدرة الرب على العباد وحلمه عنهم واذا قيل لك اتق الله فانبد غضبك وراجع حلمك»^(١٨٨). ولم يترك الامام علي (عليه السلام) أمر الغضب دون ان يضع له حلاً تتضمن علاجه، ومما وصّى به الامام علي (عليه السلام) قائلاً: «داووا الغضب بالصمت والشهوة بالعقل»^(١٨٩). واذا ما تناولنا الغضب من زاوية السلطة فان «أعظم الناس سلطاناً على نفسه من قمع غضبه وآفات شهوته»^(١٩٠). ومن زاوية القوة فان الانسان القوي ليس الذي يمتلك القوة الجسدية وانما يمتلك القوة في السيطرة على نفسه عند انفجار غضبه كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»^(١٩١).

ثانياً : علاقات الرعية مع بعضها (طبقات الرعية)

ورث الإمام علي (عليه السلام) تركة ثقيلة من خلافة عثمان التي وإن حاول المودودي ان يجمّلها لكنه وصفها بأنها سياسة «غير مريحة للناس»^(١٩٢)، وما أن بويغ (عليه السلام) بالخلافة حتى اعلن عن هدفه من قبولها قائلاً: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ وَلَا التَّمَّاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الخُطَامِ وَلَكِنْ لِنَرِدَ المَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ وَنُظْهِرَ الإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ فَيَأْمَنَ المَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ وَتُقَامَ المَعْتَلَّةُ مِنْ حُدُودِكَ»^(١٩٣)،

ومن المعالجات التي وضعها الإمام علي (عليه السلام) لتطبيق منهجه الإصلاحية أنه وضع هيكلًا صنّف فيه الرعية الى طبقات، وبين أهمية كل طبقة وكيفية التعامل معها بما يصلحها؛ فقد جاء في عهده لمالك الأشر «واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض. فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الانصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة»^(١٩٤)، ان هذا التقسيم لايعني تمييز طبقة على حساب طبقة، فالطبقات في كلام الامام علي بمعنى «فئات اجتماعية، ولم تكن في ذلك الحين قد تضمنت معناها الذي تعنيه الآن»^(١٩٥). وإنما هو تقسيم لغرض التعامل مع كل طبقة بما يناسبها، ويتفق مع حاجتها للإصلاح، لأن ما يصلح لطبقة قد لا يصلح للآخرى، ولم يكن ترتيب الطبقات الذي ورد في عهد الامام علي لمالك الأشر على أساس قيمتها الاجتماعية، وإنما كان على أساس أهمية الخدمة التي تقدمها للمجتمع.

وفي دراسته لموضوع الطبقات في عهد الإمام علي (عليه السلام) يقسم محمد مهدي

شمس الدين الطبقات الى مجموعتين :

المجموعة الأولى :

طبقات افترض الإمام علي (عليه السلام) وجودها وتحدث عنها كأهل الخراج والتجار والصناع والمعدمين.

١- أهل الخراج :

كان الامام علي (عليه السلام) يحمل عماله على ممارسة الحكم الذي يقوم من اجل الرعاية. فيتحدث عن أهمية اهل الخراج والمراد بهم (الزُّرَّاع) ذلك لأن الخراج هو ضريبة الأرض ومصدر التمويل الرئيس إن لم يكن المصدر الوحيد الذي يُمول احتياجات الدولة المالية سواءً كانت رواتب الجند أم إعانة أصحاب الحاجة من بقية المجتمع^(١٩٦).

وكان اقتصاد مصر آنذاك يقوم على القطاع الزراعي مما يعني ان ازدهار النشاط الاقتصادي يتوقف على طبقة (اهل الخراج) ولذلك يؤكد الامام علي (عليه السلام) على الاهتمام بالخراج بما يصلح اهله فيقول لملك: «وَتَفَقَّدَ أَمْرَ الْخُرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحًا لِمَنْ سِوَاهُمْ وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخُرَاجِ وَأَهْلِهِ»^(١٩٧). ان سياسة الامام علي (عليه السلام) في الخراج تهدف الى اصلاح الزراعه بالشكل الذي يقود الى اصلاح طبقات المجتمع الأخرى.

وكان عليه السلام يكتب الى امراء الأجناد فيقول: «انشدكم الله في فلاحى الارض ان يظلموا قبلكم»^(١٩٨) فإصلاح اهل الخراج (الزراع) يعتمد على مقدار ما يؤخذ منهم كخراج، وبالتالي فإن صلاح الرعية يعتمد على صلاح اهل الخراج لأن «النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخُرَاجِ وَأَهْلِهِ»^(١٩٩).

حتى جباية الخراج كان الامام علي (عليه السلام) يراعي فيها صلاح الرعية فيؤكد

على جباة الخراج قائلًا: «إذا قدمت عليهم فلا تبيعن لهم كسوة شتاء ولا صيفا، ولا رزقا يأكلونه، ولا دابة يعملون عليها، ولا تضربن أحدا منهم سوطا واحدا في درهم، ولا تقمه على رجله في طلب درهم، ولا تبع لأحد منهم عرضا في شيء من الخراج، فإنما إننا أمرنا أن نأخذ منهم العفو»^(٢٠٠). ولم يكتف (عليه السلام) بالوصية وإنما يتبعها بتذكير الجباة بمخافة الله، ثم يهددهم بالعزل إن لم ينفذوا ما أمرهم به «فَإِنْ أَنْتَ خَالَفْتَ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ يَأْخُذُكَ اللَّهُ بِدُونِي، وَإِنْ بَلَغَنِي عَنْكَ خِلَافَ ذَلِكَ عَزَلْتُكَ...»^(٢٠١).

٢- التجار والصناع:

ثم ينتقل (عليه السلام) الى فئة التجار وهي طبقة مهمة من طبقات المجتمع لها اثرها الكبير على المجتمع كله، واي اضطراب يصيب هذه الطبقة ينعكس على استقرار المجتمع، لأنها هي التي تتحكم بتوفير السلع وحركتها بين الناس، فإذا ماصلحت هذه الطبقة صلحت أحوال الرعية، ويكمل عمل التجار طبقة الصناع فالتجارة والصناعة على علاقة مهمة ببعضها وفي صلاحها يترفع المجتمع، ولأهمية هاتين الطبقتين يوصي بهما (عليه السلام) فيقول للملك: «ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات، وأوص بهم خيرا»^(٢٠٢). والإمام علي (عليه السلام) يقسم التجار الى قسمين تاجر مقيم في بلده، وآخر متنقل بين البلدان، ومع انه (عليه السلام) يصفهم بقوله: «سلم لا تخاف بائقتة، وصلح لا تخشى غائلته»^(٢٠٣)؛ لكنه يُحذّر من خطر هذه الفئة فيما لو أصابها الإنحراف، لأن انحرافها يؤدي إلى اضطراب أمر الرعية سواءً التحكم بعرض السلعة واحتكارها، أو التلاعب بأسعار السلع، أو التلاعب بالموازين والمكاييل فيقول: «واعلم مع ذلك أن في كثير منهم ضيقا فاحشا، وشحا قبيحا، واحتكارا للمنافع، وتحكما في البياعات، وذلك باب مضرّة للعامة، وعيب على الولاية»^(٢٠٤)؛ فيوجهه الى كيفية التعامل مع هذا الانحراف كي تصلح الأمور قائلًا: «فَأَمْنَعُ مِنَ الْإِحْتِكَارِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وآله وسلم مَنَعَ مِنْهُ وَلِيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعاً سَمِحاً بِمَوَازِينِ عَدْلٍ وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ»^(٢٠٥). ويأمره بمحاسبة من يخالف ذلك فيقول: «فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَنَكَّلْ بِهِ وَعَاقِبْهُ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ»^(٢٠٦). هكذا كان الإمام علي (عليه السلام) يتعامل مع عناصر اقتصاد الأمة، ويهيئ كل السبل التي تجعل هذه العناصر في خدمة الرعية.

٣- الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكِنَةِ

حظيت هذه الطبقة باهتمام الإمام علي (عليه السلام) أكثر من غيرها من طبقات المجتمع الأخرى، لأنها تشكل القسم الأكبر من الرعية، لا في عهد الإمام علي فحسب وإنما في كل زمان ومكان. وكانت وصيته للأشتر: «اللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى»^(٢٠٧)، وقد وَصَفَ من يقع تحت عنوان هذه الطبقة بـ«الذين لا حيلة لهم»^(٢٠٨)، وعَرَّفَهُم قائلاً: «مِنْ الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسِ وَالزَّمْنِ ؛ فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً وَمُعْتَرّاً»^(٢٠٩)، ويؤكد الإمام علي (عليه السلام) على الولاية مباشرة هذه الطبقة بأنفسهم، وعلى الوالي ان يتولى بنفسه تنفيذ ما يترتب لها من حقوق في مختلف المجالات، فعلى المستوى المعاشي بين مصادر تخصيصاتهم المالية «وَأَجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكَ، وَقِسْماً مِنْ غَلَاتِ صَوَافِي الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ»^(٢١٠)، ولم يكتفِ بالجانب الاقتصادي وإنما اهتم بالجانب المعنوي فقد أَمَرَ واليه أن يخصص جزءاً من وقته يتفرغ فيه لهم شخصياً للإلتقاء بهم والجلوس معهم مذكراً إياه ان مايقوم به هو من باب التواضع لله «وَأَجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّذِي خَلَقَكَ»^(٢١١).

لاشك أن معاملة الإمام علي (عليه السلام) لهذه الطبقة بهذه المعاملة يُعَدُّ بمثابة إصلاح لها. فقد جنبها الكفر لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله): «كاد الفقر ان يكون كفراً»^(٢١٢)، وعندما يكون الفقر «أشدَّ من القتل»^(٢١٣)، وأن «القبر خير من الفقر»^(٢١٤)،

فانه يتحول الى عامل يؤدي الى الانحراف، وقد شَخَّصَ الإمام علي (عليه السلام) ما ينتج عن الفقر من خصال فقال: «من ابتلي بالفقر فقد ابتلي بأربع خصال بالضعف في يقينه والنقصان في عقله والدقة في دينه وقلة الحياء في وجهه فنعوذ بالله من الفقر»^(٢١٥)، وان من يحمل هذه الصفات لا يكون بمقدوره ان «يكون فاضلاً، وان من اللغو ان يوعظ بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب وان انسانا كهذا ينقلب كافرا بالقيم والفضائل. وان معدته الخاوية وجسده المعذب ومجتمعه الكافر بانسانيته المنتكر له وشعوره بالاستغلال وميسم الضعة الذي يلاحقه انى كان، هذه كلها تجعله لصا وسفاحا وعدوا للانسانية التي لم تعترف له بحقه في الحياة الكريمة»^(٢١٦). وعلى ضوء ما تقدم علينا أن نتصور مجتمعاً تتصاعد فيه نسب الفقر كم سيكون مستوى الانحراف فيه.

المجموعة الثانية :

طبقات لم يفترض وجودها، إنما تكلم (عليه السلام) في كيفية انشائها وتكوينها، وهي : الجند، وكتّاب العامة والخاصة، وقضاة العدل، وعمال الإنصاف والرفق. وهذه المجموعة هي التي تدير المجتمع وتشرف على تصريف شؤونه وبالتالي يتعلق بها مصير المجتمع، ولكونها إرثاً من الحكم السابق، فهي تعاني من الفساد لذلك اولها الإمام علي (عليه السلام) اهتماماً لإعادة بنائها من جديد.^(٢١٧) ولذلك وضع الإمام علي (عليه السلام) منهاجاً متكاملًا في تغيير بنية كل طبقة منها.

١- الجنود :

ولأهمية دور الجند في حماية أمن البلاد في الداخل والخارج « فالجنود بإذن الله حصون الرعية، وزين الولاية، وعز الدين، وسبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلا بهم »^(٢١٨)، فقد أعاد الإمام بناء المؤسسة العسكرية مؤكداً على أهمية الولاء لله تعالى ورسوله والإمام كما جاء في أمره لمالك: « فولّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك »^(٢١٩)، وينتقل الى المؤهلات الشخصية للجندي والتي تنعكس آثارها على الرعية فيختار: « أنقاهم جيئاً، وأفضلهم حلماً، ممن يبطئ عن الغضب، ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضعفاء وينبو على الأقوياء. وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف »^(٢٢٠). ثم يضع معايير تركيته في تربيته ونشأته: « ثم الصق بذوي الأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة »^(٢٢١). وبعد ان يطمئن (عليه السلام) الى صلاح الجندي بما يحقق مصلحة الرعية، يضع المواصفات التي تتطلبها الجندية، حيث يرى الإمام علي (عليه السلام) ان الجندي يجب أن يكون من « أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة، فإنهم جماع من الكرم، وشعب من العرف »^(٢٢٢).

٢- كتاب العامة والخاصة :

وهم الموظفون في جهاز الدولة الذين يتولون كتابة ما يصدر عن الولاية من توجيهات وأوامر، وقرارات تتعلق بأمور الدولة والرعية، ولأهمية هذه الفئة في كونها حلقة الوصل بين الراعي والرعية فقد أولاهها (عليه السلام) أهمية أكد فيها على اختيار الأصلح « ثم انظر في حال كتابك فول على أمورك خيرهم، واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائذك وأسرارك بأجمعهم لوجود صالح الأخلاق »^(٢٢٣). وإصلاح هذه الفئة يقوم على: الإختيار السليم ممن يُشَهد له بالتجربة، وتكنُّ له الرعية احتراماً وله أثر في الامة حسن « ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك، فإن الرجال يتعرفون

لفراسات الولاية بتصنعهم وحسن خدمتهم، وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شئ. ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك، فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثراً، وأعرفهم بالأمانة وجهاً»^(٢٢٤)، أي ان اختيارهم يجب ان لا يخضع للرغبات الشخصية، وهنا يؤكد الإمام علي (عليه السلام) على مبدأ الرجل المناسب في المكان المناسب، وبذلك يكون قد اجتث أهم أدوات الفساد الإداري والاجتماعي المتمثلة بالمحسوبية والوساطة، لإقامة مجتمع صالح خال من واقع الفساد الإداري، الذي تعاني منه المجتمعات بسبب سوء إدارة التوظيف.

٣- طبقة القضاة :

فإن الإمام علياً (عليه السلام) عندما يتحدث عنها، إنما يتحدث بصفته اقضى المسلمين لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله) مخاطباً أصحابه: «أفضاكم علي»^(٢٢٥)، وفي قول آخر «أقضى أمتي علي»^(٢٢٦). و«عن عمر: أفضانا علي»^(٢٢٧) وفي كلام للإمام الباقر (عليه السلام) يصف قضاء الإمام علي (عليه السلام): «ليس أحد يقضي بقضاء يصيب في الحق الا مفتاحه قضاء علي». وفي اختياره للقضاة يؤكد (عليه السلام) على المزايا الخلقية الكريمة التي يجب أن يتحلّى بها القاضي فيأمر مالك الأشر قائلاً: «ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم، ولا يتهادى في الزلة، ولا يحصر من الفئ إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشبهات، وأخذهم بالحجج، وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصرمهم عند اتضاح الحكم. ممن لا يزهيه إطراء ولا يستميله إغراء وأولئك قليل»^(٢٢٨). ولم يكتف الإمام (عليه السلام) بخلق القاضي بل أراد أن يحمي حُسن سير القضاء وضمان حقوق الخصوم وهم من الرعية، وعدم الإضرار بهم من خلال نزاهة القاضي بحمايته من نفسه والتي قد

تدفعه إلى التعسف باستعمال سلطته؛ فوضع له امتيازات و حقوقاً تجنّب ذلك فيقول (عليه السلام): «ثم أكثر تعاهد قضائه، و افسح له في البذل ما يزيل علتة و تقل معه حاجته إلى الناس، و أعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك. فانظر في ذلك نظراً بليغاً»^(٢٢٩). ثم يعود الإمام علي (عليه السلام) ليذكر بالإنحراف الذي أصاب مسيرة الأمة الإسلامية في عهد من سبقه مما اوجب الإصلاح فيقول في إشارة إلى قضاة عثمان و وولاته حيث كانوا لا يقضون بالحق بل يتحكم فيهم الهوى: «فإن هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار يُعمل فيه بالهوى، و تُطلب به الدنيا»^(٢٣٠). فإصلاح القضاء هو الطريق لإصلاح البلاد من الفساد.

٤- طبقة الولاة :

فما أن تسلم زمام الأمور حتى بادر إلى إعفاء ولاة عثمان على أقاليم الدولة، حتى انه رفض إقتراح إبقاء معاوية على الشام إلى أن يستقر له الحكم ثم ينحيه فيما بعد و كان سبب التغيير هو سوء سيرة ولاة عثمان لأنه عينهم بغير وجه حق. فكانوا فيما ارتكبه من ظلم للرعية و عدم درايتهم بالسياسة و اصول الحكم، من بين اهم أسباب ثورة الامصار عليه التي انتهت بمقتله، الأمر الذي دعا الإمام علياً (عليه السلام) أن يبدأ مشروعه الإصلاحية بتغييرهم، معللاً ذلك بقوله: «...وَلَكِنِّي أَسَى أَنْ يَلِيَ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ سُفَهَاؤُهَا وَفُجَارُهَا، فَيَتَّخِذُوا مَالَ اللَّهِ دُولًا، وَعِبَادَهُ حَوْلًا، وَالصَّالِحِينَ حَرْبًا، وَالْفَاسِقِينَ حِزْبًا؛ فَإِنَّ مِنْهُمْ الَّذِي قَدْ شَرِبَ فِيكُمْ الْحَرَامَ، وَجَلَدَ حَدًّا فِي الْإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسَلِّمْ حَتَّى رُضِخَتْ لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ الرَّضَائِخُ»^(٢٣١). حتى ابن تيمية لم يستطع ان يخفي مثالب خلافة عثمان و خاصة في تقريبه لعشيرته فيقول: «ونحن لا ننكر أن عثمان -رضي الله عنه- كان يجب بني أمية، و كان يواليهم و يعطيهم أموالاً كثيرة»^(٢٣٢)

وكان منهج الإمام علي (عليه السلام) في عملية تغيير الولاة كما جاء في عهده لمالك

الاشتر: « استعملهم اختباراً ثم تفقد أعمالهم وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم »^(٢٣٣)، وكان (عليه السلام) شديداً في محاسبتهم، فقد كتب الى زياد بن ابيه: « وإني أقسم بالله قسماً صادقاً، لئن بلغني أنك خنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً، لأشدنّ عليك شدة تدعك قليل الوفرة، ثقيل الظهر، ضئيل الأمر »^(٢٣٤). وقد بين الإمام علي (عليه السلام) اثر الوالي على إصلاح الرعية في قوله: « وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج، والدماء، والمغانم، والاحكام وإمامة المسلمين البخيل، فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلمهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوما دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الامة »^(٢٣٥). وكان (عليه السلام) يرى أنه « لا يقيم أمر الله سبحانه إلا من لا يصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع »^(٢٣٦). ولم يقف عند الاختبار بل كان (عليه السلام) يُمعن في مراقبة ولاته ففي كتابه إلى مالك بن كعب: « اخرج في طائفة من أصحابك حتى تمر بأرض كورة السواد »^(٢٣٧)، فتسأل عن عمالي، وتنظر في سيرتهم فيما بين دجلة والعذيب^(٢٣٨)، ثم ارجع إلى البهقباذات^(٢٣٩) فتولّ معونتها، واعمل بطاعة الله فيما ولاك منها. واعلم أن كل عمل ابن آدم محفوظ عليه مجزي به، فاصنع خيراً صنع الله بنا وبك خيراً، وأعلمني الصدق فيما صنعت. والسلام »^(٢٤٠).

الخاتمة

تعد العلاقة السليمة بين الراعي والرعية، القائمة على معيار القرب من الله سبحانه وتعالى، من افضل أساليب الإدارة التي ترتقي بالامة الى افضل مستويات الحياة. وان معيار الامام علي (عليه السلام) في هذا المجال كانت قائمة على ثنائية الراعي والرعية فليست تصلح الرعية الا بصلاح الولاة، ولا تصلح الولاة الا باستقامة الرعية. ولذا اكد الامام علي (عليه السلام) في عهده لملك الاشر على اختيار الراعي ممن تتحقق فيه الموالاة والإخلاص، ووضع له برنامجاً لتقويم شخصه أساسه التقوى ورضا الله، ثم بين له ما يتوجب عليه القيام به لتستقيم له الرعية، مُعزِزاً ذلك برقابة دائمة تضمن سلامة التنفيذ، وتصحح المسار في الوقت المناسب، ثم العقوبة لمن يتهادى في الخطأ، والعزل عن الوظيفة. وفيما يتعلق بالرعية فإنه (عليه السلام) يؤكد على (استقامة الرعية)، وتتحقق هذه الاستقامة من خلال تثقيف يرتكز على بيان ما للرعية من حقوق على الدولة، وما عليها من واجبات. ولا يتحقق الإصلاح برفع الشعارات وإنما أساس نجاح عملية الإصلاح هو أن يمتلك (الرعاة) روح المبادرة والتصدي، وأن يقرن القول بالفعل.

وما احوجنا اليوم ونحن نعاني من أزمات في مختلف الميادين ولاسيما الاجتماعية الناجمة عن الخلل الإداري ان نرجع الى فكر الامام علي (عليه السلام) وان نتبناه عملاً قبل القول كي نستطيع ان نعيد الأمور الى نصابها. وفي عهد الامام (عليه السلام) لملك ما يكفي لتحقيق ذلك.

الهوامش

١. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠ هـ)، الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، ١٩٥٧م، ٦-٢١٣؛ ابن حجر، احمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ) الإصابة في تمييز الصحابة، بيروت-المكتبة العصرية، ط ١-١٤٣٣هـ، رقم ٧٦٦٠، ص ١٣١٢؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ) سير اعلاء النبلاء، تحقيق: شعيب الارنؤوط، بيرة- مؤسسة الرسالة، ط ٢-١٩٨٢م، ٤-٣٤.

٢. القمي، عباس (ت ١٣٥٩ هـ) سفينة البحار، قم- دار الاسوة، ط ٢-١٤١٦هـ، ٤-٣٨٨؛ ابن شهر اشوب، أبو جعفر محمد بن علي (ت ٥٨٨ هـ) مناقب آل أبي طالب، تحقيق: يوسف البقاعي، بيروت- دار الأضواء، ط ٢-١٤١٢هـ، ١-٢٩١؛ ابن ابي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦ هـ) شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت- دار احياء الكتب العربية، ط ٢-١٩٦٥م، ١٥-٩٨؛ العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر (ت ٧٢٦ هـ) خلاصة الاقوال، تحقيق: جواد القيومي، قم- نشر الفقاهة، ط ٤-١٤٣١هـ، ص ٢٧٧.

٣. سير اعلام النبلاء ٤-٣٤

٤. النخع: وهي قبيلة يمانية من أكبر بطون بني مذحج، وكانت تسكن في وادي بيشة في اليمن، وقد دخلت في الإسلام ونبغ منها صحابة كبار، وكان أبرزهم مالك بن الحارث الأشتر. علي الكوراني سلسلة القبائل العربية، ج ١٠.

٥. الأمين، محسن، اعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، بيروت- دار التعارف، ١٩٨٣م، ٩-٤١.

٦. اعيان الشيعة ١-٤٩.

٧. شرح النهج ١٥-٩٩؛ سفينة البحار ٤-٣٧٩.

٨. سفينة البحار ٤-٣٨٤.
٩. الشتر: انشقاق جفن العين وبه سمي الاشر النخعي. ابن دريد، الاشتقاق ص ٢٩٧.
١٠. الواقدي، عمر بن واقد (ت ٢٠٧هـ) فتوح الشام، تصحيح: عبد اللطيف عبد الرحمن، بيروت- دار الكتب العلمية، ط ١- ١٩٩٧م، ١-٢١٥؛ الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) تاريخ الطبري، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر- دار المعارف، ط ٢، ٣-٧٤.
١١. المنقري، نصر بن مزاحم (ت ٢١٢هـ) وقعة صفين، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت- دار الجليل، ١٩٩٠م، ص ٤٨٤.
١٢. البحراني، السيد هاشم (ت ١١٠٩هـ)، بغية المرام وحجة الخصام، تحقيق: علي عاشور، بيروت- مؤسسة التاريخ العربي، ط ١- ٢٠٠١م، ٤-٣١٨؛ العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة الامام علي، المركز الإسلامي للدراسات، ط ١- ٢٠٠٩م، ٢١-٢٦.
١٣. سفينة البحار ٤-٣٧٩.
١٤. الاميني، عبد الحسين احمد، الغدير في الكتاب والسنة والادب، بيروت- الاعلامي، ط ١- ١٩٩٤م، ٩-٦٠.
١٥. شرح النهج ٦-١٢٤.
١٦. البلاذري، احمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ)، انساب الاشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، بيروت، دار الفكر، ط ١- ١٩٩٦م، ٦-٢٤٢٠..
١٧. م.ن.
١٨. تاريخ الطبري ٤-٣٤٩.
١٩. طبقات بن سعد ٣-٢٧٣؛
٢٠. الصالح، صبحي، نهج البلاغة، القاهرة- دار الكتاب المصري، ط ٤- ٢٠٠٤م،

ص ١٣٦.

٢١. العسكري، مرتضى، معالم امدرستين، القاهرة- مكتبة مدبولي، ط ٥- ١٩٩٣ م،

١-١٤٢؛ المتقي الهندي، علاء الدين علي (ت ٩٧٥هـ) كنز العمال، تصحيح: صفوة

السقا، بيروت- مؤسسة الرسالة، ط ٥- ١٩٨٥، ح ٢٤٧١، ٣-١٦١.

٢٢. يُنظر: تاريخ الطبري ٤-٤٢٨.

٢٣. الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ) الاخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم

عامر، القاهرة- دار احياء الكتاب العربي، ط ١- ١٩٦٠ م، ص ١٤٣.

٢٤. المفيد، أبو عبد الله محمد بن احمد (ت ٤١٣هـ) الجمل، ط ١- ١٤٠٣هـ، ص ١٣٥

٢٥. يُنظر: المنقري، نصر بن مزاحم (ت ٢١٢هـ) وقعة صفين، تحقيق: عبد السلام

هارون، بيروت- دار الجيل، ١٩٩٠ م، ص ٤٩٢.

٢٦. شرح النهج ١٥-٩٨.

٢٧. القلزم بالضم ثم السكون ثم زاي مضمومة وميم مدينة على ساحل بحر اليمن من

جهة مصر ينسب البحر إليها. وفي هذا البحر بقرب القلزم غرق فرعون، وبينها وبين

مصر ثلاثة أيام (المراصد)

٢٨. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت ٤١٣هـ) الامالي، دار التيار الجديد،

١-٨٢.

٢٩. امالي المفيد ١-٨٣.

٣٠. ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ) تاريخ مدينة دمشق، تحقيق:

محب الدين العمري، بيروت- دار الفكر، ١٩٩٥ م، ٥٦-٣٨٦؛ انساب الاشراف

٣-١٦٦.

٣١. ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبدالله (ت ٦٢٦هـ) معجم البلدان، بيروت- دار

صادر، ١٩٥٦ م، ١-٤٥٤.

٣٢. أبْن كثير، ابي الفداء اسماعيل (ت ٧٧٤هـ) البداية والنهاية، تحقيق : محيي الدين اديب، بيروت- دار بن كثير، ط٢- ٢٠١٠ م، ٧-٣٤٦.
٣٣. الثقفى، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت ٢٨٣هـ) الغارات، تحقيق : عبد الزهراء الحسينى، بيروت- دار الأضواء، ط١- ١٩٨٧ م، ص ١٦٩؛ سفينة البحار ٤-٣٨٦.
٣٤. شرح النهج ١-٤٢٤
٣٥. القمى، عباس بن محمد رضا بن أبي القاسم (ت ١٣٥٩هـ) منازل الاخرة، ترجمة : حسين كوراني، سوريا دار التعارف، ١٩٩٣ م، ص ١٢٤.
٣٦. الغارات ص ١٧٠.
٣٧. الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣هـ) الإختصاص، تحقيق: علي اكبر غفاري، بيروت- مؤسسة الأعلمي، ط١- ٢٠٠٩ م، ص ٨٧.
٣٨. سفينة البحار ٤-٣٨٧.
٣٩. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق (ت ١٢٠٥هـ) تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، بيروت- دار الهداية.
٤٠. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق : عبد الله علي الكبير وآخرون، القاهرة- دار المعارف،
٤١. عبد الحميد، محمد محيي الدين، المختار من صحاح اللغة، القاهرة- المكتبة التجارية، ص ٣٦١.
٤٢. الجرجاني، علي بن محمد (ت ٨١٦هـ) معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، القاهرة- دار الفضيلة، ص ١٣٤.
٤٣. الشيرازي، ناصر مكارم، نفحات الولاية، اعداد : عبد الرحيم الحمراي، قم- سليمانزاده، ط٢- ١٤٢٦هـ، ١٠-٢٨٠.
٤٤. يُنظر : صبحي الصالح، نهج البلاغة، ص ٤٢٦.

٤٥. نفحات الولاية ١٠-٢٨١
٤٦. شرح نهج البلاغة، ١٧-٣٢.
٤٧. نفحات الولاية ١٠-٢٨٠
٤٨. الغارات، ص ١٦٠.
٤٩. ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، بيروت: مكتبة الحياة، ١٩٩٢، ص ١٢٨-١٢٩.
٥٠. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، بيروت: دار صادر، د.ت، ٢: ٢٣٣.
٥١. تاريخ الطبري ٤-٣٤٨.
٥٢. ابن خلدون، عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ) تاريخ ابن خلدون، بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٠، ٢-٦٢٣.
٥٣. المصدر نفسه.
٥٤. تاريخ الطبري ٥-٩٨.
٥٥. ابن عساکر «١٣-٢٦١»
٥٦. الغارات ص ١٧٣.
٥٧. العقاد، عباس محمود، شخصيات إسلامية، بيروت- دار الكتاب العربي، ٣-٨٤٤.
٥٨. امالي المفيد ٤-٤٩
٥٩. صبحي الصالح، نهج البلاغة ص ٤١١.
٦٠. يُنظر الايات : يوسف : ١٠١، الشعراء : ٨٣، النمل : ١٩، القصص : ٢٧، الصافات : ١٠٠.
٦١. الآلوسي، شهاب الدين السيد محمود (ت ١٢٧٠هـ) روح المعاني، تحقيق : علي عبد الباري عطية، بيروت- دار الكتب العلمية، ط ١- ١٤١٥هـ، ٤-٣٢٥.
٦٢. أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) معجم مقاييس اللغة، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، بيروت- دار الفكر، ١٩٧٩م، ٣-٣٠٣.

٦٣. الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ) تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت - دار العلم للملايين، ط ٢ - ١٩٧٩م، ١ - ٣٨٣؛ الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٦٦٦هـ) مختار الصحاح، بيروت - مكتبة لبنان، ١٩٨٩م، ص ٢٢؛ لسان العرب، ٢٧ - ٢٤٧٩.
٦٤. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط ٤ - ٢٠٠٤م، ص ٥٢٠.
٦٥. أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني (ت ١٠٩٤هـ) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، بيروت - مؤسسة الرسالة، ص ٥٦١؛ التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد (ت بعد ١١٥٨هـ) موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، بيروت - مكتبة لبنان ناشرون، ط ١ - ١٩٩٦م، ٢ - ١٠٩٣.
٦٦. روح المعاني ٤ - ٢٠٣.
٦٧. لسان العرب ١٧ - ١٦٧٧.
٦٨. شرح نهج البلاغة ٢٠ - ٢٦٩.
٦٩. الغارات: ١٠٤، سفينة البحار: ٤ - ٣٨٤.
٧٠. تاريخ الطبري ٥ - ٩٥.
٧١. شرح نهج البلاغة ١٧ - ٣٠.
٧٢. صبحي الصالح، نهج البلاغة، خطبة ٢١٦، ص ٣٣٣.
٧٣. صبحي الصالح، نهج البلاغة، حكمة ٧٣، ص ٤٨٠.
٧٤. شرح نهج البلاغة ١٧ - ٣٠.
٧٥. الشمس: ٧ - ١٠.
٧٦. الراوندي، سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣هـ) منهاج البراعة، تحقيق: عبد اللطيف

- الكوهكمري، قم- مطبعة الخيام، ١٤٠٦ هـ، ٣-١٦٩.
٧٧. لسان العرب ١٥-٤٠١.
٧٨. يُنظر: الديبسي، محمد، التقوى في القرآن الكريم، القاهرة- دار المحدثين، ط ١- ٢٠٠٨ م ص ٣٠.
٧٩. الكافي، الأصول، ٢-٣٥.
٨٠. صبحي الصالح، نهج البلاغة، ص ٣٥١.
٨١. البقرة: ١٧٧.
٨٢. الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي (ت ٣٨١هـ) كتاب الخصال، صححه: علي اكبر الغفاري، قم- الحوزة العلمية. لخصال، باب الاثنى عشر، ص ٤٨٣ [النيشابوري، محمد بن الفثال (ت ٥٠٨هـ) روضة الواعظين، تحقيق غلام حسين المجيدي، قم- مطبعة نكارش، ط ١- ١٤٢٣ م، ٢-٣٨٣.
٨٣. الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ) وسائل الشيعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت، قم- مطبعة مهر، ط ٢- ١٤١٤هـ، ح ٢٠٣٨١، ١٥-٢٣٩؛ الثعلبي، أبو اسحق احمد (ت ٤٢٧هـ) الكشف والبيان، تحقيق: محمد بن عاشور، بيروت- دار احياء التراث العربي، ط ١- ٢٠٠٢ م، ١-١٤٤.
٨٤. المطهري، مرتضى، في رحاب نهج البلاغة، بيروت-الدار الإسلامية، ط ١-١٩٩٢ م، ص ١٣٦؛ الحائري، أيوب، قبسات من نهج البلاغة ص ٨٤.
٨٥. النساء: ١٣١.
٨٦. الرازي، محمد فخر الدين (ت ٦٠٤هـ) تفسير الفخر الرازي، بيروت-دار الفكر، ط ١- ١٩٨١ م، ١١-٧١.
٨٧. صبحي الصالح، نهج البلاغة، خ ١٦، ص ٥٨.
٨٨. صبحي الصالح، نهج البلاغة، خ ١٨٩، ص ٢٨٤.

٨٩. المائدة: ٩٣
٩٠. الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، بيروت مؤسسة الإعلمي، ط١- ١٩٩٧، ٦- ١٢٨.
٩١. تاريخ اليعقوبي ٢- ١٠٩.
٩٢. م. ن ٢- ١٠٤.
٩٣. شرح نهج البلاغة ١٧- ٣٠.
٩٤. ابن رجب، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت ٧٩٥هـ) جامع العلوم والحكم، تعليق ماهر ياسين، بيروت- دار ابن كثير، ط ١- ٢٠٠٨، ح ٣٨، ص ٧٧٠.
٩٥. وسائل الشيعة، ح ٣٥، ١- ٢٨.
٩٦. صبحي الصالح، حكم ١١٣، ص ٤٨٨.
٩٧. المامقاني، عبد الله (ت ١٣٥١هـ) تنقيح المقال في علم الرجال، تحقيق: محيي الدين المامقاني، قم- مؤسسة آل البيت، ط ١- ١٤٢٣هـ، ٤- ١٦٣.
٩٨. الترمذي، محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ) سنن الترمذي، تحقيق: احمد محمد شاكر وآخرون، مصر- مصطفى البابي الحلبي، ط ٢- ١٩٧٥م ح ١٣٢٩، ٣- ١٠.
٩٩. محسن الأمين، اعيان الشيعة، ١- ٣٤٨.
١٠٠. شرح نهج البلاغة، ١٧- ٣٠.
١٠١. الرعد: ٢٨.
١٠٢. البخاري، محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ) صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط ١- ١٤٢٢هـ، كتاب الإيثار، ح ٥٢، ١- ٢٠.
١٠٣. محمد: ٧.
١٠٤. الحج: ٤٠- ٤١.
١٠٥. اللحجي، عبد الله بن سعيد محمد (ت ١٤١٠هـ) منتهى السؤال، جدة- دار

- المنهاج ٤-٤٤٢.
١٠٦. شرح نهج البلاغة ١٧-٣٠.
١٠٧. الهيثمي، نور الدين علي بن سليمان (ت ٨٠٧هـ) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، تحقيق: حسين احمد صالح، السعودية- الجامعة الإسلامية، ط ١-١٩٩٢م، ح ٨٢٩، ٢-٨٠٩.
١٠٨. القبانجي، السيد حسن، مسند الامام علي، تحقيق: طاهر السلامي، بيروت- مؤسسة الأعلمي، ط ١-٢٠٠٠م، ٤-٤٧٥.
١٠٩. آل عمران: ١٤.
١١٠. صبحي الصالح، نهج البلاغة، ص ٤١٩.
١١١. النزاعات: ٤٠.
١١٢. الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ) وسائل الشيعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت، قم- مؤسسة آل البيت، ط ٢-١٤١٤هـ، ح ٢٠٢١٦، ١٥-١٣٥.
١١٣. الصدوق (ت ٣٨١هـ) معاني الأخبار تصحيح: علي اكبر الغفاري، قم- مؤسسة النشر الإسلامي، ١٣٧٩هـ، ص ١٩٥.
١١٤. الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، قم- دار الحديث، ط ١-١٤٢٢هـ، ح ٢٠٥٠٣، ١٠-٤٣٩٩.
١١٥. صبحي الصالح، نهج البلاغة، خ ١٧٦، ص ٢٥١.
١١٦. الفكيكي، توفيق، الراعي والرعية، بغداد- مطبعة اسد، ١٩٦٢م، ص ٦٢.
١١٧. ارسطوطاليس، علم الاخلاق، نقله الى العربية: احمد لطفي السيد، القاهرة- دار الكتب المصرية، ١٩٢٤م، ص ٣١٦.
١١٨. م. ن، ص ٣٢١.
١١٩. صبحي الصالح، خ ٤٥، ص ٤١٧.

١٢٠. مريم: ٩٦
١٢١. ينظر: التستري، نور الله الحسيني المرعشي (ت ١٠١٩ م) (احقاق الحق وازهاق الباطل ٣-٨٥)
١٢٢. لسان العرب، مادة: هوى، ٥١-٤٧٢٨.
١٢٣. الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ) المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت- دار المعرفة، ص ٥٤٨.
١٢٤. لتعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، ١- ٣٢٠، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، تحقيق: إبراهيم الأبياري.
١٢٥. محمد نوح، آفات على الطريق ١- ١٩٢.
١٢٦. صبحي الصالح، نهج البلاغة، ص ٥٢٩.
١٢٧. المؤمنون: ٧١
١٢٨. الفرقان: ٤٣- ٤٤.
١٢٩. الآمدي، ناصح الدين أبو الفتح عبد الواحد (ت ٥٥٠هـ) غُرر الحِكَم ودُرر الكَلِم، تدقيق: عبد الحسن دهيني، بيروت- دار الهادي، ط ١- ١٩٩٢ م، ص ٤٨.
١٣٠. م. ن. ص ٢٢٦.
١٣١. م. ن. ص ٤٣٠.
١٣٢. صبحي الصالح، نهج البلاغة، ص ٤٤٩.
١٣٣. شرح النهج ١- ٢١٨
١٣٤. محمد: ١٤
١٣٥. صبحي الصالح، نهج البلاغة، ص ٤١٧.
١٣٦. لسان العرب ٢٧- ٢٤٧٩.
١٣٧. تاج العروس، ٦- ٥٤٨.

١٣٨. معجم مقاييس اللغة ص ٣٠٣.
١٣٩. مختار الصحاح ص ٣٧، .
١٤٠. الفيومي، احمد بن محمد بن علي المقرئ (ت ٧٧٠هـ) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مصر - مكتبة محمد عبد الواحد بك، ط ١ - ١٣٢٢هـ، ص ١٣٢.
١٤١. البقرة: ٢٢٤
١٤٢. الأعراف: ٥٦
١٤٣. يونس: ٨١
١٤٤. التوبة: ١٠٢
١٤٥. الأحزاب: ٧١.
١٤٦. محمد: ٥
١٤٧. ابن باديس، عبد الحميد محمد الصنهاجي (ت ١٣٥٩هـ) في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، تحقيق: احمد شمس الدين، بيروت - دار الكتب العلمية، ط ١ - ١٤١٦هـ، ص ٧٣.
١٤٨. روح المعاني ٧-٤٨٢.
١٤٩. البرقوقى، عبد الرحمن (ت ١٩٤٤هـ) شرح ديوان المتنبي، القاهرة - مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ص ١١٩.
١٥٠. الرعد: ١١.
١٥١. الحديد: ٢٧
١٥٢. تاج العروس ٢٨-١٦٥
١٥٣. مختار ص ١٢٨؛ لسان العرب ١٧-١٦٧؛
١٥٤. المصباح المنير ص ٣٥٦.
١٥٥. الكليات ص ٤٨٤.

١٥٦. لسان العرب ١٧-١٦٧٨.
١٥٧. الكافي: الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩ هـ) اصول الكافي، بيروت - منشورات الفجر، ط ١-٢٠٠٧ م، ٢-١١٧.
١٥٨. شرح نهج البلاغة ٢-١٨٩-١٩٠.
١٥٩. هو طيب ومؤرخ فرنسي، عمل في أوروبا وآسيا وشمال أفريقيا، كتب في علم الآثار وعلم الاثروبولوجيا، وعني بالحضارة الشرقية. من أشهر آثاره: حضارة العرب وحضارات الهند.
١٦٠. لوبون، غوستاف (ت ١٩٣١ م) روح الاجتماع، ترجمة: احمد فتحي زغلول، مصر - دار الجماهير، ١٩٠٩ م، ص ١٢.
١٦١. م. ن.
١٦٢. آل عمران: ١٥٩
١٦٣. التوبة: ١٢٨
١٦٤. صبحي الصالح، نهج البلاغة خطبة ٩٧، ص ١٤١.
١٦٥. م. ن. ص، ٣٨٣.
١٦٦. الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، قم - دار الحديث، ط ١-١٤٢٢ هـ، ٤-١٨٣٨.
١٦٧. الواسطي، كافي الدين ابي الحسن (ق ٦ هـ) عيون الحكم والمواعظ، تحقيق: حسين الحسيني، قم - دار الحديث، ط ١- د. ت، ص ٢٦٣.
١٦٨. م. ن. ص ٢٢٧.
١٦٩. غرر الحكم ص ٣٤١.
١٧٠. شرح النهج ١٧-٣٢.
١٧١. الحجرات: ١٣
١٧٢. الغدير، ٦-٢٢٥؛ الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين (ت ١٤٢٠ هـ)

سلسلة الاحاديث الصحيحة، الرياض - مكتبة المعارف، ط ١ - ١٩٩٦ م، ح ٣٧٠٠،

٤٤٩-٦

١٧٣. أبو داود، سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥هـ) سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين

عبد الحميد، بيروت - المكتبة العصرية، ح ٥١١٦، ٤-٣٣١.

١٧٤. شرح نهج البلاغة، ١٧-٣٠.

١٧٥. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد (ت ٢٧٣هـ) سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد

فؤاد عبد الباقي، بيروت - دار احياء الكتب العربية، ح ٤٢٥١، ٢-١٤٢٠.

١٧٦. غرر الحكم رقم ٢٤٢، ص ١١١.

١٧٧. غرر الحكم، ص ٢٣٤.

١٧٨. غرر الحكم رقم ٤٢، ص ٧٦.

١٧٩. شرح النهج ١٧-٣٣.

١٨٠. م. ن.

١٨١. ميكافيلي، كتاب الأمير، ترجمة: اكرم مؤمن، مكتبة ابن سينا، ص ٨٩

١٨٢. م. ن. ص ٩٠.

١٨٣. م. ن. ص ٩١.

١٨٤. شرح النهج ١٧-١١٣.

١٨٥. غرر الحكم رقم ١٦ ص ١٤٩

١٨٦. سنن أبي داود ح ٤٧٨٤، ٤-٢٤٩.

١٨٧. ميزان الحكم ٢-٥٠١

١٨٨. تحف العقول ص ١٤

١٨٩. غرر الحكم رقم ١٣ ص ٢٠٤.

١٩٠. ميزان الحكم ٢-١٥٠

١٩١. البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ) صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، ط ١- ١٤٢٢هـ، ح ٦١١٤، ٨- ٢٨؛ مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت- دار احياء التراث العربي، ح ٢٦٠٩، ٤- ٢٠١٤.
١٩٢. المدودي، أبو الأعلى، الخلافة والملك، تعريب: احمد المدرس، الكويت- دار القلم، ط ١- ١٩٧٨م، ص ٦٩.
١٩٣. صبحي الصالح، نهج البلاغة، ص ١٨٩.
١٩٤. شرح نهج البلاغة، ١٧- ٤٨.
١٩٥. شمس الدين، محمد مهدي، دراسات في نهج البلاغة، بيروت- دار الزهراء، ط ٢- ١٩٧٢م، ص ٢٩.
١٩٦. يُنظر: م.ن.
١٩٧. شرح شرح نهج البلاغة، ١٧- ٧٠.
١٩٨. الحميري، عبد الله بن جعفر القمي (ت ٣٠٠هـ) قرب الاسناد، تحقيق: مؤسسة آل البيت، قم- مهر، ط ١- ١٤١٣هـ، ص ١٣٨.
١٩٩. شرح نهج البلاغة، ١٧- ٧٠.
٢٠٠. أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٣هـ) كتاب الخراج، بيروت- دار المعرفة، ط ١- ١٩٧٩م، ص ١٦.
٢٠١. م.ن.
٢٠٢. شرح نهج البلاغة، ١٧- ٨٣.
٢٠٣. بن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي (ت ٥٦٢هـ) التذكرة الحمدونية، بيروت- دار صادر، ط ١- ١٤١٧هـ، ١- ٣٢٣.
٢٠٤. م.ن.

٢٠٥. شرح شرح نهج البلاغة، ١٧-٨٣.
٢٠٦. م. ن.
٢٠٧. شرح نهج البلاغة، ١٧-٨٥.
٢٠٨. م. ن.
٢٠٩. م. ن.
٢١٠. م. ن.
٢١١. شرح نهج البلاغة، ص ٨٧.
٢١٢. المتقي الهندي، علاء الدين علي (ت ٩٧٥هـ) كنز العمال، تصحيح : صفوة السقا، بيروت - مؤسسة الرسالة، ط ٥ - ١٩٨٥، ح ١٦٦٨٢، ٦-٤٩٢.
٢١٣. ميزان الحكمة، ح ١٥٩٩١، ٨-٣٢٢٩.
٢١٤. م. ن، ح ١٥٩٩٣، ٨-٣٢٢٩.
٢١٥. القبانجي، مصدر سابق، ٩-٣٠٨.
٢١٦. محمد مهدي شمس الدين، مصدر سابق، ص ٣٩٠.
٢١٧. يُنظر : م. ن، ص ٥٧.
٢١٨. شرح نهج البلاغة، ١٧-٤٩.
٢١٩. شرح نهج البلاغة، ١٧-٥١.
٢٢٠. م. ن.
٢٢١. م. ن.
٢٢٢. م. ن.
٢٢٣. م. ن. ص ٧٥.
٢٢٤. م. ن.
٢٢٥. السخاوي، محمد عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ) المقاصد الحسنة، تحقيق : محمد عثمان

- الخشن، بيروت- دار الكتاب العربي، ط١-١٩٥٨م، ح١٤٢، ص١٣٤.
٢٢٦.م.ن.ص ١٣٥.
- ٢٢٧.ابن شبة، عمر بن شبة بن عبيدة(ت ٢٦٢هـ) تاريخ المدينة، تحقيق : فهيم محمد شلتوت، ١٣٩٩هـ، ٢-٧٠٦؛ ابن حجر، احمد بن علي(ت٨٥٢هـ) فتح الباري، ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية، ٨-٦٧.
- ٢٢٨.شرح نهج البلاغة، ١٧-٥٨.
٢٢٩.م.ن.، ١٧-٥٩.
٢٣٠.م.ن.، ١٧-٦٠.
- ٢٣١.صبحي الصالح، نهج البلاغة الرسالة ٦٢، ص٤٥٢.
٢٣٢.ابن تيمية، احمد بن عبد الحلیم، منهاج السنة النبوية، تحقيق : محمد رشاد سالم، ط١-١٩٨٦م، ٦-٣٥٦.
- ٢٣٣.شرح نهج البلاغة ١٧-٦٨.
٢٣٤.صبحي الصالح، نهج البلاغة، ص ٣٧٧.
٢٣٥.م.ن.ص. ١٨٩.
٢٣٦.م.ن.ص ٤٨٨.
- ٢٣٧.السواد : أراضي وقرى العراق وضياعها، سمّي بذلك لسواده بالزرور والنخيل والأشجار، معجم البلدان ٣- ٢٧٢.
- ٢٣٨.العذيب : ماء لبني تميم، وهو أول ماء يلقاه الإنسان بالبادية إذا سار من قادية الكوفة يريد مكة(تقويم البلدان ٧٩)
- ٢٣٩.بهقباد : من أعمال سقي الفرات(معجم البلدان ١- ٥١٦)
- ٢٤٠.اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب(ت ٢٨٤هـ)تاريخ اليعقوبي، تحقيق : عبد الأمير مهنا، بيروت- شركة الاعلمي، ط١- ٢٠١٠م، ٢-١٠٩.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ١- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت- دار الفكر، ١٩٧٩م.
- ٢- ارسطوطاليس، علم الاخلاق، نقله الى العربية: احمد لطفي السيد، القاهرة- دار الكتب المصرية، ١٩٢٤م.
- ٣- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين (ت ١٤٢٠هـ) سلسلة الاحاديث الصحيحة، الرياض- مكتبة المعارف، ط ١- ١٩٩٦م.
- ٤- الامدي، ناصح الدين أبو الفتح عبد الواحد (ت ٥٥٠هـ) غُرر الحِكَم ودُرر الكَلِم، تدقيق: عبد الحسن دهيني، بيروت- دار الهادي، ط ١- ١٩٩٢م.
- ٥- الامين، محسن، اعيان الشيعة، تحقيق حسن الأمين، بيروت- دار التعارف، ١٩٨٣م
- ٦- الاميني، عبد الحسين احمد، الغدير في الكتاب والسنة والادب، بيروت- الاعلمي، ط ١- ١٩٩٤م.
- ٧- ابن باديس، عبد الحميد محمد الصنهاجي (ت ١٣٥٩هـ) في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، تحقيق: احمد شمس الدين، بيروت- دار الكتب العلمية، ط ١- ١٤١٦هـ.
- ٨- البحراني، السيد هاشم (ت ١١٠٩هـ)، بغية المرام وحجة الخصام، تحقيق: علي عاشور، بيروت- مؤسسة التاريخ العربي، ط ١- ٢٠٠١م.
- ٩- البخاري، محمد بن اسماعيل (ت ٢٥٦هـ) صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط ١- ١٤٢٢هـ.
- ١٠- البرقوقي، عبد الرحمن (ت ١٩٤٤هـ) شرح ديوان المتنبي، القاهرة- مؤسسة

هنداوي للتعليم والثقافة

- ١١- أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني (ت ١٠٩٤هـ) الكلبيات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، بيروت - مؤسسة الرسالة.
- ١٢- البلاذري، احمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ)، انساب الاشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، بيروت، دار الفكر، ط ١- ١٩٩٦م.
- ١٣- الترمذي، محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ) سنن الترمذي، تحقيق: احمد محمد شاكر وآخرون، مصر - مصطفى البابي الحلبي، ط ٢- ١٩٧٥م.
- ١٤- التستري، نور الله الحسيني المرعشي (ت ١٠١٩م) احقاق الحق وازهاق الباطل.
- ١٥- التهانوي، محمد بن علي ابن القاضي محمد (ت بعد ١١٥٨هـ) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، بيروت - مكتبة لبنان ناشرون، ط ١- ١٩٩٦م.
- ١٦- ابن تيمية، احمد بن عبد الحليم، منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط ١- ١٩٨٦م.
- ١٧- الثعلبي، أبو اسحق احمد (ت ٤٢٧هـ) الكشف والبيان، تحقيق: محمد بن عاشور، بيروت - دار احياء التراث العربي، ط ١- ٢٠٠٢م.
- ١٨- الثقفى، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت ٢٨٣هـ) الغارات، تحقيق: عبد الزهراء الحسيني، بيروت - دار الأضواء، ط ١- ١٩٨٧م.
- ١٩- الجرجاني، علي بن محمد (ت ٨١٦هـ) معجم التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، القاهرة - دار الفضيلة.
- ٢٠- الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ) تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: احمد عبد غفور عطار، بيروت - دار العلم للملايين، ط ٢- ١٩٧٩م.
- ابن حجر، احمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ):

- ٢١- الإصابة في تمييز الصحابة، بيروت- المكتبة العصرية، ط ١- ١٤٣٣هـ.
- ٢٢- فتح الباري، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية.
- ٢٣- ابن ابي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦هـ) شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت- دار احياء الكتب العربية، ط ٢- ١٩٦٥م.
- ٢٤- الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ) وسائل الشيعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت، قم- مطبعة-مهر، ط ٢- ١٤١٤هـ.
- ٢٥- العلامة الحلي، الحسن بن يوسف بن المطهر (ت ٧٢٦هـ) خلاصة الاقوال، تحقيق: جواد القيومي، قم- نشر الفقاهة، ط ٤- ١٤٣١هـ.
- ٢٦- ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي (ت ٥٦٢هـ) التذكرة الحمدونية، بيروت- دار صادر، ط ١- ١٤١٧هـ.
- ٢٧- الحميري، عبد الله بن جعفر القمي (ت ٣٠٠هـ) قرب الاسناد، تحقيق: مؤسسة آل البيت، قم- مهر، ط ١- ١٤١٣هـ.
- ٢٨- ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، بيروت: مكتبة الحياة، ١٩٩٢.
- ٢٩- ابن خلدون، عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ) تاريخ ابن خلدون، بيروت: دار الفكر، ٢٠٠٠.
- ٣٠- ابوداود، سليمان بن الاشعث (ت ٢٧٥هـ) سنن ابي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت- المكتبة العصرية.
- ٣١- الدبسي، محمد، التقوى في القرآن الكريم، القاهرة- دار المحدثين، ط ١- ٢٠٠٨م.
- ٣٢- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ) الاخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، القاهرة- دار احياء الكتاب العربي، ط ١- ١٩٦٠م.
- ٣٣- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ) سير اعلاء النبلاء، تحقيق: شعيب الارنؤوط، بيرة- مؤسسة الرسالة، ط ٢- ١٩٨٢م.

- ٣٤- الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت ٦٦٦هـ) مختار الصحاح، بيروت - مكتبة لبنان، ١٩٨٩م.
- ٣٥- الرازي، محمد فخر الدين (ت ٦٠٤هـ) تفسير الفخر الرازي، بيروت - دار الفكر، ط ١ - ١٩٨١م.
- ٣٦- الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ) المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت - دار المعرفة.
- ٣٧- الراوندي، سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣هـ) منهاج البراعة، تحقيق: عبد اللطيف الكوهكمري، قم - مطبعة الخيام، ١٤٠٦ هـ.
- ٣٨- ابن رجب، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن (ت ٧٩٥هـ) جامع العلوم والحكم، تعليق ماهر ياسين، بيروت - دار ابن كثير، ط ١ - ٢٠٠٨.
- ٣٩- الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، قم - دار الحديث، ط ١ - ١٤٢٢ هـ.
- ٤٠- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق (ت ١٢٠٥هـ) تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، بيروت - دار الهداية.
- ٤١- السخاوي، محمد عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ) المقاصد الحسنة، تحقيق: محمد عثمان الخشن، بيروت - دار الكتاب العربي، ط ١ - ١٩٥٨م.
- ٤٢- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠ هـ)، الطبقات الكبرى، بيروت، دار صادر، ١٩٥٧م.
- ٤٣- ابن شبة، عمر بن شبة بن عبيدة (ت ٢٦٢هـ) تاريخ المدينة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، ١٣٩٩هـ.
- ٤٤- شمس الدين، محمد مهدي، دراسات في نهج البلاغة، بيروت - دار الزهراء، ط ٢ - ١٩٧٢م.
- ٤٥- ابن شهر آشوب، أبو جعفر محمد بن علي (ت ٥٨٨هـ) مناقب آل أبي طالب، تحقيق

- : يوسف البقاعي، بيروت- دار الأضواء، ط ٢- ١٤١٢هـ.
- ٤٦- الشيرازي، ناصر مكارم، نفحات الولاية، اعداد : عبد الرحيم الحمراي، قم- سليمانزاده، ط ٢- ١٤٢٦هـ.
- ٤٧- الصالح، صبحي، نهج البلاغة، القاهرة- دار الكتاب المصري، ط ٤- ٢٠٠٤م. الصدوق، ابو جعفر محمد بن علي (ت ٣٨١هـ) :
- ٤٨- معاني الأخبار تصحيح : علي اكبر الغفاري، قم- مؤسسة النشر الإسلامي، ١٣٧٩هـ.
- ٤٩- كتاب الخصال، صححه : علي اكبر الغفاري، قم- الحوزة العلمية.
- ٥٠- الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، بيروت مؤسسة الإعلمي، ط ١- ١٩٩٧، ٦- ١٢٨.
- ٥١- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) تاريخ الطبري، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر- دار المعارف، ط ٢.
- ٥٢- العاملي، جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة الامام علي، المركز الإسلامي للدراسات، ط ١- ٢٠٠٩م.
- ٥٣- عبد الحميد، محمد محيي الدين، المختار من صحاح اللغة، القاهرة- المكتبة التجارية
- ٥٤- ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ) تاريخ مدينة دمشق، تحقيق : محب الدين العمري، بيروت- دار الفكر، ١٩٩٥م.
- ٥٥- العسكري، مرتضى، معالم امدرستين، القاهرة- مكتبة مدبولي، ط ٥- ١٩٩٣م. ٥٦- المتقي الهندي، علاء الدين علي (ت ٩٧٥هـ) كنز العمال، تصحيح : صفوة السقا، بيروت- مؤسسة الرسالة، ط ٥- ١٩٨٥.
- ٥٧- العقاد، عباس محمود، شخصيات إسلامية، بيروت- دار الكتاب العربي.
- ٥٨- الفكيكي، توفيق، الراعي والرعية، بغداد- مطبعة اسد، ١٩٦٢م.

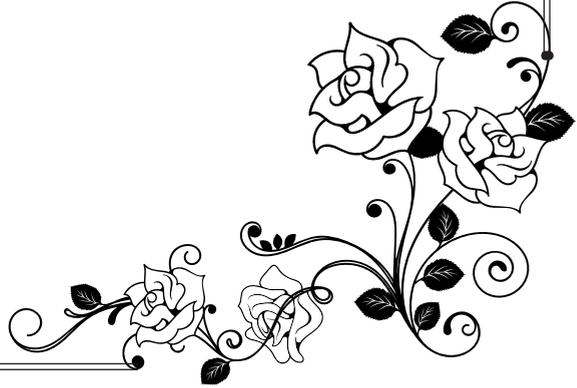
- ٥٩- الفيومي، احمد بن محمد بن علي المقرئ (ت ٧٧٠هـ) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مصر - مكتبة محمد عبد الواحد بك، ط ١ - ١٣٢٢هـ.
- ٦٠- القبانجي، السيد حسن، مسند الامام علي، تحقيق : طاهر السلامي، بيروت - مؤسسة الأعلمي، ط ١ - ٢٠٠٠م.
- القمي، عباس بن محمد رضا بن أبي القاسم (ت ١٣٥٩هـ):
- ٦١- منازل الاخرة، ترجمة : حسين كوراني، سوريا دار التعارف، ١٩٩٣م.
- ٦٢- سفينة البحار، قم - دار الاسوة، ط ٢ - ١٤١٦هـ.
- ٦٣- الكافي: الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ) اصول الكافي، بيروت - منشورات الفجر، ط ١ - ٢٠٠٧م.
- ٦٤- ابن كثير، ابي الفداء اسماعيل (ت ٧٧٤هـ) البداية والنهاية، تحقيق : محيي الدين اديب، بيروت - دار ابن كثير، ط ٢ - ٢٠١٠م.
- ٦٥- اللحجي، عبد الله بن سعيد محمد (ت ١٤١٠هـ) منتهى السؤل، جدة - دار المنهاج.
- ٦٦- لوبون، غوستاف (ت ١٩٣١م) روح الاجتماع، ترجمة : احمد فتحي زغلول، مصر - دار الجماهير، ١٩٠٩م.
- ٦٧- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد (ت ٢٧٣هـ) سنن ابن ماجة، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت - دار احياء الكتب العربية.
- ٦٨- المامقاني، عبد الله (ت ١٣٥١هـ) تنقيح المقال في علم الرجال، تحقيق : محيي الدين المامقاني، قم - مؤسسة آل البيت، ط ١ - ١٤٢٣هـ.
- ٦٩- المتقي الهندي، علاء الدين علي (ت ٩٧٥هـ) كنز العمال، تصحيح : صفوة السقا، بيروت - مؤسسة الرسالة، ط ٥ - ١٩٨٥.
- ٧٠- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط ٤ - ٢٠٠٤م.
- ٧١- محمد نوح، آفات على الطريق.

- ٧٢- مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت - دار احياء التراث العربي.
- ٧٣- مطهري، مرتضى، في رحاب نهج البلاغة، بيروت - الدار الإسلامية، ط ١ - ١٩٩٢ م
- ٧٤- الحائري، أيوب، قبسات من نهج البلاغة.
- الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت ٤١٣هـ):
- ٧٥- الامالي، دار التيار الجديد.
- ٧٦- الجمل، ط ١ - ١٤٠٣هـ.
- ٧٧- الإختصاص، تحقيق: علي اكبر غفاري، بيروت - مؤسسة الأعلمي، ط ١ - ٢٠٠٩ م
- ٧٨- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق : عبد الله علي الكبير وآخرون، القاهرة - دار المعارف.
- ٧٩- المنقري، نصر بن مزاحم (ت ٢١٢هـ) وقعة صفين، تحقيق : عبد السلام هارون، بيروت - دار الجليل، ١٩٩٠ م.
- ٨٠- المودودي، أبو الأعلى، الخلافة والملك، تعريب: احمد المدرس، الكويت - دار القلم، ط ١ - ١٩٧٨ م
- ٨١- ميكافيلي، كتاب الأمير، ترجمة : اكرم مؤمن، مكتبة ابن سينا.
- ٨٢- النيشابوري، محمد بن القتال (ت ٥٠٨هـ) روضة الواعظين، تحقيق غلام حسين المجيدي، قم - مطبعة نكارش، ط ١ - ١٤٢٣ م.
- ٨٣- هيثمي، نور الدين علي بن سليمان (ت ٨٠٧هـ) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، تحقيق: حسين احمد صالح، السعودية - الجامعة الإسلامية، ط ١ - ١٩٩٢ م.
- ٨٤- الواسطي، كافي الدين ابي الحسن (ق ٦هـ) عيون الحكم والمواعظ، تحقيق : حسين الحسيني، قم - دار الحديث، ط ١ - د.ت.
- ٨٥- الواقدي، عمر بن واقد (ت ٢٠٧هـ) فتوح الشام، تصحيح : عبد اللطيف عبد

- الرحمن، بيروت- دار الكتب العلمية، ط١- ١٩٩٧م.
- ٨٦- الالوسي، شهاب الدين السيد محمود (ت١٢٧٠هـ) روح المعاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت- دار الكتب العلمية، ط١- ١٤١٥هـ.
- ٨٧- ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبدالله (ت٦٢٦هـ) معجم البلدان، بيروت- دار صادر، ١٩٥٦م.
- ٨٨- اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب (ت٢٨٤هـ) تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الأمير مهنا، بيروت- شركة الاعلمي، ط١- ٢٠١٠م.
- ٨٩- ابو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت١٨٣هـ) كتاب الخراج، بيروت- دار المعرفة، ١٩٧٩م.

الإمام علي (عليه السلام) يؤسس لأول دولة مدنية
المبادئ والحريات والحقوق الإنسانية

رسول عبد الزهرة النعمة
مدير منظمة طوى للتنمية وحقوق الانسان



مشكلة البحث:

يعالج موضوعه وضع الإسلام في اطر كلاسيكيه من قبل الجماعات المتطرفة وتسييل الضوء على الأنموذج الناصع الذي يعطي انطباع حقيقي عن جوهر الرسالات السماوية وعدم إغفالها حقوق الانسان وفي مشروع أول دوله مدنيه تبنها الإمام علي(عليه السلام).

فرضية البحث:

تقديم دراسة عقلائييه بما يتلاءم مع تطلعات الانسان المعاصر واثبات بالحجة والمصدر الموثوق ان أمير المؤمنين (عليه السلام) سبق الجميع في تطبيق حقوق الانسان حيث مثل الحاكم العادل والمؤسس للصبغة الإنسانية التي مثبت خلاقه السماء بحق.

مخطط البحث:

يقع البحث بفصلين الاول في مشروع الدولة المدنية:

١. المبحث الاول تمهيد.
 ٢. المبحث الثاني أسس الدولة المدنية.
 ٣. المبحث الثالث ملامح المدنية الجديدة.
 ٤. المبحث الرابع مشروع السجون الإصلاحية.
 ٥. المبحث الخامس الحكم الديمقراطي الإسلامي.
- الفصل الثاني الحقوق والحريات في عهد الإمام علي:
١. المبحث الاول مدخل للحقوق والحريات وهي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.
 ٢. المبحث الثاني التعددية وقبول الآخر.
 ٣. المبحث الثالث في حرية التعبير عن الرأي

٤. المبحث الرابع في حق المعتقد.
٥. المبحث الخامس العدالة الاجتماعية.
٦. المبحث السادس في حقوق المرأة وحقوق أخرى.
٧. المبحث السابع في الخاتمة.

تقدمة

الحمد لله رب العالمين وأتم الصلاة والتسليم على نبيه محمد واله الطيبين الطاهرين،
وبعد:

من رحم البداوة والصحراء والوحشية والجهل والتعصب ولدت الرسائل
والإنسانية متمرده على تلك البيئة القاسية والقلوب الغليظة لترسم للإنسان حقوقه بكل
معاني المحبة والسلام والقوة في اخذ حقوق الفقراء وقد تمثلت بشخص علي ابن أبي
طالب (عليه السلام) رجل العدالة والمبادئ السامية لعكس صورة طبق الأصل عن
جوهر الإسلام الذي أرسلته السماء وتغذاه من خلق محمد الصادق الأمين (صلى الله
عليه واله وسلم) خاتم الرسل السماوية ومتلازمته معه، لم تك الفطرة السليمة والأرحام
المطهرة هي فقط من أوجدت هذه الشخصية المعطاء وإنما امتناعه عن كل ما كان يقوم به
ذلك المجتمع المتخلف والمتوارث بالجهل والعادات السيئة والقديمة، فنشئ وهو يمقت
كل ما يراه من ظلم وتفرقة وتشضي وقد ازدادت حكمته وتنامت إنسانيته وهو يرى
البؤس والشقاء، فظهر لسانه وقوى ساعده بوجه الظلم والقبلية فمن هنا بدأت قصة
الإصلاح تتنامى قبل تولي علي (عليه السلام) عرش الحكم فقد احترم الرأي الآخر ولم
يشق جموع المسلمين حتى في موعد الشروع بواجبة المرصود والمقدس إلى ان سنحت له
الفرصة ليطرز أرقى معاني الجمال من احترام الرعية والعطف على الأيتام والدفاع عن

المرأة والإنسان بكل اختلافاته فلا يوجد في التاريخ من يسجل عليه فساد أو ظلم نزولا إلى ولاته وعماله وكانت كلماته نهج مصنف للحقوق وتبيان لكل المفاهيم والنظم القيمة والطروحات البناءة فلم يشبع بطنا ولا يجلس مكتوف اليدين في قصر منيف وإنما يستمر بمتابعاته الرعية وكان مساره في تحقيق أسس حقوق الإنسان ومشروع أول دوله مدنيه استمدت مقتنياتها من دوله الإسلام الأولى للرسول الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) لتصل للخلافة الحقيقية التي صرحت بها السماء حيث عمل على استحداث المؤسسة بحسب العصر الجديد فكان بناء السجون الإصلاحية وتبني ثقافة الحوار واحترام المعتقدات غير الاسلاميه هي السياسة السائدة في دولته كما وقد اخذ مفهوم حقوق الانسان تطقيه في فلسفه الإمام علي (عليه السلام) بطريقتين: الأولى جمعت في نهجه التوعوي إي بالحكم والإرشادات والكلمة المعبرة والمنحى الثاني كانت بالتطبيق العملي وهي التعامل مع الرعية والعمال بشكل ينسجم مع ما يتطابق مع مفاهيم حقوق الانسان المعاصرة.

الفصل الاول

أسس الدولة المدنية

تمهيد

لا يخفى علينا ان فجر الرسالة الإسلامية الذي جاء بمشروع سماوي خلص الانسان من الاستعباد والفوضى والقبلية وساوى بين كل الأصناف، الحر والعبد والرجل والمرأة معبرا بذلك بدستور سماوي اسمه القرآن الكريم كان رسالة كبيرة ومنعطف واعد في تاريخ البشرية، من الصعب توقف مسارها أو تلكتها، كما وان الرسول الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) كان يستن الأحاديث والمواقف الآنية التي يعالج بها كل مستحدث بما يتلاءم مع ما يريده الله جل شأنه للإنسانية إي وفق المعايير الدينية المنصوصة حيث لم تكن هناك دساتير تنظم حياة البشرية فكان الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) هو المنظم لذلك وهذا معروف أكيدا، الا إننا ما أردنا ان نوضحه في هذه العجالة ان مسيرة الإمام علي عليه السلام مع الرسول وشهادته لهذه البادئة الرسالي وما تلا الرسول من خلافة أصحابه جعلت الإمام علي إمام موقف تاريخي مهم وهو كيفية صنائه إطار مدني يترج مع وضع الانسان المدني المعاصر فقد أصبح لزاما عليه استخدام قوالب جديدة في الدولة والحكم تتماشى مع العقلية الجديدة مستفيدا من أخطاء من سبقوه ورد فعل الانسان المختلف، إي بمعنى تبنى مفاهيم إنسانيه جيدة تسهم في قبول الآخر وتلاءم الجميع وترجع الإسلام إلى مساره الحقيقي الذي عرفه من متلازمته مع الرسول الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) وتشربه بإيمانه الصادق والذي نمت هذه الشخصية العظيمة منه إلى ان قال حبر ألامه ابن عباس لو ان الشجر أقلام والبحر مداد والإنس والجن كتاب وحساب ما أحصوا فضائل أمير المؤمنين^(١)، من هنا كان من الواجب الوقوف

عند هذه الشخصية والتعرف على منجزاتها سيما وان الرسول الأكرم نفسه قال فيه يوم برز لعمرو ابن عبد ابن ود العامري ((خرج الإيمان كله إلى الشرك كله))^(٢) هذه هو من يحمل الصورة الناصعة والصادقة للإسلام الذي قام الكثيرين بتشويهه .

أسس الدولة المدنية

من اثر تربيته الإمام علي على يدي الرسالة السامية التي تبناها خاتم الرسل محمد (صلى الله عليه واله وسلم) كان جل ما يطمح إليه علي (عليه السلام) إقامة دولة إسلامية عادلة راشدة حدد معالم أسسها الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية منذ الأيام الأولى لاستلامه الخلافة، وكان أول أسسها وصيته لرجالاته الذين كلفهم بقيادة أمور المسلمين في الأمصار، كوصيته (لمالك بن الأشتر) عندما ولاه مصر، هذه الوصية التي اعتبرت منعطف تاريخي لدى الكثير من السياسيين ووثيقة لمشروع تأسيس دولة مدنية معاصرة تحترم الجميع وأن رؤيته لمفهوم الدولة بصيغتها العقلانية المطروحة في (وصية الأشتر) تجلت كروية دولتيه عقلانية منذ اليوم الأول لوفاة الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وأثناء حادثة السقيفة التي ترك فيها صحابة الرسول (عليه الصلاة والسلام) على فراش الموت مع علي وأهله، راحوا يتفاوضون ويتبايعون على الخلافة، بغض النظر هنا عن النيات الحسنة أو السيئة لمن تواجد في السقيفة آنذاك وراح يفاوض في أمور السلطة، مثلما تجلت أيضا عبر حكم أبو بكر وعمر وعثمان كما سمي، حيث كان علي المرجع الحكيم الذي كثيرا ما لجأ إليه الحكام لاستشارته عند الضرورات من أمور سياستهم لشؤون الدولة ثم سارت باعتراضاته على بعض الأحكام وتصحيحاته الدائمة للدولة وهو يمثل دور الناشط المدني والسياسي الذي يمتاز بالموقف والاهتمام حينها كان يمثل (عليه السلام) المنظمة المدنية التي ترجع الدولة له في العديد من الاستشارات والمواقف وصاحب الدراية المتكاملة وقد اكتشف نقاط الخلل واضعا في نظره مدنية

الرسول الأكرم الأساس الصلب التي كان من معالمها وثيقة المدينة واللبن الإدارية الأولى في المنطقة.

ملامح المدنية الجديدة

ان أول ملامح الدولة المدنية المعاصرة التي أسسها الإمام علي (عليه السلام) هي ترك كل ما يشوب حياة الانسان المدني المعاصر ومن ذلك إيقاف الفتوحات والتوسعه في الدولة الإسلامية لوجهة نظر أو وجود مآخذ ترافق تلك الفتوحات قد تحدث في ظل حكومته يمكن ان تقاس بمقاسات أخرى تشبه العادات الجاهلية التي كانت تشوب حياة الانسان القديم ومنه العربي خصوصا كالسلب والنهب والغنائم والسبايا وضعها ضمن خراج الدولة أو ما تسمى بالواردات في العصر الحديث أي انه جمد هذا المشروع ليبدأ بإعادة صقل وإصلاح ما موجود وكان كفيل بنجاح فكرة التكافل الاجتماعي والتي تزينت بها معاجم الكتب والسير وهي انه وجد سائل فتعجب في حكومته فقيل هذا غير مسلم وأمر بصرف راتب له إذن كان يتعامل مع الانسان بشكله لا نوعه بالإضافة إلى موضوعنا وهو ان تعجب بوجود متسول أي انه وفق في مشروعه الاقتصادي حتى ذكر أصحاب السير انه استطاع ان يسيطر على توازن الأسعار في السوق وخلق مساواة في المتاجر بطريقه اقتصاديه اعتمدها بدون اللجوء للقوة والتشريع الا وهي الإشراف المباشر من قبل الدولة على التجارة بل وما يهمننا هنا هو كلمته المشهورة وهي انثروا القمح على اسطح الجبال وهي تقودنا إلى جانبين مهمين الا وهما هو وصول الدولة إلى مرحله من الاكتفاء والاستقرار الاقتصادي والنوعي بشكل ملحوظ والجانب الأخر هو اهتمامه قد تعدى الانسان وهذا من أهم المفاهيم والقيم المعاصرة بل وتعداها بجدارة وليس باللوائح والمآثر الكلامية وإنما بالتطبيق الميداني برعاية حقوق الحيوان كذلك.

مشروع السجون الإصلاحية

من المؤكد ان فكرة السجون هي بحد ذاتها تعتبر موقع تعذيب وانتقام أو مصادرة رأي أو تغييب من اتهم أو ثبت عليه جرم أو جنحة موجهه الا ان الإمام علي (عليه السلام) اعتمدها كإصلاحيات للمجرمين والمذنبين بحق المظالم أي هم الأشخاص الخطرين والمجرمين بحق الناس باختلاف أنواعهم أي هم ليسوا سجناء رأي أو أعداء للسلطة ولا يوجد أي مصدر تاريخي يشوب ذلك بالعكس وستتناول هذا الموضوع في المبحث الثاني بالأحداث التاريخية ان الإمام علي قد وردت عشرات القصص على من يكيل عليه التهم والسب وأمام الناس وفي السوق وفي المسجد وهو يخطب دون ان يأمر باعتقاله معبرا عن فكره الديمقراطي المعاصر ومحترما لكل رأي مختلف وان كان هذا الشخص عليه شائبة، كان علي (عليه السلام) ملتزما بجميع الضمانات الإنسانية للسجناء. فكان يخرج فئات من أهل السجن ليشهدوا الجمعة بشروط معينة ثم يعيدهم^(٣).

وفي الموضوع ذاته انه قام بتقنين مادة في دستوره تنهى عن الأخذ بالأقوال التي تنتزع تحت التعذيب كان نصها: (من اقر عن تجريد أو حبس أو تخويف أو تهديد فلا حد عليه^(٤)).

حيث ان فكرة السجن كمؤسسة إصلاحية علاجية تأهيلية لم تتبلور في الفكر القانوني الإنساني المعاصر إلا بعد مخاضٍ طويل، غير أنها وجدت تطبيقاً لها في بدايات الدولة الإسلامية، ولاسيما في فكر الفقيه الكبير والمفكر العظيم علي بن أبي طالب (عليه السلام) على نحو سبق فيه الأفكار الحديثة بمئات السنين، وانه ما كان يبقي أحدا في السجن دون حق فقد كان يعرض السجنون كل يوم جمعة، فمن كان عليه حد أقامه عليه ومن لم يكن عليه حد خلى سبيله^(٥) وعلى ذلك سنتولى عرض فكرة السجن الإصلاحي في الفكر القانوني الإنساني أولاً، وفي الفكر الإسلامي الذي يمثله الإمام (عليه السلام)

ثانياً، إما موضوعه السجن بشكل عام قبل وبعد الإمام علي كان هدف السجن في العصور القديمة: ويتمثل بالهدف من العقوبة ذاتها وهو الانتقام من الجاني وتعذيبه، إما هدف السجن في العصور الوسطى فالسجن في هذه الفترة يوافق أفكار الكنيسة حول العقوبة والذي تمثل بتطهير المجرم من الذنوب والخطايا من خلال الاقتصاص التطهيري، فعقوبة السجن لم تكن تستهدف سوى الانتقام والإرهاب بداعي تطهير المجرم لان هدف العقوبة كان آنذاك هو الردع فقط دون الإصلاح، لذا نجد أن السجون كانت عبارة عن قلاع أو حصون قديمة يودع المجرمون فيها بسراديب مظلمة مكبلين بالسلاسل مع التعذيب وإجبارهم على القيام بأعمال السخرة^(٦) الا ان السجون في فلسفة علي ((أي دوله المدنية الإسلامية الحقيقية)) كان لا يسجن الشخص الا بعد معرفة الحق وإنزال الحدود لان الحبس بعد ذلك ظلم (عليه السلام) كما ذكرنا والسجون^(٧) هي إصلاحيات تنوب عن أحكام قديمة وتم توقيف الأحكام القديمة والتقليل منها وهي الرجم والتعزير والجلد وقطع اليد وما إلى ذلك الا ان الملاحظ ان التعامل مع المواقف يكون بحسب الحالة فإذا كان يمكن إصلاحها بالسجون كان اختيارها أولى وهذا وما يؤيد بطلان الفكرة التي تعتمدها بعض الجهات المتخلفة التي تلسق نفسها بالإسلام معتبرة ان هذه الوسائل العقابية هي الوحيدة التي لا تستحدث بحسب التطبيق القديم للمشرع الإسلامي وعلى ذلك يمكن القول أن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) هو أول من وضع قواعد الحد الأعلى وليس الأدنى لمعاملة المسجونين وتنظيم السجون باعتبارها مؤسسة إصلاحية تأهيلية علاجية، ثم انتشرت بعد ذلك فكرة السجون في الدولة الإسلامية وخاصة في العهدين الأموي والعباسي غير أن الغاية منها قد ابتعدت عن الإصلاح والتأهيل والتهديب لتتحول إلى التنكيل والانتقام من السجناء، ولم يطبق الفكر الإصلاحي للسجن إلا في عهد الخلفية عمر بن عبد العزيز، الذي أكد في كتبه إلى عماله ما جاء به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)^(٨) هناك حقيقة واضحة

لا غبار عليها وهي أن الإسلام يعد المنبع الرئيس لكل النظريات التي تهدف إلى حفظ حقوق وحرية الإنسان وصيانة كرامته بما هو إنسان وان كان مجرمًا، لذلك اهتم الفقه الإسلامي بالسجن والسجين، ومن الملاحظ أن لفظة السجن كمؤسسة عقابية وكعقوبة قد وردت في القرآن الكريم في سورة يوسف في ثمانية مواضع، والسجن كعقوبة وان عرف في زمان الرسول الأكرم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) غير انه لم يكن هناك مكان يجبس فيه الشخص المجرم، فكان الحبس يتم أما بساحة المسجد النبوي أو في الدهاليز أو في البيوت ومنها بيت المضرور وجدير بالذكر أن السجن لم يكن سوى عقوبة من نوع التعازير وليست من نوع الحدود أو القصاص أو الديات وظل عدم وجود مكان معين يجبس فيه الأشخاص وهذا ما لا يخفى على الجميع من موضوع الأسرى من الحروب وهاتيك الموضوعات^(٩) وكانت أصلاً بداية فكرة السجون بحسب المؤرخين حينما تولى الإمام علي (عليه السلام) الخلافة اهتم بالسجن أيما اهتمام فبني سجنًا في الكوفة من قصب وسماه (نافعًا) فنقبه اللصوص وهربوا منه، ثم بني سجنًا آخر من مدر وسماه (مخيسًا) وتلاحظ النزعة الإصلاحية لهذين السجينين من اسميهما فالسجن الأول اسمه (نافع) والنفع ضد الضرر، أما الثاني فقد سماه (عليه السلام) مخيس والتخسيس يعني التلين والمرونة، هذا من حيث الاسم، أما من حيث المعاملة العقابية فقد عمد الإمام (عليه السلام) إلى وضع قواعد خاصة في معاملة المسجونين ترمي إلى الحفاظ على كرامة الإنسان بما هو إنسان أولاً وكونه مسلمًا ثانيًا. فنجد أن هناك عناية بالسجين من نواحي الجسد والروح والفكر، فكان الإمام علي (عليه السلام) يتابع طعامهم وشراهم وكان يصرف لهم كسوة صيفية وأخرى شتوية وفي حال مرض احد السجناء فكان يعالج داخل المؤسسة العقابية وان لم يكن له خادم يقوم بخدمته قوم له واحداً، وان كان مرضه لا يرجى شفائه أو خطراً على حياته فينقل إلى بيته لعلاجه ومن ثم يصدر قراراً بإعفائه من مدة محكوميته، وكان يسمح للمسجونين بالخروج والمشي داخل المؤسسة العقابية،

بل نجد أن الإمام (عليه السلام) قد أقر للسجناء بحق الخروج لأداء صلاة الجمعة والعيدين، مع حق ذويهم وأهلهم في زيارتهم، ثم نجد أن الإمام (عليه السلام) قد أقر تعليم السجناء القراءة والكتابة والأحكام الدينية والعقائدية والمواظبة على ممارستها، ثم أكد على ضرورة معاملة السجناء (النزلاء) بالحسنى من قبل القائمين على إدارة المؤسسة العقابية وذلك كله يتم تحت إشرافه ورقابته المباشرين، بل كان يوصي عماله في الأمصار الأخرى بذلك كله، هذا الفكر الإصلاحى أصبح نقطة الانطلاق فيما بعد للفكر الجنائى الإسلامى (والإنسانى) عموماً فى الاهتمام بالسجن والسجين^(١٠).

أسس الحكم الديمقراطى الإسلامى

من أهم المفاهيم المعاصرة هو مفهوم الديمقراطية ولسنا هنا بصدد التعريفات الا ان جل ما نود الإشارة له هو ان حكم الإمام علي (عليه السلام) كان يمثل هذا النوع من الحكم بنضرة المستشرقين والباحثين بشكل عام وان لم يشيروا لهذا المصطلح بصورة مباشرة الا انه لا يوجد ذكر عكس ذلك وإنما احترام الحريات العامة هو السائد في نضر علي ومنها يقول الإمام (عليه السلام) في ذلك ضمن كلام واضح وجميل ((يا أيها الناس إن ادم لم يلد عبدا ولا امة، وان الناس كلهم أحرارا))^(١١). وفي رواية أخرى عنه (عليه السلام) (الناس كلهم أحرارا، إلا من اقر على نفسه بالعبودية) ومن هذا وغيره ومن المبادئ التي أراد تحقيقها الإمام علي (عليه السلام) احترام الجميع وإرساء العدالة اللاهية وكفالاته الشهيرة للأديان غير المسلمين و ما يتعلق مباشرة بموضوع الأقليات وهو مبدأ المساواة بين البشر وهو ما يعزز المفهوم الديمقراطى للحياة العامة والسياسية. فموضوع الأقليات في العصر الحديث يجد إطاراً مرجعياً في مبدأ المساواة بالصيغة التي أشارت إليها حقوق الإنسان، واعتبرت لدى كثيرين مرجعاً عالمياً معاصراً لهذا المبدأ إلا انه يسهل القول بأن الإسلام سبق هذه الوثائق في تقرير جملة المبادئ التي تضمنتها حماية

لحق الإنسان في العيش الحر الكريم، وعلى رأس تلك المبادئ وأخصها مبدأ المساواة بين البشر. فالقرآن الكريم يشير إلى وحدة المنشأ للناس كافة عندما يخاطبهم: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) ^(١٢) كما إن الواقع العربي الذي عاشه العرب كمثال هو كأنموذج ساد الشرق الأوسط والعالم الثالث عامه حيث إن الأنظمة المبنية على مفاهيم عضوية قد فشلت بشكل كبير في توفير الرفاهية عبر ادعائها الديمقراطية ^(١٣) ولأن المعايير المدنية مفتوحة على مصراعها فقد يتبناها أي شخص أو مذهب فكري عكس الإسلام الذي يستمد جذوره من السماء وهذا التشخيص ينبغي ان لا يثير فينا الاستغراب (كون ان الإعلان الأصلي لحقوق الإنسان وضع عام ١٩٤٨ يوم كان عدد الدول الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة لا يتجاوز ٥٦ عضوا معظمهم من الدول الغربية، يضاف إلى هذا ان اللجنة الخماسية التي وضعت الإعلان كان كل أعضائها من أصحاب النزعة الليبرالية.

الفصل الثاني

الحقوق والحريات في عهد الإمام علي عليه السلام

مدخل

ان جل ما يطمح له الإمام علي (عليه السلام) هو عالم مليء بالسلام والتسامح والحب والوثام ومحترم الانسان بذاته الطبيعية لا صفاته فيما انه استخدم النظام الإسلامي كدستور الهي متأصل لتوحيد الجهد البشري وفي الوقت الذي كان يتيح المعلومة والمعرفة والخزين العلمي الذي حصل عليه من فجر الرسالة ومعرفته العامة لطبيعة ذلك النوع من البشر ومتغيراتهم كان (عليه السلام) لا ينصر فقط وإنما كان يطبق هذه المضمونات بشكل عملي وما أردنا الإشارة له في هذه العجالة ان مقتصر الحريات والمفاهيم المعاصرة التي تناولناها هي فقط من يكثر اللغظ عنها في العصر الحديث وتمثل فيها الحريات فنحن لم نتطرق إلى كل مواد لائحة حقوق الانسان التي تضمنت ٣٠ مادة فلا يهمنا أكثرها فهي حق الحياة والزواج والتنقل وهي بديهية وإنما الحريات التي تصدر المحافل والمنظمات والسياسات والمدافعين عن حقوق الانسان كالدفاع عن الطبقات الهشة والمهمشه وهي الأطفال والنساء والتعددية وحقوق الأقليات والعدالة الاجتماعية وقبول الآخر وحرية التعبير وما إلى ذلك والتي يمكن التعبير عن أكثرها بالاجتماعية والاقتصادية وقد تناولنا في هذا المبحث فقط ذات الأهمية كما ذكرنا وكيف ان الإمام علي قد تناولها في المجالين العملي والنظري.

التعددية وقبول الآخر

مع ان الإمام كان يرى انه الأحق بالخلافة بعد رسول الله وان الرسالة العظيمة التي صنعت منها السماء أعظم دوله في تاريخ البشرية لا يمكن ان تنتهي بوفاة النبي الأكرم دون ان تستمر برجل يراه مناسباً لإكمال المسيرة وعلى الرغم من كل ذلك فقد احترمت رأي طيف من المجتمع ولم يشق صف المسلمين متقبلاً للرأي الآخر، وإن أكثر ما اشتهر عن الإمام علي (عليه السلام) هو احترامه للجميع حتى انه أكرم السيدة عائشة خير إكرام رغم أنها البت عليه جموع المسلمين، ولم يقيم بأي عمل ضدها بل هيأ لها حين انتهاء الحرب ٢٠ خادمة يقمن بواجبها وكل الذي بدر منه عتاب في قول إذ قال لها (ما أنصفك الذين أخرجوك إذ صانوا حلاتهم وأبرزوك).^(١٤)

وان أهم مثال لقبوله للتعددية هو عهده لمالك الأشتر الذي أشار فيه: (إن الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نضير لك في الخلق)^(١٥) ما يعني انه يقبل أي إنسان حتى وان لم يك مسلم ويوجه باحترامه وتقبله، وما دل على ذلك كذلك هو سماعه لصوت الناقوس في الكنائس والأديرة وهم في دولته وقد أشكل عليه البعض الا انه قال لهم هل تعلمون ماذا يعني صوت هذا الناقوس أو يدل قالوا ماذا قال انه يقول لا اله الا الله إلى تكملة الحديث^(١٦).

وان أهم نص يبين ان الإمام علي رجل كما يسمى باليوم بالمتقف والمعاصر يفتح على الجميع وينضر للأمر بطريقه مدنيه جديدة ويتعامل مع الناس على ما هم عليه وليس ما يريد هو وصيه لمالك الاشر في عهده له لأهالي مصر قوله ((ثم اعلم يا مالك إني وجهتك إلى بلاد قد جرى عليها دول قبلك من عدل وجور وان الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك...))^(١٧) في إشارة واضحة لاحترامه لحرية الناس وعدم التأكيد على تطبيق سياسة الإمام علي أو الدين الإسلامي

وتشريعاته، وما يوضح هذا المعنى أكثر انه رغم ان بينه وبين الخوارج دما الا ان ذلك لم يمنعه في ان يمدهم بالعطاء من بيت مال المسلمين وهذا مؤثر آخر على مدى تمسك علي بالحق والإنصاف والعدل. كما وانه لم يمنعهم من دخول المساجد وعاملهم معاملة المفتونين المشتبهين رغم أنهم تطاولوا على حكمه وحكومته بل راح أكثر من ذلك يلتمس لهم الأعذار وفد أكد إن من لديه دعوى مع شخص اللجوء للقضاء ونلاحظ ذلك في قوله (ان الحدود لا تستقيم الا على المحاجة والمقاضاة وإحضار البينة) (١٨).

حرية التعبير عن الرأي

من الموضوعات الحديثة والمدنية ذات الأهمية هو حرية التعبير عن الرأي والتظاهر السلمي كجزء من حريات الانسان المعاصر وفي مجمل أبحاثنا عن هذا الموضوع في المنطقة العربية وجدنا ان الإمام علي كان هو بحد ذاته يؤكد على ان يكون الانسان شجاع في تعزيز حريته في كل المجالات حيث يقول ((لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً)) (١٩)، حيث جسد الإمام علي (عليه السلام) احترامه لحرية التعبير عن الرأي مصداقاً لخلافه السماء كانسان ناهيك عن كونه حاكم يحمل فكر أزي فمئذ إن رفض إبليس السجود لكائن خلقه الله من الطين بدأت حرية احترام الرأي من الله جل شأنه وناقشه بصورة عادلة ولم ينكل به بل تركه وهو القادر على كل شيء ومن هنا أصبح لزاماً على أصحاب الرسالات الالتزام بهذا النهج فعلي (عليه السلام) لم يستخدم السيف لكل ناقد ولكل متمرّد على الحكم ولم يستخدم السلاح متذرعاً بالحفاظ على أمن الدولة أو أن الدولة تمر بحالة استثنائية أو حالة طوارئ ليقوم بتصفية كل المعارضين للحكم ولو معارضي الرأي لكنه يأبى لنفسه ذلك، ولأنه رجل ينطلق من منطلقات التشريع الإلهي معتمداً على القاعدة الشرعية (أن لا استخدام للسيف إلا باستخدامه من الطرف الآخر) أما إذا كانت المعارضة في ضمن الأطر السلمية والنقد فلا يجوز التعاطي معها بالقمع

والتجاوز على الحريات. لذلك عندما كان يخطب من على منبر الكوفة انبرى له رجل ممن يكفرونه وقال قاصدا الإمام (لله أبوه كافرا ما أفقهه) فانبرت له جماعة تريد قتله فمنعهم الإمام ناهيا إياهم (اتركوه فهو إما سب بسب أو عفو عن ذنب) (٢٠). وكأنه بذلك أراد ان يؤسس لحرية التعبير ويقنن حرية النقد حتى لرأس السلطة فهو ليس فوق النقد واكبر من ان ينتقد، وهناك العديد من الروايات التي تؤكد على تبني الإمام علي هذا المفهوم التحرري، إما حق التظاهر فكان واضح وجلي في رده على عمر بن الخطاب أول صعوده المنبر متسائلا إذا ما اخطأ فأجاب الإمام ((إذن لقومناك بسيفنا)) (٢١).

حرية المعتقد

كان (عليه السلام) يشار له بحريه المعتقد وبشواهد عده واقرب دليل هو الرواية التي تذكر سماع الأمام علي صوت أجراس الكنائس والأديرة في الحيرة بالقرب من الكوفة (٢٢) إما وثيقة الإمام لمالك فقد تضمنت عددا من الحقوق والحريات العامة، أهمها حرية العقيدة وذلك نلحظه في موقفه المتسامح مع أهل الذمة رغم أنهم أقليات ولا يمثل عنصر ضغط على الدولة الا ان الإمام كان يراعي حقوقهم بل جاء في الروايات التاريخية انه لما أقدم بسر بن ارطأة بالهجوم على الأنبار وقام بسلب المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة تألم الإمام لكلاهما دون ان يفرق بينهما فقال: (ولقد بلغني ان الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلائدها ورعاها... فلو ان الرجل مات بعد ذلك أسفا لما كان عندي ملوما بل كان عندي جديرا..). (٢٣). فالإمام كان يتألم للمسلمة وما جرى عليها كما تألم للمعاهدة دون تفريق. هذا مما يدل لنا مدى شمولية الإنسانية بالإسلام في فلسفه الإمام علي كما ان المسلم محترم في الدولة الإسلامية كمواطن كذلك أيضا المواطنون الآخرون من أصحاب الديانات الأخرى ان لهم حقوقا وواجبات كما للمسلمين حقوق وواجبات. وكان موقفه مستمدا من موقف القرآن مع

أهل الذمة بقول الله في كتابه ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٢٤)، فيما بدأ ذلك واضحا في حق الملكية الخاصة: [ولا تمس مال احد من الناس مصل ولا معاهد]،^(٢٥) مشيرا في المساواة بين بني البشر: [ياأيها الناس ان ادم لم يلد عبدا ولا امة ان الناس كلهم أحرار]^(٢٦). وكما ذكرنا في مورد سابق، وتجد ذلك واضحا وجليا في موقفه مع احد من الأنصار عندما اعترض عليه بمساواته في العطاء بينه وبين عبده الذي اعتقه منذ فترة وجيزة حيث أعطى الإمام كلاهما ٣ دنانير فساوى بين العبد ومولاه فاحتج المولى عليه قائلا: (يا أمير المؤمنين هذا غلام أعتقته بالأمس تجعلني وإياه سواء فقال: إني نظرت في كتاب الله فلم أجد لولد إسماعيل على ولد إسحاق فضلا).^(٢٧) وأخيرا فلقد ندد علي بمعاوية عندما كان يأمر بالإغارة على أطراف العراق دون ان يفرق بين المسلمين أو النصارى، فقال الإمام: (ويحك ما ذنب أهل الذمة في قتل عثمان)^(٢٨).

العدالة الاجتماعية

من أكثر ما يطمح له الانسان المعاصر هو الحكم الديمقراطي وتحقيق العدالة الاجتماعية بين كل بني البشر ولعل أجمل قصه في هذا السياق هي في خلافة الإمام علي (عليه السلام) كان المسيحي مواطن له ما للمسلم من حقوق، بل الحاكم يضع نفسه مقابل أي مسيحي عادي، ويشهد موقفه (عليه السلام) عندما ضاع درعه وهو قاصد حرب صفين، وعندما وجده عند رجل مسيحي، وطلب الإمام (عليه السلام) القضاء في الموضوع ذهب مع خصمه إلى القاضي (شريح)، فوقف الخليفة الحاكم مع الرجل المسيحي أمام القاضي بدون أي تميز. قال (عليه السلام) المدعي إنها درعي ولم أبع ولم أهب، فسأل القاضي الرجل المسيحي ما تقول فيما يقوله (عليه السلام) فقال ما الدرع الا درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب فالتفت شريح القاضي إلى أمير المؤمنين قائلاً هل من بينة يا علي تشهد ان الدرع لك فضحك علي وقال أصاب شريح ليس لي بينة

ففضى شريح بالدرع للمسيحي فأخذها ومشى وأمير المؤمنين ينظر إليه الا ان الرجل لم يخط خطوات حتى عاد يقول : أما أنا فاشهد ان هذه أحكام الأنبياء أمير المؤمنين يدنيني إلى قاض يقضي عليه ثم قال : الدرع درعك والله وقد كنت كاذباً فيما ادعيت، وفي نفس مسار العدالة يروى انه تحاكم الإمام عليُّ أمام عمر، وكان الخصم يهودياً، وكان عمر ينادي عليه قائلاً: يا أبا الحسن، وهو يتحاكم أمامه، ظهر الغضب على وجه عليّ، فظن عمر أن علياً يتبرم من وقوفه مع اليهودي على قدم المساواة، فقال عمر لعلي: أكرهت أن يكون خصمك يهودياً؟ فقال علي (عليه السلام) : إنما غضبت لأنك لم تسوّ بيني وبين خصمي اليهودي إذ ناديته باسمه، وناديتني بكنتي.

حقوق المرأة

كان أكثر من حفظ حق المرأة وعزز ووجودها الإنساني هو الإمام علي فكان يتعامل مع الذكر كما الأنثى ومن أدبه الكامل تسليمه على النساء من قومه، ومشييه مع المرأة لقضاء شأن من شؤونها، حتى وإن جلب له الأمر مشقة، فعن الإمام الباقر (عليه السلام) قال : رجع الإمام علي (عليه السلام) إلى داره في وقت القيظ، فإذا امرأة قائمة تقول: إن زوجي ظلمني، وأخافني، و تعدى علي. فقال الإمام: يا أمة الله! اصبري حتى يبرد النهار ثم أذهب معك إن شاء الله، فقالت: يشتد غضبه علي. فطأطأ الإمام (عليه السلام) رأسه ثم رفعه وهو يقول: لا والله أو يؤخذ للمظلوم حقه غير متتع! أين منزلك؟ وحيث وقف الإمام (عليه السلام) على باب المنزل قال: السلام عليكم) فخرج شاب مفتول الجسم. فقال له الإمام (عليه السلام): (يا عبد الله، أتق الله فإنك قد أخفتها وأخرجتها فقال الفتى: وما أنت وذاك؟ وأخذ يتوعد بتعذيبها فقال أمير المؤمنين: (آمرك بالمعروف، وأنهاك عن المنكر، تستقبلني بالمنكر و تنكر المعروف؟) فأقبل الناس من الطرق يلقون التحية على الإمام (عليه السلام) ويقولون: سلام عليكم يا أمير المؤمنين! فسقط في يديه،

فقال: يا أمير المؤمنين! أقلني عثرتي، فو الله لأكون لها أرضاً تطأني. فالتفت الإمام إلى المرأة قائلاً: يا أمة الله! ادخلي منزلك ولا تلجئي زوجك إلى مثل هذا وشبهه (وما يؤكد احترامه لمكانة المرأة والفخر بها قوله (عليه السلام) ((ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخديجة وأنا ثالثهما))^(٢٩) وما يؤكد تذكراً للمرأة كذلك ويفخر الإمام علي عدوه معاوية في مقارنة يراد منها توضيح حقه وما يسعى إليه من خير للمجتمع إذ يقول (عليه السلام) : ومنا خير نساء العالمين ومنكم حمالة الحطب))^(٣٠) وفي تقبله لشهادة المرأة واحترامه لمكانتها روي إن شكت امرأة تسمى سوده بنت عمارة الهمدانية إلى الإمام علي ابن أبي طالب (عليه السلام) أحد ولاته الكبار وهو والي صدقاته على الأهواز وكانت تحت سلطته منطقة واسعة تقول سوده: (لقد جئت إلى علي ابن أبي طالب (عليه السلام) في رجل ولاءه صدقاتنا فجار علينا، فصادفته قائماً يصلي، فلما رأيته أنفتل من صلاته ثم أقبل علي برحمة ورفق ورأفة وتعطف وقال : ألك حاجة؟ قلت: نعم، فأخبرته الخبر، فبكى الإمام (عليه السلام) ثم قال: اللهم أنت الشاهد علي وعليهم، وإني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك، ثم أخرج قطعة جلد كتب فيها: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قَدْ جَاءتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فإذا قرأت كتابي هذا فاحفظ بها في يدك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام، ثم دفع الرقعة إليّ، فو الله ما ختمها بطين ولا خزمها فجئت بالرقعة إلى صاحبه فانصرف عنا معزولاً. في هذه الواقعة التاريخية الكثير من الدروس البليغة في السياسة والحكم والإدارة والتعاطي مع أمور الناس حتى ولو كانت بسيطة أو صغيرة فالإمام علي (عليه السلام) كان ينظر من زاوية مختلفة وحساسة جداً حيث أن التهاون في الأمور الصغيرة والتي قد تبدوا عادية في نظر البعض هو ما يؤدي إلى الفساد والظلم، وما إلى ذلك، إما ما نسب إليه عن حديثه عن النساء ونعته لهن بناقصات العقول وما إلى

ذلك فقد أسهب في هذا الموضوع كثيرا السيد محمد حسين فضل الله في كتابه دنيا المرأة وكذلك كتابه تأملات إسلاميه حول المرأة فبعض هذه المعاني ظاهرية في حال تحققت الروايات فيها ولنا ان نختم هذا المجال بوصيته عند مماته قوله اتقوا الله في الضعيفين الأيتام والنساء^(٣١).

أخريات

لعلنا في هذه العجالة ممرنا على بعض الشواهد وبالاختصار لان وفرت الأخبار والمآثر لشخصية الإمام علي لا تسع المقام فلا يفوتنا إن نذكر بعض المواد التي لا تخلو من الأهمية فيما يجدر الذكر هنا هو إنسانيته ورفقه بالحيوان وقد وجدنا الكثير من المواقف والقصص انطلق على في تشريعه لحقوق الحيوان من قوله تعالى : ((وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون)) ان علي ابن أبي طالب أول من أسس لحماية الحيوان في التأريخ فينقل له مواقف متعددة تعكس البعد الإنساني والقيم الرفيعة له (عليه السلام) ويتمثل بالواجب الحقوقي لبني البشر وبقية المخلوقات فلقد نقل لنا التأريخ انه أمر ببناء مربدا للضوال من الحيوانات يقوم بإطعامهم. وبقية قرص البرد وحر الصيف ويطعمها ويعلفها من بيت المال فينفق عليها إلى ان يمر عليها زمن من يدعيها يقدم البينة وإلا فتستخدم ان أمكن الاستفادة منها وإلا تترك في مكانها .- كما كان يوصي المصدقين (جامعي الزكاة) ان لا يطلعوا بالحيوان بالضاحية، أو بالهجير كما وكان يوصي كثيرا عماله بالرفق بالحيوان ((لا تفصلوا الناقة عن فصيلها))، ((لا تنهكوا الأم بالحلب، فلا يبقى شيء لوليدها)) كما ويوصي عماله كما جاء في وصيته لملك الأشتر في دستوره العظيم ((فإذا أتيها فلا تدخل دخول متسلط عليه ولا عنيف به ولا تنفرن بهيمة، ولا تفرعنها ولا تسوء صاحبها منها ..)) إما الرواية الشهيرة التي يقول فيها انشروا القمح على أسطح الجبال... في دلاله واضحة على رعاية الحيوان^(٣٢).

الخاتمة

مع إننا أوجزنا كثيرا ولم نقتفي الكثير من الروايات التي تشعبت في كتب المذاهب عامه والمدنيين من مستشرقين ومهتمين في مجال حقوق الانسان ولم نتطرق لكل الحقول الاجتماعية والاقتصادية بشكل كامل و فقط أخذنا الأكثر أهميه في الإعلام في الوقت الحاضر ومن هذا المنطلق نجد أن تراثنا الإسلامي يسبق التشريعات الحديثة بمئات السنين في تقنين مبادئ حقوق الانسان، فلم يذكر التاريخ غير بعض المهتمين بحقوق الانسان وقد تغاضوا عن سفر الإمام علي الإسلامي بدأ من وثيقة [مانحنا كارتا] الذي أصدره الملك الانجليزي جون [١٢١٥م] والتي تعتبر أقدم وثيقة دستورية في التاريخ الانجليزي في حين أن الوثيقة الدستورية لعلي بن أبي طالب في عهده لمالك الأشتر تعتبر من أقدم الوثائق الحقوقية والتي تحمل في جنباتها الكثير من الحنان الإنساني العميق الذي يحيط به الإمام دستوره في المجتمع والتي سبقت (مانحنا كارتا) بقرون عدة، ترى فيها أبعاداً إنسانية كبيرة وعمقا في الرؤية ورشادا في الفكرة. فهل يوجد أعمق من هذا المعنى دلالة على الشمول الإنساني والإحاطة لكل بني البشر من هذه العبارة، التي سجلها الإمام في دستوره العلوي إذ قال: [وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم والألفة إليهم ولا تكن عليهم سبعا ضاريا تغنم أكلهم فأنهم صنفان : إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق]^(٣٣). وكتبت مجلة الحقوق العراقية في عددها الثاني سنة ١٩٤١م قائلة [لا مرء بأن عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك الأشتر عامله على مصر من أنفس الوثائق التاريخية الزاخرة بمبادئ الحكم وأساليب الإدارة وأصول التشريع، وأخلاق المسؤولين، وإذا كانت الحضارة اليونانية تفخر على عالم العصر الحاضر بشريعة سولون، والتاريخ الانجليزي يباهي حضارة اليوم بوثيقة [المانحنا كارتا]، والثورة الفرنسية تزهو بين تاريخ الثورات [بإعلان حقوق الانسان]، الذي لم يفتى حتى زال بسرعة

بعد إن تغير لفض مواطن إلى مسيو بعدة سنوات وقبل حتى موت نابليون، فحسب الحضارة العربية الزاهرة مجدداً وسموا أنها قدمت للأجيال المتعاقبة منذ أربعة عشر قرناً هذا العهد الأميري الخالد على الدهر بأعدل المبادئ المقررة في فقه السياسة والتشريع). وفي نفس السياق يقول المفكر المسيحي جورج جرداق في تعليقه على الدستور العلوي لعللي بن أبي طالب (فليس من أساس بوثيقة حقوق الإنسان التي نشرتها هيئة الأمم المتحدة إلا وتجده له مثيلاً في دستور ابن أبي طالب ثم تجدي في دستوره ما يعلو ويزيد) مع الأخذ بعين الاعتبار الفارق الزمني بين الوثيقتين، وأن الأولى كانت نتاج عقول كثيرة من بني البشر والثانية كانت نتاج عبقري واحد هو علي بن أبي طالب. ولعل المفارقة الأكبر هي ان وثيقة الأمم المتحدة كتبت وقليلاً ما طبقت موادها في الواقع فما زال العالم والمجتمعات البشرية تلحظ الفارق الكبير بين موادها ونظريات ميكافيلي أو المنطق الذرائعي [البراغماتي] الذي يسوغ للدول انتهاك هذه الحقوق، في حين أن علياً جسدها على الواقع بعدالته والقوانين التي سنها في ذلك الوقت مع رعيته حتى بقت مقولته التي لم يقلها حاكم غيره تثير استغراب وتعجب الكثيرين من ناقد التاريخ أو مؤرخي تاريخ الأمم والتي قال فيها: (لقد أصبحت الأمم تشكوا ظلم رعاتها وأصبحت أشكوا ظلم رعيته، ولقد كنت بالأمس أميراً واليوم مأموراً، وكنت ناهياً واليوم منهيماً)^(٣٤)، وما أردنا بصدق الإشارة بهذه البحث المختصر تسليط الأضواء على سيرة الإمام علي الإصلاحية الحافلة بالمبادئ والحقوق في الوقت التي يغض الطرف العالم غير المتدين عن هذا الرجل العظيم ويحفل بلائحة حقوق الانسان التي لم تنتج الا بعد إن تيقظ العالم من حربين عالميتين انتهكت فيها الحقوق الحريات وبعد إن أقرت عصبت الأمم المتحدة مجموعه من الاتفاقات الشكلية تم إقرار لائحة حقوق الانسان في ١٠-١٢-١٩٤٨ ولا زالت هذه الحقوق التي اشتملت على ٣٠ مادة نضريه لا يلتزم بها كل الدول التي وقعت عليها ومن يتحدون بها كأنها أعجوبة العصر الا إن علي (عليه السلام) أسس لأول دوله

مدنيه معروفه المعالم ودستورها القران الكريم المنزل من السماء سابقا الجمعية العامة للأمم المتحدة بما يقارب ١٤ قرن وقد رسخ طروحاته بصورة عمليه وبصدق تام مع العذر لكثير الهفوات والاقتصار.

الهوامش والإحالات

١. القران الكريم
٢. نهج البلاغه للشريف الرضي شرح علي دخيل
٣. تحف العقول عن آل الرسول أبو محمد الحسن الخراي
٤. ترجمه الإمام علي أبي القاسم ابن الحسن ابن عساكر
٥. حقوق الانسان عند الإمام علي د غسان السعد
٦. من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق محمد ابن علي القمي
٧. الأمالي للشيخ الطوسي
٨. غرر الحكم ودرر الكلم عبد الواحد بن محمد بن تميم
٩. نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغه محمد باقر
١٠. أهل البيت تنوع أهداف ووحدة هدف محمد باقر الصدر
١١. الجمل والنصرة في حرب البصرة
١٢. بحار الأنوار ج ٢ للعلامة المجلسي
١٣. الأخبار الطوال للدينوري
١٤. السياسة الجزائية في فقه العقوبات الاسلاميه لأحمد الحصري
١٥. المواطنة والهوية الوطنية لمعهد الأبحاث دار العارف للمطبوعات
١٦. علم العقاب د محمد معروف
١٧. الجريمة والعقوبة والمؤسسات الاصلاحية د حسن طالب

- ١٨ . إحكام السجون بين الشريعة والقانون د احمد الوائلي
 ١٩ . المستدرك على الصحيحين د يوسف المرعشي
 ٢٠ . وسائل الشيعة الحر العاملي
 ٢١ . دنيا المرأة محمد حسين فضل الله
 ٢٢ . علي ميزان الحق محمد حسين فضل الله

الهوامش

- ١ . نذكره الخواص ص ٨ وكذلك أورده علي دخيل في نهج أبلأغه ج ١ ص ٦ .
 ٢ . نفس المصدر السابق .
 ٣ . المستدرك ٤٣١ .
 ٤ . الوسائل ج ١٦ ص ١١١ .
 ٥ . نفس المصدر السابق المستدرك ج ٨٨ ص ٣٦ .
 ٦ . علم العقاب د محمود معروف عبد الله ص ١٩ .
 ٧ . المستدرك ١٧ - ٤٠٣ .
 ٨ . الجريمة والعقوبة والمؤسسات الإصلاحية د حسن طالب ص ١٧٢ وكذلك وردت في المصدر السابق .
 ٩ . أحكام السجون بين الشريعة والقانون د احمد الوائلي ص ٤٥ .
 ١٠ . السياسة الجزائية في فقه العقوبات الإسلامي المقارن د احمد ألحصري ص ٣٨٩ كما ورد في المصدر السابق .
 ١١ . غرر الحكم ص ٤٤٥ - حكمة ١٠٣٧١ للقاضي ناصح الدين الامدي .
 ١٢ . سورة الحجرات آيه ١٣ .

١٣. المواطنة والهوية الوطنية لمعهد الأبحاث دار العارف للمطبوعات ١٠٨.
١٤. الجمل والنصرة في حرب البصرة للمفيد ٢٠٦.
١٥. تحف العقول ص ٩٠.
١٦. بحار الأنوار ج ٢ ص ٣٢٢.
١٧. تحف العقول ص ٩٠ للحسن بن علي الحراني.
١٨. الدينوري الأخبار الطوال ص ١٣٠.
١٩. نهج البلاغة للشريف الرضي ص ١٤٠.
٢٠. نفس المصدر السابق ١٩٧.
٢١. أهل البيت تنوع ادوار ووحده هدف لباقر الصدر ص ٨٩.
٢٢. بحار الأنوار ج ٢ ص ٣٢٢.
٢٣. نهج البلاغة ص ١٣.
٢٤. سورة البقرة ٢٦٥.
٢٥. النهج ص ١٤٩.
٢٦. غرر الحكم ٤٤٧.
٢٧. الكليني في الروضة ج ٨ ص ٦٩.
٢٨. نهج السعادة ج ٥ ص ٣٠٨.
٢٩. النهج ١٠٣.
٣٠. نفس المصدر السابق ١٣٤.
٣١. أمالي الطوسي ص ٣٧٠.
٣٢. من لا يحضره الفقيه للصدوق ٣٤٩.
٣٣. تم ذكر المصدر سابقا - تحف العقول ٩٠.
٣٤. النهج ١٨٦.

حقوق الانسان

في عهد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام)

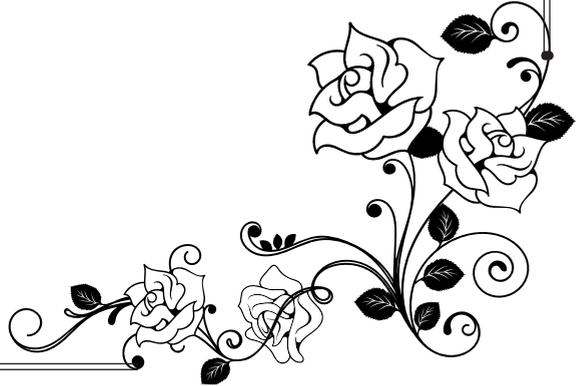
لمالك الاشر (رضي الله عنه)

م.د. غادة علي هادي

جامعة بغداد-كلية التربية للعلوم الانسانية ابن رشد كلية

م. د. عهد سامي هاشم

التربية وعلوم الرياضة للبنات



ملخص البحث:

يهدف هذا البحث الى بيان اهم حقوق الانسان في عهد الامام علي لواليك على مصر مالك الاشر وتلقيق مرمى البحث اتبعت الباحثة المنهج الاستقرائي وقد جاء البحث بمباحث اربع خصص الاول منها لتحديد مفهوم حقوق الانسان وخصائصها، وكرس الثاني لبيان حقوق الانسان في الشريعة الاسلامية في حين خصص المبحث الثالث لبيان حقوق الانسان في عهد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) لواليه على مصر مالك الاشر وقد توصل البحث لتتائج عدة منها :

١. ان للشريعة الاسلامية السمحاء الدور الاول في رعاية الانسان ومراعاة انسانيته بالدرجة الاولى .
٢. ان الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) كان من اوائل الدعاة للمحافظة على حقوق الانسان وخير ما يجسد ذلك عهده لعامله على مصر مالك الاشر .
٣. تضمن عهد الامام علي تفصيلاً دقيقاً لواجبات الحاكم تجاه الرعية ولم يغفل الامام عن أي تفصيلية من تفصيلات واجبات الحاكم .
٤. قسم الامام (عليه السلام) المجتمع لطبقات وفئات عدة واصفاً كيفية التعامل مع كل طبقة وهو بعهده هذا يجسد ما على الوالي تطبيقه حقاً تجاه الرعية.
٥. جسد الامام سماحة الدين الاسلامي بالتعامل مع غير المسلمين والمحافظة على حقوقهم مع انهم يعيشون في مجتمعات غير اسلامية وهو ما يضمن حق عامة الناس وخاصتهم وان اختلفت ديانتهم، وهو بذلك يقر مبدا التعايش السلمي بين ابناء المجتمع الواحد.
٦. يؤكد الامام (عليه السلام) على ضرورة ان ياخذ الوالي المشورة من اصحاب الخبرة والحلم والحكمة وان يتعد عن اهل التفرقة والبغضاء والشحناء .

٧. يؤكد على الامام على ضرورة متابعة الوالي لامور رعيته والتعامل معهم بالرفق والرافة والرحمة عامة ومع الفقراء منهم بنحو خاص .

التوصيات :

١. ضرورة اتباع مبادئ العهد وبنوده من اصحاب السلطة وصناع القرار فو عمل أي منهم بمبادئ هذا العهد وواجباته لوجدنا مجتمع يزدهر ويبدع افراده .
٢. ضرورة ان يدرس عهد الامام علي بن ابي طالب في كليات القانون والسياسة لينهل سياسيو الغد من عقب الفكر العلوي المطهر .
٣. تنظيم دورات تدريبي لكل المعنين بالسياسة تتضمن مبادئ العهد واجراءات تطبيقية .

المبحث الاول

حقوق الانسان مفهومها وخصائصها

مفهوم حقوق الانسان :

يمكن القول ان حقوق الانسان (مجموعة البندوق الطبيعية التي يمتلكها الإنسان واللصيقة بطبيعته والتي تظل موجودة وان لم يتم الاعتراف بها، بل اكثر من ذلك حتى ان انتهكت من سلطة ما)^(١).

ويعرفها مطرود بأنها (البندوق اللصيقة بالإنسان والمستمدة من تكريم الله له وتفضيله على سائر مخلوقاته والتي تبلورت عبر تراكم تاريخي من خلال الشرائع والأعراف والقوانين الداخلية والدولية ومنها تستمد وعليها تبنى حقوق الجماعات الإنسانية في مستوياتها المختلفة شعوباً واثماً ودولاً)^(٢).

او هي مجموعة المعايير الأساسية للحياة الكريمة، التي تعد أساس الحرية والعدالة والسلام في المجتمعات، واحترام هذه البندوق وتعزيزها في المجتمع يسهم في تنميته وأفراده على حد سواء، إذ إن هذه البندوق تعتبر حجر الأساس في استقرار المجتمعات ومقياساً لتقدم الدول^(٣).

نشأة حقوق الانسان :

١. في الحضارات القديمة :

لا يمكن معرفة التاريخ البندوق لنشأة حقوق الانسان فبتتبع الحضارات القديمة نجد ان حضارة وادي الرافدين قد تضمنت صورة تقريبية للواقع السياسي انذاك حيث

(وصفت السيادة بأنها مطلقة وتفتقر الى الاقرار بالبندوق والحريات للإفراد، فقد وصف الملك بأنه صاحب السلطان المطلق ويحيط به جو من الخوف والعنف وكان الحكام ممثلين للالهة أن لم يكونوا هم آلهة والبندوق والحريات العامة بأشكالها كافة، كانت في حكم العدم)^(٤). بيد ان القوانين كقانون حمورابي، قد اقرت باحترام الملكية وحق التقاضي وبعض الامور التنظيمية الاخرى^(٥).

وبالتوجه نحو حضارة وادي النيل، فان الفرعون كان (يتمتع بصفة الألوهية وهو يتلقى هذه الصفة من ابيه الإله المختلق ومنه يستمد حقه الإلهي في الحكم المطلق)^(٦). ومع ما عاناه الشعب المصري في تلك المرحلة من (اذلال كبير للشعب فكان افراد رعيته يضعون انوفهم في موضع قدميه يستنشقون رائحتها ومن كان مقربا كان يسمح له بشم قدميه مباشرة، ولم تكن حياة الإنسان العادي في نظر الفراعنة اية قيمة تذكر وذلك مما جعلهم لا يترددون عن التضحية بها لمجرد نزوة تتباهم)^(٧) الا اننا نجد بعض النصوص القانونية في هذه الحضارة تشير احيانا الى حقوق التقاضي وابطال بعض انواع الرق^(٨).

وعلى الرغم من الاشارة لهذه القوانين الا ان حقوق الانسان لم تك واضحة المعالم في تلك المرحلة وفي تلك المرحلتين، وتعتقد الباحثة ان العلة في ذلك تعود الى خوف الحاكم من ثورة الشعب ضده خاصة وانه كان يمثل الاله والمتفرد بالسلطة وما يؤيد هذا الراي القائل (ان البندوق الانسانية لم يكن لها وجود على الصعيد النظري او الصعيد العملي في تلك الفترة)^(٩).

وبالانتقال الى الحضارة اليونانية فاننا نجد ان حقوق الانسان قد شهدت تطوراً ملحوظاً وفي الحضارة اليونانية اذ(كانت مدينة اثينا نموذجاً للمدينة الحديثة التي يعيش فيها المواطنون متساويين لا يفرق في حقوقهم الغنى او الفقر، فالجميع سوية في الحصول على الخدمات المدنية، ولكن اخذ على هذه المدينة انها قصرت المساواة على طبقة المواطنين

فقط دون الطبقات الاخرى^(١١)، حتى انها لم تشمل اناسا يقيمون في اراضيها منذ اجيال احيانا^(١١).

فضلا عن ذلك يسجل للحضارة اليونانية مسالة احترام القوانين، ولكن هذه الحضارة لم ترق لدرجة تدرك بها وجود قانون اخلاقي يشمل الجنس البشري بأكمله، إلا آراء بعض المدارس الفكرية^(١٢)، اضافةً الى احترام للملكية والارث فضلاً عن مظاهر ايجابية اخرى^(١٣).

٢. في الفكر الغربي :

اما في اوربا فقد ظهرت بعض التطورات المهمة نسبيا في مجال حقوق الإنسان مردها عوامل فكرية واقتصادية واجتماعية، ففي انجلترا صدر في عام ١٢١٥ الشرط الكبير (الماكنارتا) الذي فرض فيه امراء الاقطاع (البارونات) على (الملك جان) توقيع هذا الشرط للاعتراف بحقوقهم وامتيازاتهم. وفي الاعوام ١٦٢٧ و ١٦٢٨ و ١٦٧٩ صدرت عدة اعلانات لتأكيد جزء من الحريات والبندوق وفي سنة ١٦٨٨ صدرت وثيقة البندوق في اعقاب ثورة سنة ١٦٨٨ البيضاء.

كما ان فكرة حقوق الإنسان ظهرت في اعلان الاستقلال الامريكي عام ١٧٧٦ وفيه بعض البندوق كحق الحياة، والحرية، ومبدأ المساواة بين الناس وان صلاحية الدولة مستمدة من الشعب ثم جاء بعد ذلك اعلان (الدستور الامريكي) عام ١٧٨٧ حيث تعدل عدة مرات مع ما يحتوي عليه من حقوق مهمة مثل حرية العقيدة وحرمة النفس والمال والمنزل وحرية التقاضي وتحريم الرق لغاية سنة ١٧٨٩.

وفي العام نفسه ١٧٨٩ صدرت في فرنسا وثيقة حقوق الإنسان والمواطن الفرنسي التي بدأت بعبارة (يولد الناس احراراً ومتساوين في البندوق) وقد حرص الفرنسيون على هذا الاعلان وما تضمنه من حقوق ووضعوه في مقدمة دستورهم عام ١٧٩١^(١٤).

ثم جاءت المؤسسات الدولية في القرن العشرين فاعلنت حقوق الإنسان في مواثيقها سنة ١٩١٩م في عصبة الأمم، ثم في ميثاق الأمم المتحدة سنة ١٩٤٥ (المادة ٥٥) وتم تأسيس لجنة حقوق الإنسان وعملت على صياغة حقوق الإنسان، وصدرت (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في ١٩٤٨)^(١٥)، والذي احتل في العالم المعاصر مكانة مهمة إذ تبنته الأمم المتحدة وعدته المثل الأعلى المشترك الذي ينبغي أن تصل إليه الشعوب والأمم كافة^(١٦).

٣. الملابسات التاريخية لنشوء حقوق الإنسان :

إن الصراع الذي دار بين الطبقة البرجوازية الحاكمة وعمامة الشعب أدى إلى ظهور طبقة جديدة أخذت أناسها على عاتقهم المناهضة بحقوق الإنسان الآتية:

١- البندوق المستمدة من طبيعته الإنسان بحيث لا يجد سلطان الملك ولا رجل دين ولا إله.

٢- إزالة سلطان الكنيسة والدعوة إلى إقامة أوطان قومية تقوم فيها المواطنة على أساس لا صلة له بالدين، إن لم يكن مناوئاً له .

٣- إزالة الحواجز التي فرضتها الطبقات القديمة على أعمال التجارة والصناعة، حتى إن بعض الفلاسفة عرف الحرية بأنها غياب الحواجز أمام تحقيق الرغبات^(١٧)، وقد تطور هذا الفكر إلى أن وصل في وقتنا الحاضر إلى جعل المحدد الأساسي والوحيد للحرية والبندوق هو ما يسمى (: موازين القوى)، أي : القوة والسيطرة والثروة^(١٨) وهي اليوم لصالح الغرب، أصحاب الفلسفة المادية الفردية .

الأمر الذي جعل الإطار الغربي لمفهوم حقوق الإنسان، وما صدر من التشريعات الدولية لحقوق الإنسان من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وما تلاه من الاتفاقيات هو المرجعية الأولى والأساسية في تحديد تلك البندوق ولا مجال لمراجعتها أو لتمحيص المعاني

التي يرمي إليها ؛ لأنه بحسب ما قصد منه هو المعيار المشترك الذي تقيس به الشعوب والأمم كافة منجزاتها، وهو مدونة للسلوك الدولي فيما يتصل بحقوق الإنسان وحياته الأساسية ومصدرها العام بلا منازع. (١٩)

المبحث الثاني

حقوق الانسان في الشريعة الاسلامية

لقد جاء الإسلام بنظام جديد للدولة هو الدولة الخاضعة لقانون الشريعة، (فجعل منها دولة قانونية بجميع أركانها وضمائنها : من وجود دستور هو المرجعية للسلطة والأفراد، ينظم السلطة ويضع القيود عليها لمصلحة حقوق الإنسان التي اعترف بها، وحرص على إيجاد ضمانات تحقيقها، وفصل بين السلطات، ونظم الرقابة القضائية، وقرر مبدأ اختيار الحاكم، ومراقبته، وعزله، وجعل أحد أهداف الدولة الأساسية هو تحقيق حقوق الإنسان، كل هذا جعل بعض كبار علماء القانون العام يصرح بأن الدولة الإسلامية كانت أول دولة قانونية في الأرض، يخضع فيه الحاكم للقانون ويمارس سلطاته ضمن دستوراً هو أحكام القرآن والسنة، دون أي اعتداء من الحكام أو المحكومين على السواء) (٢٠) ودون إهمال لأي جانب من الجوانب التي تهم الفرد والمجتمع، أو أي حق من البندوق، بل إن الإسلام قد بلغ في تقديس حقوق الإنسان إلى الحد الذي تجاوز بها مرتبة (البندوق) عندما اعتبرها (ضرورات)، ومن ثم أدخلها في إطار (الواجبات) (٢١).

لقد كان الإسلام أول من عرّف البشرية بفكرة حقوق الإنسان ولفت الأنظار إليها، وبإجراء مقارنة بسيطة بين ما ورد في وثائق حقوق الإنسان الصادرة عن هيئة الأمم المتحدة، وبين النظام الإسلامي يتضح ما يلي :

أولاً : أقر نظام التشريع الإسلامي للإنسان جميع البندوق منذ البداية، ولم يصنف البندوق

إلى أجيال وفئات كما جاء في المنظور الغربي للحقوق الإنسانية .

فحقوق الإنسان السياسية والمدنية، مرتبطة بحقوقه الاقتصادية والاجتماعية، كذلك الأمر بالنسبة للحقوق البيئية والثقافية والتنموية، وهي ليست أجيالا ثلاثة تم استحقاقها على ثلاث مراحل، كما ورد في الوثائق الصادرة عن هيئة الأمم المتحدة .

فأول إعلان لحقوق الإنسان كان قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الاسراء:

٧٠) ذلك أن تكريم الأدميين هو أصل البندوق الإنسانية في الشريعة الإسلامية، وفي الشرائع كلها، ثم إن إقرار المساواة بين الناس جميعا مما أكدته نصوص القرآن الكريم والهدي النبوي الشريف، وأن لا تمايز بين الناس إلا بالتقوى، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

وقال الرسول الاكرم (صلى الله عليه واله) في حجة الوداع: (إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى) (٢٢).

وتشير وثيقة امير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى ضرورة العدل الذي هو سبيل التوازن بين طبقات الأمة، ويوصيه بالصبر على ذلك فيقول: (والبند كله ثقیل وقد يخففه الله تعالى على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم). (٢٣).

مظاهر التكريم الإلهي للإنسان:

١- خلق الانسان في أحسن تقويم: قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

٢- نفخ فيه من روح الله: قال تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ [السجدة: ٩].

- وقال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ص: ٧٢].
- ٣- أمر الملائكة بالسجود لآدم: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].
- ٤- علم آدم الأسماء كلها: قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣١، ٣٢].
- ٥- جعل الإنسان خليفة في الأرض: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].
- ٦- تفضيل الإنسان على كثير من المخلوقات: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].
- ٧- تسخير المخلوقات للإنسان: قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجن: ١٣].

خصائص حقوق الإنسان في الإسلام:

يمكن ان نوجز خصائص حقوق الانسان في الاسلام بما ياتي :

١- حقوق الإنسان في الإسلام تنبثق من العقيدة الإسلامية :

إن حقوق الإنسان في الإسلام تتبع أصلاً من العقيدة، وخاصة من عقيدة التوحيد، ومبدأ التوحيد القائم على شهادة أن لا إله إلا الله هو منطلق كل البندوق والحريات، لأن الله تعالى الواحد الأحد الفرد الصمد خلق الناس أحراراً، ويريدهم أن يكونوا أحراراً، ويأمرهم بالمحافظة على البندوق التي شرعها والحرص على الالتزام بها، ثم كلفهم شرعاً بالجهاد في سبيلها والدفاع عنها، ومنع الاعتداء عليها وهذا ما تكرر في القرآن الكريم في آيات القتال والجهاد، فحقوق الإنسان في الإسلام تنبع من التكريم الإلهي للإنسان بالنصوص الصريحة، وهو جزء من التصور الإسلامي والعبودية لله تعالى وفطرة الإنسان التي فطره الله عليها.

٢- حقوق الإنسان في الإسلام منح إلهية :

إن حقوق الإنسان في الإسلام منح إلهية منحها الله لخلقه، فهي ليست منحة من مخلوق لمخلوق مثله، يمن بها عليه ويسلبها منه متى شاء، بل هي حقوق قررها الله للإنسان.

٣- حقوق الإنسان في الإسلام شاملة لكل أنواع البندوق:

من خصائص ومميزات البندوق في الإسلام أنها حقوق شاملة لكل أنواع البندوق، سواء البندوق السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الثقافية. كما أن هذه البندوق عامة لكل الأفراد الخاضعين للنظام الإسلامي دون تمييز بينهم في تلك البندوق بسبب اللون أو الجنس أو اللغة.

٤- حقوق الإنسان في الإسلام ثابتة ولا تقبل الإلغاء أو التبديل أو التعطيل:

من خصائص حقوق الإنسان في الإسلام أنها كاملة وغير قابلة للإلغاء؛ لأنها جزء من الشريعة الإسلامية. إن وثائق البشر قابلة للتعديل غير متأبئة على الإلغاء مهما جرى تحصيلها بالنصوص، والجمود الذي فرضه على الدساتير لم يحمها من التعديل بالأغلبية الخاصة. وقضى الله أن يكون دينه خاتم الأديان وأن يكون رسول الله صلى الله عليه واله خاتم النبيين، ومن ثم فما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه واله فهو باق ما دامت السماوات والأرض.

٥- حقوق الإنسان في الإسلام ليست مطلقة بل مقيدة بعدم التعارض مع مقاصد

الشريعة الإسلامية:

ومن خصائص حقوق الإنسان في الإسلام أنها ليست مطلقة، بل مقيدة بعدم التعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية، وبالتالي بعدم الإضرار بمصالح الجماعة التي يعتبر الإنسان فرداً من أفرادها.

مقارنة بين المواثيق الدولية وحقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية:

أولاً: من حيث المصدر.

حقوق الإنسان في الوثائق الوضعية مصدرها الإنسان، الذي هو مركب النقص، وهو يخطئ أكثر مما يصيب؛ إن إحاط بجزئية، غفل عن أكثرها، وإن أدرك أمراً: قصر عنه آخر، كما أن الإنسان بطبيعته يغلب عليه الهوى، فيرى البند ولا يتبعه، يدل على ذلك أن المجتمعات الغربية تسمح بالزنا وتسمح بشرب الخمر وغير ذلك من الأمور التي لا يشك عاقل في أنها مضرّة بالمجتمع.

أمّا في الإسلام :- فمصدر حقوق الإنسان كتاب الله المعجز، وسنة رسول(صلى الله عليه واله وسلم)الذي لا ينطق عن الهوى . لذا تشريعات ربانية، لا خلل فيها، ولا نقص، ولا تقصير، ولا ضيق نظر، فهي متوازنة، وتراعي مصلحة الفرد -كفرد في مجتمع - وتراعي مصلحة المجتمع .

ثانياً: من حيث الإلزامية.

هذا الفرق يترتب على الفرق الأول:

فالوثائق الوضعية التي وضعها الإنسان ليست إلا مجرد تصريحات، وتوصيات صادرة عن الأمم المتحدة، لا إجبار وإلزام فيها، ولا يترتب على الإخلال بها أي جزاء قانوني.

أما في الإسلام فهي أبدية، ثابتة، إلزامية، لا تقبل : الجزئية، والحذف، والتبديل. وعلى الفرد : الأخذ بها ؛ راجياً ثواب الله، خائفاً من عقابه، ومن تُسوّل له نفسه العبث بها، فإن من حق السلطة العامة في الإسلام، إجباره على تنفيذها، وإيقاع العقوبة الشرعية عليه، في حال إخلاله بها .

ثالثاً: من حيث الأسبقية.

نقول في صدد المقارنة بينهما الآتي: في الوثائق الوضعية أول وثيقة لحقوق الإنسان، كانت ما جاء به الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، في القرن الثالث عشر الميلادي، سنة (١٢١٥م).

أما في الإسلام فبدأت بظهور الإسلام نفسه، وقد اشتملت على: حقوق ثابتة لله، وحقوق للعباد، كحقوقه المدنية، والسياسية، والاجتماعية، والثقافية، إلى غيرها من البندوق الأخرى .

وما كانت الآيات القرآنية، وأحاديث الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في حقيقتها إلا موثيق وقوانين. ويُعدُّ من أشهر الموثيق في الإسلام لحقوق الإنسان ما جاء على لسان الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) في حجة الوداع، وخطبته المشهورة في تلك المناسبة العظيمة.

رابعاً: من حيث حماية حقوق الإنسان وضماناتها في الإسلام، وفي الوثائق الدولية.

وتتضح الفروق بينها في المقارنات التالية :

١- في الوثائق الدولية حقوق الإنسان - البشرية المصدر - وكذلك الحماية الدولية لها لا تعدو كونها توصيات أدبية، ومحاولات لم تصل إلى حد التنفيذ. وعلى كلٍ فهي تقوم على أمرين :

أ - محاولة الاتفاق على أساس عام ومُعترف به بين الدول جميعاً .

ب- محاولة وضع جزاءات ملزمة، تدين الدولة التي تنتهك حقوق الإنسان .

وهذه التوصيات في حقيقتها - كما يقال - : حبر على ورق، يتلاعب بها واضعوها حسبما تملية عليه أهوائهم، وشهواتهم، ومصالحهم، وإن كان فيه الضرر البالغ على الأفراد، بل وعلى الأمم .

أمَّا في الإسلام فالبندوق التي منحها الله للإنسان محمية مضمونة، وذلك لأنها:

أ- مقدسة قد ألبست الهيبة والاحترام؛ لأنها منزلة من عند الله، وهذا يُشكِّل

رادعاً للأفراد والحكام على السواء عن تعديها وتجاوزها.

ب- احترامها نابع من داخل النفس المؤمنة بالله .

ج - لا يمكن إلغاؤها، أو نسخها، أو تعديلها .

د- أنها خالية من الإفراط، والتفريط.

وزيادة على ذلك وحتى تُحمى حقوق الإنسان وتحفظ شرع الله (عز وجل) إقامة الحدود الشرعية. وإقامة الأنظمة القضائية، لحماية حقوق الإنسان .

رابعاً: من حيث الشمول.

الإسلام يتميز عن غيره بالشمولية، ونذكر هنا بعض حقوق الإنسان التي لم يذكرها مشرعو الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وهي كالآتي :

١- حقوق اليتامى : ففي الميثاق العالمي أشار إلى حق رعاية الطفل فقط .
أما الإسلام : فقد تميز بإعطاء عناية خاصة لليتامى ، وحَفِظَ حقوقهم، وأمر بالإحسان إليهم، بكافة أنواع الإحسان، بل ورتَّبَ على ذلك الأجر، والثواب .
قال تعالى:- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ [البقرة : ١٢١] .

وقال تعالى : ﴿وَأَثُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَيْبَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء : ٢] .
فرتَّب العقوبة الشديدة على من أكل أموالهم، قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ [النساء : ١٠] .

٢- حق ضعاف العقول : كفل لهم الإسلام حق الرعاية والاهتمام، وأمر بحسن معاملتهم، كما قال -تعالى-: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ . [النساء : ٥] .

٣- حق الميراث : وهذا البند قد غفلت وتغافلت عنه الوثائق البشرية، بينما نظم الإسلام، وأقر هذا البند، في أروع صورته، وأبطل ما كان عليه الناس قبل الإسلام، من إسقاط حق المرأة في الميراث ؛ قال -تعالى-: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ

وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ [النساء : ٧] .

وقد أفاض الإسلام في هذا الأمر، وبيّن مقدار الأنصبة في كثير من الآيات، كما حثت السنة المطهرة على ذلك في قوله (صلى الله عليه واله وسلم) «البندوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر»^(٢٤).

٤- حق الدفاع عن النفس : أيضاً هذا البند من البندوق التي لم يذكرها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، بينما وردت العديد من الآيات والأحاديث، التي تقرّ هذا البند وتنظمه كما في قوله -تعالى- : ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة : ١٩٤] .

بل أمر الله - سبحانه وتعالى - بالجهاد، وبالإعداد له، فقال : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ وَعَدُّوا اللَّهَ وَعَدَّوْكُمْ وَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَأَنْتُمْ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

٥- حق العفو : الإسلام دين رحمة، وتسامح، وعفو، وإحسان، من غير استسلام، أو ذل، أو تمكين للأشرار، وهذا ما لم يهتم به الإعلان العالمي لحقوق الإنسان . فمن الآيات التي تقرّر هذا البند، قوله -تعالى- : ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت : ٣٤] . وقوله : ﴿وَإِنْ تَعَفُّوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن : ١٤] .

المبحث الثالث

حقوق الانسان في عهد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام)

لوائيه على مصر مالك الاشر.

مسند عهد الامام علي (عليه السلام) لمالك الاشر :

روى هذا العهد قبل الشريف الرضي، الشيخ الثقة الجليل أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة المتوفى سنة «٣٨١هـ» في تحف العقول، باب ما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) تحت عنوان «عهده (عليه السلام) إلى الأشر حين ولّاه مصر وأعمالها»، وذكر العهد بزيادة بعض الفقرات واختلاف في بعض الألفاظ مما يدل على أن الشريف الرضي نقل ما اختاره من هذا العهد عن غير هذا الكتاب؛ كما روى منه القاضي النعمان المتوفى «٣٦٣هـ» في كتاب دعائم الإسلام^(٢٥)

ورواه النويري في نهاية الأرب باختلاف بسيط جداً ولكنه يدل على أنه منقول عن غير نهج البلاغة. وقد مهد له النويري بقوله: «لم أرَ فيما طالعت في هذا المعنى أي وصايا الملوك أجمع في الوصايا ولا أشمل من عهد كته علي بن أبي طالب إلى مالك بن الحارث الأشر حين ولّاه مصر، فأحببتُ أن أوردته على طوله وآتي على جملة وتفصيله؛ لأن مثل هذا العهد لا يهمل، وسبيل فضله لا يجهل»، ثم ذكر العهد.^(٢٦)

وذكر أسانيد هذا العهد الشيخ النجاشي في فهرسته عند ذكر الأصبغ بن نباتة المجاشعي^(٢٧) وذكره الشيخ الطوسي أيضاً في الفهرست عند ذكره الأصبغ بن نباتة، فقال:

كان الأصبغ بن نباتة من خاصة أمير المؤمنين (عليه السلام) وعمر بعده، وروى عهد

مالك الأشتر الذي عهدته إليه أمير المؤمنين لما ولاه مصر، وروى وصيته إلى ابنه محمد بن الحنفية، أخبرنا بالعهد ابن أبي جبد عن محمد بن الحسين عن الحميدي عن هارون بن مسلم والحسن بن طريف عن الحسين بن علوان الكلبي عن سعد بن طريف عن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين^(٢٨).

بداية العهد وبنوده

أمر أمير المؤمنين (عليه السلام) مالك الأشتر بتقوى الله واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها. ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها. وأن ينصر الله سبحانه بيده وقلبه ولسانه. فإنه جلّ اسمه قد تكفل بنصر من نصره وإعزاز من أعزه.

ومن الملاحظ ان جميع وصايا الإمام (عليه السلام) وكتبه وعهوده لا تخلو من نقطة مهمة وهي ذكر الله جلّ وعلا وإيضاؤه أصحابه بتقوى الله واتباع أوامره وهذا العهد ليس بمستثنى من هذه القاعدة. عند النظر في فاتحتي العهدين نرى أنهما يستهلان بذكر الله وتقواه مشيرين إلى المعاد إلا أن أسلوب البيان يختلف؛ فالإمام (عليه السلام) لا يشير إلى المعاد مباشرة بل يوحى إليه بهذه العبارة: «لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقى إلا مع جحودها»، أما طاهر بن الحسين فيصرح بذلك بقوله:

... والزم ما ألبسك الله من العافية بالذكر لمعادك وما أنت صائر إليه وموقوف عليه ومسؤول عنه والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله عزّ وجلّ ويُنجيك يوم القيامة من عقابه وأليم عذابه».

دقة المعاني وفخامة اللفظ ورقته ووحدة الموضوع بادية في فاتحة كلامه ٤؛ انظر إلى كلام طاهر كيف فصل بين المعطوف والمعطوف عليه بإتيان صفتين لله تعالى وكيف

يتحدث عن وظائف ابنه أمام رعيته في أثناء ذكر وظائفه إزاء الله تعالى : «أما بعد فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له وخشيته ومراقبته عزّ وجلّ ومزايلة سخطه، واحفظ رعيته في الليل والنهار والزم ما البسك الله من العافية بالذكر لمعادك...».

بعد أن ذكر (عليه السلام) للأشتر ما يجب أن يتصف به، أشار إلى تاريخ مصر وما تقلّب فيها من الأحوال وما مرّت عليها من القرون الحافلة بالحوادث بقوله: «ثم اعلم يا مالك أي قد وجهتُك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور؛ وأنّ الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنتَ تنظر فيه من أمور الولاية قبلك...». أوصى الإمام عامله أن يضع أمام عينيه ماضي مصر ليأخذ منه ما يصلح به حاضرها، مشيراً إلى أن الأعمال الصالحة هي التي يجب أن تكون غرض كل امرئ في الحياة «وإنما يُستدلّ على الصالحين بما يُجري الله لهم على ألسن عباده؛ فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح...».

فالإمام (عليه السلام) قال له: «قد كنت تسمع أخبار الولاية وتعيب قوماً وتمدح قوماً؛ وسيقول الناس في إمارتك الآن نحو ما كنت تقول في الأمراء، فاحذر أن تُعاب وتُذمّ كما كنت تعيب وتُذمّ من يستحق الذمّ...». وكان يقال: «ألسنة الرعية أقلام البند سبحانه إلى الملوك»^(٢٩)

إذا كان البند الأول الوارد في هذا العهد هو تقوى الله والتزام حدوده لان من يخشى الله في عمله سيتقنه ويخلص فيه وهذا مراد الامام عليه السلام، فمراعاة حقوق الله عز وجل يقود الى سبل البر والنجاة .

ثم يوصي الامام الاشتر بان يقدم مصلحة مصر على أي مصلحة اخرى، وان يعمل على الحفاظ عليها وان يعمل صالحاً خدمة لهذا البلد وهنا يبرز البند الثاني وهو البند العام بالحفاظ على مصالح البلد والعمل على استقراره.

بنود في العهد

البند الاول: التقوى: أمره بتقوى الله و إثارة طاعته و اتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه و سننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها و لا يشقى إلا من جحودها وإضاعتهما و أن ينصر الله سبحانه بيده و قلبه و لسانه فانه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره و إعزاز من اعزه و أمره أن يكسر من نفسه عند الشهوات و ينزعها عند الجمحات فان النفس أمانة بالسوء إلا ما رحم الله.

البند الثاني: السيرة الحسنة: ثم اعلم يا مالك إني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل و جور و ان الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك و يقولون فيك ما كنت تقوله فيهم و إنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على السن عباده فليكن احب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح فاملك هواك و شح بنفسك عما لا يحل لك فان الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحببت أو كرهت.

البند الثالث: تقديم العناية للرعية والترفق بهم: و اشعر قلبك الرحمة للرعية، و المحبة لهم، و اللطف بهم، و لا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم فانهم صنفان إما أخ لك في الدين و إما نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل و تعرض لهم العلل و يؤتى على أيديهم في العمد و الخطأ. فأعطهم من عفوك و صفحك مثل الذي تحب و ترضى ان يعطيك الله من عفوه و صفحه، فانك فوقهم و والي الأمر عليك فوقك و الله فوق من و لاك، و قد استكفأك أمرهم و ابتلاك بهم فلا تنصبن نفسك لحرب له، فانه لا يدمى لك بنقمته و لا غنى بك عن عفوه و رحمته و لا تندمن على عفوه، و لا تبجحن بعقوبة، و لا تسرعن إلى بادرة و جدت عنها مندوحة، و لا تقولن إني مؤمر أمر فأطاع فان ذلك إدغال في القلب و منهكة للدين، و تقرب من الغير.

البند الرابع : تجنب الكبر والاستعلاء : و إذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة فانظر إلى عظم ملك الله فوقك و قدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك فان ذلك يطامن إليك من طمأحك و يكف عنك من غربك و يفيء إليك بما عزب عنك من عقلك و إياك و مساماة الله في عظمته و التشبه به في جبروته فان الله يذل كل جبار و يهين كل مختال. الإنصاف : انصف الله و انصف الناس من نفسك و من خاصة اهلك و من لك هوى فيه من رعيتك فانك ان لا تفعل تظلم. و من ظلم عبدا لله كان الله خصمه دون عباده و من خصمه الله ادحض حجته و كان لله حربا حتى ينزع و يتوب. و ليس شيء ادعى إلى تغيير نعمة الله و تعجيل نقمته من إقامة على ظلم. فان الله يسمع دعوة المضطهدين و هو للظالمين بالمرصاد.

البند الخامس : اتباع العدل مع الرعية : و ليكن احب الأمور إليك أوسطها في البند و أعمها في العدل و اجمعها لرضى الرعية فان سخط العامة يححف برضا الخاصة و ان سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة و ليس أحد من الرعية اثقل على الوالي مؤونة في الرخاء و اقل معونة له في البلاء و اكره للإنصاف و أسأل بالإلحاف و اقل شكرا عند الإعطاء و أبطأ عذرا عند المنع و اضعف صبورا عند ملهمات الدهر من أهل الخاصة، وإنما عمود الدين و جماع المسلمين و العدة للأعداء العامة من الامه، فليكن صفيك لهم و ميلك معهم.

البند السادس: الابتعاد عن الوشاة و عدم تصديقهم : و ليكن ابعد رعيتك منك و اشأنهم عندك اطلبهم لمعايب الناس فان في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها، فلا تكشفن عما غاب عنك منها، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك و الله يحكم على ما غاب عنك فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك و أطلق عن الناس عقدة كل حقد و اقطع عنك سبب كل وتر و تغاب عن كل ما لا يصلح لك، و لا تعجلن

على تصديق ساع فان الساعي غاش و ان تشبه بالناصحين.

البند السابع : استشارة اصحاب العلم والحكمة: و لا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل و يعدك الفقر، و لا جباناً يضعفك عن الأمور، و لا حريصاً يزين لك الشره بالجور فان البخل و الجبن و الحرص غرائر شتى يجمعها سوء الظن بالله.

البند الثامن: حق التعليم: و اكثر مدارس العلماء و مناقشة الحكماء، في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك و إقامة ما استقام به الناس قبلك. طبقات المجتمع : و اعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض و لا غنى ببعضها عن بعض فمنها جنود الله و منها كتاب العامة و الخاصة و منها قضاة العدل و منها عمال الإنصاف و الرفق و منها أهل الجزية و الخراج من أهل الذمة و مسلمة الناس، و منها التجار و أهل الصناعات و منها الطبقة السفلى من ذوي الحاجات و المسكنة. و كل قد سمى الله له سهمه و وضع على حده و فريضته في كتابه أو سنة نبيه (صلى الله عليه وآله) عهداً منه محفوظاً فالجنود بإذن الله حصون الرعية و زين الولاية و عز الدين و سبل الأمن و ليس تقوم الرعية إلا بهم. ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به على جهاد عدوهم و يعتمدون عليه فيما يصلحهم و يكون من وراء حاجتهم ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاء و العمال و الكتاب لما يحكمون من المعاهد و يجمعون من المنافع و يأتمنون عليه من خواص الأمور و عوامها و لا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار و ذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم و يقيمونه من أسواقهم و يكفونهم من الترفق بأيديهم مما لا يبلغه رفق غيرهم. ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة و المسكنة الذين يحق رفقهم و معونتهم و في الله لكل سعة و لكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه. الاستعانة بالله (تعالى): و ليس يخرج الوالي من حقيقة ما الزمه الله تعالى من ذلك إلا بالاهتمام و الاستعانة بالله و توطين نفسه على لزوم البند و الصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل.

البند التاسع: قادة الجيش : فول من جنودك انصحهم في نفسك لله و لرسوله و امامك و أنقاهم جيبا و أفضلهم حلما ممن يبطئ عن الغضب و يستريح إلى العذر و يرأف بالضعفاء و ينبو على الأقوياء و ممن لا يثيره العنف و لا يقعد به الضعف، ثم الصق بذوي المروءات و الأحساب و أهل البيوتات الصالحة و السوابق الحسنة ثم أهل النجدة و الشجاعة و السخاء و السماحة فانهم جماع من الكرم و شعب من العرف.

البند العاشر: حق رعاية الرعية : ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما و لا يتفاقم في نفسك شيء قويتهم به و لا تحقرن لطفًا تعاهدتهم به و ان قل فانه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك و حسن الظن بك و لا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالا على جسيمها فان للسير من لطفك موضعا يتفعون به و للجسيم موقعا لا يستغنون عنه. سياسته معهم : و ليكن أثر رؤوس جنديك عندك من واساهم في معونته. و افضل عليهم من جدته بما يسعهم من وراءهم من خلوف أهليهم حتى يكون همهم هما واحدا في جهاد العدو فان عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك و ان افضل قرّة عين الولاية استقامة العدل في البلاد و ظهور مودة الرعية و انه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم و لا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة أمورهم و قلة استئثار دولهم و ترك استبطاء انقطاع مدتهم فافسح في آمالهم و واصل في حسن الثناء عليهم و تعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم فان كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهز الشجاع و تحرض الناكل ان شاء الله تعالى ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى و لا تضيفن بلاء امرئ إلى غيره و لا تقصرن به دون غاية بلائه و لا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيرا و لا ضعفة امرئ إلى أن تصغر من بلائه ما كان عظيما. الرجوع للمصادر الشرعية : و اردد إلى الله و رسوله ما يضلحك من الخطوب و يشتهب عليك من الأمور فقد قال الله سبحانه و تعالى احب إرشادهم (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله و الرسول) فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه و الرد إلى الرسول

الأخذ بسنته الجامعة غير المرفقة.

البند الحادي عشر: شروط اختيار القضاة: ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور و لا تمحكه الخصوم و لا يتماذى في الزلة و لا يحصر من الفيء إلى البند إذا عرفه. و لا تشرف نفسه على طمع و لا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه أوقفهم في الشبهات و آخذهم بالحجج و اقلهم تبرما بمراجعة الخصم و أصبرهم على تكشف الأمور و أصرمهم عند اتضاح الحكم ممن لا يزهيه إطراء و لا يستميله إغراء و أولئك قليل. ثم اكثر تعاهد قضائه و افسح له في البذل ما يزيل علتة و تقل معه حاجته إلى الناس. و أعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك. فانظر في ذلك نظرا بليغا فان هذا الدين قد كان أسيرا في أيدي الأشرار يعمل فيه بالهوى و يطلب به الدنيا.

البند الثاني عشر: الابتعاد عن الشبهات: و اردد إلى الله و رسوله ما يضلحك من الخطوب و يشتهه عليك من الأمور فقد قال الله سبحانه و تعالى احب إرشادهم يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله و الرسول فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه و الرد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المرفقة. اختيار العمال و الولاة: ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم اختبارا و لا تولهم محاباة و أثرة فانها جماع من شعب الجور و الخيانة. و توخ منهم أهل التجربة و الحياء من أهل البيوتات الصالحة و القدم في الإسلام المتقدمة فانهم اكرم أخلاقا و اصح أعراضا و اقل في المطامع إشرافا و ابلغ في عواقب الأمور نظرا ثم اسبغ عليهم الأرزاق فان ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم و غنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم و حجة عليهم ان خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك، ثم تفقد أعمالهم و ابعث العيون من أهل الصدق و الوفاء عليهم فان تعاهدك في السر لأموهم حدوة لهم على استعمال الأمانة و الرفق بالرعية و تحفظ من الأعوان.

البند الثالث عشر: خيانة العمال: فان أحدا منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها

عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهدا فبسطت عليه العقوبة في بدنه وأخذته بما أصاب من عمله ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة وقلدته عار التهمة.

البند الرابع عشر: الخراج و مالية الدولة: و تفقد أمر الخراج بما يصلح أهله فان في إصلاحه و صلاحهم صلاحاً لمن سواهم و لا صلاح لمن سواهم إلا بهم لان الناس كلهم عيال على الخراج و أهله. و ليكن نظرك في عمارة الأرض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج لان ذلك لا يدرك إلا بالعمارة و من طلب الخراج بغير عمارة اخرج البلاد و اهلك العباد و لم يستقم أمره إلا قليلاً فان شكوا ثقلاً أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو أحالة ارض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش خفت عنهم بما ترجو ان يصلح به أمرهم و لا يثقلن عليك شيء خفت به المثونة عنهم فانه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك و تزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم و تبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم و الثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم و رفقك بهم فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد اجتملوه طيبة أنفسهم به فان العمران محتمل ما حملته و إنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها و إنما يعوز أهلها لإشراف انفس الولاة على الجمع و سوء ظنهم بالبقاء و قلة انتفاعهم بالعبر.

البند الخامس عشر: التعامل الكتاب و أصحاب الديوان : ثم انظر في حال كتابك فول على أمورك خيرهم و اخصص رسائلك التي تدخل فيها مكاييدك و أسرارك بأجمعهم لوجوه صالح الأخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجتري بها عليك في خلاف لك بحضرة ملاً و لا تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك و إصدار جواباتها على الصواب عنك و فيما يأخذ لك و يعطي منك و لا يضعف عقدا اعتقده لك و لا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك و لا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور فان الجاهل بقدر نفسه

يكون بقدر غيره اجهل ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك و استنامتك و حسن الظن منك فان الرجال يتعرفون لفراسات الولاية بتصنعهم و حسن خدمتهم و ليس وراء ذلك من النصيحة و الأمانة شيء و لكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثرا و اعرفهم بالأمانة وجها. فان ذلك دليل على نصيحتك لله و لمن وليت أمره.

البند السادس عشر: . فنون الكتابة: و اجعل لرأس كل أمر من أمورك رأسا منهم لا يقهره كبيرها و لا يتشتت عليه كثيرها. و مهما كان في كتابك من عيب فتغابيت عنه ألزمته.

البند السابع عشر: التعامل التجار والاحتكار: ثم استوص بالتجار و ذوي الصناعات و أوص بهم خيرا المقيم منهم و المضطرب بماله و المترفق ببذنه فانهم مواد المنافع و أسباب المرافق و جلاها من المباعد و المطارح فيرك و بحرك و سهلك و جبلك و حيث لا يلتئم الناس لمواضعها و لا يجترؤون عليها، فانهم سلم لا تخاف بائقته و صلح لا تخشى غائلته، و تفقد أمورهم بحضرتك و في حواشي بلادك، و اعلم مع ذلك ان في كثير منهم ضيفا فاحشا و شحا قبيحا و احتكارا للمنافع و تحكما في البياعات و ذلك باب مضره للعامة و عيب على الولاية، فامنع من الاحتكار فان رسول الله (صلى الله عليه وآله) منع منه و ليكن البيع يباعا سمحا بموازين عدل و أسعار لا تجحف بالفريقين من البائع و المبتاع. فمن قارف حكره بعد نهيك إياه فنكل به و عاقبه من غير إسراف.

البند الثامن عشر: التعامل الفقراء: ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين و المحتاجين و أهل البؤسى و الزمنى فان في هذه الطبقة قانعا و معترا و احفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم و اجعل لهم قسما من بيت مالك و قسما من غلات صوافي الإسلام في كل بلد فان للأقصى منهم مثل الذي للأدنى و كل قد استرعت

حقه و لا يشغلنك عنهم بطر فانك لا تعذر بتضييع التافه لأحكامك الكثير المهم. فلا تشخص همك عنهم، و لا تصعر خدك لهم، و تفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون و تحتقره الرجال ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية و التواضع فليرفع إليك أمورهم ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله سبحانه يوم تلقاه فان هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم و كل فاعذر إلى الله في تأدية حقه إليه، و تعهد أهل اليتيم و ذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له و لا ينصب للمسالة نفسه و ذلك على الولاية ثقيل و البند كله ثقيل و قد يخففه الله على أقوام طلبوا العافية فصبروا أنفسهم و وثقوا بصدق موعود الله لهم. أصحاب الحاجات و المصالح و اجعل لذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك و تجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه لله الذي خلقك و تقعد عنهم جندك و أعوانك من أحراسك و شرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متمتع فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول في غير موطن لن تقدر أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متمتع ثم احتمل الخرق منهم و العي و نح عنهم الضيق و الأنف يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته و يوجب لك ثواب طاعته. الإعطاء و المنع و أعط ما أعطيت هنيئا و امنع في إجمال و إعذار.

البند التاسع عشر: واجبات الوالي المباشرة: ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها منها إجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك و منها إصدار حاجات الناس عند ورودها عليك بما تخرج به صدور أعوانك. عدم إدخال عمل يوم في يوم و امض لكل يوم عمله، فان لكل يوم ما فيه.

البند العشرين: أداء الفرائض: و اجعل لنفسك فيما بينك و بين الله افضل تلك المواقيت و اجزل تلك الأقسام و إن كانت كلها لله إذا صلحت فيها النية و سلمت منها الرعية، و ليكن في خاصة ما تخلص لله به دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصة فأعط

الله من بدنك في ليلك و نهارك و وف ما تقربت به إلى الله سبحانه من ذلك كاملا غير مثلوم و لا متقوص بالغا من بدنك ما بلغ و إذا قمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفرا و لا مضيعا فان في الناس من به العلة و له الحاجة و قد سالت رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين وجهني إلى اليمن كيف اصلي بهم فقال صل بهم صلاها ضعفهم و كن بالمؤمنين رحيمًا. الاحتجاب عن الناس : و أما بعد هذا فلا تطولن احتجاجك عن رعيتك فان احتجاج الولاة عن الرعية شعبة من الضيق و قلة علم بالأمر و الاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير و يعظم الصغير و يقبح الحسن و يحسن القبيح و يشاب البند بالباطل و إنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور و ليست على البند سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب و إنما أنت أحد رجلين إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في البند فقيم احتجاجك من واجب حق تعطيه أو فعل كريم تسديه أو مبتلى بالمنع فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا يسوا من بذلك مع ان اكثر حاجات الناس إليك ما لا مؤونة فيه عليك من شكاة مظلمة أو طلب إنصاف في معاملة.

البند الواحد والعشرين: التعامل مع الخاصة والحاشية : ثم ان للوالي خاصة و بطانة فيهم استئثار و تطاول و قلة إنصاف في معاملة فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال و لا تقطعن لأحد من حاشيتك و حامتك قطيعه و لا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك يحملون مؤونته على غيرهم فيكون مهنا ذلك لهم دونك و عيبه عليك في الدنيا و الآخرة و الزم البند من لزمه من القريب و البعيد و كن في ذلك صابرا محتسبا واقعا ذلك من قرابتك و خاصتك حيث وقع و ابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه، فان مغبة ذلك محمودة. جانب إعلامي : وان ظنت الرعية بك حيفا فاصحر لهم بعذرک و اعدل عنك ظنونهم باصحارك فان في ذلك رياضة منك لنفسك و رفقا برعيتك و اعدار تبلغ به حاجتك من تقويمهم على البند.

البند الثاني والعشرين: . العدو والعهد : ولا تدفن صلحا دعاك إليه عدوك الله فيه رضى فان في الصلح دعه لجنودك و إراحة من همومك و أمنا لبلادك و لكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فان العدو ربما قارب ليتغفل فخذ بالحزم و اتهم في ذلك حسن النية و ان عقدت بينك و بين عدو لك عقدة أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء و ارع ذمتك بالأمانة و اجعل نفسك جنة دون ما أعطيت فانه ليس من فرائض الله شيء الناس اشد عليه اجتماعا مع تفرق أهوائهم و تشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود و قد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استولوا من عواقب الغدر فلا تغدرن بذمتك و لا تحيسن بعهدك و لا تختلن عدوك فانه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي و قد جعل الله عهده و ذمته أمنا أفضاه بين العباد برحمته و حريما يسكنون إلى منعه و يستفيضون إلى جواره فلا إدغال و لا مدالسة و لا خداع فيه، و لا تعقد عقدا تجوز فيه العلل و لا تعولن على لحن القول بعد التأكيد و التوثقة و لا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير البند فان صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه و فضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته و ان تحيطه بك من الله طلبه لا تستقبل فيها دنياك و لا آخرتك.

البند الثالث والعشرين: . سفك الدماء : وإياك و الدماء و سفكها بغير حلها فانه ليس شيء ادعى لثمة و لا اعظم لتبعة و لا أخرى بزوال نعمة و انقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها و الله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فان ذلك مما يضعفه و يوهنه بل يزيه و ينقله و لا عذر لك عند الله و لا عندي في قتل العمد لان فيه قود البدن و ان ابتليت بخطأ و إفراط عليك سوطك أو سيفك أو يدك بالعقوبة فان في الوكزة فما فوقها مقتله فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن ان تودي إلى أولياء المقتول حقهم.

البند الرابع والعشرين: آداب عامة : و إياك و الإعجاب بنفسك و الثقة بما يعجبك منها و حب الإطراء فان ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين.

البند الخامس والعشرين: المن والوعد : وإياك و المن على رعيتك بإحسانك أو التزويد فيما كان من فعلك أو ان تعدهم فتتبع موعدك بخلفك فان المن يبطل الإحسان و التزويد يذهب بنور البند و الخلف يوجب المقت عند الله و الناس، قال الله سبحانه و تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون.

البند السادس والعشرين: العجلة : و إياك و العجلة بالأمر قبل أوانها أو التساقت فيها عند إمكانها أو اللجاجة فيها إذا تنكرت أو الوهن عنها إذا استوضحت. فضع كل أمر موضعه و أوقع كل عمل موقعه.

البند السابع والعشرين: الاستئثار و التغابي : و إياك و الاستئثار بما الناس فيه أسوة و التغابي عما تعنى به مما قد وضح للعيون فانه مأخوذ منك لغيرك و عما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور يتتصف منك للمظلوم. الحلم : املك حمية انفك و سورة حدك و سطوة يدك و غرب لسانك و احترس من كل ذلك بكف البادرة و تأخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار و لن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك و الواجب عليك ان تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة أو سنة فاضلة أو اثر عن نبينا (صلى الله عليه وآله) أو فريضة في كتاب الله فتقتدي بما شاهدت مما عملنا به فيها و تجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا و استوثقت به من الحجة لنفسي عليك لكي لا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها.

الخاتمة :

و أنا أسأل الله بسعة رحمته و عظيم قدرته على إعطاء كل رغبة ان يوفقني و إياك لما فيه رضاه من الإقامة على العذر الواضح إليه و إلى خلقه من حسن الثناء في العباد و جميل الأثر في البلاد و تمام النعمة و تضعيف الكرامة و ان يحتم لي و لك بالسعادة و الشهادة أنا إلى الله راغبون و السلام على رسول الله (صلى الله عليه وآله).

حقوق الانسان الواردة في العهد :

١ . العدل الاجتماعي :

يؤكد الإمام (عليه السلام) في عهده على وجوب اعمام العدل الاجتماعي مع الاجتهاد في رضا العامة من الأمة ويقول: «أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك...»^(٣٠).

ثم ذكر صفات الخاصة المذمومة :

الأولى: كونهم أثقل مؤونة على الوالي في الرخاء، لتكلفه لهم ما لا يتكلفه لغيرهم؛
والثانية: كونهم أقل معونة له في البلاء لمحبتهم الدنيا؛
والثالثة: كونهم أكره للإنصاف لزيادة أطماعهم في الدنيا على ما تطلبه العامة؛
والرابعة: كونهم أسأل بالإنصاف لأنهم عند الحاجة إلى السؤال أشد جراً على الوالي؛
والخامسة: كونهم أقل شكراً عند الإعطاء، لاعتقادهم أنهم أحق بالإعطاء لحاجة الوالي اليهم؛

والسادسة: كونهم أبطأ عذراً للوالي إن منعهم؛

والسابعة: كونهم أضعف صبراً عند ملات الدهر لتعودهم الرفاهية والنعيم.

أما صفات العامة من السواد الأعظم:

فالأولى: كونهم عمود الدين؛ لأن قيام الدين لا يكون إلا بهم.
والثانية: كونهم العدة للاعداء لكثرتهم ولقوة سواعدهم.
والثالثة: كونهم جماع المسلمين؛ لأنهم الأغلب والأكثر والسواد الأعظم.
هذه الصفات للفريقين تستلزم وجوب حفظ قلوب العامة وتقديمه على حفظ قلوب الخاصة.

وهو حق العدل الاجتماعي لعامة الناس والرأفة بهم والتعرف على احوالهم فلا يثقل عليهم وقت الشدة وان يخفف عنهم وقت البلاء وان يراعي ان الرعية دوما اقل صبراً من الوالي عليهم فلا يجدون عذرا للوالي في حال اخفق او قصر او سها، ولم يفت امير المؤمنين (عليه السلام) من تذكير الاشر بانهم الاكثر والاغلب فهم عمود الدين وفي حال نفروا من الوالي سيكونوا سواعد بيد اعداء الدين لذا طلب منه الرأفة بهم والترفق باحوالهم.

ينصح الامام (عليه السلام) مالكا بستر عيوب الناس وبالابتعاد عن بعض الرعية بقوله: «وليكن أبعد رعيته منك وأشأنهم عندك أطلبهم لمعايب الناس، فإن في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها...»^(٣١).

٢. حقوق الرعية وتشمل:

أ- ستر العيوب: ستر عيوب الرعية والابتعاد عن من يطلب عيوب الناس والتشهير بهم ويذكر مالكا بان الاخرى به ان يستر عيوبه .

ب- المشورة من الرعية: يشدد الإمام علي (عليه السلام) على مالك الأشر في النهي عن إدخال البخيل والجبان والحريص في مشورته بقوله: «ولا تُدخِلَنَّ في مشورتك

بخيلاً يُعِدُّ بك عن الفضلِ، ويعِدُّك الفقرَ، ولا جباناً يُضَعِّقُك عن الأمورِ، ولا حريصاً يُزَيِّنُ لك الشَّرَّه بالجورِ، فإنَّ البخلَ والجبنَ والحِرصَ غرائزُ شتىَّ يجمعها سوءُ الظَّنِّ باللهِ»^(٣٢).

ج- حق الموظف الإداري : وفي مكان آخر يأمره بأن يكسر نفسه عن الشهوات التي تحيط بالموظف الإداري، خاصة ذلك الذي يعتلي أعلأ المناصب في الدولة لأنها هي والتعفف على طرفي نقيض، إذ من المستحيل أن يكون عفيفاً متى انساق وراء شهواته وهواه وأعطى نفسه الأمارة بالسوء زمام أموره، فأمره بامتلاك هواه وردع شهواته والشح بنفسه عما لا يحل لها بقوله: «فاملِكْ هواك وشحَّ بنفسك عما لا يحلُّ لك؛ فإنَّ الشحَّ بالنفس الإنصاف منها فيما أحبَّت أو كرهت».

د- الثقة بين الوالي والرعية : يشير الإمام (عليه السلام) في عهده إلى عوامل الثقة الاجتماعية بين الراعي والرعية، ويذكر منها حسن ظن الراعي برعيته، وعدم نقض سنَّة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة، وعدم إحداث سنَّة تضرَّ بماضي تلك السنن، ومدارسة العلماء ومناقشة الحكماء، فيقول:

واعلم أنه ليس شيءٌ بأدعى إلى حسن ظن والٍ برعيته من إحسانه إليهم ... ولا تنقض سنَّة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة ... ولا تُحدِثَنَّ سنَّة تضرَّ بشيء من ماضي تلك السنن ... وأكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك، وإقامة ما استقام به الناس قبلك.

هذه العوامل التي جعلها الإمام (عليه السلام) من عوامل الثقة الجماعية بين الراعي والرعية، يشير إليها طاهر بن الحسين معتبراً أنَّ حسن الظن بالله وبالرعية يزيد الثقة بين الراعي والرعية، حيث يقول:

أحسن الظنَّ بالله يستقم لك رعيتك، والتمس الوسيلة إليه في الأمور كلها تستدم

به النعمة عليك. ولا تتهمنَّ أحداً من الناس فيما تُؤليه من عملك قبل أن تكشف أمره بالتهمة؛ فإن التَّهم بالبرِّاء والظنون السيئة بهم ماثمٌ. واجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك، واطرُد عنك سوء الظن بهم وارفضه عنهم يُعنك ذلك على اصطناعهم ورياضتهم... واعلم أنك تجد بحسن الظن قوةً وراحةً.

وفي ختام عهده يوصيه بمجالسة العلماء بقوله: «وأكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم».

هـ- اقسام المجتمع : قسم الإمام (عليه السلام) في عهده المجتمع إلى طبقات فقال:
واعلم أن الرعية طبقات، لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض؛ فمنها جنود الله، ومنها كتّاب العامّة والخاصّة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمّال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الدّمة ومُسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجات والمسكنة، وكلُّ قد سَمَى الله له سهمه.
ط- طبقات المجتمع :

٣. شروط اختيار القضاة :

ثم اختر للحكم بين الناس افضل رعتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور و لا تحكه الخصوم و لا يتمادى في الزلة و لا يحصر من الفياء إلى البند إذا عرفه. و لا تشرف نفسه على طمع و لا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه أو قفهم في الشبهات و آخذهم بالحجج و اقلهم تبرما بمراجعة الخصم و أصبرهم على تكشف الأمور و أصرمهم عند اتضاح الحكم ممن لا يزدنيه إطراء و لا يستميله إغراء و أولئك قليل. ثم اكثر تعاهد قضائه و افسح له في البذل ما يزيل علتة و تقل معه حاجته إلى الناس. و أعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك. فانظر في ذلك نظرا بليغا فان هذا الدين قد كان أسيرا في أيدي الأشرار يعمل فيه بالهوى و يطلب به الدنيا.

٤. الجنود والخراج

ثم ذكر أعمال هذه الطبقات، فقال الجند للحماية، والخراج يُصرف إلى الجند والقضاة والعمال والكتاب لما يحكمونه من المعاهد، ويجمعونه من المنافع. ولا بدّ لهؤلاء جميعاً من التجار لأجل البيع والشراء الذي لا غناء عنه، ولا بدّ لك من أرباب الصناعات كالحداد والنجار والبناء وأمثالهم. ثم تلي هؤلاء الطبقة السفلى، وهم أهل الفقر والحاجة الذين تجب معونتهم والإحسان إليهم^(٣٣).

الجندية عند الإمام تبثّ روحَ الثقة الاجتماعية بين الأفراد، وحبّ الطاعة للنظام العام، والكرهية للتفرقة والانقسام، والحثّ على الأخوة والتعاون والتكاتف في سبيل مصلحة المجموع، وتقديس الواجب، وهذا الخلق الروحي هو جوهر ما ترمي إليه تعاليم الجندية ونظامها^(٣٤).

من هنا نرى الإمام (عليه السلام) خصّص فصلاً من عهده فيما يتعلق بأمرأه جيشه، فأمره أن يؤمّر على جيشه مَنْ كان أنصحهم لله في ظنه، وأطهرهم جيباً، ثم أمره أن يلصق بذوي الأحساب وأهل البيوتات وأهل الشجاعة والسخاء في اختيار جيشه.

٥. قادة الجيش :

فول من جنودك انصحهم في نفسك لله و لرسوله و إمامك و أنقاهم جيبا و أفضلهم حلما ممن يبطن عن الغضب و يستريح إلى العذر و يرأف بالضعفاء و ينبو على الأقوياء و ممن لا يثيره العنف و لا يقعد به الضعف، ثم الصق بذوي المروءات و الأحساب و أهل البيوتات الصالحة و السوابق الحسنة ثم أهل النجدة و الشجاعة و السخاء و السباحة فانهم جماع من الكرم و شعب من العرف.

٦. تفقد احوال الرعية:

أمره الامام مالكا أن يتفقد جسيم أمورهم وصغيرها، أمره ألا يعظّم عنده ما يقويهم به وإن عظم، وألا يستحقّر شيئاً تعهدهم به وإن قلّ، وألا يمنعه تفقد جسيم أمورهم عن تفقد صغيرها، وأمره أن يكون أثر رؤوس جنوده عنده وأحظاهم عنده وأقربهم إليه منّ واساهم في معونته... ثم أمره أن يذكر في المجالس والمحافل بلاء ذوي البلاء منهم؛ فإن ذلك مما يُرهِف عزم الشجاع ويحرّك الجبان^(٣٥).

٧. القضاء

لقد احتوى كلام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فيما كتبه لعامله الأشتر على قواعد وأصول مهمة تتعلق بالقضاء والقضاة، يصور فيه شخصية الحاكم وكيف يجب أن يكون؛ يقول: «ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك، ممن لا تضيق به الأمور ولا تُحكّكه الخصوم. ولا يتهادى في الزلّة...»؛ وهكذا يعدّد صفات الحاكم إلى أن يأمره بأن يتطلع على أحكامه وأقضيته، وأن يفرض له عطاء كافياً يملأ عينه، ويتعفّف به عن المرافق والرشوات، وأن يكون قريب المكان منه، كثير الاختصاص به ليمنع قربه من سعاية الرجال به وتقبيحهم ذكره عنده.

٨. الابتعاد عن الوشاة وعدم تصديقهم

و ليكن ابعده رعيتك منك واشنأهم عندك اطلبهم لمعايب الناس فان في الناس عيوباً الوالي أحق من سترها، فلا تكشفن عما غاب عنك منها، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك فاستر العورة ما استطعت يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك وأطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنك سبب كل وتر وتغاب عن كل ما لا يصلح لك، ولا تعجلن على تصديق ساع فان الساعي غاش وان تشبه بالناصحين.

٩. خيانة العمال

فان أحدا منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهدا فبسطت عليه العقوبة في بدنه و أخذته بها أصاب من عمله ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة وقلدته عار التهمة.

١٠. الخراج ومالية الدولة :

و تفقد أمر الخراج بما يصلح أهله فان في إصلاحه و صلاحهم صلاحا لمن سواهم و لا صلاح لمن سواهم إلا بهم لان الناس كلهم عيال على الخراج و أهله. و ليكن نظرك في عمارة الأرض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج لان ذلك لا يدرك إلا بالعمارة و من طلب الخراج بغير عمارة اخرج البلاد و اهلك العباد و لم يستقم أمره إلا قليلا فان شكوا ثقلأ أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو أحالة ارض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجو ان يصلح به أمرهم و لا يثقلن عليك شيء خففت به المثونة عنهم فانه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك و تزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم و تبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمدا فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم و الثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم و رفقك بهم فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد اجتملوه طيبة أنفسهم به فان العمران محتمل ما حملته و إنما يؤولت خراب الأرض من إعواز أهلها و إنما يعوز أهلها لإشراف انفس الولاة على الجمع و سوء ظنهم بالبقاء و قلة انتفاعهم بالعبر.

١١. أداء الضرائب :

واجعل لنفسك فيما بينك و بين الله افضل تلك المواقيت و اجزل تلك الأقسام و إن كانت كلها لله إذا صلحت فيها النية و سلمت منها الرعية، و ليكن في خاصة ما تلخص

الله به دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصة فأعط الله من بدنك في ليلك و نهارك و وف ما تقربت به إلى الله سبحانه من ذلك كاملا غير مثلوم و لا منقوص بالغا من بدنك ما بلغ و إذا قمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفرا و لا مضيعا فان في الناس من به العلة و له الحاجة و قد سالت رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين وجهني إلى اليمن كيف اصلي بهم فقال صل بهم صلاها ضعفهم و كن بالموئنين رحيمًا. الاحتجاب عن الناس : و أما بعد هذا فلا تطولن احتجابك عن رعيتك فان احتجاب الولاية عن الرعية شعبة من الضيق و قلة علم بالأمر و الاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير و يعظم الصغير و يقبح الحسن و يحسن القبيح و يشاب البند بالبطل و إنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور و ليست على البند سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب و إنما أنت أحد رجلين إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في البند ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه أو فعل كريم تسديه أو مبتلى بالمنع فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا أيسوا من بذلك مع ان اكثر حاجات الناس إليك ما لا مؤونة فيه عليك من شكاة مظلمة أو طلب إنصاف في معاملة.

١٢ . التعامل مع الخاصة والحاشية :

ثم ان للوالي خاصة و بطانة فيهم استئثار و تطاول و قلة إنصاف في معاملة فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال و لا تقطعن لأحد من حاشيتك و حامتك قطيعه و لا يطمعن منك في اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس في شرب أو عمل مشترك يحملون مؤونته على غيرهم فيكون مهنا ذلك لهم دونك و عيبه عليك في الدنيا و الآخرة و الزم البند من لزمه من القريب و البعيد و كن في ذلك صابرا محتسبا واقعا ذلك من قربتك و خاصتك حيث وقع و ابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه، فان مغبة ذلك محمودة. جانب إعلامي : وان ظنت الرعية بك حيفا فاصحر لهم بعذرک و اعدل عنك ظنونهم

باصحارك فان في ذلك رياضة منك لنفسك و رفقا برعيتك و اعدار تبلغ به حاجتك من تقويمهم على البند.

١٣. المن والوعد :

وإياك و المن على رعيتك بإحسانك أو التزيد فيما كان من فعلك أو ان تعدهم فتتبع موعداك بخلفك فان المن يبطل الإحسان و التزيد يذهب بنور البند و الخلف يوجب المقت عند الله و الناس، قال الله سبحانه و تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون.

١٤. العجلة :

وإياك و العجلة بالأمر قبل أوانها أو التساقت فيها عند إمكانها أو اللجاجة فيها إذا تنكرت أو الوهن عنها إذا استوضحت. فضع كل أمر موضعه و أوقع كل عمل موقعه.

١٥. الاستئثار والتغابي :

وإياك و الاستئثار بما الناس فيه أسوة و التغابي عما تعنى به مما قد وضح للعيون فانه مأخوذ منك لغيرك و عما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور ينتصف منك للمظلوم. الحلم : املك حمية انفك و سورة حدك و سطوة يدك و غرب لسانك و احترس من كل ذلك بكف البادرة و تأخير السطوة حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار و لن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك و الواجب عليك ان تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة أو سنة فاضلة أو اثر عن نبينا(صلى الله عليه وآله) أو فريضة في كتاب الله فتقتدي بما شاهدت مما عملنا به فيها و تجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا و استوثقت به من الحجة لنفسك عليك لكي لا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها.

ك- اتباع العدل مع الرعية : و ليكن احب الأمور إليك أوسطها في البند و أعمها في العدل و اجمعها لرضى الرعية فان سخط العامة يجحف برضا الخاصة و ان سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة و ليس أحد من الرعية اثقل على الوالي مؤونة في الرخاء و اقل معونة له في البلاء و اكره للإنصاف و أسأل بالإلحاف و اقل شكرا عند الإعطاء و أبطأ عذرا عند المنع و اضعف صبورا عند ملهمات الدهر من أهل الخاصة، و إنما عمود الدين و جماع المسلمين و العدة للأعداء العامة من الامه، فليكن صفيك لهم و ميلك معهم.

م- حق التعليم: و اكثر مدارس العلماء و مناقشة الحكماء، في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك و إقامة ما استقام به الناس قبلك. طبقات المجتمع : و اعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض و لا غنى ببعضها عن بعض فمنها جنود الله و منها كتاب العامة و الخاصة و منها قضاة العدل و منها عمال الإنصاف و الرفق و منها أهل الجزية و الخراج من أهل الذمة و مسلمة الناس، و منها التجار و أهل الصناعات و منها الطبقة السفلى من ذوي الحاجات و المسكنة. و كل قد سمي الله له سهمه و وضع على حده و فريضته في كتابه أو سنة نبيه (صلى الله عليه وآله) عهدا منه محفوظا فالجنود بإذن الله حصون الرعية و زين الولاية و عز الدين و سبل الأمن و ليس تقوم الرعية إلا بهم. ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به على جهاد عدوهم و يعتمدون عليه فيما يصلحهم و يكون من وراء حاجتهم ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاء و العمال و الكتاب لما يحكمون من المعاهد و يجمعون من المنافع و يأتمنون عليه من خواص الأمور و عوامها و لا قوام لهم جميعا إلا بالتجار و ذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم و يقيمونه من أسواقهم و يكفونهم من الترفق بأيديهم مما لا يبلغه رفق غيرهم. ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة و المسكنة الذين يحق رفقهم و معونتهم و في الله لكل سعة و

لكل على الوالي حق بقدر ما يصلحه. الاستعانة بالله (تعالى): و ليس يخرج الوالي من حقيقة ما الزمه الله تعالى من ذلك إلا بالاهتمام و الاستعانة بالله و توطين نفسه على لزوم البند و الصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل.

س - حق رعاية الرعية : ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما و لا يتفاقم في نفسك شيء قويتهم به و لا تحقرن لطفًا تعاهدتهم به و ان قل فانه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك و حسن الظن بك و لا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالا على جسيمها فان لليسير من لطفك موضعا ينتفعون به و للجسيم موقعا لا يستغنون عنه. سياسته معهم : و ليكن أثر رؤوس جنلك عندك من واساهم في معونته. و افضل عليهم من جدته بما يسعهم من وراءهم من خلوف أهليهم حتى يكون همهم هما واحدا في جهاد العدو فان عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك و ان افضل قررة عين الولاية استقامة العدل في البلاد و ظهور مودة الرعية و انه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم و لا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة أمورهم و قلة استئصال دولهم و ترك استبطاء انقطاع مدتهم فافسح في آمالهم و واصل في حسن الثناء عليهم و تعديل ما أبلى ذوو البلاء منهم فان كثرة الذكر لحسن أفعالهم تهز الشجاع و تحرض الناكل ان شاء الله تعالى ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى و لا تضيفن بلاء امرئ إلى غيره و لا تقصرن به دون غاية بلائه و لا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيرا و لا ضعفة امرئ إلى أن تصغر من بلائه ما كان عظيما. الرجوع للمصادر الشرعية : و اردد إلى الله و رسوله ما يضلحك من الخطوب و يشتهب عليك من الأمور فقد قال الله سبحانه و تعالى احب إرشادهم (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله و الرسول) فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه و الرد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة.

ش- الخراج و مالية الدولة: و تفقد أمر الخراج بما يصلح أهله فان في إصلاحه و صلاحهم صلاحاً لمن سواهم و لا صلاح لمن سواهم إلا بهم لان الناس كلهم عيال على الخراج و أهله. و ليكن نظرك في عمارة الأرض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج لان ذلك لا يدرك إلا بالعمارة و من طلب الخراج بغير عمارة اخرج البلاد و اهلك العباد و لم يستقم أمره إلا قليلاً فان شكوا ثقلاً أو علة أو انقطاع شرب أو بالة أو أحالة ارض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجوان يصلح به أمرهم و لا يثقلن عليك شيء خففت به المئونة عنهم فانه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك و تزيين ولايتك مع استجلابك حسن ثنائهم و تبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمالك لهم و الثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم و رفقت بهم فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فيه عليهم من بعد اجتملوه طيبة أنفسهم به فان العمران محتمل ما حملته و إنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها و إنما يعوز أهلها لإشراف انفس الولاة على الجمع و سوء ظنهم بالبقاء و قلة انتفاعهم بالعبر.

ص- التعامل الكتاب و أصحاب الديوان : ثم انظر في حال كتابك فول على أمورك خيرهم و اخصص رسائلك التي تدخل فيها مكاييدك و أسرارك بأجمعهم لوجوه صالح الأخلاق ممن لا تبطره الكرامة فيجتري بها عليك في خلاف لك بحضرة ملاء و لا تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك و إصدار جواباتها على الصواب عنك و فيما يأخذ لك و يعطي منك و لا يضعف عقداً اعتقده لك و لا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك و لا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور فان الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره اجهل ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك و استنامتك و حسن الظن منك فان الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم و حسن خدمتهم و ليس وراء ذلك من النصيحة و الأمانة شيء و لكن اخترهم بما ولوا للصالحين قبلك

فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثرا و اعرفهم بالأمانة وجها. فان ذلك دليل على نصيحتك لله و لمن وليت أمره.

و- التعامل الفقراء : ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين و المحتاجين و أهل البؤسى و الزمنى فان في هذه الطبقة قانعا و معترا و احفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسما من بيت مالك و قسما من غلات صوافي الإسلام في كل بلد فان للأقصى منهم مثل الذي للأدنى و كل قد استرعيت حقه و لا يشغلنك عنهم بطر فانك لا تعذر بتضييع التافه لأحكامك الكثير المهم. فلا تشخص همك عنهم، و لا تصعر خدك لهم، و تفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون و تحتقره الرجال ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية و التواضع فليرفع إليك أمورهم ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله سبحانه يوم تلقاه فان هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم و كل فاعذر إلى الله في تأدية حقه إليه، و تعهد أهل اليتيم و ذوي الرقة في السن ممن لا حيلة له و لا ينصب للمسالة نفسه و ذلك على الولاية ثقيل و البند كله ثقيل و قد يخففه الله على أقوام طلبوا العافية فصبروا أنفسهم و وثقوا بصدق موعود الله لهم. أصحاب الحاجات و المصالح و اجعل لذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك و تجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه الله الذي خلقك و تقعد عنهم جندك و أعوانك من أحراسك و شرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متمتع فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول في غير موطن لن تقدرس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متمتع ثم احتمل الخرق منهم و العي و نح عنهم الضيق و الأنف يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته و يوجب لك ثواب طاعته. الإيعطاء و المنع و أعط ما أعطيت هنيئا و امنع في إجمال و إعذار.

ي- واجبات الوالي المباشرة : ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها منها إجابة عمالك بما يعيا عنه كتابك و منها إصدار حاجات الناس عند ورودها عليك بما تخرج به صدور أعوانك. عدم إدخال عمل يوم في يوم و امض لكل يوم عمله، فان لكل يوم ما فيه.

من كل ما تقدم نجد ان الامام علي بن ابي طالب عليه السلام قد سبق الاعلان العالمي لحقوق الانسان بنيف والى من الاعوام في احترام حقوق الانسان، وهو ما يؤكد سماحة الشريعة الاسلامية اذ ان الامام يمثل رسول الامة (صلى الله عليه واله) والذي لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى.

المبحث الرابع

النتائج والتوصيات

لقد توصل البحث للنتائج الآتية:

١. ان للشريعة الاسلامية السمحاء الدور الاول في رعاية الانسان ومراعاة انسانيته بالدرجة الاولى .
٢. ان الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) كان من اوائل الدعاة للمحافظة على حقوق الانسان وخير ما يجسد ذلك عهده لعامله على مصر مالك الاشر .
٣. تضمن عهد الامام علي تفصيلاً دقيقاً لواجبات الحاكم تجاه الرعية ولم يغفل الامام عن أي تفصيلية من تفصيلات واجبات الحاكم .
٤. قسم الامام (عليه السلام) المجتمع لطبقات وفئات عدة واصفاً كيفية التعامل مع كل طبقة وهو بعهد هذا يجسد ما على الوالي تطبيقه حقاً تجاه الرعية.
٥. جسد الامام سماحة الدين الاسلامي بالتعامل مع غير المسلمين والمحافظة على حقوقهم مع انهم يعيشون في مجتمعات غير اسلامية وهو ما يضمن حق عامة الناس وخاصتهم وان اختلفت ديانتهم، وهو بذلك يقر مبدا التعايش السلمي بين ابناء المجتمع الواحد.
٦. يؤكد الامام (عليه السلام) على ضرورة ان ياخذ الوالي المشورة من اصحاب الخبرة والحلم والحكمة وان يبتعد عن اهل التفرقة والبغضاء والشحناء .
٧. يؤكد على الامام علي ضرورة متابعة الوالي لامور رعيته والتعامل معهم بالرفق والرافة والرحمة عامة ومع الفقراء منهم بنحو خاص .

التوصيات :

١. ضرورة اتباع مبادئ العهد وبنوده من اصحاب السلطة وصناع القرار فو عمل أي منهم بمبادئ هذا العهد وواجباته لوجدنا مجتمع يزدهر ويبدع افراده .
٢. ضرورة ان يدرس عهد الامام علي بن ابي طالب في كليات القانون والسياسة لينهل سياسيو الغد من عبق الفكر العلوي المطهر .
٣. تنظيم دورات تدريبي لكل المعنين بالسياسة تتضمن مبادئ العهد واجراءات تطبيقه.

مصادر البحث :

القران الكريم

١. ادوار بروي، تاريخ الحضارات العام، ج ٣ (القرون الوسطى)، مصدر سابق ص ٢٠ وما بعدها، ج ٤، (لغاية القرن ١٨) .
٢. ايمار، اندرية وجانين ابوايه، تاريخ الحضارات العام، ترجمة فريد داغر، بيروت، دار عويدات، ٢٠٠٣
٣. البخاري، ابو عبد الله بن اسماعيل، صحيح البخاري، (بيروت، دار الفكر، ١٩٨١)
٤. الحسيني، هاشم معروف، دراسات في الحديث والمحدثين (دراسات في الكافي للكليبي والصحيح للبخاري)، ط ٢، (بيروت، دار التعارف، ١٩٧٨).
٥. د. احمد جمال ظاهر، حقوق الإنسان، عمان، مركز النهضة للخدمات الفنية، ١٩٨٨ .
٦. د. جهاد الحسيني، « واقع السلطة السياسية ومفهومها في مصر القديمة » مجلة العلوم القانونية والسياسية، العدد ١-٢، بغداد، ١٩٨٤ .
٧. د. عبد الكريم علوان، الوسيط في القانون الدولي العام، (الكتاب الثالث- حقوق الإنسان)، (عمان، دار الثقافة، ٢٠٠٤) .
٨. د. محمد سعيد مجذوب، حقوق الإنسان والحريات الأساسية، لبنان، جروس برس، ١٩٨٠ .
٩. د. محمد عمارة، الفكر الاجتماعي لعلي بن ابي طالب، ط ١، (القاهرة، دار الثقافة، ١٩٧٧)
١٠. د. نبيل احمد حلمي، « حقوق الانسان في التنمية»، مجلة السياسة الدولية، العدد ٦٨، ١٩٨٢ .
١١. ديورانت، ول، الحضارة، ترجمة محمد بدران، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف، ١٩٦٨
١٢. شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد المعتزلي، تحقيق: محمد ابراهيم، دار الكتاب العربي-دار الاميرة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٧
١٣. صلاح حسن مطرود، السيادة وقضايا حقوق الإنسان وحرياته الاساسية، اطروحة دكتوراه، غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٩٥ .
١٤. الطبراني، ابو القاسم سليمان بن محمد بن ايوب، المعجم الاوسط، تحقيق ابراهيم الحسيني، (د.

- م، دار الحرمين، د. ت) .
١٥. الطبراني، ابو القاسم سليمان بن محمد بن ايوب، المعجم الصغير، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت) .
١٦. الطبراني، ابو القاسم سليمان بن محمد بن ايوب، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، (القاهرة، مكتبة ابن تيمية، د. ت) .
١٧. علي محمد جعفر، تاريخ القوانين ومراحل التشريع الاسلامي، (بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٨٦
١٨. عمارة، د. محمد، الخلافة ونشأة الاحزاب الاسلامية، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٤) .
١٩. عمارة، د. محمد، الفكر الاجتماعي لعلي بن ابي طالب، ط١، (القاهرة، دار الثقافة، ١٩٧٧) .
٢٠. عمارة، د. محمد واخرون، علي بن ابي طالب (نظرة عصرية جديدة)، (بيروت المؤسسة العربية، ١٩٧٤) .
٢١. الغنوشي : راشد، الحريات العامة في الدولة الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ص ٢٣ أنقلا عن عبد الوهاب الكيالي (وآخرون)، موسوعة السياسة، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩ .
٢٢. الفكيكي، توفيق، الراعي والرعية، ط٣، (بغداد، المعرفة للنشر والتوزيع، ١٩٩٠) .
٢٣. المركز الوطني لحقوق الإنسان، موقع دائم عبر الإنترنت www.nchr.org.jo
٢٤. مؤتمر حقوق الإنسان في الشريعة : الحديثي : خليل، حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، ملاحظات في نقد الفكر الغربي .
٢٥. مؤتمر حقوق الإنسان في الشريعة والقانون : البياتي : حقوق الإنسان بين الشريعة والقانون .

الهوامش

١. د. محمد سعيد مجذوب، حقوق الإنسان والحريات الأساسية، (لبنان، جروس برس، ١٩٨٠)، ص ٩.
٢. صلاح حسن مطرود، السيادة وقضايا حقوق الإنسان وحرياته الاساسية، اطروحة دكتوراه، غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٩٥، ص ٣٩
٣. المركز الوطني لحقوق الإنسان، موقع دائم عبر الإنترنت www.nchr.org.jo
٤. صلاح حسن مطرود، السيادة وقضايا حقوق الإنسان وحرياته الاساسية، اطروحة دكتوراه، غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ١٩٩٥، ص ٥٩
٥. علي محمد جعفر، تاريخ القوانين ومراحل التشريع الاسلامي، (بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٨٦، ص ٢٣ وما بعدها.
٦. مطرود، مصدر سابق، ص ٦٣-٦٥
٧. د. جهاد الحسيني، « واقع السلطة السياسية ومفهومها في مصر القديمة » مجلة العلوم القانونية والسياسية، العدد ١-٢، بغداد، ١٩٨٤، ص ١٤٢
٨. ايمار، اندرية وجانين ابوايه، تاريخ الحضارات العام، ترجمة فريد داغر، بيروت، دار عويدات، ٢٠٠٣، ج ١، ص ٤٤-٧٢.
٩. د. احمد جمال ظاهر، حقوق الإنسان، (عمان، مركز النهضة للخدمات الفنية، ١٩٨٨)، ص ٧٧.
١٠. د. نبيل احمد حلمي، « حقوق الانسان في التنمية»، مجلة السياسة الدولية، العدد ٦٨، ١٩٨٢، ص ٨٨.
١١. ايمار، مصدر سابق، ج ١، ص ٣٢٧.
١٢. ديورانت، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٢.

١٣. ايهار، مصدر سابق، ج ٢، ص ٦٩٦-٦٩٩.
١٤. ادوار بروي، تاريخ الحضارات العام، ج ٣ (القرون الوسطى)، مصدر سابق ص ٢٠ وما بعدها، ج ٤، (لغاية القرن ١٨)، ص ٣٨.
١٥. الزحيلي، مصدر سابق، ص ١٠٢-١٠٨.
١٦. د. عبد الكريم علوان، الوسيط في القانون الدولي العام، (الكتاب الثالث- حقوق الإنسان)، (عمان، دار الثقافة، ٢٠٠٤)، ص ٢٥.
١٧. الغنوشي : راشد، الحريات العامة في الدولة الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، ص ٢٣ أنقلا عن عبد الوهاب الكيالي (وآخرون)، موسوعة السياسة، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩، ج ٢، ص ٢٤٤
١٨. المصدر السابق، ص ٣٤.
١٩. مؤتمر حقوق الإنسان في الشريعة : الحديثي : خليل، حقوق الإنسان وحياته الأساسية، ملاحظات في نقد الفكر الغربي، ص ٣٠.
٢٠. مؤتمر حقوق الإنسان في الشريعة والقانون : البياتي : حقوق الإنسان بين الشريعة والقانون، ص ١٣٣.
٢١. عمارة : الإسلام وحقوق الإنسان، ص ١٦٤
٢٢. مسند أحمد بن حنبل : ج ٦، ص ٥٧٠ - الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد، توفي ٣٦٠ هـ، المعجم الأوسط، كتاب آداب النفوس، وقال : تفرد به سهل بن عثمان، ولم يروه عن الجريري إلا أبو المنذر.
٢٣. عمارة : الإسلام وحقوق الإنسان، ص ١٧٧
٢٤. الحديث رواه البخاري (١٢-١١- فتح)، برقم : ٦٧٣٢، كتاب : الفرائض، باب : ميراث الولد من أبيه وأمه، ومسلم (١١-٥٢- نووي)، كتاب : الفرائض .

٢٥. الحسيني الخطيب، ١٤٠٥ هـ، ص ٤٣١.
٢٦. النويري، د. ت، ص ١٩ ٣٢.
٢٧. الحسيني الخطيب، ١٤٠٥ هـ، ص ٤٣١.
٢٨. المصدر نفسه، ص ٤٣١.
٢٩. ابن أبي الحديد، ١٣٨٧ هـ، ص ٣١.
٣٠. المصدر نفسه .
٣١. شرح نهج البلاغة لابي حديد .
٣٢. المصدر نفسه
٣٣. شرح ابي حديد، ص ٥٠.
٣٤. الفكيكي، ١٤٠٢ هـ، ص ٩٤.
٣٥. شرح ابي حديد ص ٥٤.

الفقراء وذوو الاحتياجات الخاصة

بين عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه)

والإعلان العالمي لحقوق الإنسان

م. د شهيد كريم محمد الكعبي

جامعة ميسان - كلية التربية

أ.م. د نعمة ساهي الموسوي

جامعة ميسان - كلية التربية



ملخص البحث

حاول هذا البحث رصد تأسيس الإمام علي (عليه السلام) لمفاهيم ومبادئ حقوق الإنسان في عهده لواليه مالك الأشتر حين ولاه على مصر عام (٣٨هـ-٦٥٨م)، وقد ركز البحث على حقوق الطبقة السفلى التي ينضوي تحتها الفقراء والبؤساء وذوي الاحتياجات الخاصة والأيتام والعجزة، وكيف أن الإمام (عليه السلام) سجل في هذا العهد سبقاً زمنياً للحقوق التي أقر مبادئها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام (١٩٤٨م)، واتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة عام (٢٠٠٨م)، بمسافة زمنية تصل إلى (١٤ قرن). وكذلك حاول البحث بيان أصالة المشروع الذي تمثله الإمام (عليه السلام)، وصدوره من المبادئ التي أقرها القرآن الكريم والأسس الإسلامية في إدارة الدولة والمجتمع، وكذلك تبيان مدى شموليته ومثاليته، وتشربه بالروح الإنسانية، وكيف عكس من خلاله سعيه لتأسيس دولة المؤسسات والمواطنة، التي لم تنته لها المدنيات الحديثة إلا في وقت متأخر.

حقوق الإنسان بين الإمام علي (عليه السلام) والإعلان العالمي.

صدر الإمام علي (عليه السلام) في تحديده طبيعة التعامل الإنساني الأسمى والأمثل مع الفقراء وذوي الاحتياجات الخاصة- في عهده لواليه مالك الأشر- من حقيقة نفسه وروحه التي استحوذ عليها البعد الإنساني حتى تغلغل في كل ذرة من ذراتها، وصاغ ذلك الضمير العملاق وتلك الكينونة الفريدة التي عكست معنى العظمة الإنسانية عبر التاريخ. على أن صدوره ذاك لم يكن مجرد ترف فكري أو مجرد بوح بمكونات نفسية وتعاطف شعوري مع تلك الطبقة، إنما هو أيضاً طبيعة سلوكية قارة جُبلت عليها شخصيته المثالية، وممارسة عملية دائمة تفرد بها عن غيره من عظماء الفكر الإنساني وحكام الشعوب، بمعنى أنه من القلائل الذين شفَعوا النظرية بالعمل عبر مسار الإنسانية الطويل.

وهو بذلك يمثل تكاملاً- على مستوى النظرية والتطبيق- وسبقاً زمنياً للعقريات الأوربية التي تتباهى وتتجح بتقنياتها لحقوق الإنسان، ففي الوقت الذي قررها الإمام (عليه السلام) في عهده لمالك الأشر حين ولاه مصر عام (٣٨هـ-٦٥٨م) أي في القرن السابع الميلادي، ظلت هذه المبادئ والحقوق مجهولة وغير معترف بها في أوروبا حتى نهايات القرن الثامن عشر!، فمن الثابت تاريخياً أن العقريات الأوربية بدأت تشق طريقها في العمل على ترويض وتمرين الفكر و العقل الأوربي على تقبل مفاهيم حقوق الإنسان وحرية الأفراد وتساويهم أمام القانون في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. على أن تلك البدايات كانت تتحرك بخطى وثيدة و حذرة جداً، بدليل أنها أريد لها التسلسل للعقل والفكر الأوربي عبر القصص أو الروايات الرسائية التي كتبها أدباء ومفكري أوروبا في القرن الثامن عشر أمثال: صامويل ريتشاردسون (١٦٨٩-١٧٦١م) في روايته: (بامبلا ١٧٤٠م وكلا ريسا ١٧٤٧-١٧٤٨م)، وجان جاك روسو (١٧١٢-

١٧٧٨م) في روايته: (جولي أو إلواز الجديدة ١٧٦١م) التي أراد منها أن تكون تمهيداً لإصدار كتابه العقد الاجتماعي الذي أصدره عام (١٧٦٢م)، وكان خط الشروع لشياع استخدام مصطلح (حقوق الفرد) في فرنسا بعد وروده في هذا الكتاب^(١). فقد تعلم قراء الروايات توسيع نطاق تعاطفهم، وتمكنوا عبر التفاعل مع تلك الروايات والقصص - التي تعكس الواقع الإنساني المؤلم آنذاك - أن يشعروا بالتعاطف بما يتجاوز الحدود التقليدية بين طبقتي النبلاء والعامّة، وبين السادة والعبيد، وبين الرجال والنساء، بل ربما أيضاً بين الصغار والكبار، ونتيجة لذلك بدأوا ينظرون إلى آخرين - أشخاص لم يعرفوهم معرفة شخصية من قبل - على أنهم مشابهون لهم، ولهم نفس المشاعر والأحاسيس الداخلية، وبدون هذا الشعور ما كان لمفهوم الحقوق أن يحقق تقدماً أو نتيجة سياسية تذكر، فقبل القرن الثامن عشر، كان من السهل على المسيحيين تقبل مفهوم تساوي الأرواح في السماء ولكن لم يكن من السهل عليهم أن يتقبلوا أو يقرّوا بالحقوق المتساوية على الأرض أو في العالم الأرضي الدنيوي. لقد أحدثت الروايات الرسائية والقصص الاجتماعية حراكاً واضحاً في الذوق الأوروبي، سيما مع تزايدها وتزايد الاقبال عليها في ستينيات وثمانينيات القرن الثامن عشر، ولا شك أنها أحدثت نقلة على مستوى الآثار النفسية المرتبطة بيزوغ مفاهيم حقوق الإنسان وتصوراتها^(٢). ولكن هذه النقطة ظلت مجرد أفكار تخامر عقول ومشاعر بعض القراء والمثقفين والفلاسفة، فاستبداد السلطة والنبلاء والطبقات العليا وأصحاب المال لم يكن ليخضع بسهولة أمام العاطفة والمشاعر والكلمات.

وعليه حتى ذلك الوقت، ومع الجهود التي بذلها فلاسفة أوروبا ومفكرها، ظلت كل القارة حتى نهايات القرن الثامن عشر وعشية الثورة الفرنسية وإعلان حقوق الانسان والمواطن، ترتع بأقصى حالات استعباد الإنسان وإذلاله وامتهان كرامته وحرية وإنسانيته، وإهدار حقوق الضعفاء والفلاحين والطبقات الكادحة والمهاجرين وسحقهم، لإشباع رغبات الملوك وطبقات الأشراف والنبلاء ورجال الدين، فقد كتب

أحد الفلاحيين الفرنسيين عام (١٧٨٨م) رسالة لوزير المالية في عهد لويس السادس عشر (جاك نكير = Jacques Necker ١٧٣٢ - ١٨٠٤م) قال فيها: «إن الفقراء يقاسون البرد والجوع بينما يرتع كهنة الكاتدرائيات في رغد من العيش، ولا يفكرون إلا في تسمين أنفسهم، كأنهم خنازير ستذبح للفصح»^(٣).

ومع أن حقوق الإنسان في أوروبا كانت نتاج أجيال متعاقبة من الفلاسفة والمفكرين ورجال الإدارة والسياسة، حتى صيغت أولاً في (إعلان الاستقلال الأمريكي عام ١٧٧٦م) ومن ثم (إعلان حقوق الإنسان والمواطن) عقب نجاح الثورة الفرنسية عام (١٧٨٩م) فإنها ظلت قاصرة عن بلوغ سمة العالمية، بل إنها أهملت حقوق الاطفال والمختلين العقليين، والمساجين، و عديمي الأهلية (المرضى والمعاقون وكبار السن) والفقراء، والرقيق والأحرار السود والأقليات الدينية والنساء^(٤). ولذلك خضعت تلك الحقوق لقرابة قرنين من الزمان لمزيد من التعديل والتنقيح، سيما في الجنبه القضائية والجدل المرير حول قضية التعذيب القضائي، الذي كان أحد أدوات انتزاع الاعترافات من المتهمين والمسجونين، عبر سحق العظام بآلات الشد والبكرات والضرب بأعمدة الحديد، والكي بالحديد المحمى، والحرق والخصي وتقطيع الأيدي و تمزيق الأجساد، وغيرها من المشاهد المرعبة للتعذيب والموت المؤلم البطيء^(٥). وهكذا فإن حقوق الإنسان في أوروبا عانت مخاضاً عسيراً جداً حتى ولادتها - بشكل مرضٍ نسبياً - في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي تبنته الأمم المتحدة عام (١٩٤٨م)، والذي غدى تجسيدا لوعده حقوق الإنسان العالمية، كما تعبر لين هانت^(٦).

هذا في الوقت الذي كان الإمام علي (عليه السلام) قد شرع قبل الفكر الأوربي بستة قرون في إرساء مبادئ حقوق الإنسان وحرية الأفراد وتساويهم في المنحى الإنساني عبر نظيره لإدارة الدولة وممارساته السلوكية. وعليه أمام هذا المخاض العسير الذي خاضته

حقوق الإنسان في أوروبا مع تأخرها تاريخياً يجدر بالإنسانية أن تفخر بأن الإمام علي (عليه السلام) قد أقر حقوقها بشكلها المتكامل والأمثل قبل ذلك بهذه المساحة الزمنية الهائلة، فقد تخطت مبادئه وممارساته الإنسانية حدود الممكن، وراحت تحلق به في عالم المثال الفرد.

وهنا يجدر الانتباه إلى أمور مهمة هي:

١- أن حقوق الإنسان الأوروبية على نقصها كانت نتاج عقليات متعددة، وأجيال متعاقبة، في حين كانت الحقوق الإنسانية التي قررها أمير المؤمنين (عليه السلام) على كمالها ومثالياتها، وليدة فكره الخاص، ولم يستغرق إقرارها إلا وقت إملاء العهد على كاتبه، أو وقت كتابته إن كان كتبه بيده. أي أنه أقرها بغضون لحظات قلائل، وذلك لأنه كان يعيشها فكراً ومضموناً، وممارسة سلوكية متأصلة ودائمة.

٢- حقوق الإنسان الأوروبية كانت نتيجة لحراك الطبقات الفقيرة والمتوسطة، والمثقفين من فلاسفة ومفكرين وأدباء..، فقد وصلت هموم الطبقات الفقيرة والمسحوقة حداً لا يطالغ، بمعنى أن تلك الحقوق أقرت على أثر الثورة والمسيرة الطويلة من التضحيات والمطالبة بالعدالة والمساواة الإنسانية. في حين كانت الحالة معكوسة تماماً في المبادئ التي أقرها الإمام (عليه السلام) فقد كان هو رأس السلطة الحاكمة، وهو من بادر إلى تقرير تلك المبادئ بمجرد تسلمه الخلافة، فقد خطب في اليوم الثاني من بيعته معلناً عن مبدئ المساواة والعدالة التي سينتهجها في الحكم فقال: «ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال، فإن الحق القديم لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تزوج به النساء، وفرق في البلدان، لرددته إلى حاله، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه الحق فالجور عليه أضيّق»^(٧). هذا على الرغم من صيحات الاعتراض والرفض التي جابهته بها الارستقراطية

الإسلامية، بل وبرغم محاربتها له سيما في معركتي الجمل و صفين. وذكر أنه (عليه السلام) عوتب على سياسة التسوية في العطاء، سيما وأن خصمه معاوية كان يعطي بالترتيب وحسب المصلحة والفائدة والقيمة العملية للشخص فتجتمع إليه الناس، بينما الإمام (عليه السلام) يقسم بالسوية فيعطي الحر كما يعطي العبد ويعطي الفقير والوضع كما يعطي السيد والشريف، فتفرق عنه أكثر شيوخ القبائل والأشراف وطالبي الرياسة والمال والوجاهة ومن يرون وجوب تفضيلهم على الموالي والفقراء والعبيد... وقد ذكر في هذا الصدد أن مجموعة من أصحابه قالوا له: يا أمير المؤمنين أعط هذه الأموال وفضل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم ومن تخاف خلافه من الناس وفراره. فقال (عليه السلام): أتأمروني أن أطلب النصر بالجور؟! والله لا أفعل ما طلعت شمس وما لاح في السماء نجم. والله لو كان المال لي لواسيت بينهم فكيف وإنما هي أموالهم^(٨).

- ٣- في الوقت الذي كانت ظروف إعلان حقوق الإنسان والمواطن بعد الثورة في فرنسا، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، مواتية أو مشجعة من الناحية السياسية والاجتماعية، كانت الظروف السياسية والاجتماعية التي أحاطت بخلافة الإمام (عليه السلام) في غاية الحساسية والتعقيد والخطورة، ولكنها مع ذلك لم تثنه عن تقرير مبادئه، بل لم تتمكن من جعله يفكر مجرد تفكير في تأجيل الإعلان عنها.
- ٤- في الوقت الذي خضعت حقوق الإنسان الأوروبية لتعديلات وتنقيحات وإضافات امتدت لأكثر من قرنين من الزمان، دون أن تنضج بما يلائم هذه المدة الزمنية الطويلة والجهود الجماعية القائمة عليها، كانت الحقوق والمبادئ التي أقرها الإمام (عليه السلام) بمفرده وخلال لحظات تمثل منتهى ما يمكن أن يبلغه تشريع قانوني في هذا المجال. فقد بلغ من مثالية تشريعاته الإنسانية أن شدد على أولاده في الإحسان لقاتله ابن ملجم فقال: «أطعموه واسقوه وأحسنوا إسهاره»^(٩). وعندما جيء له بإناء فيه

لبن شرب منه قليلاً ثم دفعه لأولاده وطلب منهم أن يحملوه إلى قاتله ابن ملجم، وطلب منهم أن يطيبوا مطعمه ومشربه، وأن يطعموه مما يأكلون ويسقوه مما يشربون وأن يرفقوا به، ولا يتعرضوا له بسوء ولا يعذبوه ولا يمثلوا به بعد موته^(١٠).

وقد ذهب أمير المؤمنين (عليه السلام) بمبادئه الإنسانية إلى أبعد حد، و اراد لها أن تعم أرجاء دولته كلها، فكان يوصي عامله على مصر محمد بن أبي بكر أن يكون حذراً وعادلاً بين الناس حتى على مستوى إثارة مشاعرهم وأحاسيسهم حين يجلسون للتخاصم بين يديه: «إذا أنت قضيت بين الناس فاحفض لهم جناحك، ولين لهم جانبك وابسط لهم وجهك وآس بينهم في اللحظ والنظر حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ولا ييأس الضعفاء من عدلك»^(١١). وكان من وجازة قوله: (وآس بينهم في اللحظة والنظرة) ومعناه العميق أن تمثله أحد الشعراء فقال:

أقسم اللحظ بيننا إن في اللحظ لعنوان ما تجن الصدور^(١٢)

فأين هذه المثالية العليا التي يطلب فيها الإمام (عليه السلام) من أولاده أن يرفقوا بقاتله وأن يرحموه ويحسنوا إليه، ويطلب فيها من واليه بأن يواسي بين المتخاصمين حتى في نظره إليهم، أين هي من حقوق الإنسان الأوربية التي لم تستطع وضع حد لظاهرة التعذيب القضائي؟، وأين هذا الأخير من اعتراض الإمام علي (عليه السلام) على عمر بن الخطاب حين كناه أمام أحد خصومه، فقد ورد أن رجلاً استعدى عليه عند عمر بن الخطاب فالتفت عمر إليه، فقال: قم يا أبا الحسن فاجلس مع خصمك، فقام فجلس معه وتناظرا، ثم انصرف الرجل ورجع الإمام إلى محله، فتبين عمر التغير في وجهه، فقال: يا أبا الحسن. مالي أراك متغيراً؟، أكرهت ما كان؟. قال نعم. قال: وما ذاك؟. قال: كنتني بحضرة خصمي، هلا قلت: قم يا علي فاجلس مع خصمك»^(١٣).

وأين هو من قوله (عليه السلام) لملك الأشتر حين ولاه على مصر: «أشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم واللطف بالإحسان إليهم. ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا

تغنم أكلهم فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق»^(١٤). وهي عبارة استحوذت على قلوب الملايين، حتى أن الأمين العام السابق للأمم المتحدة كوفي عنان تحمس لعبارة (الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق) أيًا حماسية وقال أنها عبارة يجب أن تعلق على جميع المنظمات الدولية والعالمية، وأنها عبارة يجب أن تنشدها جميع البشرية^(١٥).

٥- ظلت حقوق الإنسان الأوربية على الدوام وصولاً إلى الوقت الحاضر، من هموم الشعب سيما الطبقات الفقيرة والمعدمة المطالبة بتلك الحقوق ومن يساندهم من دعاة التنوير و الطبقة المثقفة في المجتمع، وبصورة عامة (الشعب) أو الطبقة المحكومة لا الطبقة الحاكمة أو السائدة، فهذه الأخيرة لم تكن وازعة في الحسبان أن تتماثل أو تتساوى أو تقاس مع غيرها من طبقات المجتمع سيما الدنيا منها، بل إن بعض شخصيات الطبقة المثقفة لم تكن تنظر لطبقات المجتمع السفلى على أنهم بشر، حتى أن مدام إيميلي دو شاتيليه (١٧٠٦-١٧٤٩م) الرياضية والفيزيائية الفرنسية، لم تكن تتردد في التجرد من ملابسها أمام خدماها غير معتبرة أن كون الخدم من الرجال حقيقة ثابتة^(١٦).

في حين كانت تطبيقات مبادئ حقوق الإنسان وحرية الأفراد في عهد الإمام (عليه السلام) من أولى أولويات الحكومة والجهاز الإداري للدولة، فقد ألزم الإمام علي (عليه السلام) نفسه وعماله وولاته بتطبيق هذه المبادئ وممارستها عملياً، بل إن ذلك الإلزام كان شديداً جداً ويتوخى أدق التفاصيل حتى التي لم تنتبه لها أو تستشعرها أرقى الديمقراطيات العالمية الحديثة، فقد كان يرفع ثوبه ويلبسه ويأكل الطعام الخشن مع قدرته على لبس الثياب الجيدة و أكل الطعام اللذيذ ومع حليتها له، ولكنه حين سئل عن ذلك قال: « لو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القرز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة،

ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشعب، أو أبيت مبطانا
وحولي بطون غرثى وأكباد حرى؟!، أو أكون كما قال القائل:
وحسبك داء أن تبیت ببطنة وحولك أكباد تحن إلى القد

أفنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة
لهم في جشوبة العيش»^(١٧).

وقد قرع ووبخ عامله على البصرة ثمان بن حنيف عندما بلغه استجابته لدعوة طعام دعاه
إليها أحد أثرياء البصرة، فكتب إليه: «بلغني أن رجلاً من فتيه أهل البصرة دعاك إلى مأدبة
فأسرعت إليها، تستطاب لك الألوان وتنقل إليك الجفان، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم
عائلهم مجفو وغنيهم مدعو، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم فما اشتبه عليك علمه فالفظه
وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه. ألا وإن لكل مأموم إمام يقتدي به ويستضاء بنور علمه، ألا
وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه. ألا وإنكم لا تقدرّون على ذلك
ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعقة وسداد. فو الله ما كنزت من دنياكم تبرا، ولا ادخرت من
غنائمها وفرا، ولا أعددت لبالي ثوبي طمرا»^(١٨). وهنا يتضح أن الإمام (عليه السلام) أراد لكل
حكومته أو الجهاز الإداري فيها أن يستشعروا معاناة الطبقات الضعيفة، وأن يروضوا نفوسهم
لمواساة فقراء الشعب.

إهمال الاعلان العالمي لذوي الاحتياجات الخاصة.

خلت السبعة عشر بنداً لإعلان حقوق الإنسان والمواطن الذي صدر في فرنسا
عام (١٧٨٩م) والثلاثون بنداً للإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي أقرته الأمم المتحدة
عام (١٩٤٨م) من أي إشارة لذوي الاحتياجات الخاصة^(١٩). وظلت هذه الطبقة مع
الفقراء والأشخاص غير المؤهلين عقلياً وبدنياً غير منظورين، ويعيشون على هامش
الحياة الأوربية المادية، يقتاتون البؤس والشقاء ويلتحفون الأماني والأحلام بيوم يُلتفت

إليهم فيه، وطال انتظار هذه الشريحة الاجتماعية الواسعة دون أن تبصرها عين الإنسانية العالمية وإنسانيتها المتبجحة، لتحفظ لها إنسانيتها وكرامتها وحقها في العيش الكريم، فكان ذوو الإعاقة وتلك الفئات البائسة يتعرضون كل يوم لألوان من التمييز والعوائق التي تقيد اندماجهم في الحياة ومشاركتهم في المجتمع، وحرموها من حقوقهم في التعليم والتوظيف، والعيش المستقل، وحرية التنقل، والتصويت، والمشاركة في الأنشطة الحياتية والمجتمعية الأخرى، وظلوا غير منظورين ومهمشين في النقاشات المتعلقة بالحقوق الإنسانية حتى صدور اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة عام (٢٠٠٦م)، التي كانت عبارة عن معاهدة دولية تهدف إلى حماية حقوق وكرامة هذه الفئة المجتمعية، وقد اعتمد نص هذه المعاهدة من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة في (١٣ ديسمبر ٢٠٠٦م) وفتح باب التوقيع عليها في (٣٠ مارس ٢٠٠٧م)، ومن ثم دخلت حيز التنفيذ في (٣ مايو ٢٠٠٨م)، متحولة بذلك من إطار الأعمال الخيرية القائمة على الأساس الطبي إلى نهج قائم على حقوق الإنسان^(٢٠). بمعنى أن حقوق هذه الفئة أو الشريحة الواسعة من المجتمع ظلت مهملة لستة عقود كاملة بعد الإعلان العالمي لحقوق الإنسان!.

قبالة هذا التكاسل العالمي المروع لمنظمات حقوق الإنسان في إقرار حقوق هذه الفئات الاجتماعية التي إنما تتجلى أروع صور حقوق الإنسان في خدمتها وحفظ حقوقها وكرامتها، نجد الضمير العملاق والإنسانية المثالية للإمام علي (عليه السلام) قبل (١٤ قرن) تضع حقوق هذه الفئات في أول سلم أولوياته، فيحمل آلامها وأمالها هاجساً يؤرقه، فلا يقر له قرار حتى يحفظ لها إنسانيتها وكرامتها، وهو المبدأ الأساس الذي ترسمه في أدائه السياسي، إذ كان حريصاً على تحسس آلام الفقراء والمعدمين ومواساتهم في مأكله وملبسه، فأرسي هذا المبدأ الإنساني العالي في سلوكه وقوله (عليه السلام): «هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخير الأطمعة، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشعب، أو أبيت مبطانا وحولي بطون غرثي وأكباد

حرى؟!، أو أكون كما قال القائل:

وحسبك داء أن تبيت بيطنة وحولك أكباد تحن إلى القد

أقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش»^(٢١).

وقد احتل ذوو الاحتياجات الخاصة والبؤساء سلم الصدارة في اهتمامات الإمام (عليه السلام) في عهده لواليه مالك الأشتر، ذلك العهد الذي صاغ بحق مبادئ حقوق الإنسان وإدارة الدولة والمجتمع بما يضمن تحقيق العدالة المثالية والمساواة الكاملة، ولذا قال عنه ابن حمدون (ت ٥٦٢هـ): «جمع فيه بين حاشيتي التقوى والسياسة على بعد أقطارهما، وجدته يغني عن كثير من كلام الحكماء والقدماء، وهو مع فرط الإطالة مأمون الملالة، لجمعه بين البلاغة البارعة والمعاني الرائعة، ولولا رغبة الناس في تغاير الكلام وميل النفوس إلى التنقل في الألفاظ، لاكتفيت بإيراد هذا العهد عن غيره، إذ كان حاويا لأشئآت الآداب والسياسات، جامعا للأسباب التي تلزم الملوك والولاة»^(٢٢). وقال عنه ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ): «هو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن»^(٢٣). وقال عنه النويري (ت ٧٣٣هـ) خلال حديثه عن وصايا الملوك وما يجب أن يكون عليه الحكم وشخص الحاكم وإدارة الدولة والمجتمع: ولم أر فيما طالعت من هذا المعنى أجمع للوصايا ولا أشمل من عهد علي بن أبي طالب (عليه السلام) لواليه مالك الأشتر، فأحببت أن أوردته على طوله وآتي على جملته وتفصيله، لأن مثل هذا العهد لا يهمل وسبيل فضله لا يجهل»^(٢٤). وقال عنه القلقشندي (ت ٨٢١هـ): «هو من العهود البليغة، جمع فيه بين معالم التقوى وسياسة الملك»^(٢٥). وقال عنه الباحث والدبلوماسي الأمريكي السابق في الشرق الأوسط (Michael Hamilton Morgan = مايكل هاملتون مورغان) في كتابه (Lost His-tory: The Enduring Legacy of Muslim Scientists, Thinkers, and Artists

تاريخ ضائع: التراث الخالد لعلماء الاسلام ومفكريه وأدباءه) الصادر عام (٢٠٠٧م) والذي أراد منه أن يكون محاولة لإلقاء الضوء على الفترات الزاهرة في تاريخ المسلمين وما قدموه في مجال العلوم النظرية والتطبيقية والفنون والآداب والموسيقى، مقابل اتهامهم في وسائل الإعلام الغربية بالعنف والإرهاب وعدم قبول الآخر خاصة بعد أحداث (١١ - سبتمبر - ٢٠٠١م)، فتحدث فيه عن وصايا أو تراث الأدباء والمفكرين والعلماء والحكام المسلمين وإنجازاتهم في إثراء الحضارة العالمية، ونص على أن الإمام علي (عليه السلام) قدم أفضل صورة عن مبادئ القيادة وإدارة الدولة والمجتمع، وذلك في وصاياه أو بياناته التي جعلته خالداً، وأنه قدم في رسالته المطولة لواليه على مصر مالك الأشرق قالباً مفصلاً للإدارة المستنيرة، وأن بعض آرائه الإدارية اعتمدت في أوقات لاحقة من قبل الأمويين والعباسيين والفاطميين وغيرهم في مصر، وكذلك السلاجقة في بلاد فارس والأناضول، وحتى السلاطين المغول في الهند والامبراطورية العثمانية. وقد اقتبس بعض فقرات العهد ونقلها في كتابه^(٢٦).

الفقراء وذوو الاحتياجات الخاصة في عهد الإمام علي (عليه السلام).

أخذ الفقر والبؤس الذي كان يعاني منه المجتمع مساحة واسعة من هموم أمير المؤمنين (عليه السلام) قبل وبعد خلافته، فقد كانت مشكلة الفقر هاجساً يؤرقه على الدوام، وهو ينظر سعة هذه المشكلة المستشرية وهي تلتهم جسد الأمة وروحها وإنسانيتها، وقد ألمح لهذا الألم الذي يحتاجه بسبب هذه المشكلة في خطبة له فقال: «اضرب بطرفك حيث شئت من الناس فهل تبصر إلا فقيراً يكابد فقراً، أو غنياً بدل نعمة الله كفراً، أو بخيلاً اتخذ البخل بحق الله وفراً»^(٢٧). ولذا عمل جاهداً على مدار حياته لتخليص المجتمع من مساوئ هذه الآفة المرعبة، وتقليل مساحة تواجدتها، وكان كثيراً ما تحدث في خطبه وكلماته القصار عن الآثار السيئة المترتبة على الفقر

ومن ذلك قوله (عليه السلام): «الفقر الموت الأكبر»^(٢٨). وقوله (عليه السلام): «الفقر يجرس الفطن عن حجته، و المقل غريب في بلده»^(٢٩). وقوله (عليه السلام): «لو تمثل لي الفقر رجلاً لقتلته»^(٣٠)، وغيرها من الأقوال التي تحكي هذا المعنى، كما كان (عليه السلام) شديد الحرص على معالجة حالات التشرد والتسول، فقد روي أنه (عليه السلام) مر بشيخ كبير مكفوف البصر يسأل الناس، فقال: ما هذا؟. فقال أصحابه: يا أمير المؤمنين، إنه رجل نصراني - فتوجع من هذه الكلمة وتلك الصورة ورد موبخاً ومؤدباً لهم - استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه!، انفقوا عليه من بيت المال»^(٣١). وهنا تتجلى أروع وأبهى وأصدق صور حقوق الإنسان وأكثرها مثالية وسموا، إذا تخلق خارج مدارات الانتماء الديني والعقدي والعرقى...، وتسبح في فضاء إنسانية علي (عليه السلام) الواسع والشاسع الامتداد بسعة عبارته الملهمة التي ضمنها عهده العالمي (الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق).

ومن الملفت للنظر أن خطاب أمير المؤمنين (عليه السلام) المتعلق بذوي الاحتياجات الخاصة في عهده لمالك الأشتر (رض) انماز عن غيره من فقرات العهد المتعلقة بطبقات المجتمع الأخرى، وقد جاءت الإشارة إليهم تحت مسمى الزمنى ومفردها زمين، وهم من أصابتهم الزمانة، وهي العاهة الباقية على مرور الوقت، كالعرج والعمى والصمم والتشوه و التخلف العقلي، وغيرها من العاهات البدنية^(٣٢). وهو بذلك يؤسس لخصوصية العناية بهذه الفئة المجتمعية و توفير احتياجاتها وضمان العيش الكريم لها، وهذا ما لم يدرك العالم أهميته ومساحته الإنسانية إلا في أوقات متأخرة من عصور التطور والحضارة، فقد أدركت المدينة الحديثة ضرورة تحقيق هذه النقلة النوعية في مجال الإدارة المجتمعية والتنمية البشرية، عبر إقامة المراكز و المنظمات الصحية والنفسية الخاصة للعناية بهذه الفئة من المرضى، مما يفصح عن مدى عمق المشروع الإسلامي الذي تمثله أمير المؤمنين (عليه السلام) وشموليته ودقته في معالجة الأمور المجتمعية ومشاكل الحياة، ومدى أصالته ونزعتة الإنسانية، وتقدمه الحضاري، وتجاوزه لأطر الزمان و المكان،

وانفتاحه على المجال الإنساني الرحب، ولذا رشح هذا العهد لأن يكون أحد مصادر التشريع الدولي، بعد أن اقترح الأمين العام السابق للأمم المتحدة كوفي عنان حالته للجنة القانونية لمناقشته، وفعالاً صوتت عليه الدول المشتركة، وتم اعتماده كمصدر من مصادر التشريع الدولي^(٣٣).

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) موصياً مالك الأشر: (ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم، من المساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمنى فإن في هذه الطبقة قانعا ومعترأ. احفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم. واجعل لهم قسما من بيت مالك، وقسما من غلات صوافي الإسلام في كل بلد، فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى، وكل قد استرعيت حقه. ولا يشغلنك عنهم بطر، فإنك لا تعذر بتضييع التافه لأحكامك الكثير المهم، فلا تشخص همك عنهم، ولا تصعر خدك لهم. وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم، ممن تقتحمه العيون، وتحقره الرجال، ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم. ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله سبحانه يوم تلقاه، فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الانصاف من غيرهم، وكل فأعذر إلى الله في تأدية حقه إليه. وتعهد أهل اليتيم، وذوي الرقة في السن، ممن لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة نفسه، وذلك على الولاية ثقيل، والحق كله ثقيل، وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم، ووثقوا بصدق موعود الله لهم)^(٣٤).

ويمكن تناول تميز وخصوصية هذا المقطع والمبادئ الأساسية لحقوق الإنسان التي أرساها الإمام (عليه السلام) من خلاله عبر المحاور التالية:

١- يظهر أن الإمام (عليه السلام) يريد من واليه أن يكون في أعلى مستويات التنظيم في إدارة الدولة والمجتمع، فقد تحدث في هذا العهد عن الفئات المجتمعية كلها، بدءاً من السلطة الإدارية من وزراء ومشاورين وكتاب وعمال خراج وصدقة...، مروراً

بالجند والتجار والفلاحين والعمال، واصحاب الصناعات والحرف..، وعامة الناس كل حسب طبقتهم وحسب أولوية الاصلاح، وصولاً إلى الطبقة السفلى. بمعنى أن تأخير الحديث عن هذه الطبقة لا يعني الخضوع لواقع الترتيب الطبقي للمجتمع وإقراره، بقدر ما يعني ضرورة التفصيل في بيان خطوات الإصلاح وترتيبها المنطقي والعملي، وإلا فالإمام (عليه السلام) يحسم هذه المسألة على انفراج قوسيتها بمحددتين لا ثالث لهما عبر كلمته الشهيرة الواردة في هذا العهد (الناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق)، أي أن هذا الترتيب الطبقي إنما يراد منه الإفضاء لتراتب خطوات أو حركة مشروع الإصلاح، بما يكفل تناسقها وانسيابها وتنظيمها الأمثل، فتحقق الإصلاح في الطبقات المتقدمة يضمن تحقق الإصلاح في الطبقات التي تليها بصورة منطقية وسهلة.

٢- ولعل الدليل على أولوية الطبقة السفلى مع تأخر الحديث عنها، أنها كانت الوحيدة من بين الفئات المجتمعية التي تحدث عنها أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا العهد، وخصها بالتشديد على رعاية حقوقها، وهذا ما تؤكدته عبارة (ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم، من المساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمنى)، فهذا التأكيد بتكرار اسم الله (جل وعلا) لم يرد إلا في هذا المقطع من العهد ولم يستخدم إلا مع الفئات المجتمعية المنضوية تحت عنوان هذه الطبقة.

بل إن الإمام (عليه السلام) كرر هذا التأكيد في قوله: (احفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم. اعمل فيهم بالإعذار إلى الله سبحانه يوم تلقاه)، وبين أن مرد هذا الاهتمام متأًت من أن هذه الطبقة أولى بالاهتمام والرعاية من غيرها (فإن هؤلاء من بين الرعاية أحوج إلى الانصاف من غيرهم) وهنا يبدو البون شاسعاً إلى درجة انعدام المقايسة والمقابلة، بين تشديد الإمام (عليه السلام) على رعاية حقوق هذه الطبقة قياساً بغيرها من طبقات المجتمع، وبين إهمال وثائق وإعلانات الحقوق العالمية لها حتى عام (٢٠٠٨م).

٣- يركز أمير المؤمنين (عليه السلام) في تشديده على رعاية حقوق هذه الطبقة، أحد المبادئ القرآنية التشريعية المهمة لمعالجة أوضاع الفقر والبؤس التي تعيشها هذه الفئة مع حفظ كرامتها، إذ يقول: (فإن في هذه الطبقة قانعا ومعتراً)، وهو بذلك يصدر من مفهوم أن قيام الوالي أو المسؤول الإداري بمتابعة شؤون هذه الطبقة وتوفير العيش الكريم لها هو واجب شرعي عليه وبغير تفضل أو منة منه، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ الحج-٢٨. وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ﴾ الحج-٣٦.

٤- عمل الإمام (عليه السلام) على تقرير ما يعرف اليوم بمبدأ (الضمان الاجتماعي)، ومسؤولية الدولة في إعالة الفرد وتوفير حد الكفاية له، وبيان أحقية هذه الفئات كغيرها من المسلمين في موارد الثروة، لأن هذه الموارد سيما الطبيعية منها قد خلقت لعموم الجماعة الإسلامية، لا لفئة دون فئة وعليه فلهؤلاء حق الانتفاع بهذه الثروات، فمن كان من المسلمين قادراً على العمل أو الكسب، كان على الدولة تهيئة فرصة العمل أو ضمان إمكاناتها له، ومن قعد به الضعف أو المرض أو العجز عن العمل، فعلى الدولة أن تضمن حقه في الاستفادة من ثرواتها، وتوفير مستوى الكفاية من العيش الكريم له.

وقد أقر مبدأ الضمان الاجتماعي في المادة (٢٢) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ونص على أن كل شخص، باعتباره عضواً في المجتمع، له الحق في الضمان الاجتماعي وله الحق في أن يتم توفيره له، من خلال الجهد القومي والتعاون الدولي وبما يتفق مع التنظيم والموارد في كل دولة، من الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي لا غنى عنها من أجل كرامته والتنمية الحرة لشخصيته^(٣٥).

على أن تطبيقات الإمام (عليه السلام) لمبدأ الضمان الاجتماعي لم تكن محصورة في عهده لمالك الأشر فقط، وإنما أراد منها أن تعم أرجاء دولته كلها، ولذلك نجده يكتب لعامله على مكة قثم بن العباس قائلاً: «انظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله، فاصرفه

إلى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة، مصيبا به مواضع الفاقة والخلات، وما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قبلنا»^(٣٦). وفي كتاب له (عليه السلام) لأحد عماله على الصدقة أنه قال: «وإن لك في هذه الصدقة نصيبا مفروضا، وحقا معلوما، وشركاء أهل مسكنة، وضعفاء ذوي فاقة. وإنا موفوك حقا، فوفهم حقوقهم، وإلا تفعل فإنك من أكثر الناس خصوما يوم القيامة، وبؤسي لمن خصمه عند الله الفقراء والمساكين، والسائلون والمدفوعون، والغارمون وابن السبيل»^(٣٧). وكتب لمخنف بن سليم الأزدري، بمثل هذا الكتاب حين بعثه على الصدقة^(٣٨).

فضلاً عن ذلك فقد بين الإمام (عليه السلام) الطريقة التي يمكن من خلالها للدولة أن تضمن هذا الحق وحمائته للجماعة الإسلامية كلها بما فيهم الفقراء والعاجزين... فقال: (واجعل لهم قسما من بيت مالك، وقسما من غلات صوافي الإسلام في كل بلد). بمعنى تخصيص رواتب ثابتة لهم، نظير ما يعرف اليوم (بشبكة الرعاية الاجتماعية)، ويضاف إلى ذلك أن ترصد لهم بعض منتجات أو موارد الصوافي الإسلامية، أي الأراضي التي غنمها المسلمون فصارت ملكاً للدولة وبالتالي فهي ملك لجميع المسلمين ومن حق الجميع التمتع بخيراتها، قال تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَا كِنٍّ اللَّهُ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ الحشر - ٦- ٧. وغيرها من الموارد القرآنية والفقهية التي قننت آليات التكافل الاجتماعي الإسلامي، وأبواب الصرف لضمان الرعاية الاجتماعية والعيش الكريم لهذه الفئة، مثل: الخمس والزكاة والصدقات وغيرها.

٥- لم يكتف الإمام (عليه السلام) بتقرير مبدأ الضمان الاجتماعي للفئات المجتمعية المصنفة في هذه الطبقة، ولا بتخصيص موارد الانفاق عليهم، بل أراد أيضاً

تكوين هيئة بمواصفات خاصة جداً من حيث الوثاقة والأمانة والتدين والتواضع والإنسانية (ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم)، وتكون مهمة هذه الهيئة هي السهر على رعاية حقوق هذه الطبقة وتفقدتهم بصورة دائمة والسعي الجدي في توفير ما يحتاجون إليه، ونقل صورة حية للوالي عن أحوالهم وكل ما يتعلق بأوضاعهم، ليكون على اطلاع دائم وتماس مباشر معهم. بل إنه (عليه السلام) يشدد في تحقيق هذه النقلة النوعية بمزيد من الوعي والتلطف والتواضع والنظرة الإنسانية الرحيمة، حتى لا يُشعر هذه الفئات بضعفها وقلة حيلتها، وهامشيتها في الحياة، أو أنه متفضل عليهم بأن تفقد أحوالهم!، قال (عليه السلام): (ولا يشغلنك عنهم بطر، فإنك لا تعذر بتضييع التافه لأحكامك الكثير المهم، فلا تشخص همك عنهم، ولا تصعر خدك لهم. وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال، ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع فليرفع إليك أمورهم).

وحقيقة الحال نحن مع هذا المقطع من عهده الشريف، نقف على غاية المثالية التي يمكن أن تحقق في يوم من الأيام، وعلى أنصع الصور الإنسانية عبر التاريخ، ونستطيع القول بكل اطمئنان، أنه ليس هناك ثمة ديمقراطية حديثة أو قديمة، أو تشريع لحقوق الإنسان قديم أو حديث، بلغ هذا النضج والوعي للمسؤولية الاجتماعية، وعمل على تحقيق هذه النقلة النوعية في مجال إدارة المجتمع، وإلا فالمسؤولون والمتشردون والعجزة والهاربون من الفقر والحرب وغيرهم، يملؤون الأرصفة والطرقات العامة، ويفترشون الأرض ويلتحفون السماء في أرقى المدن والديمقراطيات الحديثة في أوروبا وأمريكا، دون أن تمتد لهم أيدي منظمات حقوق الإنسان أو الصحة العالمية، في حين لو قدر لمبادئ أمير المؤمنين (عليه السلام) أن تطبق لكانت الدولة هي من تبحث عن هذه الفئات لتسد عوزها وتحفظ حياتها وكرامتها.

٦- ولا يكتف الإمام (عليه السلام) بحفظ حقوق المعروفين والمعلمين أو العينات المشخصة من هذه الفئات، بل يلح على واليه بالتفتيش عن غير المعرفين والمعينين منهم. أي البحث عن العينات المضمرة التي تخجل أو التي لا تستطيع إيصال صوتها للمسؤول أو السلطة الإدارية للدولة، (وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم، ممن تقتحمه العيون، وتحقره الرجال، وفرغ لأوثك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم). والإمام (عليه السلام) هنا يريد أن يحقق مبدأ الضمان الاجتماعي بأعلى مستوياته ودرجات نضجه، عملاً بمقتضى المبدأ والقاعدة القرآنية التي يصوغها قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْثَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ البقرة- ٢٧٢-٢٧٣.

وقد تعددت تطبيقات الإمام (عليه السلام) لهذه القاعدة، بل إنه كان يجب أن يؤدي النفقة ليلاً، وسراً لا علانية حتى لا يخدش إنسانية أولئك الفقراء والبؤساء، فقد روي أنه لما نزلت هذه الآية، بعث تسابق بعض الصحابة للإنفاق على أهل الصفة، فبعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير كثيرة إلى أصحاب الصفة حتى أغناهم، وبعث الإمام (عليه السلام) في جوف الليل بوسق من تمر (ستون صاعاً) فكان أحب الصدقتين إلى الله تعالى صدقة الإمام علي (عليه السلام) فأنزل الله تعالى بحق الإمام (عليه السلام) وصدقته تلك (٣٩)، قوله الكريم: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة- ٢٧٤. وذكر أنها نزلت بحقه عندما تصدق بدرهم أربعة كانت عنده لا يملك سواها، فتصدق بدرهم سراً، وبدرهم علانية، وبدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً (٤٠).

٧- اختتم الإمام (عليه السلام) حديثه عن الفئات المجتمعية المنضوية تحت هذه الطبقة بتشديد أخير، خص به مالك الأشتر نفسه وذلك لخصوصية الفئة الأخيرة التي تحدث عنها، والتي كانت على الدوام تشكل هاجساً يؤرق حياته ولا يكاد يفارقه، وهي فئة الأيتام وكبار السن: (وتعهد أهل اليتيم، وذوي الرقة في السن، ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه، وذلك على الولاية ثقيل، والحق كله ثقيل، وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم، ووثقوا بصدق موعود الله لهم).

فهنا نجد الإمام (عليه السلام) يؤكد على واليه مالك الأشتر أن يباشر هو بنفسه هذه المهمة (تعهد..). أي أنت بنفسك، هذا في الوقت الذي نجده مع الفئات الأخرى يطلب منه أن يفرغ لهم أشخاص بمواصفات خاصة لمتابعة شؤونهم (وفرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم). ولعل هذا التمييز لهذين الفئتين متأ من أن الوالي يقوم مقام الخليفة، والأخير يقوم مقام الأب والمتكفل الأول بالرعية، هذا فضلاً عن أن مباشرة الخليفة أو من يقوم مقامه للاهتمام بالأيتام يعكس في نفوسهم أوبة الدولة والمسؤول المباشر فيها لهم، وهو ما يبعث في نفوسهم الاطمئنان والأمن على حياتهم ومستقبلهم بالشكل الذي لا يمكن ان يعكسه لو قام بهذه المهمة شخص آخر، كما يعكس في نفوس كبار السن أنهم في أعين الدولة وضميرها ووجدانها

وأنها تراعاهم وتساندهم، كما رعوها وساندوها في أيام شبابهم وقوتهم، عرفاناً لهم بجميل ما قدموا لها، ولأنهم في مرحلة الشيخوخة والعجز يحتاجون للعناية والاهتمام كما الأطفال الصغار، والإمام (عليه السلام) هنا يسجل أعلى مستوى في إدارة المجتمع، إذا أن يعكس في نفوس هؤلاء أن الدولة تراعاهم وتقوم على تأمين راحتهم وعيشهم الكريم على امتداد مراحلهم العمرية (صغاراً وكباراً). وهذا ما انتبعت له المدنيات الحديثة عبر مؤسسات الرعاية ودور الأيتام والعجزة.

وحقيقة الحال إن الإمام علي (عليه السلام) كان على الدوام يباشر عملية التفتيش عن الأيتام والفقراء و المعوزين بنفسه، فقد روي أنه كان في ليلة من الليالي يتفقد شوارع الكوفة، فنظر إلى امرأة ضعيفة القوى تحمل قربة ماء، فطلب منها أن يحملها عنها- وكانت المرأة لا تعرفه- فأوصلها لبيتها وسألها عن حالها، فأخبرته أن زوجها أستشهد في أحد الثغور، وأن عندها صبيرة جياع وأن الفقر ألجأها للخدمة في البيوت، فذهب الإمام (عليه السلام) وجاءها بالطعام، وسجر لها التنور وطلب منها أن تهيئ لهم الخبز، وأخذ هو يداعب الصبية ويطعمهم بيده وكلما ناول أحدهم لقمة قال له: يا بني اجعل علي بن أبي طالب في حل مما مر في أمرك، وبيناهو كذلك جاءت جارة لتلك المرأة، فرأت أمير المؤمنين (عليه السلام) وكانت تعرفه، فقالت لتلك المرأة: ويحك هذا امير المؤمنين في بيتك!. فبكت المرأة وقالت: واحيائي منك يا أمير المؤمنين. فقال (عليه السلام): بل واحيائي منك يا أمة الله فيما قصرت في أمرك^(٤١).

وذكر أنه (عليه السلام) مر على بيت من بيوت الكوفة فسمع بكاء أطفال صغار، فطرق الباب وعرف أن في البيت امرأة مسكينة لها أطفال صغار يكون من الجوع، وأنها وضعت على النار قدر فيه ماء لتلهيهم وتشاغلهم به حتى يناموا، فأسرع إلى منزله وحمل التمر والأرز والخبز وبعض الشحم، ورجع إلى بيت المرأة، وقد طلب منه قنبر (رض) أن يحمل الطعام عنه فرفض ذلك، ثم إنه طبخ الأرز والشحم وأطعم الأطفال وأخذ يدور في البيت ويداعبهم، فلما خرج قال له قنبر: لقد حملت الطعام وأطعمت الصبية طلباً للشواب، فما الذي حملك على مداعتهم بتلك الصورة؟. فقال (عليه السلام): يا قنبر إني دخلت على هؤلاء الأطفال وهم يبكون من شدة الجوع، فأحببت أن أخرج عنهم وهم يضحكون مع الشبع فلم أجد سبباً سوى ما فعلت^(٤٢).

وروي أنه (عليه السلام) جيء له بعسل وتين من همدان وحلوان، فأمر العرفاء أن يأتوا باليتامى، فأمكنهم من رؤوس الأزقاق يلعقونها، وهو يقسمها للناس قدحا،

قدحا، فقيل له: يا أمير المؤمنين ما لهم يلحقونها؟. فقال: إن الإمام أبو اليتامى وإنما ألقاهم هذا برعاية الآباء^(٤٣). و كان من شدة حبه للأيتام وتعلقهم به ورعايته لهم، أن رآه أحد أصحابه يدعو اليتامى فيطعمهم العسل، فقال: لوددت أني كنت يتيماً^(٤٤). وهكذا هي أخبار أمير المؤمنين (عليه السلام) بتعهد الأيتام و الفقراء و المساكين و التفتيش عنهم و الإنفاق و العطاء مستفيضة في كتب التاريخ و السير حتى أنه (عليه السلام) كانت غلته السنوية من أرضه (٤٠٠٠٠ ألف دينار) فجعلها كلها صدقة^(٤٥).

الخاتمة

من خلال ما تقدم تبين أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يتغيا في عهده لملك الأشر، تقديم مشروع إصلاحى شامل لإدارة الدولة والمجتمع، وتبين أن تأخير الحديث عن الطبقة السفلى التي تضم الفقراء والبؤساء وذوي الاحتياجات الخاصة على أهميتها وأولويتها والتشديد الذي خصها به دوناً عن الفئات الأخرى، إنما فرضه تراتب مراحل أو خطوات المنهج الإصلاحى فى مؤسسات الدولة ومرافق الحياة المجتمعية، وأن هذا الترتاب يمثل خارطة طريق عملية مبنية وفق منظور علمى منطقي يند عن اطار زمانه ليحاكي تنظيم أرقى الديمقراطيات و المدنيات الحديثة، وإنه أراد من خلاله ترسيخ قواعد ومبادئ قرآنية، كان من شأنها لو طبقت بصورتها المثلى لما حدث الانحدار الذي وصلت إليه الجماعة الإسلامية حينها وأدى لتقاتلها وتصفية بعض زعاماتها.

ومن هنا يمكن الولوج إلى تقرير أن عهد الإمام (عليه السلام) بمجمله، كان يمثل استجابة لضرورة وخصوصية الظرف الذي صدر فيه العهد، فقد ابتعدت سياسات الحكام السابقين عن المبادئ الإسلامية فى إدارة الدولة والمجتمع، سيما بعد توسع رقعة الدولة الإسلامية على أثر الحروب التي شنتها الخلافة تحت مسمى الفتوح الإسلامية، وابتداع سياسة التفضيل فى العطاء، التي كانت آثارها وخيمة جداً على جميع المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتشريعية، فقد خلقت مجتمعاً طبقياً، يمزقه التفاوت الواسع فى تحصيل العطاء والأرزاق، فبينما كان بعض الصحابة يخلف من الذهب والفضة ما يكسر بالفؤوس، ومن الأموال والضياع والبساتين ما يفوق واردات قبيلة متكاملة، وفى اسطبلاته ومراعيه آلاف من الخيول والأغنام والجمال، كان هناك من لا يجد ما يسد به رمقه، وما يشبع به جوع أطفاله!، وقد اعترف عمر نفسه بفساد هذه السياسة، وتندم

أيما ندم على انتهاجها فقال: لو استقبلت من أمري ما استدبرت، لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على الفقراء^(٤٦). وقد أدت هذه السياسة في نهاية المطاف بحسب الظاهر إلى طعن عمر بن الخطاب نفسه وقتله من قبل أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة. فقد طلب أبو لؤلؤة من عمر بن الخطاب أن يكلم المغيرة بن شعبة ليخفف عنه الضريبة المفروضة عليه فلم يفعل، فطعنه بسكين عدة طعنات في بطنه فمات بسببها^(٤٧)، فربما لو كان العطاء متساوياً بين المغيرة بن شعبة وأبو لؤلؤة، لما أصبح أبو لؤلؤة مضطراً لامتهان كرامته وتحمل ضغط الضرائب التي فرضها عليه المغيرة.

ومن ثم اتساع الهوة بين المسلمين في عهد عثمان وتسلط بني أمية على رقاب المسلمين، وسرقتهم أموال المسلمين وتبذيرها على بذخهم وملذاتهم، وهو ما استحضره الإمام (عليه السلام) في خطبته التي بين فيها مصاعب مشروعه الإصلاحية الإسلامي فقال: «إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضيئه - كناية عن التكبر والتعظيم والخيلاء^(٤٨) - بين نثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع^(٤٩)».

هذا فضلاً زج آلاف من الناس من شعوب وقوميات وعرقيات مختلفة بصورة مفاجئة في حضيرة الدولة الإسلامية، دون الالتفات لتنظيم طبيعة التعامل العربي المعروف بالفوقية والتعالي معها، ولذا كانت الدولة الإسلامية كلما توسعت في سياسة الفتوحات، كلما وسعت من صراع متباينة السائد والمهمش، أو السائد والمسود، وقد تغولت المشكلة بشكل كبير في العهد الأموي الذي امتهن الموالي وغير العرب إلى أبعد الحدود، حتى أنزلوهم بمنزلة الكلاب والحمير فكانوا يفتون بأنه: لا يقطع الصلاة إلا ثلاث كلب أو حمار أو مولى، وكانوا لا يكتنهم بالكنى، ولا يدعوهم إلا بأسمائهم أو القابهم، وكانوا لا يمشون معهم في الصف، وإن أطعموهم أجلسوهم في طرف المائدة تحقيراً لهم، وقد أراد معاوية أن يبيد نصفهم بعد أن رأى كثرتهم قبالة العرب، ويبقي

النصف الآخر لعمارة الأرض والطريق وإدامة الأسواق، لأن العرب يستنكفون من مزاوله الحرف في السوق^(٥٠).

بسبب هذه الانحرافات الخطيرة في إدارة الدولة والمجتمع، حرص الإمام (عليه السلام) على وضع برنامج إصلاحي شامل لكافة مرافق الحياة في الدولة الإسلامية عبر عهوده التي وجهها لولاته، والتي كان أشملها وأطولها عهده لصاحبه وواليه مالك الأشتر حين ولاه على مصر بعد عزل محمد بن أبي بكر عنها، وهذا ما يؤشر لخصوصية مالك الأشتر وتميزه عن جميع صحابة وولاة الإمام (عليه السلام) واطمئنانه وثقته بقدرة مالك على تنفيذ برنامجه الإصلاحي الذي خطه له في العهد، وإلا لكان عهد به لمحمد بن أبي بكر، كما يؤشر خصوصية لمصر، بعدها من الأقاليم الغنية والواسعة والمتنوعة عرقياً وعقائدياً في تكوينها السكاني، ومن ثم للصراع الدائر بينه وبين معاوية عليها، ومحاوله الأخير بسط نفوذه عليها لكثرة خيراتها، ويمكن أن يضاف لذلك أن الإمام (عليه السلام) أراد محاصر معاوية ووضع بين كهاشتين قويتين هو في جبهة العراق والمشرق واتصالاتها بالشام، ومالك الأشتر في مصر، وبذلك يكون قد وضع معاوية بين قوتين ضاغطين تسدان عليه الثغرات التي يمكن أن ينفذ منها لضرب حدود دولة الإمام (عليه السلام)، عبر حرب العصابات والغارات التي كان يشنها، كما يمكن أن يضاف لخصوصية مصر، أنها كانت من أهم الأمصار التي شارك أهلها في الانتفاضة على عثمان وقتله، وبالتالي فإن المصريين بحاجة لمشروع إصلاحي شامل يعيد ثقتهم بالخلافة الإسلامية.

نتائج البحث

خلص البحث إلى تقرير نتائج متعددة، سجل بعضها فيه ضمناً، ويمكن أن يضاف هنا بعض النتائج على نحو العموم:

١- خُصص البحث إلى أن الإمام (عليه السلام) كان يتغيا من مشروعه في إدارة الدولة والمجتمع، تأسيس دولة مؤسسات قائمة على الأسس الإسلامية الرصينة والروح الإنسانية المثلى، عاكساً بذلك تبلور مفهوم دولة المواطنة بشكل كبير في مشرعه الإصلاحية.

٢- تبين من خلال البحث سبق الإمام (عليه السلام) في التأسيس لمبادئ حقوق الإنسان بصورتها المثالية والكاملة، سيما ذوي الاحتياجات الخاصة والفقراء والبؤساء والأيتام، بمسافة (١٤ قرن)، عن العالم الغربي الذي تكاسل في إقرار حقوق هذه الفئات حتى عام (٢٠٠٨م)!.
٣- تبين من خلال البحث أن خصوصية الظرف الذي عاشه الإمام (عليه السلام)، وما شاهد فيه من معاناة للمسلمين - سيما الطبقة السفلى من العرب والموالي - جراء السياسات الخاطئة للخلفاء السابقين، جعلته ينوء بهموم طبقات المجتمع الإسلامي بمختلف أصنافها، ويبحث عن حلول ناجعة لإقامة إصلاح سياسي وإداري ومجتمعي شامل لتحقيق تنمية الدولة والمجتمع على حد سواء، فكان نتاج أعمال فكره في تلك المشاكل والبحث عن الحلول أن صاغها في هذا العهد الذي يمثل بحق برنامجاً متكاملًا لإدارة الدولة والمجتمع بشكل علمي وعملي، يحاكي منظور الدولة والمجتمع في المدنيات الحديثة، بل ويتغلب عليها في تطبيقاته العملية الدقيقة، وروحه الإنسانية المثالية.

هوامش البحث

١. تنظر. لين هانت: نشأة حقوق الإنسان، ٢٢-٤٩. وينظر أيضاً. ويل ديورانت: قصة الحضارة، مج ٩-٢٧٠-٢٧٦.
٢. لين هانت: نشأة حقوق الإنسان، ٣٤-٣٦.
٣. ويل ديورانت: قصة الحضارة، مج ١٠-٣٩٧.
٤. لين هانت: نشأة حقوق الإنسان، ١٧-١٨.
٥. تنظر. لين هانت: نشأة حقوق الإنسان، ٥٩-٩٠، ١١٣.
٦. نشأة حقوق الإنسان، ١٧.
٧. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ١-٢٦٩.
٨. الثقفى: الغارات، ١-٧٥؛ المفيد: الأمالي، ١٧٥-١٧٦؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ٢-٢٠٣.
٩. الشافعي: كتاب الأم، ٤-٢٢٩؛ المسند، ٣١٣؛ البيهقي: السنن الكبرى، ٨-٥٦؛ معرفة السنن والآثار، ٦-٢٨٥؛ القاضي النعمان المغربي: شرح الأخبار، ٢-٤٣١؛ الطوسي: المبسوط، ٧-٢٦٨.
١٠. المجلسي: بحار الأنوار، ٤٢-٢٨٩.
١١. ابن شعبة الحراني: تحف العقول، ١٧٧؛ الشريف الرضي: نهج البلاغة، ٣-٢٧؛ ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ١-٣٤١؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ١٥-١٦٣.
١٢. ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ١٧-٣-٤. وقد حاول البعض نسبة هذه العبارة لعمر بن الخطاب وتضمينها في كتاب بعث به إلى معاوية. ينظر. الجاحظ: البيان والتبيين، ٢٨٩. وما يرد ذلك أن هذا الكتاب ورد في مصدرين آخرين وهو موجه إلى أبي عبيدة بن الجراح وهو خال من هذه العبارة. ينظر. ابن عساكر: تاريخ مدينة

- دمشق، ٤٤-٢٧٩؛ المتقي الهندي: كنز العمال، ٥-٧٧٧.
١٣. ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ١-٨٤؛ الخوارزمي: المناقب، ٩٨؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ١٧-٦٥؛ ابن العديم: بغية الطلب، ٤-١٧١٠؛ الأبيشي: المستطرف من كل فن مستظرف، ١-١٧٧.
١٤. ابن شعبة الحراني: تحف العقول، ١٢٧؛ الشريف الرضي: نهج البلاغة، ٣-٨٤؛ ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ١-٣١٦؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ١٧-٣٢؛ النويري: نهاية الإرب، ٦-٢٠؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ١٠-١٠-١١؛ مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ٣-٧.
١٥. الشرهاني: التغير في السياسة المالية، ٣٤٠.
١٦. لين هانت: نشأة حقوق الإنسان، ٢٣.
١٧. الشريف الرضي: نهج البلاغة، ٣-٧١-٧٢؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ١٦-٢٨٦-٢٨٧.
١٨. الشريف الرضي: نهج البلاغة، ٣-٧٠-٧١؛ الزمخشري: ربيع الأبرار، ٣-٢٤١؛ ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ١-٩٨-٩٩؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ١٦-٢٠٥.
١٩. تنظر. لين هانت: نشأة حقوق الإنسان، ١٧٩-١٨٨.
٢٠. ويكيبيديا: الموسوعة الحرة (اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة: -www.wiki-pedia.org-wiki)
٢١. الشريف الرضي: نهج البلاغة، ٣-٧١-٧٢؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ١٦-٢٨٦-٢٨٧.
٢٢. التذكرة الحمدونية، ١-٣١٦.
٢٣. شرح نهج البلاغة، ١٧-٣٠.

٢٤. نهاية الإرب في فنون الأدب، ٦-٢١.
٢٥. صبح الأعشى، ١٠-١٠؛ مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ٦-٣.
26. Lost History .255-257 .
٢٧. الشريف الرضي: نهج البلاغة، ٢-١١-١٢؛ الزمخشري: ربيع الأبرار، ١-٤٦٥؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ٨-٢٤٤؛ الأبشيهي: المستطرف من كل فن مستظرف، ٢-٥١٤-٥١٥.
٢٨. ابن شعبة الحراني: تحف العقول، ١١١؛ الشريف الرضي: نهج البلاغة، ٤-٤١؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ١٨-٣٨٦؛ الأبشيهي: المستطرف من كل فن مستظرف، ٢-٤٨٣.
٢٩. ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ١-٢٥٠-٢٥١؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ١٨-٨٨.
٣٠. باقر شريف القرشي: النظام السياسي في الإسلام، ٢٤٧.
٣١. الطوسي: تهذيب الأحكام، ٦-٢٩٣.
٣٢. ابن منظور: لسان العرب، ١٣-١٩٩؛ الزبيدي: تاج العروس، ١٨-٢٦٣.
٣٣. حسين الشرهاني: التتغير في السياسة المالية في خلافة الإمام علي، ٣٤٠.
٣٤. ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ١-٣٢٣-٣٢٤؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ١٧-٨٥-٨٦؛ النويري: نهاية الإرب في فنون الأدب، ٦-٢٧-٢٨.
٣٥. لين هانت: نشأة حقوق الإنسان، ١٨٦.
٣٦. الشريف الرضي: نهج البلاغة، ٣-١٢٨؛ ابن حمدون: التذكرة الحمدونية، ١-٣٥١؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ١٨-٣٠.
٣٧. الشريف الرضي: نهج البلاغة، ٣٨٢-٣٨٣؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ١٥-١٥٨.

٣٨. القاضي النعمان المغربي: دعائم الإسلام، ١-٢٥٢.
٣٩. الثعلبي: الكشف والبيان، ٢-٢٧٩-٢٨٠؛ الحاكم الحسكاني: شواهد التنزيل، ١-١٤٨؛ ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، ١-٣٤٥-٣٤٦؛ ابن البطريق: عمدة صحاح الأخبار، ٣٥٠.
٤٠. الثعلبي: الكشف والبيان، ٢-٢٧٩؛ الواحدي النيسابوري: الوجيز، ١-١٩١؛ الحاكم الحسكاني: شواهد التنزيل، ١-١٤٦؛ ابن البطريق: عمدة صحاح الأخبار، ٣٤٩؛ خصائص الوحي المبين، ٢٠٤.
٤١. ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، ١-٣٨٢.
٤٢. الحلبي: كشف اليقين، ١١٥-١١٦.
٤٣. الكليني: الكافي، ١-٤٠٦.
٤٤. البلاذري: أنساب الأشراف، ٢-١٣٦؛ الزمخشري: ربيع الأبرار، ٢-٣٠٥؛ ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، ١-٣٤٩.
٤٥. البلاذري: أنساب الأشراف، ٢-١١٧؛ ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، ١-٣٤٦.
٤٦. الطبري: تاريخ، ٣-٢٩١؛ ابن حزم: المحلى، ٦-١٥٨.
٤٧. ابن سعد: الطبقات، ٣-٣٤٧؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ٣-١١٥٤.
٤٨. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث، ٥-٨٩؛ ابن منظور: لسان العرب، ٢-٣٨١؛ الزبيدي: تاج العروس، ٣-٥٠٣.
٤٩. الشريف الرضي: نهج البلاغة، ١-٣٥.
٥٠. ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، ٣-٣٦١؛ جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ٢-٣٤١-٣٤٢.

مصادر ومراجع البحث

- * القرآن الكريم.
- * الأَبْشَيْهِي: شهاب الدين محمد بن أحمد (ت ٨٥٢هـ - ١٤٤٨م).
- ١- المستطرف من كل فن مستظرف. قدم له وضبطه وشرحه: صلاح الدين الهواري (ط ١، دار ومكتبة الهلال: بيروت - لبنان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م).
- * ابن البطريق: يحيى بن الحسن الأسدي الحلبي. ت (٦٠٠هـ - ١٢٠٣م).
- ٢- خصائص الوحي المبين. تح: مالك المحمودي (ط ١، دار القرآن الكريم: قم - إيران ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).
- ٣- عمدة عيون صحاح الاخبار (مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين: قم - إيران ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م).
- * البلاذري: ابو جعفر احمد بن جابر. ت (٢٧٩هـ - ٨٩٢م).
- ٤- أنساب الاشراف. تح: محمد حميد الله (دار المعارف. مصر - القاهرة ط ١ - ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م).
- ٥- جمل من أنساب الاشراف. تح: سهيل زكار ورياض زركلي. (ط ١، دار الفكر. بيروت - لبنان ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).
- * البيهقي: أبو بكر احمد بن الحسين. ت (٤٥٨هـ - ١٠٦٥م).
- ٦- السنن الكبرى. (دائرة المعارف النظامية: حيدر آباد الدكن - الهند - ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م).
- ٧- معرفة السنن والآثار. تح: سيد كسروي حسن (دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان د.ت).
- * ابن الأثير: أبو السعادات مجد الدين بن محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٠٦هـ - ١٢٠٩م).
- ٨- النهاية في غريب الحديث. تح: طاهر أحمد ومحمود الطناحي (ط ٤، مؤسسة إسماعيليان: قم - إيران ١٣٦٤هـ - ١٩٤٤م).

- * الثعلبي: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري. ت (٤٢٧هـ-١٠٣٥م).
- ٩- الكشف والبيان. تح: محمد بن عاشور، تدقيق: نظير الساعدي (ط١)، دار إحياء التراث العربي: بيروت- لبنان ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).
- * الثقفى: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد. ت (٢٨٣هـ-٨٩٦م).
- ١٠- الغارات. تح: جلال الدين الأرموي الحسيني (مطبعة بهمن: إيران ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م).
- * الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر. ت (٢٥٥هـ-٨٦٨م).
- ١١- البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون (ط٧، مكتبة الخانجي: القاهرة- مصر ١٤١٨هـ-١٩٩٨م).
- * جرجي زيدان. ت (١٣٣٢هـ-١٩١٤م).
- ١٢- تاريخ التمدن الإسلامي (ط٢، دار الحياة بيروت- لبنان ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م).
- * ابن أبي الحديد، عز الدين ابو حامد بن هبة الله محمد. ت (٦٥٦هـ-١٢٥٨م).
- ١٣- شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم (ط١، دار احياء الكتب العربية: القاهرة- مصر ١٣٧٨هـ-١٩٥٩م).
- * ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد. ت (٤٥٦هـ-١٠٦٣م).
- ١٤- المحلى (ط١، دار الفكر: بيروت- لبنان، د.ت).
- * الحاكم الحسكاني: عبيد الله بن أحمد الحذاء الحنفي النيسابوري من أعلام القرن الخامس الهجري.
- ١٥- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل. تح: محمد باقر المحمودي (ط١، مجمع أحياء الثقافة الإسلامية: طهران- إيران ١٤١١هـ-١٩٩٠م).
- * الحلي: الحسن بن يوسف بن المطهر (٧٢٦هـ-١٣٢٥م).
- ١٦- كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين. تح: حسين الدرکهاي (ط١، طهران- إيران، ١٤١١هـ-١٩٩١م).

- * ابن حمدون: محمد بن الحسن بن محمد بن علي (ت ٥٦٢هـ - ١١٦٦م)
- ١٧- التذكرة الحمدونية. تح: احسان عباس وبكر عباس (ط ١، دار صادر: بيروت - لبنان ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).
- * ابن حنبل: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد. ت (٢٤١هـ - ٨٥٥م).
- ١٨- المسند. (المطبعة الميمنية، القاهرة - مصر ١٣١٣هـ - ١٨٩٥م).
- * الخوارزمي: الموفق بن أحمد بن محمد المكي. ت (٥٦٨هـ - ١١٧٢م).
- ١٩- المناقب. تح: مالك الحمودي (ط ٢، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين: قم - إيران ١٤١١هـ - ١٩٩٠م).
- * الزبيدي: أبو فيض محب الدين محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي. ت (١٢٠٥هـ - ١٧٩٠م).
- ٢٠- تاج العروس. دراسة وتحقيق: علي شيري (ط ١، دار الفكر: بيروت - لبنان ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).
- * الزمخشري: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر. ت (٥٣٨هـ - ١١٤٣م).
- ٢١- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار. تح: عبد الأمير مهنا (ط ١، مؤسسة الأعلمي: بيروت - لبنان ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
- * ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع. ت (٢٣٠هـ - ٩٤١م).
- ٢٢- الطبقات الكبرى، تح: علي محمد عمر (ط ١، مكتبة الخانجي: القاهرة - مصر ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).
- * الشافعي: أبو عبد الله محمد بن إدريس. ت (٢٠٤هـ - ٨١٩م).
- ٢٣- كتاب الأم. (ط ٢، دار الفكر: بيروت - لبنان ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).
- * الشراهاني: حسين علي عبد الحسين.
- ٢٤- التغير في السياسة المالية للدولة العربية الإسلامية في خلافة الإمام علي (ط ١، مطبعة تموز: دمشق - سوريا ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م).

* الشريف الرضي: أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي البغدادي. ت (٤٠٦هـ-١٠١٥م)

٢٥- نهج البلاغة- خطب الإمام علي ٧. شرح: محمد عبده (ط١، دار الذخائر: قم- إيران ١٤١٢هـ-١٩٩١م).

* ابن شعبة: أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين الحراني. من أعلام القرن الرابع الهجري.
٢٦- تحف العقول عن آل الرسول. تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري (ط٢، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين: قم- إيران ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م).

* ابن شهر آشوب: مشير الدين أبو عبد الله محمد بن علي. ت (٥٨٨هـ-١١٩٢م).
٢٧- مناقب آل أبي طالب. تصحيح: لجنة من أساتذة النجف الأشرف (المطبعة الحيدرية: النجف- العراق ١٣٧٦هـ-١٩٥٦م).

* ابن أبي شيبة: ابو بكر عبد الله (٢٣٥هـ-٨٤٩م).
٢٨- المصنف في الاحاديث والاخبار. ضبط وتعليق: سعيد اللحام (ط١، دار الفكر: بيروت- لبنان ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م).

* الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير. ت (٣١٠هـ-٩٢٢م).
٢٩- تاريخ الرسل والملوك. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم (ط٢، دار المعارف: القاهرة- مصر ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م).

* الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن. ت (٤٦٠هـ-١٠٦٧م).
٣٠- المبسوط في فقه الإمامية. تصحيح وتعليق: محمد تقي الكشفي (ط١، المكتبة المرتضوية: طهران- إيران، ١٣٨٧هـ-١٩٦٣م).

* ابن عبد البر: أبو عمر يوسف أحمد بن عبد الله أحمد بن محمد. ت (٤٦٣هـ-١٠٧٠م).
٣١- الاستيعاب في معرفة الأصحاب. تح: علي محمد البجاوي (ط١، دار الجيل: بيروت- لبنان ١٤١٢هـ-١٩٩١م).

* ابن عبد ربه الأندلسي: أحمد بن محمد. ت (٣٢٨هـ-٩٣٩م).

٣٢- العقد الفريد. تح: مفيد محمد قميحة (ط١، دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان ١٤٠٤هـ- ١٩٨٣م).

* ابن العديم: كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن أبي جرادة. ت (٦٦٠هـ- ١٢٦١م).
٣٣- بغية الطلب في تاريخ حلب. تحقيق وتقديم: سهيل زكار (ط١، دار الفكر: بيروت- لبنان ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م).

* ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله. ت (٥٧١هـ- ١١٧٥م).
٣٤- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها تح: علي شيري (ط١، دار الفكر: بيروت- لبنان ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م).
* القرشي: باقر شريف.

٣٥- النظام السياسي في الإسلام (ط٢، دار التعارف: بيروت- لبنان، ١٣٩٨هـ- ١٩٨٧م).
* القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي. ت (٨٢١هـ- ١٤١٨م).

٣٦- صبح الأعشى في صناعة الإنشا. شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه: محمد حسين شمس الدين (ط١، دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م).

٣٧- مآثر الإنافة في معالم الخلافة. تح: عبد الستار أحمد فراج (ط١، وزارة الإرشاد والأنباء: الكويت، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م).

* الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق. ت (٣٢٩هـ- ٩٥٠م).
٣٨- الكافي. صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري (ط٥، دار الكتب الإسلامية: طهران- إيران ١٣٦٣هـ- ١٩٤٣م).

* لين هانت.

٣٩- نشأة حقوق الإنسان- لمحة تاريخية. ترجمة: فايقة جرجس حنا (ط١، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة: مصر- القاهرة، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٣م).

* المتقي الهندي: علاء الدين علي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري. ت (٩٧٥هـ- ١٥٦٧م).

٤٠- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. ضبطه وفسر غريبه وصححه ووضع فهرسه ومفتاحه: بكري حياني وصفوة السقا(ط١)، مؤسسة الرسالة: بيروت- لبنان ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م).

* المجلسي: محمد باقر. ت(١١١١هـ-١٦٩٩م).

٤١- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار(ط٢)، مؤسسة الوفاء: بيروت- لبنان ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).

* المفيد: محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي. ت(٤١٣هـ-١٠٢٢م).

٤٢- الأملالي. تح: حسين الأستاذ ولي وعلي أكبر الغفاري(ط١٤١٤، ٢هـ-١٩٩٣م).

* ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم. ت(٧١١هـ-١٣١١م).

٤٣- لسان العرب. تقديم: أحمد فارس(ط١)، أدب الحوزة: قم- إيران ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م).

* النعمان المغربي: أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد. ت(٣٦٣هـ-٩٧٣م).

٤٤- دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام. تح: آصف علي أصغر(ط١)، دار المعارف: القاهرة- مصر ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م).

* النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب. ت(٧٣٣هـ-١٣٣٢م).

٤٥- نهاية الإرب في فنون الأدب. تح: مفيد قميحة و حسن نور الدين(ط١)، دار الكتب

العلمية: بيروت- لبنان ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م).

* الواحدي النيسابوري: أبو الحسن علي بن أحمد. ت(٤٦٨هـ-١٠٧٥م).

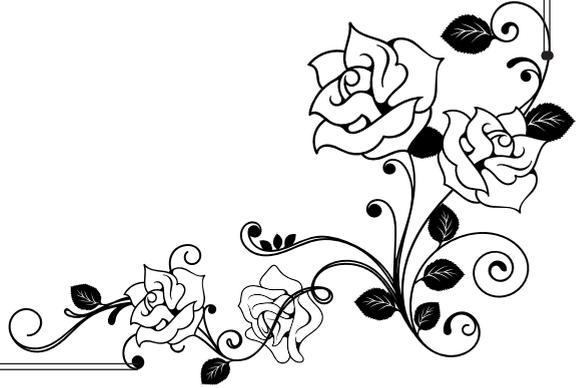
٤٦- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز(ط١)، دار القلم: دمشق- سوريا ١٤١٥هـ-١٩٩٤م).

*Michael Hamilton Morgan 47-Lost History: The Enduring Legacy of Muslim Scientists, Thinkers, and Artists. Washington. 2008

* ويكيبيديا: الموسوعة الحرة (اتفاقية حقوق الأشخاص ذوي الإعاقة: (-www.wikipe-

**حقوق الإنسان .. جدل النظرية وإشكالية الممارسة
(حقوق الإنسان عند الإمام علي (عليه السلام) إنموذجا)**

د. محمد علي محمد رضا الحكيم



المقدمة

شهد العالم في مرحلته المعاصرة حقبة جديدة في مجال حقوق الإنسان وحياته الأساسية، إذ حظي هذا الموضوع باهتمام الدول الغربية التي تتمتع بحضارة مادية راقية، وتضافرت جهود المنظمات الدولية في متابعتها وتدعيمها، بهدف تحقيق حياة حرة كريمة للإنسان يتمتع فيها بحقوق معترف بها.

في هذه الأثناء كان المجتمع الإسلامي يعيش حالة من الانقسام والتجزئة، إذ لم تعد هناك دولة تمثله وإنما هناك دويلات ذات طابع علماني بعد أن ركنت الشريعة وراءها ظهريا، وعلى رأسها أنظمة استبدادية لا تهتم أكثر من توكيد سلطتها ومصالحها وان جاءت على خلاف مصالح شعوبها، وأصبحت الشعوب الإسلامية تعاني الحرمان من أبسط الحقوق.

ذلك قد وضع الإنسان المسلم أمام تحدي صعب، إذ هو من جهة يواجه باستمرار تهديدا قويا لوجوده وانتهاكا صارخا لحقوقه من قبل الأنظمة المتسلطة، ومن جهة أخرى فان الصيغة التي تطرحها الدول المتقدمة والمنظمات الدولية وتسعى إلى تعميمه، هو النموذج الليبرالي الغربي الذي يحظى بمنظومة فكرية تتناقض مع متبنياته الإسلامية. وهكذا اضطرت نظرة الإنسان المسلم إلى معيار حقوقه بين تناقضات واقعه المر وما تتوفر عليه الدول الغربية المتقدمة، وتناقضات مرجعيته الفكرية وقيم العالم الحرة.

من هنا تطلب النظر في تجربة الإمام علي (عليه السلام) الغنية والمميزة في تاريخنا الإسلامي، فهي غنية على صعيد التنظير الفكري والقيمي، كما أنها غنية في حدود الممارسة الفعلية التي تتجلى فيها مستويات مختلفة سواء أكانت في مستوى المواطن المعارض للحكم القائم، أم كان الخليفة والقائد للدولة الإسلامية. وهي مميزة لما تمثله

شخصية الإمام في واقع العالم الإسلامي، إذ هو أحد الخلفاء الأربعة لعموم المسلمين وهو الإمام المعصوم لبعضهم، ولذا فإن لقوله وفعله بعد تشريعي مهم في أدبيات الفكر الإسلامي عموماً.

وتتوفر الدراسة على مبحثين، الأول تناول لمحة عن حقوق الإنسان على مدى التاريخ الإنساني، بدءاً من الفكري الشرقي القديم في الصين والهند حتى بلاد الرافدين ووادي النيل، وشملت الأديان السماوية الثلاث وصولاً إلى العصر الحديث. أما المبحث الثاني فقد ركز على استعراض حقوق الإنسان عند الإمام علي (عليه السلام) في ضوء عهده إلى عامله على مصر.

المبحث الأول

لمحة في تاريخ حقوق الإنسان

أولاً: تعريف حقوق الإنسان

قبل أن نقرب صفحات التاريخ البشري من أجل التنقيب على بعض الإشارات في أقوال وأفعال الماضين مما يتعلق بحقوق الإنسان، لابد أن نحدد مفهوم الحق والمقصود من حقوق الإنسان. (يعرف القانونيون الحق بأنه الرابطة القانونية التي بمقتضاها يخول لشخص على سبيل الانفراد والاستثثار التسلط على شيء أو اقتضاء أداء معين من آخر. ويقسمون الحقوق إلى سياسية ومدنية. والحقوق المدنية إما عامة وهي الحقوق اللازمة للفرد كحماية شخصه وكفالة حريته، وإما خاصة وهي حقوق الأسرة والحقوق المالية^(١)). لقد ذاع مصطلح حقوق الإنسان بعد الحرب العالمية، وذلك بعد صدور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والمعاهدات المتصلة به. وكان المقصود منها مجموعة القواعد والمعايير ذات المضمون الإنساني السامي. وعلى أساس هذه الحقوق التي اعترفت بها دساتير الدول، تعهدت حكوماتها للشعوب بالعمل بها ورعايتها. وبالرغم من صعوبة حصر تلك الحقوق إلا أنه يمكن استنتاجها من مجمل القوانين المدونة ودساتير الدول، واعتبارها من مصاديق حقوق الإنسان. كحرية الضمير، وحق انتخاب العمل ومحل الإقامة والسكن والسفر، والمساواة أمام القانون، والحصانة من التعذيب أو الاعتقال التعسفي^(٢).

وتؤكد بعض المصادر على أن تلك الحقوق مستمدة من طبيعة الإنسان نفسه، وبناء عليه تكون: مطالب أخلاقية أصيلة وغير قابلة للتصرف مكفولة لجميع بني البشر بفضل

إنسانيتهم وحدها، فصلت وصيغت هذه الحقوق فيما يعرف اليوم بحقوق الإنسان، وجرت ترجمتها بصيغة الحقوق القانونية... وتعتمد هذه الحقوق على موافقة المحكومين بما يعني موافقة المستهدفين بهذه الحقوق^(٣).

فيما تستنتج مصادر أخرى بعض اللوازم عن تلك الحقيقة، وبالتالي يمكن تعريفها على إنها: مجموعة الحقوق الطبيعية التي يمتلكها الإنسان واللصيقة بطبيعته، والتي تظل موجودة وان لم يتم الاعتراف بها، بل أكثر من ذلك حتى إن انتهكت من سلطة ما^(٤).
على أن تأصيل حقوق الإنسان بإرجاعها إلى الطبيعة البشرية هي محاولة اتجاه فكري، أراد من خلالها تعميم تلك الحقوق وجعلها لصيقة بشخصه، وقد واجهه نقدا من اتجاهات فلسفية أخرى.

ثانياً: حقوق الإنسان في الفكر الشرقي القديم

ولو عدنا إلى التاريخ للبحث عن بعض المؤشرات لاحترام الحقوق الإنسانية، لوجدنا أن البوذية وهي العقيدة الثانية من حيث الانتشار في الهند، وقد تجاوزت حدودها مولدها إلى الدول المجاورة. والواقع أنها مثلت ثورة على العقيدة الهندوسية التي أقرت نظام الطبقات، إذ لا فرق بين إنسان وإنسان آخر، وان الطبيعة في الأصل فارغة، وهذا يزيل عن البشر كل أصناف الحواجز فيما بينهم، ويجعل من أحقر الديدان قرين للأدميين؛ ولذا جاءت تعاليمها عامة لجميع الطبقات والشرائح، لا فرق بين الأمير والفقير ليس في الجسم فحسب بل بالروح أيضاً، وهي للمرأة كما للرجل، ولو كان هناك انقسام فعلي لبني البشر، فهو على أساس الصلاح فهناك فريق صالح وآخر شرير. وقد نسبوا إلى بوذا وصايا هي في مجملها قضايا أخلاقية ذات صلة بالمثل العليا للحق الإنساني، كرفض القتل والسرقة وحرمة السكر والعلاقات الجنسية غير المشروعة. ولكن تعاليمها الأولى شوهدت وزيد عليها فيما بعد حتى أصبحت لا تختلف كثيراً عن التعاليم الهندوسية التي ثارت عليها^(٥).

أما في الصين فتتجلى العقيدة الكونفوشيوسية التي تدعو إلى الأمن والسلام والإخاء بين الناس كافة. وفي هذا الصدد تؤكد على أن الحل الوحيد لإصلاح المجتمع يكمن في إصلاح الحكم، ولا يتحقق ذلك إلا من قبل حكام يستعينون بوزراء وإداريين مستنيرين ومتحليين بأخلاق فاضلة. وفي هذه الحالة يملك الملوك ولا يحكمون، لأنهم يتركوا شؤون الحكم لأولئك الوزراء الذين عليهم أن لا يدهنوا الحاكم أو يخدموه، ولهم أن يعارضوه علنا إذا اقتضى الأمر، لأن إساءة الحاكم مع عدم وجود الناصح يؤدي لا محالة إلى الثورة وتدمير الدولة. وبهذا المعنى كان كونفوشيوس يؤمن بالنظام الطبقي، إلا أن الانتماء إلى طبقة معينة يكون بموجب كفايته الشخصية التي تتحدد من علمه وحكمته وأخلاقه الفاضلة وليس بموجب الإرث الأسري، وبالتالي فإن انتشار التعليم كفيل بتحقيق التوافق الاجتماعي والقضاء على الفوارق الطبقيّة^(٦).

وإذا ساد التماثل الاجتماعي حينئذ يصبح مجمل العالم جمهورية واحدة، يختار فيها الناس حكامهم من ذوي المواهب والفضائل، ويعملون على تدعيم قواعد السلم الشامل. وفي هذه الحالة تتوسع العلاقات الاجتماعية حتى تكاد لا يرى فيها الأفراد أن آباءهم من ولدوهم دون غيرهم ولا أبناءهم من ولدواهم، وإنما يسعون إلى تهيئة سبل العيش للجميع من دون استثناء، فيتكفلون بالمسنين حتى يستوفون آجالهم، ويهيئون سبل النماء للصغار والعيش الكريم للأرامل والأيتام والمقعدين من المرضى. هناك فقط يكون لكل إنسان حقه، وتصان شخصية المرأة فلا يعتدى عليها^(٧).

فالعقيدة الكونفوشيوسية التي ما فتأت تؤكد على التمييز بين البشر، غير أن ذلك لم يستدعي لديها التقسيم الطبقي على أساس الوراثي، وإنما يقوم على التعرف على الإمكانيات الحقيقية للبشر، والاستفادة منها لقيام مجتمع إنساني شامل وفق التصور الاشتراكي.

ودعا زرادشت إلى تحقيق العدل بين الناس ووضع الفواصل بين الحقوق والواجبات للفرد والجماعة واحترامها. وكان ينادي بتحقيق المعروف واجتناب الشرور التي هي برأيه الجهل والفقر والظلم والبغضاء، التي هي عقبات في طريق سعادة الإنسان. ويعتقد أن العلم يرفع من مرتبة الإنسان، لأن من يمتلك زمامه يصبح بإمكانه نشر الفضيلة بين الناس، فيخدم نفسه وبلده، وليس ذلك فحسب وإنما يرضي ربه أيضا. كما أن الإحسان إلى المحتاج هي أهم فضيلة يكتسبها الإنسان، ذلك لأن مساعدة الفقير البائس تساهم في إقامة إرادة الإله في الدولة، وتكسب صاحبها القرب منه. ولكن عندما اعتلى الأكاسرة عرش فارس تغيرت النظرة إلى عامة الناس وحوورت العقيدة الزرادشتية فأقروا نظام الطبقات (٨).

وينقل أن الكتب الزرادشتية القديمة كانت تتضمن أجزاء مخصصة للشريعة والقانون، تتناول الجرائم التي ترتكب تجاه الدولة، الملك، الجار.. الخ. ولكن الامتهان والتعذيب من اجل الاعتراف بالذنب وإظهار البينة يبدو أنها كانت أمرا مألوفا عند الساميين^(٩).

ولعل اشهر ما وصلنا من قوانين تتعلق بالحقوق في العصور القديمة كانت شريعة حمورابي، التي يبدو أنها كانت نسخة مطورة عن الشرائع السومرية السابقة بما يتناسب مع ذلك العصر. وكان حمورابي قد سطر في مقدمتها: حمورابي الملك الكامل أنا، من أجل البشر الذين منحهم الرب إنليل وولاني رعايتهم مردوك، لم أكسل ولم أقعد مكتوف اليدين، بحثت لهم عن مواقع الخير، فرجت الضيق عنهم، نشرت النور فوقهم،... أو من لهم العيش بسلام، وأطمئن عليهم في أعماق معرفتي، لا أسمح للقوي يسلب حق الضعيف، أضمن حق الأرامل واليتامى في بابل التي رفع كل من الاله آنو وإنليل رأسها عاليا في اسانجيلا، البيت الأزلي ثابت الأركان مثل السماء والأرض، من أجل

تثبيت حقوق البلاد وتقرير مصيرها، وإعادة الحق إلى أهله، كتبت كلماتي العذبة هذه أمام صورتني كملك يقيم العدل، الملك الشامخ بين الملوك^(١٠).

ومن الأحكام التي تضمنتها شريعة حمورابي أن العين بالعين والسن بالسن. ومن بينها عقوبات تتعلق بالسرقة والنهب والاعتداء على الوالد، واختلاس الساحر لأموال الناس والإضرار بهم. وأكدت حقوقاً للمرأة حين وضعت عقوبة للشخص الذي يرمي امرأة بالفحشاء ولم يثبت عليها ذلك، كما حددت عقوبة الشخص الذي يدلي بشهادة كاذبة تتعلق بتهمة القتل. وتنظم شريعة حمورابي ظاهرة الرق في المجتمع البابلي، ففيها فقرات تفصل حدود الرق حقوقهم وواجباتهم^(١١).

وفي الحضارة المصرية القديمة كانت كثير من المثل المرتبطة بحقوق الإنسان تقدم من المعلمين والحكماء في إطار التربية والتعليم إلى الناشئة على قطع من الخبز والحجر الجيري. وكشفت تعاليم اخناتون الذي قال بنوع من التوحيد عن دعوة إلى السلام والتسامح والمساواة. فالإله الواحد لا يتجلى في الوقائع الحربية ولا في الانتصارات وإنما في الزرع والخصب. وطالب بتوفير العلم للجميع من دون تمييز. كما ألغى المراسيم والتقاليد الملكية الخاصة بالفراعنة، وأكثر من ذلك نزل إلى الطرقات مع عائلته كسائر أفراد المجتمع^(١٢).

يظهر مما تقدم أن هناك إضاءات إنسانية متطورة ظهرت في مراحل تاريخية مبكرة، وعبرت من دون شك عن مؤشرات تقدير للحقوق الإنسانية، وإن اختلفت في مستوياتها وفي توجهاتها. ولكن المعيار الفعلي والحقيقي الذي يحكم على تلك التجارب وقيمتها سلبيًا وإيجابيًا، لا يتعلق بقيمة الفكرة ومدى ترابطها المنطقي والعقلي، فالمحك الأساسي لها يكمن في مدى انعكاسها على أرض الواقع، وبروزها كقيم حاكمة على البشر سواء كانوا في السلطة أم خارجها. نعم هي في مجال التقييم الأخلاقي يمكن أن تجد لها محلاً

فيه، أما في مجال الممارسة العملية فهي ليست حاكمة ولا محددة للنشاط الإنساني. ولو نظرنا إلى شريعة همورابي على سبيل المثال لوجدنا أنها في الحقيقة (ليست شريعة بالمعنى المعتاد للكلمة. إذ هي لا تحاول أن تغطي جميع الحالات الممكنة، فكثير من الحالات المحذوفة ذات أهمية عظيمة، ومحاولات تنظيمها قليلة جدا... تتألف هذه القوانين ظاهريا من سلسلة مختلطة من القرارات اتخذها قضاة في حالات مستقلة. وليس هناك ما يدعو للافتراض بأن لهذه القرارات أية سلطة كحجج قانونية ملزمة لأحكام تالية كما في القانون الإنكليزي... ولم يكن النص المكتوب للقانون ملزما ولا بأي معنى من المعاني، وإنما كان مجرد مذكرة تسجل قرارا يعتمد على المفاهيم البابلية للعدل)^(١٣). ولو قلنا أن هذا الحكم فيه نوع من التعسف، إذ كيف يتسنى للفكر الإنساني في تلك المرحلة التاريخية إحصاء جميع الحالات وتغطيتها قانونيا؟! كما أنه ليس صحيحا مقارنة التزام القضاة بمقتضى نص القانون بين مرحلة شريعة همورابي والقانون الإنكليزي الذي حظت فيه البشرية بمستوى تطور ملحوظ لا يمكن قياسه بتلك المرحلة. ومع ذلك يمكن القول أن الإنسان يميل إلى الحقوق بشكل فطري، فالعدالة نابعة من الذات الإنسانية وان المساواة قائمة على أساس الفطرة، فلا خلاف في ضرورة العدل، ولم يشاهد طوال التاريخ دكتاتورا أو متعسفا رفع شعار أنه جاء من أجل الظلم والجور، ولم يجرؤ حتى الجبابة والفراعة على الإعلان الصريح عن معارضتهم للمفاهيم الراسخة في ضمير الإنسانية كالعدل والحرية، وإنما يزعم الجميع أنهم يهدفون إلى إقامة العدل ورفع الظلم، على الرغم من أنهم عملوا على ترسيخ كل ما يناقضها^(١٤)؛ والنتيجة التي أريد أن أتوصل إليها هي أن ما شهدته الشرق القديم بل العالم أجمع من تسلط الدكتاتوريات والفراعة طوال التاريخ، وما شهدته من امتهان لحقوق الإنسان وكرامته كان يجري تحت عناوين الحق والعدل والمصالح العليا للبلاد وما إلى ذلك من خلال إفراغها من محتواها الحقيقي. وإن الظهور الحقيقي لمفهوم الحقوق والحريات كان في العصر الحديث بعد أن شهد الغرب ثورات

كبرى، نتجت عنها تحديد سلطة الحكام ووضعها تحت الرقابة الصارمة. ولذا فإن كل ما سبق قوله من مفاهيم سامية تتعلق بالحق الإنساني، فإنها كانت حقائق أخلاقية ومثل سامية تطمح إليها النفوس السليمة، ولم ترق إلى أن تكون ممارسات فعلية إلا في أوقات قليلة أو ربما نادرة بالقياس إلى عموم التاريخ الإنساني.

ثالثاً: حقوق الإنسان في الأديان السماوية

هناك فارق أساس في مصدرية الحقوق بين الرؤية الدينية والرؤية الوضعية. ففي الوقت الذي تستمد الأديان الحقوق من شرائعها، فنصوص الشريعة وقواعدها الكلية هي التي تقر الحقوق للإنسان. والشريعة وفق هذا المنظور هي أساس الحق ومصدره، وهي سنده وضمانه وجوده في المجتمع. في حين أن الرؤية الوضعية تجعل من الحق أساساً للتشريع، أما مصدره فهو تصور مفكر أو قرار لحاكم أو فلسفة جماعة معينة. ومهما كانت الأسس الحقوقية فطرية ونابعة عن طبيعة الإنسان إلا أن تفاصيلها وتفرعاتها ومصاديقها ليست كذلك، إذ هي خاضعة لخصوصيات الزمان والمكان؛ وبالتالي فإن معيارية الحقوق في التصور الوضعي نسبي، وقابل للتغير بحسب الزمان والمكان، وباختلاف الميراث الثقافي للجماعة الإنسانية، بل قد تنقسم الجماعة على نفسها بالرؤية للحق، ومن ثم يلجأ إلى مبدأ الأكثرية في تحديده، بخلاف الشريعة الدينية فإن الاعتقاد بربانيته والإيمان بذلك، يخضع الجميع للحقوق المقررة فيها.

فالقوانين العبرية تضاد القوانين السابقة، فبينما كانت القوانين الحيثية وقوانين بلاد ما بين النهرين علمانية بطبيعتها تدون قرارات المشرعين أو مراسيم الملوك، كان يعتقد العبرانيين يعتقدون أن الله نفسه يملي عليهم القوانين، والتي تبدي انسجاماً مع مطالب الدين العبري، وتلك طبيعة أخلاقية ثابتة مفقودة لدى تشريعات الشعوب المحيطة بهم. القوانين العبرية مأخوذة من أسفار العهد القديم المعروفة عند اليهود بالتوراة (القانون)،

وإن الأقسام الأكثر قدما للقوانين تعود إلى عهد موسى (عليه السلام)، حينها كان العبرانيون مجموعة من القبائل الرحّل وكان عليها أن تكتسب وجودا مستقرا من خلال تشكيل دولة، ثم أضيفت إليها قوانين جديدة خلال مرور السنين، كما أعيد تفسير القوانين القديمة^(١٥).

لقد أشارت تلك الشرائع إلى الأحكام المتعلقة ببعض القيم الأخلاقية في تنظيم العلاقات الإنسانية وفرض العقوبات على المتعدي بما يتناسب وأسس العدل، حيث أقرت القصاص فالنفس بالنفس والعين بالعين والسن بالسن وكذا اليد والرجل والكي والجرح والرض. وميزت التشريعات بين الفعل المتعمد عن سواه، والتعدي المؤدي إلى القتل عن سائر الضرر، وتناولت عقوبات الاعتداء على الوالدين أو العبيد، حتى الجنين الذي لم يولد بعد، وفصلت موقف ولي الدم وكيفية أخذ القصاص من الجاني والأداة التي تستخدم في القصاص، وشملت بعض فقراتها اعتداء الحيوانات ومحاسبة مالكيها^(١٦). وثبتت كيفية الشهادة أمام القضاء وحدودها، وحرمة الكذب وشهادة الزور والرشي^(١٧).

أضف إلى ذلك نجد أحكام نلمس منها شيئا من الحقوق الإنسانية، مثل اللوم الموجه إلى الغني والمقتدر اللذين يضران الفقير ويسببان استعمال ما أوتيا من سلطة، وتدعو إلى الرأفة والرحمة بالفقراء والدخلاء ودفع استحقاقاتهم. فقد ورد في سفر التثنية لا تهضم أجره الفقير والدخيل الذي يعمل في الأرض، وأنه إذا نسيت حزمة من حصادك فلا ترجع عليه، وإن فرطت الزيتون أو الكرم في حقلك فلا تراجع ما بقي منه؛ لأنه من حصة الغريب واليتيم والأرملة.^(١٨)

غير أن التشريع التوراتي تطور على أيدي الربانيين المنتسبين لليهود، ويمكن أن نلمس ذلك في كتاب التلمود وهو الكتاب المعتمد أكثر من التوراة لدى أتباع الديانة اليهودية،

وفيه جرى التفريق بين اليهودي وغيره من البشر، فجسد اليهودي يختلف كلياً عن أجساد الآخرين من حيث أكلهم وشربهم وطبقتهم، وما يصح على الجسد (المادة) يصح على النفس (الروح)، إذ أن أصل أرواح سائر شعوب العالم هو من طبقات النجاسات الثلاث بينما أصل أرواح بني إسرائيل هو من الروح القدس ذاتها، وهو شعب الله المختار. واستنتجوا من ذلك أن روح اليهودي تستحق الحياة، فيما أن أرواح الآخرين لا تستحق ذلك، لأن روحهم ليست ذات قيمة إلا كقيمة أدنى الحيوانات كالخنزير، ولذا فسر قوله لا تقتل إنه تعالى نهى عن قتل شخص من بني إسرائيل، وأصبح من العدل أن يقتل اليهودي الأجنبي لأنه من المحتمل أن يكون من نسل الشعوب التي سكنت أرض كنعان ولا بد أن يقتلوا عن آخرهم، ومن قتل مسيحياً أو أجنبياً أو وثنيا يكافأ بالفردوس^(١٩). وأضحت أحكامهم التشريعية تأمرهم بحروب إبادة، يقتل فيها جميع من تقع أيديهم عليهم من الأطفال والنساء والشيوخ والبهائم. لقد نذر بنو إسرائيل لله تعالى إذا حقق لهم طلباتهم أن يببذوا جميع الشعب والمواشي، ولم يرد أنهم سعوا إلى إصلاح أعدائهم أو التفاوض معهم في شؤون الصلح^(٢٠).

وكرست المسيحية جل اهتمامها في الاعتناء بالحياة الروحية للإنسان، وكان ذلك على حساب تنظيم الحياة الاجتماعية، التي اقتضت فيها على جوانب ضيقة تتعلق بطقوس الزواج والطلاق وإجراءات الصلح وما إلى ذلك. ويرجع السبب في هذا القصور إلى كون المسيحية قد ظهرت في محيط اجتماعي انتشرت فيه الشريعة اليهودية أو العهد القديم كما يطلق عليه المسيحيون. ويعتبر العهد القديم بالإضافة إلى العهد الجديد الذي سطر ما يتعلق بتعاليم السيد المسيح، الكتاب المقدس للديانة المسيحية ومصدراً لإيمان النصراني^(٢١). فعلى الرغم من (أخذ المسيحية بالشرائع اليهودية التوراتية في طقوس العبادة وغيرها، إلا أن الدافع إلى قيام المسيحية كان دينياً خالصاً غرضه تحقيق الخلاص الذي تنشده كل الديانات، ومقت سلوك اليهود وتصرفاتهم، فكانت صورة الخلاص

المشودة تتمثل بمجموعة من القيم الإنسانية والمثل العليا تضمن الحقوق الإنسانية والحرّيات للجميع^(٢٢).

لقد قدست المسيحية الإنسان ووضعت في مكانة مميزة لم تضعه فيها أي من الديانات السماوية السابقة أو اللاحقة لها، أي الديانة اليهودية والديانة الإسلامية. فإن الإنسان في العقيدة المسيحية، هو صورة لله رب الكون، وهذا ما يجعله مميزاً عن باقي المخلوقات سواء من حيث التكوين، أو من حيث الدرجة أو المنزلة التي من المفروض أن يتمتع بها لأنه مخلوق مبارك ذو شأن وقيمة عليا. ولما كان الأمر كذلك، فإن الإنسان ينفرد بالتمتع بالكرامة الإنسانية التي تتأصل فيه ولصيقة بشخصه لمجرد كونه إنساناً، مهما كان جنسه أو لونه أو عرقه... وما إلى ذلك. ومن هنا نجد أن الكرامة الإنسانية في المسيحية هي خصوصية أو ميزة عالمية يتسم بها جميع أعضاء الأسرة البشرية، وهذا ما يذكرنا بالفقرة الأولى من ديباجة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان^(٢٣).

لكن إضفاء صفة (المحورية) على الإنسان مبدأً فلسفي قديم أكدته الأساطير الإغريقية القديمة، إذ تدور حركة الإلهة وحوادث العالم حول محور الإنسان ورغباته، واعتمده سقراط والمذاهب الفلسفية التي جاءت بعده، ثم تسلسل هذا اللون من التفكير إلى المسيحية الأوربية، فحلت محورية الإنسان بدلا من محورية الله، وأصبح (الله) على وفق هذا التصور في خدمة الإنسان وحاجاته. إن تصور الذنب على أنه أمر فطري في الإنسان، والاعتقاد بضرورة النجاة منه، أديا إلى ظهور آلية لاهوتية توجب تضحية الرب الذي تحول إلى إنسان في هيئة السيد المسيح. وهكذا أضحي الرب في خدمة الإنسان. وهذه الطريقة حلت محورية الإنسان الغربية محل محورية الله التي هي مبدأ الدين السامي^(٢٤).

ثم أن الكنيسة المسيحية كانت في بداية الأمر محامية عن حقوق المظلومين والمهمشين، حاملة بذلك إلى الحضارة الغربية بوادق قانون حقوق الإنسان. وقد ذهب القديسون إلى

القول أن الحاكم مكلف بمراعاة القوانين الإلهية لأنه يتلقى سلطانه من الرب، فإذا ما خرج عن تلك القوانين فإنه سوف يخرج عن سلطان الرب ولا يمثل إرادته، فيصبح حاكما جائرا تسقط طاعته وتجب مقاومته وعزله. وعندما قويت شوكة المسيحيين في الدولة الرومانية بعد أن كانوا مستضعفين فيها، اتخذوا موقفا حاسما في حقهم بمقاومة الطغيان ونجحوا في ذلك واستقامت الأمور لهم بعد أن تحولت روما إلى الديانة المسيحية. ولكنهم تنكروا لما دعوا إليه في بداية ظهور المسيحية من الحرية والإخاء، واعتبروا حق الغير في الاعتقاد باطلا يجب مقاومته واضطهدوا كل من يخالفهم الرأي^(٢٥). وكان مما يميز العصور الوسطى التي ظهرت فيه الكنيسة كقائد للمجتمعات الغربية، هو الانقسام الحاد إلى ثلاث طبقات، ولكل طبقة عدة درجات، فكان البون شاسعا بين الناس والخضوع هو القاعدة العامة. ومن مخرجاته ظهور محاكم التفتيش التي عملت على نشر المذهب الكاثوليكي واضطهاد الفئات والمذاهب والأديان المخالفة له. كما شهد التاريخ الحروب الصليبية وممارساتها الشنيعة تجاه الأسرى والأطفال والنساء.^(٢٦)

أما في الإسلام فإن الشريعة أساس الحق ومصدره، وهي ربانية ومتعالية على حدود الزمان والمكان، وهي أمانة في عنق الناس عليهم رعايتها والتمسك بها. وقد أكدت على كثير من القضايا التي ارتبطت بحقوق الإنسان. فالإنسانية كلها ترجع إلى أصل واحد، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ (النساء: ١)، وان هذا التنوع والاختلاف بين الناس مدعاة للتواصل والترابط، وأن لا مزية لبعضكم على بعض إلا بالتقوى، فطاعة الله والقرب منه هو معيار التفاضل فيما بينكم، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣). ولا يجوز التعدي على حياة الناس، (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق.. الأنعام: ١٥١)، كما أن الجزاء مقرر لمن ينتهك هذا الحق، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ

عَلَيْكُمْ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ﴿البقرة: ١٧٨﴾. وحق التكافل منصوص عليه، ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (الذاريات: ١٩) (٢٧).

ولا مجال للتسلط في الإسلام، فبعد أن استبعد استعلاء العرق والجنس والطبقة، استبعد (الكهنة) أيضا، فلم يعرف المجتمع الإسلامي طبقة (رجال الدين) تحوطهم العصمة ويزعمون لأنفسهم صلة بالله غير سائر البشر، ويدعون ترفعا عن شئون الدنيا وعامة الناس. إلى جانب ذلك لم يتخذ الإسلام موقفا معارضا ضد الديانات الأخرى، ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (المتحنة: ٨)، ولذا ظل أتباع الديانات محتفظين بعقيدتهم وطقوسهم ويتمتعون بعلاقات طبيعية مع أفراد المجتمع الإسلامي، عدا أولئك الذين يتخذون موقفا عدائيا تجاه المجتمع الإسلامي، ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (المتحنة: ٩) (٢٨).

غير أن مراجعة بسيطة للتاريخ الإسلامي تكشف أن القيم الإسلامية سرعان ما تبدلت، وأن معاوية والأمويين لما هيمنوا على مقدرات الأمة الإسلامية، ابدلوا مقوماتها التي قامت عليها كالتراحم والأخوة الإيمانية وإنكار الذات، لتظهر محلها روابط النسب وتعلو نعة العصبية العربية، والتعالي على باقي الأجناس بل وتفضيل العرب بعضهم على بعض. كما أنهم غيبوا الأسس التي قامت عليها الخلافة، ولذلك أتهموا أنهم طغاة مستبدون سلبوا الحكم ووأدوا الشورى، وجعلوا الخلافة ملكا، وأقصوا الموالي وجعلوهم بمنزلة الأرقاء وسفكوا الدماء وانتهكوا المقدسات ولم يرعوا الحرمات (٢٩).

وبذلك كان أغلب المسلمين ينظر إلى الأمويين على أنهم مغتصبين وغير أهل لمركز الخلافة الروحية والزمينية، وكان من جانب الأمويون أن تكون لهم (عقيدة تسند حكمهم

إلى جانب القوة، ولم تكن هذه العقيدة أو الأيديولوجية بمعنى أدق إلا الجبر، فما من عقيدة تمسك زمام الأمر وتصرف الناس عن الثورة عليهم وعلى ولاتهم مثل عقيدة الجبر، إن وصولهم إلى الحكم وأعمالهم ليست إلا نتيجة لقدرة من الله قد قدر^(٣٠).

رابعاً: حقوق الإنسان في العصر الحديث

يمكن أن نلمس جذور الفكر الأوربي الحديث في مجال حقوق الإنسان بالتصورات الذهنية المجردة والأفكار العامة، التي ظهرت في الفلسفة اليونانية وانتقلت فيما بعد إلى القانون الروماني، وتحدث عن القانون الثابت الذي لا يعتريه التغيير، فيعد نموذجاً أعلى يجب أن تنسج على منواله مجمل قوانين المجتمع، لأنه قائم على مبادئ لم تأخذ من كتاب محدد ولا من تقاليد متواضعة، وإنما مصدره الطبيعة الإنسانية ويكتشفه العقل من روح المساواة والعدل الكامنة في النفس. ولذا أطلق على هذا القانون بالقانون الطبيعي. وقد انتقلت فكرة القانون الطبيعي إلى أوروبا عن طريق الأدب اليوناني والقانون الروماني، وبرزت فكرة العدالة في إنكلترا والتي تقول أن العدالة ينبغي أن تتفوق على القانون الحرفي المتشدد كما يوصف أحياناً، والذي يرشد إلى مبادئها الضمير والوجدان ممثلاً بضمير الملك الذي يختص بامتياز توزيع العدالة بين رعاياه بمختلف الوسائل^(٣١).

غير أنه سرعان ما هب أشرف الدولة ورجال الكنيسة وأهل المدن معلنين الثورة على حكم الطاغية ملك إنكلترا لما فرضه من ضرائب باهظة. وفي عام ١٢١٥م استطاعوا تقييد حكمه المطلق وطغيانه عندما أجبر على توقيع وثيقة (الماجنا كارتا) أو العهد الأعظم، الذي تقرر بموجبه أن لا ضريبة إلا بقانون من البرلمان. ومع أن الوثيقة كانت ترمي إلى خدمة مصالح نبلاء الإقطاع إلا أن الشعب الإنكليزي استطاع أن يفيد منها في استرجاع حقوقه المسلوبة. وقد عدت هذه الثورة أول احتجاج ضد الحاكم الفاسد في تأريخ إنكلترا، كما اعتبرت الوثيقة حجر الزاوية في بناء الحرية فيها^(٣٢).

وفي عام ١٧٧٦م أعلن الشعب الأمريكي المتألف من مختلف الأجناس البشرية وثيق الاستقلال من الاستعمار الإنكليزي، وقد تضمنت هذه الوثيقة على مبادئ حقوق الإنسان كحق الحياة والحرية والمساواة، التي صاغها توماس جيفرسون وأكدت على أن الخالق منح الناس حقوقا متساوية في الحياة والحرية لا تنتزع. ولتأمين هذه الحقوق وجدت الحكومات التي تستمد سلطانها من رضى الشعب، فأنقضت الحكومة على تلك الغاية صار من حق الشعب استبدالها بأخرى جديدة تعتمد أسس ومبادئ يراها أجدى لصون سلامته وسعادته. وأثرت أفكار الثورة الأمريكية في المجتمع الفرنسي، فثار على الحكم الملكي الفاسد وشكل الجمعية الوطنية الفرنسية، التي أقرت وثيقة حقوق الإنسان المكتوبة من قبل امانول جوزيف سيسيس، ثم سجلت هذه الوثيقة في الدستور الفرنسي الذي أصدرته الثورة سنة ١٧٩١م^(٣٣).

وأقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ١٩٤٨م مبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، بعد أن ظهرت القناعة بأن ما ورد في ميثاقها لم يكن كافيا، وقد تناول الإعلان حقوق أعضاء الأسرة الإنسانية على إنها حقوق غير قابلة للانتهاك، وتمثل معيارا مشتركا تقيس على أساسه الشعوب والأمم منجزاتها على هذا الصعيد، وإن كان لا يتضمن إلزاما للدول الأعضاء في الأمم المتحدة ولا يتوفر على الضمانات الكافية لعدم انتهاكه. ولذا اتجهت المنظمة إلى مهمة تحويل المبادئ التي جاء بها الإعلان إلى معاهدات تفرض التزامات على الدولة المصدقة بها^(٣٤).

ويقسم الدكتور عامر حسن فياض الوثائق الدولية لحقوق الإنسان إلى: الجيل الأول يتمثل بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨ الفردية البعد، ثم الجيل الثاني المتمثل بالعهود الدولية السياسية والمدنية والاقتصادية والاجتماعية التي شملت حقوق فردية مطعمة بحقوق جماعية واجتماعية مثل إعلانات حقوق المرأة وحقوق الطفل وحقوق

السكان الأصليين، ثم مع التسعينات تدخل حقوق الإنسان الجيل الثالث من حيث التركيز على حقوق مثل التنمية والحق في البيئة النظيفة، والأمر يحتاج أكثر إلى أجيال رابعة وخامسة تعزز الحقوق الجماعية وبشكل متوازن مع الحقوق الفردية^(٣٥).

وقد وجهت انتقادات قوية للتفسير الغربي لحقوق الإنسان، الذي جرى فيه التمييز بين حقوق الإنسان وحقوق المواطن. ولكن من هو هذا الإنسان المتميز عن المواطن؟ إنه الإنسان الأناني المنفصل عن المجتمع، إنه عضو المجتمع البرجوازي في نظر ماركس. فالحرية تتحدد حسب وثيقة الحقوق الصادرة عن الأمم المتحدة أن الإنسان باستطاعته أن يفعل كل ما لا يضر بالآخرين. فهي لا تركز على علاقات الإنسان بالإنسان الآخر، وإنما على انفصال الإنسان عن الإنسان، إنها الحق في هذا الانفصال. والتطبيق العملي للحرية يجري في حق الملكية الفردية، إذ هي حق الإنسان في التمتع بثروته والتصرف بها وفق مشيئته، من دون الاهتمام بسائر الناس وبصورة مستقلة عن المجتمع؛ إنه الحق الأناني، الذي يتجلى فيه الآخر ليس محل لتحقيق الحرية، وإنما مقيد لها. وهكذا بالنسبة لسائر الحقوق. فالأمن وهو أسمى مبدأ اجتماعي يقوم على الحماية التي يمنحها المجتمع لكل عضو لحفظ حياته وحقوقه وحرية، وبالتالي فهو الضمان للحفاظ على فردية وأنانيته^(٣٦).

إذن ليس ثمة أي حق من حقوق الإنسان يتخطى الإنسان الأناني، بمعنى فردا مفصولا عن المجتمع ومنطويا على ذاته ومنشغلا بمصلحته الشخصية فقط. وإن غاية التجمع السياسي هي الحفاظ على حقوقه الطبيعية التي لا يمكن إلغاؤها. (فالإنسان ليس منظورا إليه في هذه الحقوق بمثابة كائن بشري اجتماعي؛ بل على العكس تماما، فأن الحياة البشرية نفسها، أي المجتمع تظهر بمثابة إطار خارجي عن الفرد، بمثابة تحديد حرية الأولية. والرابطة الوحيدة التي توحد بينهما إنما هي الضرورة الطبيعية، حاجة المصلحة الخاصة)^(٣٧).

من هنا يمكن القول بأن مفهوم حقوق الإنسان في العالم الغربي لا يمكن تعميمه، ذلك لأنه في الحقيقة مرتبط بتصور خاص بالإنسان وحياته الاجتماعية، وبالتالي فمن غير الصواب الادعاء بأن قيم حقوق الإنسان في النظر الغربي مطلقة، إذ لا يمكن اعتبارها مفاهيم علمية صارمة، تخضع في التقييم لمعايير واحدة، في كل المجتمعات على اختلاف أسسها النظرية ومرجعيتها الفكرية.

أما في مجال الممارسة فقد أصبحت قضية حقوق الإنسان أحد أسلحة السياسة الخارجية للدول الكبرى، ذلك من خلال استخدامها معياراً في تقديم المساعدات الدولية للدولة النامية. ولا يخفى ما يترتب على تنفيذه من مشكلات في الواقع المعقد لنظام عالمي لم يتفق على اتجاهاته وقيمه الأساسية وموازينه، مما يفتح الباب لصور من التدخل غير المسوغ في الشؤون الداخلية للدول تحت شعار الدفاع عن حقوق الإنسان، خصوصاً مع دخول أطراف غير حكومية أصبحت بمقتضى أهدافها وأنشطتها ذات صلة كبيرة بالموضوع، مما يفتح لمزيد من الاقتناع بالحق في التدخل الخارجي في السياسة الداخلية للدول، طبعاً يجري ذلك وفق معيار النموذج الغربي، ومن دون اعتبار للخصوصية الثقافية والاجتماعية والدينية للمجتمعات^(٣٨).

فضلاً عن اتخاذ موضوع الدفاع عن حقوق الإنسان كسلاح ضد الدول، من أجل تمرير الدول الكبرى لمصالحها السياسية. ويمكن النظر إلى ازدواجية المعايير في الحكم والتطبيق في قضايا عديدة حدثت في العالم، مثل القضية الفلسطينية والمشكلة البوسنية وغيرها التي جرت فيها انتهاكات لحقوق الإنسان أفزعت الضمير الإنساني، إلا إنها لم تواجه بموقف عادل من الدول الكبرى للدفاع عن حقوق الإنسان ورد العدوان عليها. وشمل هذا الموقف المنظمات الدولية التي اكتفت بمجرد الإدانة الباهتة التي لا تتناسب مع حجم المجازر والتشريد، فلم تلاحق المسؤولين عن هذه الجرائم الكبرى بنفس الحماس الذي تظهره في شأن أحداث أقل أهمية تجري في دول أخرى^(٣٩).

المبحث الثاني

حقوق الإنسان عند الإمام علي (عليه السلام) في ضوء عهده لمالك الأشتر

جاءت خلافة الإمام علي في ظروف عصيبة مرت بها الأمة الإسلامية، حيث شهدت ثورة عارمة اشتركت فيها مختلف الأمصار، حين قدمت وفودها إلى المدينة لتعبر عن سخطها على عثمان بن عفان الذي لم يف بمسؤولياته في إقامة العدل، فقتل على أثرها الأمر الذي أحدث فتنة عمياء هزت كيان الأمة الإسلامية، وكانت بمثابة الزلزال الذي أضعف أساسات البناء السياسي الإسلامي، وبالتالي كان من العوامل التي عجلت بإنهاء مرحلة الخلافة باستشهاد الإمام ثم تسلط بني أمية على الدولة الإسلامية^(٤١).

إن تلك الظروف المضطربة والملابسات التي أحاطت بخلافة الإمام، قد سلطت الضوء على عظم شخصية الإمام وثراء سيرته، فكانت المشكلات الكبرى والصراعات العنيفة التي حلت بالأمة الإسلامية تتطلب قرارا حاسما وموقفا صلبا، لا يقوم به إلا الأفاضل من الناس، وكشفت عن سيرة ثرية تبنت فيها القرارات والمواقف كمنار تضيء الطريق لمن جاء بعده، ينهل منها ما شاءت قدرته وموهبته الاستفادة من ذلك المنهل الرحب والعطاء الثر.

كما أن شخصية الإمام قد أحيطت بهالة قدسية نادرة، وجد فيها الأبعدون صوتا للعدالة الإنسانية، ولمس فيها الأقربون صحابيا جليلا زق العلم من صاحب الرسالة الأعظم، منذ أن ربّي في حجره إلى خليفة لأمته، وتمسك بها الأذنون لأنها طهرت من الجليل الأعلى الذي أراد لها أن تكون هاديا لرسالته ومنارا لبلاده.

أما البحث عن موضوع حقوق الإنسان لدى الإمام فهو بحث شيق وعميق، تتداخل فيه الأقوال والأفعال، وتتجانس فيه العقائد والمواقف. والأسئلة التي تستوجب الإجابة

عنها هي: هل يمكننا أن نعثر على متبنيات لحقوق الإنسان في أقوال الإمام؟ وإن كانت كذلك فهل التزم بها الإمام كمبادئ عمل في سيرته العملية؟ وإن صح ذلك فهل اعتمدت كمنهج عمل للدولة حين أصبح على قمة الهرم السلطوي؟ ومن ثم أيمكننا الادعاء بأن الإمام ليس كآخرين، الذين إذا قالوا نقضوا وإذا عاهدوا نكلوا. بل تبدو سيرته بقوله وفعله وتقريره مزيجا واحدا يعكس صورة من صور الكمال المنفرد، والتمسك المعصوم بثوابت الشرع الذي يعز فصله ويستحيل نقضه، مهما جاءت النتائج وغلت التضحيات؟

أولا: الحقوق المدنية

حق العمل والملكية الخاصة:

مع أن الإمام كان يستشف من بعض حديثه تلك النظرة الدونية إلى الحياة، إلا أن ذلك لم يمنعه من التأكيد على أهمية العمل والكسب ورفض الرهبانية والاقتصار على العبادة، فهو (عليه السلام) يأمر واليه ب(استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوصي بهم خيرا،...فأنهم مواد المنافع)^(٤١). ولم يكتف بالحث على العمل الذي ينفع الجماعة ورعاية العاملين، ولإعلاء من شأن هذا العمل، اشترط ألا يجبر العامل على عمله، فالعمل الذي لا يواكبه رضا وجداني عميق من قبل العامل، فيه إساءة للحرية والعمل نفسه؛ وإنصافا للشخص يجرم إكراهه على عمل من غير مبرر، كما لا بد أن تكون ثمرة العمل من حق العامل وحده^(٤٢). وكمثال تطبيقي على ذلك نذكر أهل القرية الذين طلبوا من حاكمهم إعادة فتح مجرى نهر سابق قد اندثر، وذلك بأمر القادرين على العمل بالسخرة، ولكن الإمام رفض ذلك، وطلب منه، أن يدعو الناس إلى حفر النهر، ثم يكون الأجر والنهر فيما بعد لمن عملوا بمليء إرادتهم^(٤٣).

ولا تعني حرية العمل عند الإمام أن يكون السوق مفتوحا على مصراعيه لجشع بعض التجار، كما هو حال السوق في الدول الرأسمالية، وإنما لا بد للدولة من مراقبة

حركة السوق، وتنظيمها وفقا لموازين التكافؤ في الفرص وتحقيق العدالة. فقد نبه الإمام في العهد: (وليكن البيع بيعا سمحا بموازين عدل، وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع [المشتري]، فمن قارف [خالط] حكرة [الاحتكار] بعد نهيك إياه فنكّل [عاقبه]، وعاقب في غير إسراف [تجاوز حد العدل])^(٤٤).

ويركز الإمام في سياق توصياته إلى عامله أن يكون هدفه الأساس البناء والأعمار ولا يكون مبلغ همه أخذ الضرائب، فيقول: (وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة)^(٤٥). ويضيف الإمام بضرورة مراعات الناس في أخذ الضرائب: (فأن شكوا ثقلا أو علة... خفت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم)^(٤٦). لأن ذلك فيه صلاح الحاكم والمحكومين، (فأنه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك وتزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم)^(٤٧).

وقد ورد عن الإمام (عليه السلام) في رواية مفصلة أنه بعث أحد عمال جباية الزكاة، وأوصاه بتقوى الله ورعاية حقوقه، فأن وصل لتلك المنطقة نزل بعيدا عن البيوت، ثم يأتيها وهو على سكينته ووقار فيسلم على أهلها ويقول لهم، أرسلت إليكم لأخذ منكم حق الله في أموالكم، فأن قال قائل ليس عليّ حق، فلا تراجع، وإن أنعم منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو تعده إلا خيرا، ولا تدخل إلا بأذنه، وإن دخلت فلا تدخل دخول متسلط عليه ولا عنف به، ثم أقسم المال قسامين وخيره في أحدهم وخذ الآخر، وهكذا حتى يبقى ما فيه حق الله^(٤٨). وفي الحقيقة فأن هذا التعامل مع المواطنين عند أخذ الضريبة المفروضة عليهم، هو أرقى تعامل يمكن أن يتصور في نظام ضريبي حضاري.

ذلك لأن للمسلم حرمة في نفسه وأهله وماله لا يجوز التعدي عليها، بل تمتد هذه الحرمة لتشمل كافة مواطني الدولة الإسلامية سواء من المسلمين وغيرهم، فقد جاء في

نهج البلاغة، (لا تضربن أحدا سوطا لمكان درهم، ولا تمسن مال أحد من الناس مصل ولا معاهد، إلا أن تجدوا فرسا أو سلاحا يعدى به على أهل الإسلام)^(٤٩). حينئذ يخرج المرء من كونه مواطن ويصبح معادي يستحق العقوبة والردع. بل نجد أن الإمام قد حث الناس على الجهاد حينما بلغه (أن رجلا منهم [الأعداء] كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة، فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها... ثم انصرفوا وافرین ما نال رجلا منهم كلم ولا أريق لهم دم، فلو أن أمراً مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما، بل كان به عندي جدیر)^(٥٠).

الضمان الاجتماعي:

يؤكد الإمام علي في عهده إلى عامله على ضرورة إحاطة الطبقة الفقيرة من المحتاجين والمرضى وذوي العاهات بالرعاية الأئمة، حيث يقول: (الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البؤسى... والزمني... واحفظ الله ما استحفظك.. من حقه فيهم)^(٥١). وضرورة عدم التقصير في ذلك بحجة الانشغال بالمصالح العليا للمجتمع، (فلا يشغلنك عنهم بطر [طغيان النعمة]، فأنت لا تعذر بتضييع التافه [البسيط الحقير] لأحكام الكثير المهم)^(٥٢). ثم يشير الإمام إلى شريحة أخرى من الشرائح الاجتماعية التي هي بحاجة إلى رعاية خاصة من الدولة، (وتعهد أهل اليتيم وذوي الرقة في السن [المتقدمون فيه] ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه، وذلك على الولاية ثقيل)^(٥٣).

أما في مجال الممارسة العملية، فقد كان شديد الحرص على مراعات هذه الشرائح الضعيفة ومواساتها، وقد نزلت فيه آيات من التنزيل تقديرا لعطاءه، فقد ذكر الواحدي أن عليا (عليه السلام) حصل على كمية من الشعير أجرا على عمل قام به، فأتى به إلى بيته فأخذوا ثلثه وعملوا منه خبزا ليأكلوه، فجاءهم مسكين فدفعوه إليه، فعملوا الثلث

الثاني وأتاهم يتيما فأعطوه إياه، ثم عملوا الثلث الثالث فسألهم أسير فأطعموه ذلك. فطوا في كل ذلك الوقت من غير طعام، فنزلت هذه الآية: ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (الانسان: ٨) (٥٤).

ولم يستثني من العطاء أحد من رعايا الدولة الإسلامية، ففي زمن خلافته عليه السلام مر به شيخ كبير مكفوف يسأل الناس، فسأل الإمام ما هذا؟ فقالوا له نصراني، فقال الإمام: استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعموه، أنفقوا عليه من بيت المال (٥٥). وعن الإمام الباقر (عليه السلام) أن أمير المؤمنين جاء يوما إلى السوق فابتاع ثوبين أحدهما بثلاث دراهم والآخر بدرهمين، فدفع الأول إلى عبده قنبر، فقال له قنبر، أنت أولا به، لأنك تصعد المنبر وتخطب الناس، فأجابه الإمام: أنت شاب ولك شره الشباب، وأنا أستحي من ربي أن أكون أفضل منك لباسا، لقد سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يقول: ألبسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تأكلون (٥٦).

كما كان شديد المحاسبة لعماله عندما يلمس منهم شيء من التقصير في ذلك، وفي سيرته كثيرا مما يصح أن يكون مثالا في هذا المقام. ومنها أنه سلام الله عليه بلغه أن عامله عبد الله بن العباس قد تجاوز على بعض الأموال العامة، وهذا الشخص من أقرب المقربين إلى الإمام، أولا لأنه ابن عمه، وثانيا لأن ابن عباس كان لصيقا بالإمام كونه أحد مستشاريه وقادته، فبعث إليه كتابا يذكر فيه خاصية القرب لهذا الرجل، فيقول: (أما بعد فأني كنت أشركتك في أمانتي وجعلتك شعاري وبطانتي، ولم يكن من أهلي رجل أوثق منك في نفسي) (٥٧). وفي نفس الوقت فإن ذلك لم يمنعه من غض الطرف على جرأته على المال العام فيوبخه، وقد جاء في الكتاب: (أيها المعدود عندنا من ذوي الأبواب كيف تسبيغ شرابا وطعاما، وأنت تعلم أنك تأكل حراما وتشرب حراما، وتبتاع الإماء وتنكح النساء من مال اليتامى والمساكين والمؤمنين والمجاهدين، الذين أفاء الله عليهم هذه الأموال...

والله لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت، ما كانت لهما عندي هودة ولا ظفرا مني بإرادة حتى أخذ الحق منهما وأزيع الباطل عن مظلمتهما^(٥٨).

ومنها أيضا أنه أتته العيون بخبر عن عامله في البصرة عثمان بن حنيف، حيث بلغه أنه دعي إلى وليمة فأجاب الدعوة!! ولمجرد أنه شك في مصدر هذه الأموال وضرورة الاحتراز من الشبهات، كتب إليه كتابا طويلا ينتقده فيه نقدا مرا، ويحذره من عاقبة الوقوع في الشبهات، هذه فقرة منه: (فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم فان اشتبه عليك علمه فالفظه، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه)^(٥٩). ثم يذكره بسيرته ومواساته للفقراء، إذ يقول: (ألا وإن إمامكم قد أكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدر على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد... ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخير الأطمعة، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشعب، أو أبيت مبطانا وحوالي بطون رثى وأكباد حرى... أأفنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش)^(٦٠).

حرية التنقل والسكنى:

فقد ورد في نص العهد في سياق الحديث عن أصحاب الأعمال والحرفيين، وضرورة رعايتهم من قبل السلطة فضلا عن اعتراضهم ومنعهم وهم يسعون حثيثا طلبا للرزق في أطراف البلاد المترامية، حيث يقول: (وجلاها [الأرزاق] من المباعد والمطارح [الأماكن البعيدة]، في برك وبحرك وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها [لا يمكن وصول الناس إليها] ولا يجترئون عليها، فأنهم سلم [أي التجار والصناع] لا تخاف بائقته [دهاؤه]، وصلح لا تخشى غائله، وتفقد أمورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك)^(٦١).

يظهر من كلام الإمام أن توصيته بهذه الشريحة، لكونها أولاً لأنها تقدم في حركتها وتنقلها الخدمات للمجتمع، وثانياً لأنهم أناس مسالمين لا يخشى من جانبهم، فتكون حركتهم نافعة على العموم. ولكن سيرة الإمام تبين أنه لم يمنع أحد حتى حين شك في نواياهم. فقد استأذن طلحة والزبير الإمام في الخروج إلى مكة معتمرين، ولكن الإمام أظهر لهما شيئاً من الشك فيما صمما عليه، فأكد له أنهما لا يريدان غير العمرة، فسمح لهما في الخروج، مع أنه لم يزايله الشك في نواياهما^(٦٣). وتذكر المصادر التاريخية أنه أكد عليهما البيعة له، لتكون الحجة عليها أوثق فيما لو انقلبا عليه. وفعلاً كان شك الإمام في محله ولم يتجها إلى مكة، وإنما كانت وجهتهما إلى البصرة، التي حثوا أهلها على الخروج عن طاعة الإمام، وحدثت معركة الجمل^(٦٣).

بل إن فلسفة الإمام اقتضت عدم منع الأشخاص من التنقل حتى في الظروف العصيبة، فقد بلغه أن رجالاً من أهل المدينة يخرجون خلسه للانضمام إلى صف معاوية، فكتب إلى عامله على المدينة، لا ليأمره بمنعهم عن الخروج والانضمام إلى العدو، وإنما كتب له بأن لا تأس لفراق مثل هؤلاء الذين مالوا إلى الطمع، فرجحوا الباطل على الحق. وجاء فيه: (أما بعد، فقد بلغني أن رجالاً ممن قبلك يتسللون إلى معاوية، فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم ويذهب عنك مددهم، فكفى لهم غيا ولك منهم شافيا فرارهم من الهدى والحق، وإيضاعهم إلى العمى والجهل... فهربوا إلى الأثرة)^(٦٤).

حرية الاعتقاد:

يأمر الإمام عامله بقوله: (وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم واللفظ بهم، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتتم أكلهم، فإنهم صنفان أما أخوك في الدين، وإما نظير لك في الخلق).^(٦٥) ويمكن أن نستفيد من هذا النص حرية المعتقد؛ ذلك لأن الرعية بحسب النص هم صنفان، والصنف الأول هم المسلمون، الذين يتتظمون مع الحاكم المسلم تحت عنوان (الأخوة الإسلامية)، أما الصنف الثاني فإنه يشمل كل من لا ينتمي إلى صنف المسلمين. ولما كان الإسلام دين وعقيدة، فإن الصنف الثاني يشتمل على كل من له دين وعقيدة غير إسلامية من مواطني الدولة الإسلامية. إذن فإن رعايا الدولة الإسلامية ومواطنيها هم من ديانات وعقائد مختلف، وهي معروفة ومشخصة وليست خافية على الحاكم الإسلامي، وإن الإمام سلام الله عليه حين وجه حاكمه على مصر ليس السماح لهم وغض الطرف عنهم في ممارسة دينهم وعقائدهم بحرية، وإنما يتوجب عليه أن يتوجه لهم جميعا بمختلف انتماءاتهم الدينية والعقائدية بالمحبة والرحمة عليهم واللفظ.

٠٣٢:

ولو رجعنا إلى التاريخ الإسلامي، وعددنا حركة الخوارج حركة عقائدية تصحيحية (طبعاً من وجهة نظرهم)، وليست سياسية لأنهم كانوا لا يستهدفون الوصول إلى السلطة، وإنما تصحيح مسار الأمة، وذلك ما نبه إليه الإمام حين قال: لا تقتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه^(٦٦).

ولكن معارضة الخوارج للأمام لم يقابها (عليه السلام) إلا بمتهى الروية في محاولة لاستيعابهم. لقد كان الإمام خليفة وكانوا هم من رعاياه، وكان بإمكانه أن ينفذ فيهم أشد أنواع العقوبات، ولكنه لم يسجنهم ولم يجلدهم، ولم يبادرهم بحرب. فأرسل إليهم أقرب معاونيه وأعلم مستشاريه كعبد الله بن عباس وصعصعة بن صوحان يجادلونهم من

أجل عودتهم إلى صفوف الأمة، ثم حاورهم بنفسه ما استطاع لهدايتهم سبيل^(٦٧). وكان يعرف الإمام أن أحدهم يهيم بالخروج والانضمام إليهم، فلا يستكرهه ولا يستبقيه، ويفسح لهم المجال لأن يتوجهوا حيث يشاؤون، ويحسن معاملته من أقام منهم، ولا يرضى أن يتعرض له من أصحابه أحد، . ثم أنه كان يعطيهم نصيحتهم من الفبيء أسوة بسائر الناس. فالناس أحرار في ما يرون من قول وعمل، وموالة ومعادة، إلا أن يتجاوزوا على الناس ويعتدوا عليهم ويفسدوا في الأرض، حينذاك يتوجب على الإمام إلزامهم بالحدود في غير لين^(٦٨).

حق الحياة :

ومن وصايا الإمام لملك الأشتر حرمة حياة الإنسان وعدم سفك الدماء، فكتب: (إياك والدماء وسفكها بغير حلها، فليس شيء أدعى لنقمة ولا أعظم لتبعة، ولا أخرى بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير حقها^(٦٩)).

ولست أدعي أمرا هو بحاجة إلى برهان حين أقول أن الإمام رجل حرب وبطل معارك، فقد شارك في حروب المسلمين والمشركين وغزواتهم، وقتل في تلك الحروب والمغازي أبطال المشركين، وبطش بأعلام قريش وكبار بيوتاتها. وكانت بدر وأحد والخندق شواهد على ما أقول. ولكن لو تساءلنا عن تلك السيرة المليئة بالحروب والتاريخ المضمخة بالدماء، هل كان ذلك كاشف عن عدم رعاية حق الإنسان في الحياة أم كان ناتج عن عقيدة راسخة بشرعية الجهاد؟ بداية يصرح الإمام في النص السابق على تحذيره عامله من مقاربة سفك الدماء بغير حق. ثم يردف ذلك بما يكشف عن فلسفته الخاصة التي تذهب إلى أن سفك الدماء من غير وجه حق، هي أكبر جريمة يمكن أن يقرها إنسان، وهي مدعاة أكثر من أي شيء آخر للنقمة، التي توجب زوال النعمة وانقطاع مدتها.

ولو عدنا لسيرة الإمام (عليه السلام) لنبحث عن الشواهد حية، التي لا سبيل إليها بتأويل، ولا يتطرق إليها شك. إذ تذكر كتب التاريخ أن رجلا من الخوارج سمع حديث الإمام وهو يعرض بعض جماعته، فبهره حديثه فصاح معجبا إعجاب الكاره الذي لا يملك بغضه ولا إعجابه: قاتله الله كافرا ما أفقهه. فانتفض بعض اتباع الإمام ليقتلوه، فنهاهم الإمام وقال لهم: إنما هو سب بسب أو عفو عن ذنب^(٧٠).

كما أن تاريخ الإمام يتحدث عن بعض المشاغبين في جماعته، الذين يعترضون عليه في كل خطوة، ويثقلون عليه باللجاجة في مواقف تضيق فيها الصدور. (ولم يكن الأشعث بن قيس بالوحيد في هذا الباب، بل كانوا له شركاء من الخوارج وغير الخوارج، يظهرون بالعنت في غير موضعه ويذهبون به وراء حده... ألا يخطر على البال هنا، أن ضربة من الضربات القاضية كانت تنجع في هذا العنت المكرب، حيث لا تنجع العقوبة الشرعية أو الاحاييل السياسية؟ ماذا لو أن الإمام جرد سيفه بين أولئك المشاغبين، وأطاح برأس الأشعث بن قيس قبل أن يفيق أحد إلى نفسه، ثم ولى على الفور من يقوم مقامه...؟) كان بعيدا أن تفعل الرهبة فعلها، فيسكن المشاغب ويهاب المتناول ويجمع المتفرق، ويقل الخلاف بعد ذلك على الإمام؟^(٧١). هذا المنهج اعتمده الميكافيلية، واستساغته البرغماتية، واعتبرته الاشتراكية ضرورة لحفظ المجتمع. ولكن هيهات فليس ذلك في فلسفة الحكم عند الإمام، ولا طريقته في التعامل مع موضوع الدماء، مع علمه بنجاعته، وعدم غيابه عن نظره.

حتى قتال العدو عند الإمام له أصوله وأخلاقياته، (فليس الغدر قتالا، ولا المباغته دون الإعذار جائزا عنده، بل لا بد من الالتزام بالأصول الأخلاقية. ومن هنا فإن الإمام حينما أرسل الأشتر في مقدمة الجيش إلى مناوئيه أوصاه قائلا: إياك أن تبدأ بقتال إلا أن يبدؤوك، حتى تلقاهم فندعوهم وتسمع منهم، ولا يحملك بغضهم على قتالهم

قبل دعائهم والإعذار إليهم مرة بعد مرة^(٧٢). فليس البغض أو العصبية ما يحمل على القتل عند الإمام، وإنما الحجة والإعذار بالنصيحة مرة تلو الأخرى، حتى إفراغ الوسع وقيام الحجة على القتال. وليس قوله السابق لمالك نصيحة خاضعة لاشتراطات الحرب وتقلباتها، وإنما هي فلسفة عمل وضوابط شرع لا يمكن تجاوزه. فحين سمع أن جماعة الخوارج (خارجون عليك فبادرهم قبل أن يبادروك، فقال: لا أقاتلهم حتى يقاتلوني، وسيفعلون. وكذلك فعل قبل وقعة الجمل، وقبل وقعة صفين، وقبل كل وقعة صغرت أو كبرت، ووضح فيها عداء العدو أو غمض، يدعوهم إلى السلم وينهي رجاله عن المبادأة بالشر، فما رفع يده بالسيف قط، إلا وقد بسطها قبل ذلك للسلام)^(٧٣).

العدالة:

جاء في نص العهد: (وإن أفضل قرّة عين الولاية استقامة العدل في البلاد، وظهور مودة الرعية)^(٧٤).

لقد ركز الإمام على موضوع العدل أيما تركيز، سواء على مستوى توجيهه ونصحه ومواعظه للآخرين، أم على مستوى عمله الفعلي وممارساته العملية، حين كان خارج السلطة أم حينما تسلم مقاليد خلافة المسلمين؛ ذلك لأن العدل أولاً قيمة من قيم الدين ومعيار للشريعة، فكان تمسك الإمام بهذه القيم بمقدار تمسكه بدينه وشريعته المقدسة. كما أن تشدده في التزام قيم العدالة الاجتماعية وتحقيق المساواة، ورفضه التام لأي ممارسة أو تطبيق عملي يحيد عنها ولو بصورة آنية، اقتضاء للمصالح العليا ولا اعتبارات السياسة ومتطلبات الظروف التي تحيط بالدولة؛ كون أن خلافة الإمام جاءت بعد ثورة عارمة لم يشهدها المجتمع الإسلامي من قبل، نتيجة ابتعاد سياسة الدولة عن قيم الإسلام الأصيلة التي قامت على العدل والمساواة، فظهر خلالها انقسام ملحوظ للمجتمع إلى طبقات متميزة على أسس عرقية ومادية، فكان تشدد الإمام في التمسك بتلك القيم من

أجل إعادتها وإحيائها في نفوس الناس من جديد. لذا جاء تأكيده على واليه إلى مصر بالنص السابق، على إقرار الحق شريعة بين الناس وتحقيق العدالة يجب أن تكون القيمة العليا للحاكم، وفي ذلك توفير الأرضية الصحيحة لكسب رضا المواطنين وجلب مودتهم، وهي في الوقت ذاته تحقق رضا الله تعالى.

ولما بوبع الإمام على الخلافة ونهض بأعبائها، كان عازما على إعادة الحق إلى نصابة مهها كلفه الأمر، فقام خطيبا في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ألا لا يقولن رجال منكم قد غمرتهم الدنيا فاتخذوا العقار وفجروا الأنهار وركبوا الخيول الفارهة، واتخذوا الوصائف الروقة فصار ذلك عليهم عارا وشنارا إذا منعتم ما كانوا يخوضون فيه، وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعملون، فينقمون ذلك ويستكفرون ويقولون حرمانا ابن أبي طالب حقوقنا. ألا وأيها رجل استجاب لله وللرسول فصدق ملتنا ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، فانتم عباد الله والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية، لا فضل لاحد على أحد^(٧٥). بل وأقسم على نفسه أن يعيد كل الحقوق التي اغتصبت إلى مستحقيها، إذ يصرح: والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإمام لرددته، فأن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق^(٧٦).

وطلب من الإمام تفضيل بعض الأشراف ممن يتخوف منه مخالفته ويحتمل افتراقه عن جماعته، لان الناس أصحاب دنيا ولما رأوا ما يفعله معاوية بمن انقطع إليه منهم، فأن استتب الأمر لك عدت إلى سيرتك إلى أحسن ما كنت عليه من العدل في الرعية والقسم بالسوية. فأجابهم: أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه من أهل الإسلام، والله ما أطور به ما سمر سمير وما أم نجم في السماء نجما، ولو كان ما لهم مالي لسويت بينهم فكيف وإنما هي أموالهم^(٧٧).

وكان الإمام (عليه السلام) إذا عين واليا على إقليم من أقاليم أو مدينة من مدن الدولة

الإسلامية، أعطاه عهداً يقرأه على الناس، فأن أقره الناس، كان ذلك العهد بمثابة العقد بينه وبين الناس، لا يجوز لهم أن ينحرفوا عنه، ولا يجوز للحاكم أن يتأوله أو يخالفه، وإن خالفه وانحرف عنه في شيء قليل أو كثير، كان ذلك موجبا للحساب والعقوبة. لقد ربط الإمام ولاته وعماله بالشعب بمثل ما أرتبط به، فكان شديد المراقبة لهم، فكانت تلك الخطوة الرائعة منسجمة مع دستوره العام في الحقوق والواجبات، وهي تنسجم مع أرقى دساتير الأمم في وقتنا الحاضر، حين جعل من المحكوم نفسه رقيبا أعلى على الحاكم^(٧٨). وهكذا فعل حين ولي الإمام مالك الأشر على مصر.

فكانت أولى الفقرات من وصايا الإمام إلى واليه هي المحافظة على القانون والالتزام به، ف(أمره بتقوى الله وإيثار طاعته واتباع ما أمر في كتابه من فرائضه وسننه، التي لا يسعد أحد إلا باتباعها ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها)^(٧٩). فالوالي ليس حرا في تصرفه مع الناس، وإنما هو مقيد بسنن الشريعة وقوانينها فيما يخص الحقوق والواجبات بين المواطنين. وفي ذات الوقت فإن طاعة المواطنين للحاكم مشروطة بالتزامه بالشريعة، ففي كتاب الإمام إلى أهل مصر (فاسمعوا له، أطيعوا أمره فيما طابق الحق)^(٨٠). ذلك لأن إقامة الحق أساس السعادة، (وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نعمته من إقامة على الظلم)^(٨١).

ومن وصاياهم سلام الله عليه لمالك الأشر: (انصف الله وانصف الناس من نفسك، ...، فإنك إن لم تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده)^(٨٢). وفي هذا الباب روي أن امرأة اسمها (سودة) جاءت إلى الإمام، تشكو رجلا قد ولاه عليهم لجمع الصدقات فجار عليهم، وكان يصلي فلما انتهى من صلاته، سألهما ما حاجتك، فأجابته بخبره، فبكى وقال: اللهم أنت الشاهد علي وعليهم، وأني لم آمرهم بظلم خلقك. ثم كتب كتابا على ورقة من الجلد، ودفعه إلى المرأة من دون ختم، فدفعته إلى صاحبه

فانصرف عنهم معزولا. وهذا نصه: (بسم الله الرحمن الرحيم. قد جاءكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلك خير لكم إن كنتم مؤمنين، فإذا قرأت كتابي هذا فاحفظ بها في يدك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك، والسلام) (٨٣).

ويتحدث الإمام عن قضية هي في غاية الأهمية بالنسبة للحكام وذوي النفوذ، لأنها كثيرا ما كانت محل ابتلاء وامتحان لهم، وغالبا ما فشلوا في ذلك، وهي أن قواعد العدالة توجب أن تكون عامة شاملة لكل الرعايا من غير استثناء، فلا إثرة لاحد من الناس مهما كانت له صلة القربى معه، أو كانت له حظوة لديه، بل يوصيه بعدم الأثرة حتى مع نفسه، فيقول: (وإياك والاستئثار [تخصيص النفس بزيادة] بما الناس فيه إسوة [متساوون]) (٨٤). ثم يذكره بضرورة الأنصاف مع الأهل والمقربين، بقوله: (أنصف الله وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى [تميل إليه] من رعيتك، فإنك إن لم تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده) (٨٥). ويؤكد على هذا المعنى بعبارة أخرى: (وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد، وكن في ذلك صابرا محتسبا، واقعا ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع) (٨٦). ولكنه (عليه السلام) ينبه إلى أن قواعد العدالة قد لا تقتضي المساواة في المعاملة بين الناس، حيث يقول: ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيدا لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريبا لأهل الإساءة على الإساءة، والزم كلا منهم ما الزم نفسه (٨٧). ثم يضيف: (وإن ظنت الرعية بك حيفا [ظلمًا]، فأصحر لهم بعذرک [بين لهم عذرک فيه]). (٨٨)

ولابد من القول أن شخصية الإمام كانت تتجسد فيها مؤهلات قوية في تطبيق العدالة الاجتماعية، وكان إلتزامه بها بالغا ما بلغ هو السبب الذي أبعد عنه ذوي الأطماع والأغراض الذين يمنون أنفسهم بالأثرة، وأخاف ذوي المناصب والكنوز، وقطع آمال

حواشي السلاطين، وهدد الفجرة الذين استحقوا إقامة الحدود الإلهية. فاجتمعت هذه العوامل على التآجيج ضد الإمام وجرت عليه النوائب والحروب.

ثانيا: الحقوق السياسية والقضائية

الحقوق السياسية:

من أصعب القضايا التي تتناول في مجال حقوق الإنسان وأكثرها حساسية، هي القضايا التي تتعلق بالحقوق السياسية للمواطنين، خاصة وأن البحث يتناول مرحلة تعود إلى مرحلة سابقة بأكثر من ألف عام، ولعل ذلك يرجع إلى أنها ترتبط ارتباط مباشر بموضوع السلطة وصلاحيات السلطان، وهم حسب الفرض الراعي الأول للحقوق. فالحاكم قد لا يعسر عليه أن يكون كريما في عطائه، ومنصفا في توزيع المال، وأريحا في تقبله لأشخاص يحملون عقيدة مخالفة، ولكن حينما يصل الأمر إلى صلاحياته في ممارسة سلطته وتقبله للمعارضة أمر ليس باليسير باسط عبارة يمكن أن تقال.

بداية نقول أن الإمام كان يرى أنه أحق بالخلافة بعد النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، لأنه ربيب النبي وأخوه وصهره، وصاحب السابقة في الإسلام والبلاء الحسن في المشاهد كلها. وقد صرح النبي في حقه الكثير من الأقوال، ومنها قوله (صلى الله عليه واله وسلم): أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وأيضا قوله: من كنت مولاه فهذا علي مولاه. ومن أجل ذلك طلب العباس عمه حين قبض النبي البيعة منه، هو وأبو سفيان الذي أراد بيعته علي عصبية لبني عند مناف. ولكن الإمام أبي البيعة مخافة الفتنة. ولما بويح الحكام الثلاثة قبله، طابت نفسه بما كان يراه حقا له، فبايعهم مكرها، وصبر مخافة الفتنة وحفظا للدين وحقنا لدماء المسلمين^(*)، وكان ناصحا لهم^(**). وحين قتل عثمان كان طبيعيا إذا أن يفكر في نفسه وما غلب عليه من حقه، ولكنه مع ذلك لم يطلب الخلافة ولم ينصب نفسه للبيعة، إلا حين استكره على ذلك، حين فرغ

إليه المهاجرون والأنصار يلحون عليه في تولى أمور الأمة، وإخراجهم من تلك الفتنة المظلمة التي عمت بعد مقتل عثمان، وهدد بالقتل من قبل بعض الثوار في حال عدم إجابته لهم^(٨٩). وهو يقول في وصف تلك الحال: (فأقبلتم إلي إقبال العوذ المطافيل [الأنثى صاحب الأولاد] على أولادها، تقولون: البيعة البيعة! قبضت كفي فبسطتموها ونازعتكم يدي فجاذبتموها)^(٩٠). ويكشف الإمام سر طلبه للحكم، وقبوله للخلافة بقوله: (اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الخطام، ولكن لئرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك)^(٩١).

ثم أنه عليه السلام لما بويع لم يكره أحدا عليها، وإنما قبل البيعة ممن بايعه وترك من لم يرد أن يبايعه، فترك عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة الأنصاري^(٩٢). ولما أراد بعض الثوار أن يرغموا أولئك النفر المتخلفين عن البيعة، ويحملوهم قسرا عليها، أبى الإمام ذلك أشد الإباء، لان قاعدته العامة في شأن البيعة تستند إلى حرية الأفراد، فمن بايع قبلت منه، ومن أبى فهو حر في رأيه. كما أن عبد بن عمر لما أبى البيعة للإمام أراد نفر أن يقدم كفيلا لئلا يثير الفتنة، فأبى أيضا من تقديم الكفيل، فقال لهم الإمام خلوا سبيله، وأنا كفيله^(٩٣).

وإن كانت فلسفة الإمام تستلزم الحرية السياسية والمسؤولية الشرعية، في وقت السلم وفي قضية البيعة، التي هي عقد وحرية الاختيار فيه ركن أساس، فما هو موقفه من حرية الرأي في وقت الحرب؟ إذ إن الدول الديمقراطية الحديثة تعلن فيها حالة الطوارئ، التي تضيق فيها كثير من حالات الحرية المعتادة. أما عند الإمام فالأمر مختلف. فقد جاء حبيب بن مسلم الفهري إلى الإمام حين اشتدت الفتن وسعرت نار الحرب، وطلب منه أن يعتزل الخلافة ويكون الأمر شورى بين المسلمين، فأشار عليه الإمام بأن هذا ليس محلك

ولا أنت له أهل، فقام حبيب وقال: والله لتريني بحيث تكره. وليس بخاف ما في هذا القول من التهديد الصريح، لأعلى قمة في هرم الدولة وفي زمن الحرب. فماذا يكون الرد على مثل هذا التهديد؟ هل أمر بسجنه والحيلولة دون تحقيق مبتغاه في صريح تهديده؟ ألم يكن الإمام قادر على منعه؟ ماذا كان جواب الإمام؟ إنه لم يفعل شيء من هذا القبيل، وإنما نظر إليه وقال بلهجة الواثق من عدالته المعترف بحق الناس في القول والفعل: اذهب فصوب وصعد ما بدا لك^(٩٤).

وتتخذ الدول بصورة عامة موقفاً موحداً فيما إذا داهمها خطر، إذ تستحث الجميع وتسوقهم بكل السبل لدرء ذلك الخطر، أما الإمام فقد كان طريق التبعة لديه من خلال القناعة وحدها، فعندما خرج إلى حرب الجمل، بعث كتاباً للناس يستحثهم، أورد فيه: (وأنا أذكر الله من بلغه كتابي هذا لما نفر إليّ، فإن كنت محسناً أعاني وإن كنت مسيئاً استعبني)^(٩٥). حيث لم يكن الإمام ليلجأ في ذلك إلى أي نوع من القهر المادي أو المعنوي، فالقهر بمختلف ألوانه مناف لأصول رؤية الإمام إلى الحرية وشروطها. لقد كان يتوجه إلى عقول الناس بمنطق العقل وبما يملكه من حجة وبرهان، ويتوجه إلى قلوبهم وضمايرهم بمنطق القلب والضمير، فيلحق به من يلحق ويتخلف من يتخلف. فالإمام لا يقبل الإكراه ولا يجيزه، وهو يأبى أن يلحق به أحد من الناس من غير بصيرة وإيمان، لذلك لم يجبر أحداً من الناس على اللحاق به في حرب الجمل وحرب صفين وحرب الخوارج^(٩٦). وتذكر المصادر التاريخية أن الإمام لم يتخذ موقفاً ضد جماعة رفضت محاربة الخوارج، منهم عبدة السلماني والربيع بن خثيم ومعهما نحو أربعائة رجل، قالوا للإمام إنا شككنا في قتال هؤلاء، مع علمنا بفضلك وسابقتك. فلم يفرض عليهم الخروج لحرب الخوارج^(٩٧).

وكان الحكام يعتبرون الدولة بسكانها وأرضها ملكاً خاصاً لهم، يتصرفون به كما

يشاءون دون حسب أو رقيب، وكانت أموال الدولة وأموالهم شيئاً واحداً ينفقون منها كما يرون، وكانت مراكز الدولة والمسؤوليات العامة ملكاً لهم، يعينون فيها ويعزلون على هواهم. أما الإمام فقد أقام نظاماً إدارياً محكماً، حدد فيه الوظائف العامة وطرق تعيين المسؤولين، وبين واجباتهم وحقوقهم، وأقام عليهم تفتيشاً دقيقاً، ووضع أسس الثواب والعقاب^(٩٨).

وفي نص عهده سلام الله عليه إلى مالك الأشتر تفصيل دقيق لتلك الأسس والقواعد والشروط الإدارية، لا مجال لذكرها هنا، لأنها تدخل في بحث النظام السياسي والإداري عند الإمام. أما الوصايا التي ترتبط بموضوعنا حقوق الإنسان، فكانت تدور حول توجيه الإمام بضرورة تمسك الحاكم بقواعد القانون والشرع في تعامله مع الناس، (ولا تقولن إني مؤتمر [مسلط] أمر فأطاع)^(٩٩)، الأمر الذي يفرض عليه الخروج عن إطار الفعل الفردي المحكوم بالنظرة الشخصية والالتزام بقواعد الشرع، لأن ذلك كفيل بتحقيق العدالة الاجتماعية، ويستلزم رضا الرعية. ويمكن القول أن الأسس الدستورية في فلسفة الحكم عند الإمام علي تقوم على ثلاثة أمور هي: الحق، العدل، رضا القاعدة الشعبية، (وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل وأجمعها لرضى الرعية)^(١٠٠). الذين هم الدعائم الأساسية للدولة. حيث يقول: (وإنما عماد الدين وجماع [جماعة] المسلمين والعدة للأعداء، العامة من الأمة، فليكن صفوك [الميل] لهم، وميلك معهم)^(١٠١). كما إن (سخط العامة يححف برضى الخاصة [يذهب برضاهم]، وأن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة)^(١٠٢). وبالتالي فإن معيار صلاح الحكام في دستور الإمام، يستشف من رضى العامة، إذ يقول: (إنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده)^(١٠٣). ورفضه التام لأساليب العنف والبطش من قبل الحكام في توطيد دعائم حكمهم، (فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه، بل يزيله وينقله)^(١٠٤).

وفي هذا المجال أيضا يطالب الإمام من الحاكم أن يفرغ جزء من وقته لاستماع قضايا الناس وشكايهم، ويصف آداب التعامل معهم، إذ يقول: واجعل لذوي الحاجات [المتظلمين تتفرغ لهم فيه بشخصك للنظر في مظالمهم] منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلسا عاما، فتتواضع فيه لله الذي خلقك، وتقعده عنهم جندك [لا يتعرض لهم جندك] وأعاونك من حراسك وشرطك، حتى يكلمك متكلمهم غير متمتع [غير متردد أو خائف عن التعبير بما عنده]،.... ثم احتمال الخرق [العنف ضد الرفق] منهم والعي [العجز عن النطق]، ونح عنك الضيق^(١٠٥).

ومن أجل تطبيق هذه القواعد الدستورية، ولأهمية وخطورة مواقع المسؤولية (العامل) في النظام الإداري الإسلامي، يضع الإمام شروطا مشددة في عملية اختيارهم، فيقول: (ثم أنظر في أمور عمالك فأستعملهم اختبارا [بالامتحان]، ولا تولهم محابة [من الميل الشخصي] وإثرة [استبدادا بلا مشورة]،... وتوخ [اطلب وتحر] منهم أهل التجربة والحياء، من أهل البيوتات الصالحة، والقدم [السابقون] في الإسلام)^(١٠٦). فضلا عن ذلك يجب وضعهم تحت المراقبة، (وابعث العيون [الرقباء] من أهل الصدق والوفاء عليهم)^(١٠٧).

وقد طبق الإمام تلك الشروط بدقة وصرامة، ولم يرض أن يتنازل عنها، مهما كانت الأسباب وجاءت النتائج، إذ كانت لتلك الأسس والشروط قيمة عليا في نظر الإمام، لا تقوم مقامها ضرورات الظروف ولا تعادها مقتضيات المصلحة السياسية. فعندما بويع الإمام للخلافة أقبلنا طلحة والزبير عليه وبايعاه راضيين طائعين، ولكنها بدا لهما بعد ذلك من الإمام ما لم يكونا ينتظران، فقد كانا يقدران أن الإمام محتاج إليهما أشد الاحتياج، إذ كانت لطلحة مكانة عند أهل الكوفة، وللزبير مثلها عند البصريين، فكانا يطمحان في أن الإمام سيعرف لهما مكانتهما وسلطتهما على أهل الكوفة وأهل البصرة،

وسيشركهما في أمره ويقاسمهما الخلافة، التي ستكون ثلاثية هؤلاء نفر من أصحاب الشورى. وبالتالي يكون أمر الشام هينا عليه. ولما لم يريا ما كان يتوقعانه من الإمام، وأن أمرهما سيكون كأمر غيرهما من أعلام المهاجرين، وسياخذان عطاءهما بالتساوي كل عام، ولم يلقيا منه ما كان يمنحهما عثمان من الرفق واللين والتسامح، فدبرا أمرهما في رؤية وأناة^(١٠٨).

وتبدو الصورة أكثر وضوحا لما جاءه عليه السلام المغيرة بن شعبة وبايعه على الخلافة، قال له (إن لك حق الطاعة والنصيحة، وأن الرأي اليوم تحرز به ما في غد، وأن الضياع اليوم تضيع به ما في غد. أقرر معاوية على عمله، وأقرر العمال على أعمالهم، حتى إذا أتت طاعتهم وبيعة الجنود استبدلت أو تركت. فأبي وقال: لا أداهن في ديني ولا أعطي الدنية في أمري. قال المغيرة: فأنت أبيت علي فانزع من شئت واترك معاوية، فأنت في معاوية جراءة، وهو في أهل الشام يستمع له، ولك حجة في إثباته، إذ كان عمر قد ولاه الشام. فقال علي: لا والله.. لا أستعمل معاوية يومين)^(١٠٩).

وكان نتيجة الرفض الشديد لمقتضيات المصالح السياسية ومتطلبات الظروف، وتمسكه الصارم بقيمه ومبادئه، التي لم يتنازل عنها ولو أنيا؛ شاع الرأي القائل أن الإمام رجل شجاع، ولكن لا علم له بخدع الحرب والسياسة بين أصحابه ومناوئيه، معززين قولهم هذا بمخافته نصائح الدهاة من أنصاره، وما آلت إليه أحوال الأمة وعدم استقامة الأمر له^(١١٠).

وكان جواب الإمام على ذلك: (والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس، ولكن كل غدره فجرة، وكل فجرة كفر، لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة)^(١١١).

الحقوق القضائية

عند مراجعة سيرة الإمام نجد أن أكثر ما تكلم به هو حث الناس على طاعة الله تعالى والعمل بأوامره والانتهاز عما نهى عنه في سننه وشرائعه، وقد جرت عادة الإمام أن يبدأ بالحديث في ذلك والتأكيد عليه في كل فرصة سانحة. تلك الشرائع (التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها)^(١١٢)، ولعل أهم جزء منها ما يتعلق بالقضاء بين الناس، وضرورة تطبيقها في الفصل في الخصومات وتحقيق العدالة، (فأنك إلا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده)^(١١٣)؛ وذلك لكي يكون (الإنسان على بينة من قانونية أو عدم قانونية تصرفه، ومن العقوبات التي قد يستحقها إذا ما اقترف جرماً ما، وليحضر على الحاكم أن يصدر قوانين تعاقب على أفعال لم تكن تعبر جرائم عند إتيانها، أو تضع عقوبات معينة على جرائم لم تكن توضع على مرتكبيها من قبل)^(١١٤).

ولأهمية المؤسسة القضائية في الدولة الإسلامية، فقد سلط الإمام الضوء عليها في عهده إلى عامله على مصر، وجاء تأكيده على أهم مفاصلها وهو القاضي وكيفية اختياره، وما هي المواصفات التي يجب أن يتمتع بها، إذ ذكر: (أختر للحكم بين الناس أفضل رعيته في نفسك، ممن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم [لج في الخصومة وأصر على رأيه]، ولا يتماهى [يستمر ويسترسل] في الزلة [السقطة في الخطأ]، ولا يحصر [لا يعيا في المنطق] من الفيء [الرجوع إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه] اقربه وأبعده، أوقفهم في الشبهات وأخذهم بالحجج، وأقلهم تبرماً [الملل والضجر] بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصرمهم [أقطعهم للخصومة وأمضاهم] عند اتضاح الحكم)^(١١٥).

ولم يترك الإمام جانب آخر مهم في حديثه عن القاضي، وهو ما يرتبط بشخصه وحياته الخاصة، حيث يقول: (وأفسح له في البذل ما يزيل علتة [أوسع له في العطاء بما يكفيه]، وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك، ليأمل بذلك اغتيال الرجال له عندك)^(١١٦). وبعد ذلك يؤكد الإمام على أن يكون تحت المراقبة الشديدة، فيقول: (أكثر تعاهد [تبعه بالاستكشاف والتعرف] قضائه)^(١١٧)؛ وبذلك يأمل الإمام تحصيل الإنسان لحق التقاضي، بالصورة التي تحقق له العدالة في الحكم والتكافؤ والمساواة بين الناس.

وعلى صعيد السيرة العملية للإمام، فقد ورد أنه عليه السلام حينما كان خليفة للمسلمين وجد درعه عند أحد النصارى، فأخذه إلى القاضي ليخاصه عليها، فسأله القاضي: هل لك من بينة يا أمير المؤمنين؟ ولم يجد الإمام بينة على ما ادعاه، ف قضى بالدرع للنصراني، فأخذها ومشى والإمام ينظر إليه، إلا أن النصراني لم يخط خطوات حتى عاد ليقر للإمام بأحقيته بالدرع، وأن هذه هي أحكام الأنبياء، ثم أسلم على يديه^(١١٨).

أما على صعيد القضاء في موضوع الدماء فقد كان موقف الإمام حاسماً، وعلى وفق تفاصيل فقهية قانونية متعددة. إذ أشار على عمر بن الخطاب بقتل أكثر من شخص ثبتت جنايتهم بقتل رجل واحد، بعد تردد بعضهم في الحكم بالقضية. وروي عن الإمام أخذ القصاص من ثلاثة أشخاص اشتركوا في قتل واحد. واقتص من حراقتل عبدا متعمدا، ومن رجل اعتدى على امرأة فقتلها. بل يروى عن الإمام أن من رأيه الاقتصاص من المسلم الذي يقتل يهوديا أو نصرانيا^(١١٩). هذه الآراء للإمام تكشف عن مضامين إنسانية عالية، من حيث أنها تنطوي على رؤية تساوي بين البشر، إذ لا فرق بين الرجل والمرأة، وبين الحر والعبد، وبين المسلم والمعاهد من النصارى واليهود.

ولم يقتصر النظام القضائي الإسلامي على أخذ القصاص في القتل العمد أو الخطأ، إذ سن للولي الدم التخيير بين القصاص أو أخذ الدية على تفصيل. وقد طور الإمام هذه التشريعات وكشف عن الكثير من تفصيلاتها. ومنها أن المسلم والمعاهد والمستأمن في الدية سواء. ويعد هذا المبدأ مبدءاً إنسانياً في غاية السمو، لأنه ينظر إلى الإنسان كإنسان من دون النظر إلى معتقده أو مكانته في المجتمع^(١٢٠).

ولم تتغير مواقف الإمام حتى وهو على فراش الموت بعد أن ضربه قاتله غدراً، حيث أوصى أن تطبق بحقه الإجراءات القانونية، فيوصي أهله بالقول: يا بني عبد المطلب لا ألفيكم تحوضون دماء المسلمين خوفاً، تقولون: قتل أمير المؤمنين. ألا لا تقتلن بي إلا قاتلي. انظروا إذا أنا مت من ضربته هذه، فاضربوه ضربة بضربة، ولا يمثل بالرجل، فأني سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله) يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور^(١٢١).

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة نأتي على توكيد بعض الأمور التي انطوت عليها، تتضمنها النقاط الآتية:

١. شهدت الحضارات الشرقية المختلفة التي ظهرت في مراحل تاريخية مبكرة من عمر الإنسانية، تبلور طروحات تكشف من دون شك عن مؤشرات تقدير للحقوق الإنسانية، وان اختلفت في مستوياتها وفي مرجعيتها الفكرية. ولكن إلى جانب ذلك شهد الشرق القديم تسلط دكتاتوريات وفراعنة امتهنت حقوق الإنسان وكرامته؛ مما يدل على أن المعيار الحقيقي الذي يحكم على التجارب وقيمتها سلبا أو إيجابا، لا يتعلق بقيمة الفكرة أو تماسكها المنطقي، بقدر ما تكون قيمة حاکمة على سلوك البشر، ولذا فان كل ما سبق قوله من مفاهيم سامية تتعلق بالحق الإنساني، فإنها كانت حقائق أخلاقية ومثل سامية تطمح إليها النفوس السليمة، ولم ترق إلى أن تكون ممارسات فعلية إلا في أوقات قليلة أو ربما نادرة بالقياس إلى عموم التاريخ الإنساني.

٢. وتضمنت التوراة اليهودية مؤشرات مهمة في مجال حفظ حقوق الإنسان وصيانة كرامته، غير أن التشريع التوراتي قد جرى تطويره على يد الربانيين اليهود، ويمكن أن نلمس ذلك في كتاب التلمود وهو الكتاب المعتمد أكثر من التوراة لدى أتباع الديانة اليهودية، وفيه جرى التفريق بين اليهودي وغيره من البشر، فاليهودي (روحا وجسدا) يختلف كلياً عن الآخرين؛ واستنتجوا من ذلك أن اليهودي فقط يستحق الحياة، فيما الآخرين لا يستحقونها، وفي ضوء ذلك فسر قوله لا تقتل أنه تعالى نهى عن قتل شخص من بني إسرائيل حصراً، شعب الله المختار، وأصبح من العدل قتل اليهودي للأجنبي لأنه قد يكون من نسل الشعب الذي سكن أرضهم المقدسة،

- وأوضحت أحكامهم التشريعية تأمرهم بحروب إبادة ضد الشعوب الأخرى.
٣. وقدست المسيحية الإنسان ووضعت في مكانة مميزة لم تضعه فيها أي من الديانات السماوية الأخرى. فإن الإنسان في العقيدة المسيحية، هو صورة لله رب الكون، وهذا ما يجعله مميزا عن باقي المخلوقات، ولما كان الأمر كذلك، فإن الإنسان ينفرد بالتمتع بالكرامة الإنسانية التي تتأصل فيه ولصيقة بشخصه لمجرد كونه إنسانا. وبهذه الصورة حلت محورية الإنسان محل محورية الله التي هي مبدأ الأديان السماوية، وأدت إلى ظهور آية لاهوتية توجب تضحية الرب - الذي تحول إلى إنسان في هيئة السيد المسيح - من أجل سلامة الإنسان.
٤. ثم أن المسيحيين لما هيمنوا على الدولة الرومانية بعد أن كانوا مستضعفين فيها، تنكروا لما دعوا إليه في بداية ظهور المسيحية من الحرية والإخاء، واعتبروا حق الغير في الاعتقاد باطلا يجب مقاومته واضطهدوا كل من يخالفهم الرأي، واتخذوا موقفا حاسما في حقهم بمقاومة الطغيان. وكان مما يميز العصور الوسطى التي ظهرت فيه الكنيسة وهي تقود المجتمعات الغربية، هو الانقسام الحاد إلى ثلاث طبقات والبون الشاسع بين الناس، وظهر محاكم التفتيش التي عملت على نشر المذهب الكاثوليكي واضطهاد المذاهب فضلا عن الأديان المخالفة. كما شهد التاريخ الحروب الصليبية وممارساتها الشنيعة بالضد من حقوق الإنسان.
٥. وشهد العالم الغربي في العصر الحديث ثورات كبرى، نتجت عنها تحديد سلطة الحكام ووضعها تحت الرقابة الصارمة لصيانة حقوق الإنسان وحفظ كرامته، وأقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة مبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الذي يمثل معيارا مشتركا تقيس على أساسه الأمم منجزاتها على هذا الصعيد، واتجهت المنظمة إلى مهمة تحويل المبادئ التي جاء بها الإعلان إلى معاهدات تفرض التزامات على الدول.

٦. غير أن مفهوم حقوق الإنسان في العالم الغربي لا يمكن تعميمه، إذ لا يمكن اعتبارها مفاهيم علمية صارمة، تخضع في التقويم لمعايير واحدة، في كل المجتمعات على اختلاف أسسها النظرية ومرجعيتها الفكرية؛ ذلك لأنه في الحقيقة مرتبط بتصور خاص بالإنسان وحياته الاجتماعية. أما في مجال الممارسة العملية فقد اتخذ موضوع الدفاع عن حقوق الإنسان كسلاح ضد الدول، من أجل تمرير الدول الكبرى لمصالحها السياسية، وأصبحت أحد أسلحة السياسة الخارجية من خلال استخدامه معياراً في تقديم المساعدات للدولة النامية.

٧. أما في الإسلام فالإنسانية كلها ترجع إلى أصل واحد، وإن هذا التنوع والاختلاف بين الناس مدعاة للتواصل والترابط، وأن لا مزية لبعضكم على بعض إلا بالتقوى. ولا يجوز التعدي على حياة الناس وأموالهم، كما أن الجزاء مقرر لمن ينتهك هذا الحق. غير أنه سرعان ما تبدلت، حيث أن معاوية والأمويين لما هيمنوا على مقدرات الأمة الإسلامية، ابدلوا مقوماتها التي قامت عليها كالتراحم والأخوة الإيمانية وإنكار الذات، لتظهر محلها روابط النسب وتعلو نعمة العصبية العربية، والتعالي على باقي الأجناس وجعلوهم بمنزلة الأرقاء، هذا فضلاً عن سفك الدماء وانتهاك المقدسات والحرمان.

ولكن تياراً إسلامياً آخر ظل متمسكاً بمبادئ الإسلام قاده الإمام علي، الذي تكشف سيرته بكل تفاصيلها، سواء أكان في مستوى المواطن (الذي يوصف بالتعبير الحديث بأنه معارض للحكم)، أم كان خليفة للمسلمين وقائداً للدولة الإسلامية، تكشف سيرته عن التزام صارم بالقيم الرفيعة، التي تتضمن احتراماً لكرامة الإنسان وحفظاً لحياته، وإيماناً عميقاً بحريته في التعبير عن رأيه وعقيدته، وتعبر عن تضامنها المطلق مع المحرومين والمعوذين. تتربط فيها الأقوال والأفعال، وتتجانس فيها العقائد والمواقف، بصورة من صور الكمال المتفرد، والترابط المعصوم الذي يعز فصله ويستحيل نقضه. فهو عليه

السلام ليس كآخرين، الذين إذا قالوا نقضوا وإذا عاهدوا نكلوا. بل تبدو سيرته بقوله وفعله وتقريره مزيجا واحدا، تتجلى فيها القيم الإنسانية بأبهى صورها.

ولما كانت شخصية الإمام تحوطها هالة من الاحترام والتقديس لعامة المسلمين، كونه خليفة لهم، وإماما معصوما لدى بعضهم، كان لتلك السيرة قوة تشريعية. فإلى أي مدى استلهم فقهاء المسلمين من تلك السيرة حقوقا تصون حياة الإنسان وكرامته وحرية؟ هذا التساؤل يمكن أن يجاب عليه في بحث مستقل آخر إن شاء الله تعالى.

الهوامش

١. عثمان، د. محمد فتحي، حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والفكر القانوني الغربي، ص ١٥.
٢. الداماد، مصطفى محقق، الحقوق الإنسانية بين الإسلام والمجتمع المدني، ص ٨٣.
٣. حسونة، نسرین محمد عبده، حقوق الإنسان.. المفهوم والخصائص والتصنيفات والمصادر.
٤. السعد، غسان، حقوق الإنسان عند الإمام علي بن أبي طالب (دراسة علمية)، ص ٣٦.
٥. الباش، حسن مصطفى، حقوق الإنسان بين الفلسفة والأديان، ص ٢١-٢٢.
٦. عبد الحي، د. عمر، الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة، ص ١٩٠.
٧. الباش، حسن مصطفى، حقوق الإنسان بين الفلسفة والأديان، ص ٢٣.
٨. المصدر السابق، ص ٢٦-٢٧.
٩. سعفان، د. كامل، معتقدات أسيوية (موسوعة الأديان)، ص ١٨٨.
١٠. المصدر السابق، ص ٧٥.
١١. الباش، حسن مصطفى، حقوق الإنسان بين الفلسفة والأديان، ص ٢٨-٢٩.
١٢. المصدر السابق، ص ٣٢-٣٣.
١٣. مجموعة مؤلفين، شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم، ص ١٠-١١.
١٤. الداماد، مصطفى محقق، الحقوق الإنسانية بين الإسلام والمجتمع المدني، ص ٨٥-٨٦.
١٥. مجموعة مؤلفين، شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم، ص ١٤-١٥.
١٦. المصدر السابق، ص ٤٣-٤٥.
١٧. المصدر السابق، ص ٣١.

١٨. الموحى، عبد الرزاق رحيم صلال، حقوق الإنسان في الأديان السماوية، ص ٥١.
١٩. الباش، حسن مصطفى، حقوق الإنسان بين الفلسفة والأديان، ص ٤٢.
٢٠. الموحى، عبد الرزاق رحيم صلال، حقوق الإنسان في الأديان السماوية، ص ٦٩.
٢١. طالبي، سرور، حقوق الإنسان في ضوء المسيحية.
٢٢. الموحى، عبد الرزاق رحيم صلال، حقوق الإنسان في الأديان السماوية، ص ١٠٩-١١٠.
٢٣. طالبي، سرور، حقوق الإنسان في ضوء المسيحية.
٢٤. الداماد، مصطفى محقق، الحقوق الإنسانية بين الإسلام والمجتمع المدني، ص ٩٧.
٢٥. الموحى، عبد الرزاق رحيم صلال، حقوق الإنسان في الأديان السماوية، ص ١١٠.
٢٦. المصدر السابق، ص ١٢٢.
٢٧. التركي، د. عبد الله بن عبد المحسن، حقوق الإنسان في الإسلام، ص ٢٥، ١٨.
٢٨. عثمان، د. محمد فتحي، حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والفكر القانوني الغربي، ص ٢٢-٢٣.
٢٩. نوار، د. صلاح الدين محمد، نظرية الخلافة أو الإمامة وتطورها السياسي والديني، ص ٨٩-٩٠.
٣٠. صبحي، د. احمد محمود، الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، ص ١٥٦.
٣١. عثمان، د. محمد فتحي، حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والفكر القانوني الغربي، ص ١١-١٢.
٣٢. الباش، حسن مصطفى، حقوق الإنسان بين الفلسفة والأديان، ص ١٠٥.
٣٣. المصدر السابق، ص ١٠٧-١٠٨.
٣٤. حسونة، نسرین محمد عبده، حقوق الإنسان.. المفهوم والخصائص والتصنيفات والمصادر.

٣٥. السعد، غسان، حقوق الإنسان عند الإمام علي بن أبي طالب (دراسة علمية)، ص ٤٦.
٣٦. دفاتر فلسفية (نصوص مختارة)، حقوق الإنسان (٧)، إعداد وترجمة محمد سيلا وعبد السلام بنعبد العالي، ص ٥١، ٥٣.
٣٧. المصدر السابق، ص ٥٤.
٣٨. التركي، د. عبد الله بن عبد المحسن، حقوق الإنسان في الإسلام، ص ٩-١٠.
٣٩. المصدر السابق، ص ٢٠.
٤٠. نوار، د. صلاح الدين محمد، نظرية الخلافة أو الإمامة وتطورها السياسي والديني، ص ٨٧-٨٨.
٤١. عهد الإمام علي بن أبي طالب إلى واليه على مصر مالك الأشر، إعداد المستشار فليح سوادي، ص ٢٤.
٤٢. جرداق، جورج، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، ص ١٤٤.
٤٣. المصدر السابق، ص ١٥٧.
٤٤. عهد الإمام علي بن أبي طالب إلى واليه على مصر مالك الأشر، إعداد المستشار فليح سوادي، ص ٢٥.
٤٥. المصدر السابق، ص ٢٣.
٤٦. المصدر نفسه.
٤٧. المصدر نفسه.
٤٨. القزويني، محمد كاظم، الإمام علي من المهد إلى اللحد، ص ١٥٥.
٤٩. نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين، ص ٥٦٦.
٥٠. المصدر السابق، ص ٦٩.
٥١. عهد الإمام علي بن أبي طالب إلى واليه على مصر مالك الأشر، إعداد المستشار فليح سوادي، ص ٢٥.

٥٢. المصدر نفسه.
٥٣. المصدر السابق، ص ٢٦.
٥٤. الواحدي، أبي الحسن علي بن أحمد، أسباب نزول القرآن، ص ٤٧٠.
٥٥. العاملي، الحر، وسائل الشيعة إلى تحصيل الشريعة، ج ١١، ص ٤٩.
٥٦. القزويني، محمد كاظم، الإمام علي من المهد إلى اللحد، ص ١٤٢.
٥٧. نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين، ص ٥٤٥-٥٤٦.
٥٨. المصدر السابق، ص ٥٤٧-٥٤٨.
٥٩. المصدر السابق، ص ٥٥٢.
٦٠. المصدر السابق، ص ٥٥٢-٥٥٤.
٦١. عهد الإمام علي بن أبي طالب إلى واليه على مصر مالك الأشر، إعداد المستشار فليح سواد، ص ٢٥.
٦٢. حسين، طه، الفتنة الكبرى .. علي وبنوه (٢)، ص ٢٥.
٦٣. الدينوري، أبي حنيفة بن داود، الأخبار الطوال، ص ١٤٤.
٦٤. نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين، ص ٦١٨.
٦٥. عهد الإمام علي بن أبي طالب إلى واليه على مصر مالك الأشر، إعداد المستشار فليح سواد، ص ١٥-١٦.
٦٦. نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين، ص ١٠٣.
٦٧. القزويني، محمد كاظم، الإمام علي من المهد إلى اللحد، ص ٢٩٠-٢٩١.
٦٨. جرداق، جورج، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، ص ١٥٢.
٦٩. عهد الإمام علي بن أبي طالب إلى واليه على مصر مالك الأشر، إعداد المستشار فليح سواد، ص ٢٩.
٧٠. العقاد، عباس محمود، عبقرية الإمام علي، ص ١٩.
٧١. المصدر السابق، ص ١٤٤.

٧٢. المدرسي، هادي، أخلاقيات أمير المؤمنين، ص ٤٥.
٧٣. العقاد، عباس محمود، عبقرية الإمام علي، ص ١٩.
٧٤. عهد الإمام علي بن أبي طالب إلى واليه على مصر مالك الأشر، إعداد المستشار فليح سوادي، ص ٢١.
٧٥. القزويني، محمد كاظم، الإمام علي من المهد إلى اللحد، ص ٢٤٧.
٧٦. نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين، ص ٥٠.
٧٧. الحراني، بن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، ص ١١٤.
٧٨. جرداق، جورج، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، ص ١٣٧.
٧٩. عهد الإمام علي بن أبي طالب إلى واليه على مصر مالك الأشر، إعداد المستشار فليح سوادي، ص ١٥.
٨٠. نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين، ص ٥٤٣.
٨١. عهد الإمام علي بن أبي طالب إلى واليه على مصر مالك الأشر، إعداد المستشار فليح سوادي، ص ١٧.
٨٢. المصدر السابق، ص ١٦.
٨٣. القزويني، محمد كاظم، الإمام علي من المهد إلى اللحد، ص ١٥٧.
٨٤. عهد الإمام علي بن أبي طالب إلى واليه على مصر مالك الأشر، إعداد المستشار فليح سوادي، ص ٣٠.
٨٥. المصدر السابق، ص ١٦.
٨٦. المصدر السابق، ص ٢٨.
٨٧. المصدر السابق، ص ١٨.
٨٨. المصدر السابق، ص ٢٨.
٨٩. حسين، طه، الفتنة الكبرى.. علي وبنوه (٢)، ص ١٧-١٨.
- (*) حيث يقول عليه السلام: (فما راعني إلا انثيال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكت

يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، فخشيت إن لم أنصر الإسلام أهله أن أرى فيه ثلما أو هدمًا، تكون مصيبتة به علي أعظم من فوت ولايتكم). نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين، ص ٦٠٤.

(***) مع أن الإمام كان يعتقد بأحقية في الخلافة، وقد اغتصبت منه، ولكنه كان ناصحًا (وهو بحسب الاصطلاح الحديث معارضا) لمن تصدى منهم للخلافة، وكان عمر كثير ما يستشير في القضايا الكبرى فيشير عليه وينصحه بما يلزم ذلك، ومنها استشارته في أمر خروجه بنفسه لغزو الروم، فأشار عليه الإمام بعدم الخروج بنفسه (١). نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين، ص ٢٥٢.

٩٠. نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين، ص ٢٥٥.

٩١. المصدر السابق، ص ٢٤٨.

٩٢. الدينوري، أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ٢، ١، ص ٥٣.

٩٣. جرداق، جورج، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، ص ١٣٦.

٩٤. المصدر السابق، ص ١٥٠.

٩٥. نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين، ص ٥٩٩.

٩٦. جرداق، جورج، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، ص ١٥٣.

٩٧. الدينوري، أبي حنيفة بن داود، الأخبار الطوال، ص ١٦٥.

٩٨. طي، د. محمد، الإمام علي ومشكلة نظام الحكم، ص ١٧١.

٩٩. عهد الإمام علي بن أبي طالب إلى واليه على مصر مالك الأشر، إعداد المستشار فليح

سوادي، ص ١٦.

١٠٠. المصدر السابق، ص ١٧.

١٠١. المصدر نفسه.

١٠٢. المصدر نفسه.

١٠٣. المصدر السابق، ص ١٥.
١٠٤. المصدر السابق، ص ٢٩.
١٠٥. المصدر السابق، ص ٢٦.
١٠٦. المصدر السابق، ص ٢٢.
١٠٧. المصدر السابق، ص ٢٣.
١٠٨. حسين، طه، الفتنة الكبرى .. علي وبنوه (٢)، ص ٢٠.
١٠٩. العقاد، عباس محمود، عبقرية الإمام علي، ص ١٢٢.
١١٠. المصدر السابق، ص ١٢٠.
١١١. نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين، ص ٤٢١.
١١٢. عهد الإمام علي بن أبي طالب إلى واليه على مصر مالك الأشتر، إعداد المستشار فليح سوادى، ص ١٥.
١١٣. المصدر السابق، ص ١٦.
١١٤. طي، د. محمد، الإمام علي ومشكلة نظام الحكم، ص ١١٧.
١١٥. عهد الإمام علي بن أبي طالب إلى واليه على مصر مالك الأشتر، إعداد المستشار فليح سوادى، ص ٢٦.
١١٦. المصدر السابق، ص ٢٢.
١١٧. المصدر نفسه.
١١٨. العقاد، عباس محمود، عبقرية الإمام علي، ص ٤٦.
١١٩. السعد، غسان، حقوق الإنسان عند الإمام علي بن أبي طالب (دراسة علمية)، ص ٦١.
١٢٠. المصدر السابق، ص ٦٧.
١٢١. نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين، ص ٥٦٢-٥٦٣.

المصادر:

١. الباش، حسن مصطفى، حقوق الإنسان بين الفلسفة والأديان، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط ١، ١٤٢٦، بنغازي.
٢. التركي، د. عبد الله بن عبد المحسن، حقوق الإنسان في الإسلام، نسخة pdf، الموقع الإلكتروني:
<https://islamhouse.com/ar/books>
٣. جرداق، جورج، الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، دار الأندلس، ط ١، ٢٠١٠، بيروت، لبنان.
٤. الحراني، بن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، منشورات الفجر، ط ١، ٢٠٠٨، بيروت لبنان.
٥. حسونة، نسرین محمد عبده، حقوق الإنسان .. المفهوم والخصائص والتصنيفات والمصادر، نسخة pdf، ٢٠١٥، شبكة الالوكة، الموقع الإلكتروني: www.alukah.net
٦. حسين، طه، الفتنة الكبرى .. علي وبنوه (٢)، دار المعارف، ط ١٣، القاهرة.
٧. الداماد، مصطفى محقق، الحقوق الإنسانية بين الإسلام والمجتمع المدني، دار الهادي للطباعة والنشر، ط ١، ٢٠٠٢.
٨. دفاتر فلسفية (نصوص مختارة)، حقوق الإنسان (٧)، إعداد وترجمة محمد سييلا وعبد السلام بنعبد العالي، دار طوبقال للنشر.
٩. الدينوري، ابي حنيفة بن داود، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، ط ١، ١٩٦٠، القاهرة.
١٠. الدينوري، أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ٢، ١، مطبعة

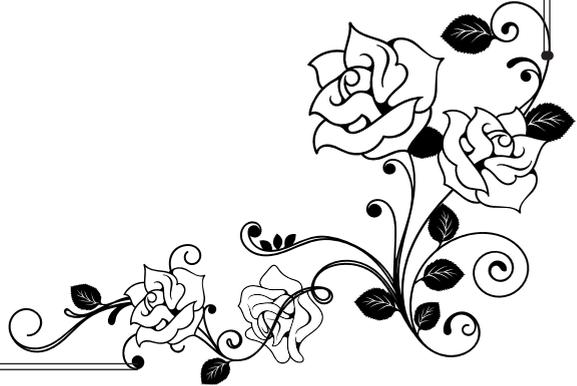
- البابي الحلبي، ط ٣، مصر، ١٩٦٣.
١١. السعد، غسان، حقوق الإنسان عند الإمام علي بن أبي طالب (دراسة علمية)، مركز الأبحاث العقائدية، نسخة doc مأمنة، الموقع الإلكتروني:
www.aqaed.com/book/595/1.htm
١٢. سعفان، د. كامل، معتقدات أسيوية (موسوعة الأديان)، دار الندى، ط ١، ١٩٩٩، القاهرة.
١٣. صبحي، د. احمد محمود، الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، دار المعارف، ط ٢، القاهرة.
١٤. طالبي، سرور، حقوق الإنسان في ضوء المسيحية، الموقع الإلكتروني: <http://jilrc.com>
١٥. طي، د. محمد، الإمام علي ومشكلة نظام الحكم، مركز الغدير، ط ١، ١٩٩٧، بيروت، لبنان.
١٦. العاملي، الحر، وسائل الشيعة إلى تحصيل الشريعة، ج ١١، باب ١٩، تحقيق محمد الرازي، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.
١٧. عبد الحي، د. عمر، الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة، المؤسسة الجامعية للدراسات، ط ١، ١٩٩٩، بيروت.
١٨. عثمان، د. محمد فتحي، حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والفكر القانوني الغربي، دار الشروق، ط ١، ١٩٨٢
١٩. العقاد، عباس محمود، عبقرية الإمام علي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٦٧.
٢٠. عهد الإمام علي بن أبي طالب الى واليه على مصر مالك الأشر، إعداد المستشار فليح سوادي، قسم الشؤون الفكرية والثقافية - العتبة العلوية المقدسة، ط ١، ٢٠١٠.

٢١. القزويني، محمد كاظم، الإمام علي من المهد الى اللحد، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ط٣، ٢٠٠٩، بيروت، لبنان.
٢٢. مجموعة مؤلفين، شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم، ترجمة أسامة سراس، دار علاء الدين، ط٢، ١٩٩٣، دمشق.
٢٣. المدرسي، هادي، أخلاقيات أمير المؤمنين، مؤسسة الاعلمي، ط١، ١٩٩١، بيروت، لبنان.
٢٤. الموحى، عبد الرزاق رحيم صلال، حقوق الإنسان في الأديان السماوية، دار المناهج، تقديم أ.د. سعدون محمود الساموك.
٢٥. نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين، تحقيق فارس الحسون، مركز الأبحاث العقائدية، ط١، ١٤١٩، النجف الأشرف، العراق.
٢٦. نوار، د. صلاح الدين محمد، نظرية الخلافة أو الإمامة وتطورها السياسي والديني، منشأة المعارف، ١٩٩٦، الإسكندرية.
٢٧. الواحدي، أبي الحسن علي بن أحمد، أسباب نزول القرآن، تحقيق ودراسة كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩١، بيروت، لبنان.

**حقوق الانسان في عهد الامام علي (عليه السلام)
الى مالك الاشر (رضي الله عنه)**

م.د. غصون مزهر حسين

مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية



المقدمة

لنا في حياة العظماء معين لا ينضب من الخبرة والعبرة والايان والامل فهم القمم التي نتطلع بشوق اليها وهفة ومناارات الطريق، وهم الذين يجددون ثقتنا بأنفسنا وبالحياء وأهدافها البعيدة والسعيدة، ومن هؤلاء العظماء أو لعله اهمهم هو الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) الذي انبتته ارض عربية وفجر ينابيع مواهبه الاسلام فكان باب مدينة العلم للرسول الاكرم (صلى الله عليه وسلم).

وبطولات الامام علي (عليه السلام) لا تقتصر على ميادين الحرب فقد كان بطلا في صفاء بصيرته، وطهارة وجدانه، وسحر بيانه، وعمق انسانيته، وحرارة ايمانه، ونصرته للمظلوم وتعبد له للحق اينما تجلى له الحق، وهذه البطولات ومهما تقادم بها العهد، لاتزال منجماً غنياً نعود اليه اليوم وكل يوم كلما احتجنا الى بناء حياة صالحة .

وهذا البحث يسلط الضوء على الاسس التي دعا اليها الامام علي (عليه السلام) في سبيل تحقيق حياة حرة كريمة بمعنى اخر حقوق الانسان الاساسية التي جاء الاسلام لترسيخها، وكان الامام علي (عليه السلام) من دعائها لحفظ كرامة الانسان وتحقيق احلامه وطموحاته في هذه الحياة، لذا يعتبر عهد الامام علي (عليه السلام) لواليه على مصر مالك بن الحارث الاشر من اطول العهود ومن اهمها، ليس لانه يكشف العقلية الفذة التي يملكها الامام في ادارة الامور بل في القانونية والشمولية والانسانية التي طبعت بنود العهد .

أن هذا العهد يعتبر اول وثيقة قانونية مفصلة تعالج واجبات الحاكم ووظائفه والعلاقات بين الشعب وبين الحاكم، وكما يفصل الحديث عن السلطات الثلاث (التشريعية - القضائية - التنفيذية) ويضع الضوابط لانجازها .

اهمية حقوق الانسان

تكتسب قضية حقوق الإنسان أهمية متزايدة في واقعنا العربي والاسلامي، بسبب أن معظم الحكومات هي في قائمة الدول المنتهكة لحقوق مواطنيها وشعوبها، أما في المجال الدولي فنحن نجد أن انتهاك حقوق الإنسان يمارس بصورة أوضح نتيجة لثنائية القيم بين الداخل والخارج، أو نتيجة للتكتلات الدولية أو المصالح السياسية أو النزعات العنصرية... فحقوق الإنسان نموذج للمفاهيم التي يحاول الغرب فرض عالميتها على الشعوب الأخرى في إطار محاولته فرض سيطرته وخدمة مصالحه القومية وهو يستغل ذلك سياسياً، كما يحدث في العلاقات الدولية وفي الدفاع عن حقوق بعض الأقليات بهدف زعزعة وضرب النظم السياسية المخالفة لقيمه وتوجهاته أو الخارجة عن الشرعية الدولية والنظام الدولي المنعوت بالجديد، من ناحية أخرى، فإن التركيز الأساسي في موضوع حقوق الإنسان بالمفهوم العربي، ينصب على العلاقات داخل المجتمع الواحد، علاقة الحاكم بالمحكوم، وعلاقة الأغلبية بالأقلية، دونما نظر إلى العلاقات بين هذا المجتمع وسواه من المجتمعات أو بين هذه الدولة وتلك.

فالمواثيق الدولية لحقوق الإنسان لم تكن بعلاقة الدولة القوية بسواها من الدول الضعيفة على الرغم من تصاعد استغلال مفهوم حقوق الإنسان في صورته الأولى، علاقة الداخل، في النظام الدولي الجديد، من أجل التدخل في شؤون الدول مما يعيد إلى الأذهان سوابق تاريخية ماثلة حيث استخدم شعار مكافحة تجارة الرقيق لاستعمار أفريقيا وهدم بنيتها التحتية ووقف تطورها الطبيعي. ويلاحظ في ظل النظام الدولي الجديد أن فكرة حقوق الإنسان قد اكتسبت قوة جديدة من خلال الهيمنة الأمريكية المغلفة بغلاف إنساني لا يمكنه الصمود أمام أي اختبار حقيقي. هذا بالإضافة إلى أن مضمون حقوق الإنسان كما هو وارد في المواثيق الغربية والدولية ليست حقوق إنسان وإنما هي حقوق

مواطن.

ذلك أن ما يرد في سياق الإعلان العالمي لحقوق الإنسان من نصوص إنما يربط ما بين حقوق معينة وبين المواطن المنتمي لمجتمع بعينه مما يمنع الإنسان الآخر (الأجنبي) من ممارسة مثل هذه الحريات ومن التمتع بمثل هذه الحقوق وهو ما يقيد شمولية هذه الحقوق بقيود واعتبارات سياسية. إن هذه التحفظات على التصور الغربي لحقوق الإنسان ضرورية من أجل إبراز خصوصية التصور الإسلامي لهذه المسألة حيث الغاية الأساسية هي تحرير الإنسان الذي هو أكرم المخلوقات، جعله الله خليفة في الأرض وزوده بالعقل وأراد من خلال الإسلام ومبادئه ونظمه، تحريره وحمايته وتكريمه.

فالإسلام بهذا المعنى، ينظر إلى الحقوق باعتبارها ضرورات فطرية بل واجبات.. فالأكل والملبس والسكن والأمن وحرية الفكر والاعتقاد والتعبد والتعلم والمشاركة في صياغة النظام العام للمجتمع والمراقبة ومحاسبة أولياء الأمور... واجبات لا يجوز إهمالها ولا يجوز لأحد أن يحول بين الإنسان وبين قيامه بهذه الواجبات والحقوق.

إن هذه الحقوق ليست هبة من مخلوق، يعطي متى شاء ويمنع متى شاء، بل الله سبحانه وتعالى هو الذي أمر بها، فهي لأجل ذلك ثابتة ودائمة فالاستناد إلى شريعة الله، كما نرى، يرفع من قيمة هذه الحقوق المستمدة منها ويجعل الالتزام بها طاعة لله سبحانه مما يكسبها قداسة تمنع المؤمنين من تجاوزها، وهذا بحد ذاته يفرض منهجاً مختلفاً في التعامل مع مسألة حقوق الإنسان، لا بد من تربية الإنسان الفرد والجماعة والسلطة على احترام هذه الحقوق بما يكفل قوة تأثيرها في الفرد والمجتمع والسلطة.

حقوق الانسان لدى الامام علي (عليه السلام)

ان للامام علي (عليه السلام) نظرياته التي سبقت العالم بمئات السنين في مجال حقوق الانسان وفي ترسيخ النظام الشوروي كهيكلية تقوم عليها المؤسسة الحاكمة. فمن خلال مواقف الإمام علي (عليه السلام) أقواله يلحظ المتتبع لتراثنا الإسلامي البون الشاسع ما بين نظرات الامام القائمة على احترام الانسان وترسيخ مبادئ العدالة والمساواة والحرية ما بينها وبين الحكم الفردي الشمولي الاستبدادي القائم على إلغاء الآخر واختزال الدولة في ذات الملك، وتغييب دور الشعوب وجعلها مجرد كانتونات هامشية موزعة على الجغرافيا السياسية على قاعدة (إن السواد الأعظم ملك لقريش)، دون أن يكون لها أي دور في صياغة القرارات السياسية أو حق المشاركة في تحديد المصير أو بناء الدولة، أو أن يكون لها دور رقابي على مؤسساتها، أو المال العام.

جميع هذه الحقوق لم تقر ولم يعترف بها إلا في عصور متأخرة من التاريخ الإنساني وبعد فترات من الظلم والقهر، عقب ثورات من الشعوب رافقها إراقة دماء لا حصر لها. فالدستور الأميركي صدر عام ١٧٨٧م، وأقدم وثيقة لحقوق الإنسان في أوروبا صدرت عام ١٢١٥م. وكانت في الأساس لحماية حقوق الأشراف واللوردات في إنكلترا في مواجهة الملك، ولم يشمل هذا العهد الذي فخر به الإنكليز حقوق عامة الشعب، أي فلاحي الإقطاع. فلم ينل المواطن العادي هذه الحقوق إلا بعد خمسة قرون على الأقل من ذلك التاريخ.

أن تراثنا الاسلامي يسبق التشريعات الحديثة بمئات السنين في تقنين مبادئ حقوق الانسان، فإذا علمنا أن أقدم وثيقة لحقوق الانسان هي في العهد الأعظم (المكناكارتا) الذي أصدره الملك الانجليزي جون (١٢١٥) والذي يعتبر أقدم وثيقة دستورية في التاريخ الانجليزي كما ذكرنا، في حين أن الوثيقة الدستورية لعلي بن أبي طالب (عليه

السلام) في عهده لمالك الأشتر تعتبر من أقدم الوثائق الحقوقية والتي تحمل في جنباتها الكثير من الحنان الانساني العميق الذي يحيط به الامام دستوره في المجتمع والتي سبقت (المكناكارتا) بقرون عدة، ترى فيها أبعاداً إنسانية كبيرة وعمقا في الرؤية ورشادا في الفكرة. فهل يوجد اعمق من هذا المعنى دلالة على الشمول الانساني والاحاطة لكل بني البشر من هذه العبارة، التي سجلها الامام في دستوره العلوي اذ قال:

(وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم والالفة اليهم، ولا تكن عليهم سبعا ضارياً
تغنم أكلهم فانهم صنفان : إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق)

كان علي بن ابي طالب (عليه السلام) شخصية خصبة، انه كان مظهرا من مظاهر التكامل الانساني، بعد ان انتخبه المسلمون خليفة للمسلمين، بدا بتطبيق برنامجه الاصلاحية في اشاعة العدل والمساواة بين ابناء الامة الاسلامية بصرف النظر عن دينهم ومذهبهم ولغتهم ولون بشرتهم واتجاهاتهم السياسية والاجتماعية. لقد امر الولاة ان يكونوا رحماء مع رعاياهم كما تجلى ذلك في رسالة الامام الى واليه على مصر مالك الاشر. أن عهد الامام علي (عليه السلام) الى مالك الاشر عامله على مصر من أنفس الوثائق التاريخية الزاخرة بمبادئ الحكم وأساليب الادارة وأصول التشريع، وأخلاق المسؤولين، وأذا كان التاريخ الانجليزي يباهي حضارة اليوم بوثيقة (المكناكارتا)، والثورة الفرنسية تزهو بين تاريخ الثورات بمبادئها في الحرية والاخاء والمساواة، فحسب الحضارة العربية الزاهرة مجدداً وسموا أنها قدمت للأجيال المتعاقبة منذ أربعة عشر قرناً هذا العهد الاميري الخالد على الدهر بأعدل المبادئ المقررة في فقه السياسة والتشريع، وفي نفس السياق يقول المفكر المسيحي جورج جرداق في تعليقه على الدستور العلوي لعلي بن أبي طالب (فليس من أساس بوثيقة حقوق الإنسان التي نشرتها هيئة الأمم المتحدة إلا وتجد له مثيلا في دستور ابن أبي طالب ثم تجد في دستوره ما يعلو ويزيد...)، مع الأخذ بعين الاعتبار

الفارق الزمني بين الوثيقتين، وأن الأولى كانت نتاج عقول كثيرة من بني البشر والثانية كانت نتاج عبقري واحد هو علي بن أبي طالب (عليه السلام).

ولعل المفارقة الأكبر هي ان وثيقة الأمم المتحدة كتبت وقليلًا ما طبقت موادها في الواقع فما زال العالم والمجتمعات البشرية تلاحظ الفارق الكبير بين موادها ونظريات ميكافيلي أو المنطق الذرائعي (البراغماتي) الذي يسوغ للدول انتهاك هذه الحقوق، في حين أن عليًا جسدها على الواقع بعدالته والقوانين التي سنّها في ذلك الوقت مع رعيته حتى بقت مقولته التي لم يقلها حاكم غيره تثير استغراب وتعجب الكثيرين من ناقدني التاريخ أو مؤرخي تاريخ الأمم والتي قال فيها: (لقد أصبحت الأمم تشكوا ظلم رعاتها وأصبحت أشكوا ظلم رعيّتي، ولقد كنت بالأمس أميراً واليوم مأموراً، وكنت ناهيا واليوم منهيًا).

وعرض الإمام في عهده لملك إلى ضرورة الرحمة بالرعية والإحسان إليها والرفق بها، والعضو عنها في موارد الزلل، وأن بها مهما استطاع لذلك سبيلا استمعوا لقوله:

قال عليه السلام: ((وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم واللفظ بهم ولا تكونن عليهم سبعا ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: أما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق، يفرط بينهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤثر على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك، مثل الذي تحب أن يعطيك الله تعالى من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك، والله تعالى فوق من ولاك، وقد استكفأك أمرهم وابتلاك بهم، ولا تنصبن نفسك لحرب الله تعالى، فإنه لا بد لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته...)).

وليس في قواميس الأديان ومذاهب السياسة مثل ما سنه قائلاً: من الرفق بالرعية على اختلاف ميولها وأديانها، فليس للوالي إلا اللطف والمبرة بها، وأن لا يشمخ عليهم

بولايته ويكون سبعا ضارياً عليهم، وعليه أن لا يحاسبهم على ما صدر منهم من علل أو زلل، ويمنحهم العفو والرضا لتنعم البلاد بالأمن وتسود فيها ويستمر الإمام عليه السلام في عهده بالرفق بالرعية قائلاً:

((ولا تندمن على عفو، ولا تبجحن بعقوبة، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة، ولا تقولن: اني مؤمراً أمرُ فأطاع فإن ذلك إدغال في القلب ومنهكة للدين، وتقرب من الغير، وإذا حدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة، فانظر إلى عظم ملك الله تعالى فوقك وقدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك فإن ذلك يطامن إليك من طماحك ويكن عنك من غربك، ويفي إليك بما عزب عنك من عقلك..)).

حكى هذا المقطع الأساليب التي يجب أن تتوفر في الولاية من عدم الندم على عفو اصدر على مواطن، وعدم التبجح بعقوبة انزلوها على أحد، وليس له الاعتزال بالسلطة والغرور بالحكم، فإن في ذلك مفسدة للدين ومفسدة للمواطنين، وعليهم أن ينظروا إلى قدرة الله، الى عليهم فإنه المالك لهم، هذه بعض محتويات هذه الكلمات.

وفي عهد الإمام عليه السلام لمالك الأمر بإنصاف الناس في سياسته وإنصافهم من خاصة أهله والتابعين له، فإن ذلك من أسمى ألوان العدل الذي تبناه الإمام في حكومته، وهذه كلماته

قال عليه السلام: ((أنصف الله تعالى، وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيته فإنك إلا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله تعالى، كان الله عز اسمه خصمه دون عباده، ومن خصمه الله تعالى أذحض، وكان لله تعالى حرباً حتى ينزع أوبتوب وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله تعالى وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم فإن الله تعالى سميع دعوة المضطهدين وهول الظالمين بالمرصاد..)). حكى هذا المقطع العدل الصارم في سياسة الإمام التي تسعد بها الأمم والشعوب وتكون آمنة من

الظلم والاعتداء.

وفي هذه العجالة نحاول ان نقرب قليلا من ملامح حكومة علي (عليه السلام) ومدى ترسيخها لمبادئ حقوق الانسان، فنبدأ بأول الحقوق، الحق في الحياة، كان علي (عليه السلام) وكما ينقل لنا التاريخ احرص الخلفاء على دماء الرعية وكان السلم والعفو هما الخيار الذي يلتجئ اليه الامام في حله لمشاكل الدولة الداخلية او الخارجية. وكانت انطلاقة وفق المعايير الاسلاميه لا وفق الهوى منطلقا من الايات التي تحرم قتل الناس من دون حق ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً... ﴾ سورة النساء اية ٩٢ ﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ المائدة ٣٢ ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ الانعام ١٥، هذه الايات كانت شاخصه امام الامام علي وهو يحكم الرعية وفي تثبيت نظامه وحكومته، لذلك ما كان ليرمي سهما في الحرب او يتبدأ بحرب الا اذا ابتدئ بها فهو القائل : (لا نقاتلهم أي- اصحاب الجمل - حتى يقاتلونا).

كما وكان حريصا في ترسيخ هذا المبدأ فباشر تفعيله عمليا من خلال ممارساته وأدائه السياسي مع معارضيه ونظريا وثقه في دستوره الذي ارسله الى عامله مالك الاشر. فقد قال له موصيا : (أيك والدماء وسفكها بغير حلها، فإنه ليس شيء ادعى لنقمة ولا أعظم لتبعة ولا اخرى بزوال النعمة، وانقطاع مدة من سفك الدماء بغير خقها، والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد، فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تقوية سلطانك بسفك دم حرام، فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه، بل يزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد لان فيه قود البدن))، والحقيقة هناك جملة من الامور يمكن تلمسها في هذا النص منها:

تأكيد حرمة الدماء وأن حق الحياة مكفول للجميع، إذ كان الحديث عن الدماء

بصورة عامة وليس دماء المسلمين دون غيرهم .

المساواة بين الحاكم والمحكوم، من حيث لاضمانات للمنصب أو شاغليه في موضوع التعدي على الدماء والحياة .

أن سفك الدماء يثير الغضب والنقمة بين الشعب مما يؤدي الى الاضطراب وهو من الاسباب المهمة للثورات لان «لكل دم ثأراً، ولكل حق طالباً»، على وفق وصف الامام

وفقاً للفكر العلوي، فإن الحياة قيمة عليا تغلب على الموت، وأن اي اعتداء لازهاق حياة انسان، وبغض النظر عن ماهية ذلك الانسان، هو اعتداء على الارادة الالهية الموجدة والمناحة الوحيدة للحياة من جهة وجريمة بحق الانسانية جمعاء، وسلب لحق اساسي من حقوق الانسان الا وهو (حق الحياة) من جهة اخرى، لذا فإن الامام نظر الى القتل بأنه جريمة كبرى فيقول (عليه السلام) أن من «الكبائر الكفلا بالله، وقتل النفس».

يمكن ذكر عدة مميزات اساسية لمبادئ حقوق الانسان لدى الامام علي (عليه السلام):

أولاً: امتزاج مفهوم حقوق الإنسان عند الإمام علي (عليه السلام) بحقوق الأمة، فلا يمكن أن تحترم حقوق الإنسان وتصان إلا في مجتمع الحق والحرية والعدل الاجتماعي. ومن هنا فإن السلطة لم تكن أبداً في نظره غاية في حد ذاتها، ولم يسع إليها في يوم من الأيام، بل كان من أزهد الناس في السلطة، ولما جاء المسلمون لمبايعته بالخلافة قبل أن يتولى المسؤولية الأولى في جهاز الدولة الإسلامية الفتية (أي الخلافة) لتكون أداة المقاومة مظاهر الحيف والانحراف ولإرجاع الحقوق إلى أصحابها، دخل عليه صفيه وتلميذه عبد الله بن عباس يوماً فوجده يخصف نعله فعجب ابن عباس من أن يخصف أمير المؤمنين نعله بنفسه، وهو يحكم مناطق شاسعة من العالم القديم،

فقال لابن عباس:

(ما قيمة هذه؟) -مشيراً إلى نعله- قال: لا قيمة لها.

فقال الإمام: (والله هي أحب إليّ من إمرتكم إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً).

فالسطة تعني عنده-إذن- إقامة الحقوق، ومقاومة الباطل وأهله.

ثانياً: قد يقول قائل: إن الإمام علي (عليه السلام) قد خاض حروباً طاحنة، وقاتل طيلة

أربعين سنة، وأصاب سيفه مئات الناس فكيف نوفق بين هذا وبين دفاعه عن حقوق

الإنسان؟ قد يشتهب الأمر عند البعض، وأقول إجابة على مثل هذا التساؤل:

١- إن الدفاع عن حقوق الإنسان اقتضى بالأمس، ويقتضي اليوم أيضاً مقاومة أهل

الظلم والبغي وكل قوى الشر المعادية للإنسان ولحقوقه.

٢- تُجمع الروايات التاريخية على أن الإمام لم يقاتل إلا دفاعاً عن العدل ليقيم الحق

ويقاوم الظلم بشتى مظاهره، وبخاصة الظلم السياسي والاجتماعي.

ثالثاً: إن نموذج الإمام علي (عليه السلام) في الدفاع عن حقوق الإنسان يتجاوز المجتمع

الإسلامي ليشمل المجتمع البشري كله، فإذا أصبح موضوع حقوق الإنسان اليوم

معروفاً (ويخطئ البعض عندما يربطه بالثورة الفرنسية) ويتجاهل تراث الحضارات

الأخرى، وفي مقدمتها الحضارة الإسلامية وهي حضارة تفخر بأنها أنجبت نموذجاً

نادراً في مقاومة جميع مظاهر الحيف، ونصرة حقوق الإنسان، هذا النموذج القدوة

هو الإمام علي (عليه السلام). سيسجل تاريخ الإنسانية المواقف الخالدة التي وقفها

الإمام علي (عليه السلام) في الدفاع عن حقوق الإنسان. رحمك الله يا أبا الحسن فقد

عشت ما يربو عن أربعين سنة حاملاً لواء العلم والسيف في مقاومة البغي والظلم،

وفي الذود عن حقوق الإنسان.

إن الدارس لمواقف الإمام علي (عليه السلام) من قضايا حقوق الإنسان يلمس

بسهولة بأن جل أقواله، والقيم التي آمن بها، وعلمها المسلمين تخدم حقوق الإنسان

وحريته، وتناهض كل سلطة تحاول أن تظلم الإنسان، وتغتصب حقوقه، وخصوصاً حقوقه السياسية والاجتماعية، وهو ما يوضح لنا صرامة المدرسة السياسية الفكرية التي أسسها في نضالها من أجل بناء مجتمع العدل السياسي والاجتماعي، ولقد نبّه المسلمين إلى خطر الانحراف الذي بدأت تبرز معالمه في خلافة عثمان، فقد خطب الإمام في المدينة إثر بيعته قائلاً:

(.. ألا وإن بليتكم قد عادت كهيتها يوم بعث الله نبيه والذي بعثه بالحق لتبليبن بليلة، ولتغربلن غربلة ولتساطن سوط القدر، حتى يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن سابقون كانوا سبقوا).

وأعود إلى الاستشهاد ببعض أقوال ومواقف الإمام في الدفاع عن حقوق الإنسان الفردية والجماعية منها فقد رأينا مفهومه النبيل السامي للسلطة، وهو مفهوم نادر في تاريخ نظم السلطة السياسية بالأمس واليوم، فنَعَله أحب إلى نفسه من الخلافة أو الإمارة، وهي قمة السلطة إلا أن يقيم حقاً، أو يدفع باطلاً، فأى نظام في الدنيا بلغ هذه النظرية السامية للسلطة؟

وقد كان (عليه السلام)، حريصاً كل الحرص على حماية حقوق كل فرد من أفراد الرعية بصرف النظر عن لونه أو جنسه أو دينه. فقد سَير يوماً ما جنداً لمقاومة قوى الشر فكتب إلى أمراء بلاده التي سيمر بها الجند كتاباً يقول فيه:

(من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من مر به الجيش من جباة الضرائب وعمال البلاد: أما بعد، فإني سيرت جنوداً هي مارة بكم إن شاء الله، وقد أوصيتهم بما يجب عليهم من كف الأذى وصرف الشذى (الشر). وأنا أبرأ إليكم، وإلى ذمتكم من معرة (أذى) الجيش إلا من جوعة المضطر الذي لا يجد عنها مذهباً إلى شبعه فنكلوا (عاقبوا) من تناول منهم شيئاً ظملاً عن ظلمهم، وكفوا أيدي سفهائكم عن مضارتهم، والتعرض لهم فيما استثنيته منهم).

الخاتمة

أن للامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) رؤية مميزة لحقوق الانسان تتسم بالشمولية والعمق والتطبيق العملي لتلك الحقوق من جهة، ويمكن الاستفادة من هذه الرؤية لمعالجة اشكالية حقوق الانسان في واقعا المعاصر من جهة اخرى، حيث يتضح بكل جلاء ان الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) يعد تجسيدا حيا للشريعة الاسلامية برافديها القرآن الكريم والسنة النبوية، مضافاً اليهما ابداع الانسان المتميز في تطبيق النص على ارض الواقع ولاسيما في مجال حقوق الانسان حيث شملت رؤيته مساحة واسعة من تلك الحقوق دعا اليها وجسدها في ميدان التطبيق العملي .

تعد الحياة قيمة عليا في الرؤية العلوية ينبغي أن تصان عبر زيادة الوعي بخطورة سلبها من الانسان وعظم هذه الجريمة وانعكاسها السلبي في الدنيا والاخرة من جهة، وفرض العقوبة العادلة على منتهك حق الاخرين في الحياة من جهة اخرى، الا ان احترام حياة الانسان لا يلغي تشريع القصاص العادل الذي قد يصل الى القتل اذا ما اقدم الفرد على هدم وجود الانسان .

امتازت الرؤية العلوية لحقوق الانسان بأبراز حق ضمانه ضبط الحكام وذلك لاهمية منصب الحاكم وتأثيره الواسع في المجتمع، لاسيما مع عظم المهام الملقاة على عاتقه والمتمثلة بالواجبات الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، واشاع الامام حالة من الوعي بحقوق الانسان، إذ على الرغم مما تعرض المؤروث الفكري للامام (عليه السلام) من محاربة واقصاء، الا ان ما وصلنا يؤكد اعتماده اسلوب نشر ثقافة حقوق الانسان سواء على الصعيد النظري، وهذا ما يدل عليه غزارة وتعدد النصوص التي تطرقت الى شتى انواع حقوق الانسان ام على الصعيد العملي للتجربة العلوية، حيث جعلت من حقوق الانسان منارة شاخحة امام بصر وبصيرة الانسانية مجسدة في المجتمع

الاسلامي انذاك، وليكون ذلك جزءاً من رسالته الحضارية للبشرية في كل زمان ومكان ولاسيما مع ما امتازت به الرؤية والتجربة العلووية لحقوق الانسان من شمولية وواقعية وبعد انساني مميز .

ان اشاعة وتعميم تجربة الامام علي (عليه السلام) ورؤيته لحقوق الانسان ببعديها النظري والعملي، عبر نشرها والاخذ بها كمنهج عمل في المؤسسات الرسمية والدينية والاجتماعية في مجتمعنا ستسهم بلاشك في تطور الوعي والممارسة لحقوق الانسان، اجل تقديم نموذج حضاري متميز لاتنضوي تحت لوائه الامة الاسلامية فحسب وانما تنهل منه البشرية بأسرها.

المصادر

١. ابن أبي الحديد، عز الدين بن هبة الله بن محمد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٥، ط ٢.
٢. عهد الامام علي ابن ابي طالب لملك الاشر، مطبعة الرياضي، بغداد، لا. ت .
٣. جورج جرداق، الامام علي صوت العدالة الانسانية (علي وعصره)، الطبعة الاولى، دار الاندلس (نجف- بيروت)، ٢٠١٠ .
٤. غسان السعد، حقوق الانسان عند الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) رؤية علمية، طبعة ثانية، بغداد، ٢٠٠٨ .

حق المواطنة والحريات العامة

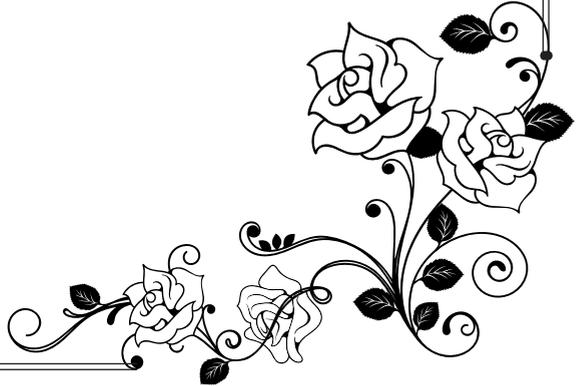
في ضوء عهد الامام امير المؤمنين (عليه السلام) مالك الاشر (رضى الله عنه)

أ.م.د. صبا حسين مولى

رئيس قسم التاريخ / مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية

أ.م.د. لمياء حسين

معهد الادارة



المقدمة

ثمة حقيقة تاريخية لا يختلف فيها اثنان بان الامام عليّ (عليه السلام) سعى لاقامة دولة إسلامية عادلة راشدة كان قد حدد معالم أسسها الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية منذ الأيام الأولى لاستلامه الخلافة، وبخاصة فيما كان يوصيه لرجالاته الذين كلفهم بقيادة أمور المسلمين في الأمصار، كوصيته (لمالك بن الأشتر)، عندما ولاه مصر، هذه الوصية التي اعتبرت تاريخيا لدى الكثير من السياسيين وثيقة لمشروع تأسيس دولة - نقول بالرغم من طموحه هذا - إلا أن رؤيته لمفهوم الدولة بصيغتها العقلانية المطروحة في (وصية الاشر) كانت قبل ذلك بكثير، حيث تجلت هذه الرؤية الدولية العقلانية منذ اليوم الأول لوفاة الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وأثناء حادثة السقيفة التي ترك فيها الصحابة الرسول (عليه الصلاة والسلام) على فراش الموت مع عليّ وأهله، وراحوا يتفاوضون ويتبايعون على الخلافة-بغض النظر هنا عن النيات الحسنة أو السيئة لمن تواجد في السقيفة آنذاك وراح يفاوض في أمور السلطنة-، مثلما تجلت أيضا عبر حكم أبو بكر وعمر وعثمان، حيث كان الامام عليّ المرجع الحكيم الذي كثيرا ما لجأ إليه الحكام الثلاثة لاستشارته عند الضرورات من أمور سياستهم لشؤون الدولة .

ومن هذا المنطق، اهتم البحث بعرض حق المواطنة والحريات العامة في اهم واطول العهود التي اكتسبت اهميتها من الرؤية السياسية للامام علي (عليه السلام)، الى جانب شموليتها وانسانيتها في ادارة امور الرعية .

المواطنة والحرريات العامة في عهد الامام علي (عليه السلام) مالك الاشر (رضى الله عنه).

المواطنة هي صفة المواطن الذي يتمتع بالحقوق ويلتزم بالواجبات التي يفرضها عليه انتمائه إلى الوطن فالمواطنة هي الشعور بالانتماء والولاء للوطن وللقيادة السياسية ومن أخطر التحديات التي تواجه بناء المجتمع الداخلي وتؤثر في وحدته الوطنية الطائفية والقبلية والمذهبية ويجب على المواطن أي كان انتمائه الطائفي أن يكون ولاؤه للوطن لا للقبيلة أو الحزب أو التكتل الذي ينتمي له لأنهم زائلون لا محالة والوطن باقى على مدى الدهر وهذا لا يتحقق سوى من خلال إحساسه بأن الدولة وليست القبيلة هي مصدر الثواب والعقاب والمانحة والمانعة له الأمر الذي يعني الحد من هيمنة أي منهم فكرا وسلوكا على أفراد الشعب^(١).

وتتجلى هذه الصفة بشكل واضح في عهد الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) مالك الاشر (رضى الله عنه). وذلك من خلال ما اوصى به مالك الاشر في الاهتمام بالرعية وتأمين حقوقهم وتحقيق العدل بينهم وسوف نعمل على توضيح هذه الحقيقة من خلال مراجعة الحدث التاريخي.

أول شيء أوصى أمير المؤمنين (عليه السلام) به مالكا الأشر، الذي عينه والياً له على مصر، أن يكون محباً للرعية، محترماً لمشاعر الناس من أي فئة كانوا، سواء كانوا مسلمين أم من أهل الأديان الأخرى. ولا يخفى أن في ذلك تثبيتاً لإنسانية الإسلام واحترامه لمشاعر الناس، وتقوية لبنية النظام والحكومة.

قال (عليه السلام): (وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ . وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا ، تَعْتَنِمُ أَكْلَهُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ : إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ)^(٢).

ثم أوصاه أن يعفو ويصفح عمن أساء واجترأ عليه ، أو على خاصته ، قال (عليه السلام) : (فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ وَتَرْضَى أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ) .

ودعاه إلى أن لا يميّز بين القريب والبعيد في عطاءاته من بيت المال ؛ لأنّ المسلمين سواءً في تناول الحقوق المالية من بيت المال، وقد عانى الناس من التمييز في العطاء أثناء العهد السابق، فكان ذلك من الأسباب التي دعتهم إلى الثورة على عثمان بن عفان .

قال (عليه السلام) : (أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوَى مِنْ رَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّكَ إِلا تَفْعَلْ تَظْلِمَ ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ) (٣) .

ثم ذكره بأن يكون هدفه وغايته إقامة العدل ، وإحياء الحق ، الغاية والهدف الذي من أجله أرسل الأنبياء والرسل ، حتى ينعم الناس بالعدالة والمساواة ، فبالعدل فقط تقوم الأنظمة وتستمر ، ويصير للحياة مفهومها ومعناها . أما الحياة في ظل حاكم ظالم ، فهي بمثابة السجن ، قال (عليه السلام) : (وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ ، وَأَعْمَهَا فِي الْعَدْلِ ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ) .

ثم أوصاه بأن يكون جلّ اهتمامه جلب رضا العامة ؛ لأنّ رضا العامة يعني ثبات النظام ، وإيجاد الدرع الواقعي له من كيد الأعداء والمتضرّرين من وجوده ، ومع رضا العامة لا قيمة لسخط الخاصة ، فإنّ الخاصة يمكن لك أن تتخلّى عنهم . أمّا العامة ، فلا . قال (عليه السلام) : (وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُعْتَفَرُ مَعَ رِضَا الْعَامَّةِ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِيِّ مَثُونَةً فِي الرَّخَاءِ ، وَأَقْلَ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ ، وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ ... مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ . وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ ، وَجَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ ، وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ ، الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ . فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ لَهُمْ ، وَمِيلُكَ مَعَهُمْ) (٤) .

ثمّ دعاه لأن يختار من يساعده في إدارة شؤون البلاد ، أشخاصاً تتوفر فيهم الخصال الطيبة الحميدة ، التي يستدعي التحرك من خلالها تنشيط حركة البلاد سياسياً ، وتقويتها اقتصادياً وحتى عسكرياً .

قال (عليه السلام) : (وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَيَعْدُكَ الْفَقْرَ ، وَلَا جَبَانًا يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ ، وَلَا حَرِيصًا يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَّهَ بِالْجُورِ ؛ فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ) .

ثمّ دعاه لأن يختار لوزارته طاقماً جديداً ممن لم يخدم الأنظمة الظالمة ، وممن يثق بهم الناس ، أمناء على مستقبلهم وحياتهم ، قال (عليه السلام) : (إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيْرًا ، وَمَنْ شَرَّ كُهُمْ فِي الْأَثَامِ ، فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بَطَانَةً ؛ فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثَمَةِ ، وَإِخْوَانُ الظُّلْمَةِ) .

ثمّ قال له بأنّ الناس فيهم المحسن والمسيء ، فلا تجوز المساواة بين الصنفين ؛ لأنّ في ذلك قطعاً لسبب الإحسان ، وتقليلاً للفاعلين له ، وتشجيعاً للمسيئين على الإساءة ، وهذا خلاف المباني الإلهية والإسلامية ؛ لأنّ الله يأمر بالعدل والإحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى (٥) .

قال (عليه السلام) : (وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةِ سَوَاءٍ ؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَرْهِيداً لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ ، وَتَدْرِيْباً لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ) .

ثمّ دعاه إلى المحافظة على ما سنّه السلف الصالح ، وحذّره من نقض السنن الصالحة ؛ لأنّ في ذلك إماتة لشعائر الله وإحياء لغيرها ، والأمة تغار على دينها وسننها الصالحة ؛ لأنّها جاهدت وناضلت من أجل بقائها .

قال (عليه السلام) : (وَلَا تَنْقُضْ سُنَّةَ صَالِحَةٍ عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأُلْفَةُ ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ . وَلَا تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تُضَرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ ؛

فَيَكُونُ الْأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا (٦) .

ثم تعرّض (عليه السلام) لأقسام الرعية وأصنافها ، وبيّن أن كل قسم منها يحتاج للقسم الآخر ومرتبط به ارتباطاً عضوياً ، حيث إنّ كل تلك الأقسام تشكّل نظاماً متكاملًا متماسكاً ، فهي بمثابة الجسم الواحد ، وعيّن لكل صنف مسؤوليته ومهمته حتى لا تتداخل الأمور وبالتالي تسود الفوضى .

وفي حديثه عن كل صنفٍ من الأصناف ، كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يؤكّد على ضرورة وضع الرجل المناسب في المكان المناسب ، ويؤكّد على اختيار أصحاب الكفاءات ، وحذره من الاختيار القائم على المحاباة والذي تجرع الناس منه الغصص والويلات .

قال (عليه السلام) : (واعلم أنّ الرعيّة طبقاتٌ ، لا يصلحُ بعضُها إلاّ ببعضٍ ، ولا غنى ببعضها عن بعضٍ ، فمنها : جنودُ الله ، ومنها : كتّابُ العامّة والحاصّة ، ومنها : قضاة العدل ، ومنها : عمّالُ الإنصاف والرّفق ، ومنها : أهلُ الجزية والخراج من أهلِ الذمّة ومُسلمة الناس ، ومنها : التجارُ وأهلُ الصناعات ، ومنها : الطبقةُ السفلى من ذوي الحاجة والمسكنة ، وكلُّ قد سمى الله له سهمه ووضع على حده فريضةً في كتابه أو سنّة نبيّه (صلى الله عليه واله) (٧) .

وأكثر ما تحدّث أمير المؤمنين (عليه السلام) في كتابه للأشتر (رضوان الله تعالى عليه) عن الطبقة السفلى أو الفقيرة ، وهذه الطبقة تشكّل القسم الأكبر من المجتمع في كل زمان ومكان ، ولهذا جعل كل تلك الطبقات لحماية ومساعدة هذه الطبقة ؛ حتى تنهض ممّا هي فيه وتنعم بالعدالة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ولو يُصار إلى تأدية حقوقها كاملة في كل زمان لنهضت ، ولكن هيهات !! فما إن ينتهي عهدٌ ، حتى يأتي عهدٌ جديد يعمّق هوة الفقر والمسكنة ، وهكذا تتوسّع هذه القشرة وتكبر وتتأصل جذورها أكثر فأكثر .

وقد سعى أمير المؤمنين (عليه السلام) جاهداً لرفع الغبن والحيث عن هذه الطبقة ، خلال الفترة القصيرة التي حكم فيها ، وهي خمس سنوات ، وقد نجح إلى حدٍ بعيدٍ في هذا الاتجاه ، وإن كانت المدة التي حكم فيها غير كافية لقلع جذور الفقر والاستضعاف . يقول احد الباحثين : إنَّ لعلي بن أبي طالب في حقوق الإنسان أصولاً وآراء ، تمتد لها في الأرض جذور وتعلو لها فروع .

وقال في مكان آخر من الكتاب : له شأنٌ أيُّ شأنٍ ، وآراؤه فيها (حقوق الإنسان) تتصل اتصالاً كثيراً بالإسلام يومذاك ، وهي تدور على محور من رفع الاستبداد والقضاء على التفاوت الطبقي .

ومن عرف علي بن أبي طالب وموقفه من قضايا المجتمع ، أدرك أنَّه السيف المسلط على رقاب المستبدين الطُّغاة ، وأنَّه الساعي في تركيز العدالة الاجتماعية بآرائه وأدبه وحكومته وسياسته .

قال (عليه السلام) : (ثُمَّ اللَّهُ اللَّهُ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى ، مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ : مِنَ الْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسِ (شدة الفقر) وَالزَّمَنَ (أصحاب العاهات) ؛ فَإِنَّ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً وَمُعْتَرّاً . وَاحْفَظْ لِلَّهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ) (٨) .

وقد ذكر لهذه الطبقة حقوقاً مفصَّلة كحقوق العامة ، إلا أنَّها أكثر إلحاحاً هنا . والملاحظ أنَّ الأمير (عليه السلام) طلب من واليه على مصر أن يُشرف بنفسه على أوضاع هذه الفئة ، مضافاً إلى الإشراف العام ، وحذَّره من التهاون في تنفيذ حاجياتهم ، وأداء حقوقهم المالية والقانونية والشرعية .

قال (عليه السلام) : (وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكِ ، وَقِسْماً مِنْ غَلَاتِ صَوَافِي الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ) ، ثُمَّ قَالَ (عليه السلام) في موضع آخر : (وَاجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغْ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَاماً فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ) .

ثم قال (عليه السلام) : (إِيَّاكَ وَالِدَّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنِعْمَةٍ ، وَلَا أَعْظَمَ لَتَبِعَةٍ ، وَلَا أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ ، وَأَنْقِطَاعِ مُدَّةٍ ، مِنْ سَفْكِ الدَّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا ... وَإِنْ ابْتُلِيَتْ بِخَطِيئٍ ، وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ أَوْ سَيْفُكَ أَوْ يَدُكَ بِالْعُقُوبَةِ ، فَإِنَّ فِي الْوَكْزَةِ فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةٌ ، فَلَا تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةَ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمُقْتُولِ حَقَّهُمْ) .

وقد ذكر لهذه الطبقة حقوقاً مفصلة كحقوق العامة ، إلا أنها أكثر إلحاحاً هنا . والملاحظ أن الأمير (عليه السلام) طلب من واليه على مصر أن يُشرف بنفسه على أوضاع هذه الفئة ، مضافاً إلى الإشراف العام ، وحذره من التهاون في تنفيذ حاجياتهم ، وأداء حقوقهم المالية والقانونية والشرعية .

قال (عليه السلام) : (وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكِ ، وَقِسْماً مِنْ غَلَاتِ صَوَافِي الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ) ، ثم قال (عليه السلام) في موضع آخر : (وَاجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفْرَغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً فَتَوَاضِعُ فِيهِ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَكَ) .

ثم قال (عليه السلام) : (إِيَّاكَ وَالِدَّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنِعْمَةٍ ، وَلَا أَعْظَمَ لَتَبِعَةٍ ، وَلَا أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ ، وَأَنْقِطَاعِ مُدَّةٍ ، مِنْ سَفْكِ الدَّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا ... وَإِنْ ابْتُلِيَتْ بِخَطِيئٍ ، وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ أَوْ سَيْفُكَ أَوْ يَدُكَ بِالْعُقُوبَةِ ، فَإِنَّ فِي الْوَكْزَةِ فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةٌ ، فَلَا تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةَ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمُقْتُولِ حَقَّهُمْ) (٩) .

الخاتمة

يمكن القول ان الامام علي (عليه السلام) وضع الأسس السليمة والرصينة لمفهوم المواطنة التي ساد مفهومها حديثا ، ولعل قيام المستشارين القانونيين للأمم المتحدة باعتماد على رسالة الإمام علي (عليه السلام) لملك الأشتر و مقولة (الخلق صنفان، إما أخ لك في الدين او نضير لك في الخلق) كمصادر للتشريع القانوني لهيئة الأمم المتحدة ، خير دليل على ذلك. فهذا امامي علي (عليه السلام) قمة الإنسانية و النبل والصفات الرائعة مختصرة برجل عبارة عن نور مخلوق و عبد مرزوق . ولعل قول الامام علي في وصف حال الدنيا خير برهان على ذلك .

أن السعادة فيها ترك ما فيها
إلا التي كانَ قبل الموتِ بانيها
وإن بناها بشر خاب بانيها
ودورنا لخراب الدهر نبنيها
حتى سقاها بكأس الموت ساقبها
أمت خرابا وأفنى الموتُ أهلها
فالموت لا شك يُفنيها ويُفنيها
من المنيّة آمالٌ تقويها
والنفس تنشرها والموت يطويها
الدين أولها والعقل ثانيها
والجود خامسها والفضل سادسها
والصبر تاسعها واللين باقيها

لنفسُ تبكي على الدنيا وقد علمت
لا دارَ للمرءِ بعد الموت يسكنها
فإن بناها بخير طاب مسكنه
أموالنا لذوي الميراث نجمعها
أين الملوك التي كانت مسطنةً
فكم مدائنٍ في الآفاق قد بنيت
لا تركننَ إلى الدنيا وما فيها
لكل نفس وان كانت على وجلٍ
المرء يسطها والدهر يقبضها
إنما المكارم أخلاقٌ مطهرةٌ
والعلم ثالثها والحلم رابعها
والبر سابعها والشكر ثامنها

ولست ارشدُ إلا حين اعصيتها
والجار احمد والرحمن ناشيتها قصورها
والزعفران حشيشُ نابتُ فيها

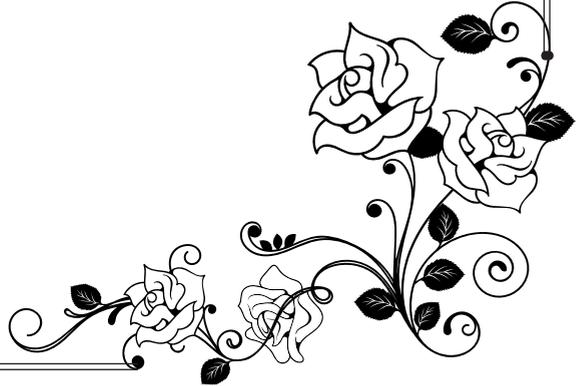
والنفس تعلم أنى لا أصادقها
واعمل لدار غداً رضوانُ خازنها
ذهب والمسك طينتها

الهوامش

- ١- امل هندي الخزعلي ، جدلية العلاقة بين الديمقراطية والمواطنة والمجتمع والمدني : العراق نموذجا ، العدد ٣٢ ، بغداد ٢٠٠٦ ، ص ١٣١ .
- ٢- الشيخ محمد عسييران ، المواطنة في فكر الامام علي (عليه السلام) ، بيروت ، ٢٠١٣ ، ص ٣٦ .
- ٣- عهد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) لمالك الاشر ، وثيقة اسلامية ذات ابعاد قانونية - سياسية - اجتماعية - ادارية - اقتصادية عسكرية ، د.ت، د.م ، ص ١٠ .
- ٤- الشيخ محمد عسييران ، المصدر السابق ، ٣٧ .
- ٥- عهد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ... ، المصدر السابق ، ص ١٢ .
- ٦- ميزان الحكمة ، ج ٢ ، ١٧٧٨ .
- ٧- نهج البلاغة ، ج ٢ ، ص ٢١٨ .
- ٨- الشيخ محمد عسييران ، المصدر السابق ، ٣٧ .
- ٩- المصدر نفسه .

حقوق الإنسان في الإسلام
عهد الإمام علي (عليه السلام) مالك الأشر (انموذجا)

أ.م.د. خديجة حسين سلمان
قسم العلوم التربوية والنفسية / كلية التربية
الجامعة المستنصرية



الملخص

لقد أخذت حقوق الإنسان بعداً عالمياً واسعاً، فمنذ أن صدر ميثاق الأمم المتحدة لحقوق الإنسان، ووقعت على هذا الميثاق جميع الدول بلا استثناء، ثم صدرت ملاحق أخرى له تهتم ببيان حقوق الإنسان الاجتماعية أو الاقتصادية أو الإعلامية أو التعليمية أو السياسية أو غيرها، وهي الأخرى حظيت بتأييد غير قليل من دول العالم كلها شرقيها وغربيها.

فأصبح العالم اليوم يتحدث عن حقوق الإنسان حتى أمريكا، أمريكا التي تعاني بذاتها من التفرقة العنصرية، والتي شهدت اضطرابات طويلة عريضة بسبب الاعتداء على حقوق من يسمونهم بالسود وإذا كان الغرب اليوم يتكلم باسم حقوق الإنسان فإنه لا يعرف عن الإسلام إلا ثلاث مسائل: الأولى: مسألة تعدد الزوجات، وأن الإسلام أباح تعدد الزوجات. والثانية: مسألة الرق والاسترقاق. والثالثة: مسألة الجهاد والقتال. وبناءً عليه يصور الغرب الإسلام على أنه دين أهدر حقوق الإنسان، فأهدر حقوق المرأة يوم سمح للزوج بأن يأخذ عليها أخرى وثالثة ورابعة، وأهدر حقوق الإنسان يوم رضي أن يكون عبداً رقيقاً يستخدم ويباع ويشترى، وأهدر حقوق الإنسان يوم أذن بقتاله وسفك دمه، هكذا تصور الحضارة الغربية الإسلام، وبناءً عليه كان لابد أن نتكلم عن حقوق الإنسان في الإسلام لنبين أي مستوى من الكرامة رفع الإسلام إليها هذا الإنسان الكريم. ورغم كثرة الآيات المباركة والأحاديث النبوية الشريفة التي بينت حقوق الإنسان في الإسلام. إلا ان الباحثة اختارت عهد الإمام علي عليه السلام لواليه على مصر مالك الأشرر ليكون انموذجا لحقوق الإنسان في الاسلام.

لذا هدف البحث الحالي إلى التعرف على أهم المضامين التي تبين حقوق الإنسان في عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشرر. حيث تميزت ولاية مالك الأشرر في عهد

الإمام علي (عليه السلام). بمبادئ وقوانين إتسمت بالإنصاف والعدالة والتواضع للرعية من طبقات الشعب المختلفة من خلال وصايا الأمام مالك الأشتر والتي تحتكم لأبلغ صورة لمبادئ حقوق الانسان. وقد تحدد البحث ببعض المقتطفات من ذلك العهد والتي تركز على حقوق الرعية، وما كتب عنه في هذا المجال من المصادر العلمية والتاريخية الرصينة والمعتمدة والتي تتميز بالموثوقية والموضوعية. وقد اتبع البحث المنهج التاريخي الوصفي لغرض تحقيق اهدافه.

وقد اشتمل البحث على عدة مباحث تضمنت ما يأتي :

١. مقتطفات من حياة مالك الاشر رضيوان الله تعالى عليه.
٢. السمات العامة لعصر الإمام علي عليه السلام
٣. مقتطفات من عهد الإمام علي عليه السلام ومحركاتها مع الواقع الذي نعيشه في وقتنا الحاضر.

وقد استنتج البحث أهمية توظيف المبادئ والوصايا الواردة في العهد لما نراه اليوم من زيادة الإهدار لحقوق الإنسان ففي الوقت الذي امتلأت آذاننا من الحديث عن حقوق الإنسان من الناحية النظرية، إلا أن آذاننا امتلأت -أيضاً- بما يواجهه الإنسان على محك الواقع من الإهدار لكرامته والانتهاك لحقوقه.

واوصى البحث بالإكثار من اجراء مثل هذه البحوث لبيان الاسهامات الفكرية والتربوية الكبيرة لائمة اهل البيت (عليهم السلام) بصورة عامة والإمام علي عليه السلام بصورة خاصة كونه المعني بالبحث والعمل على الاستفادة منها وتوظيفها للارتقاء بالمجتمع.

أولاً: مشكلة البحث

منذ أن قتل قابيل هاويل، والإنسان يبحث لنفسه عن حقوقه، عن كرامته، عن حقه في الحياة، عن حقه في المأكل، عن حقه في الملبس، عن حقه في المسكن، عن حقه في الحرية، عن حقه في التعلم.... الخ، فقد عانت الإنسانية منذ أن ظهر الظلم على الأرض ألواناً من الهدر لكرامة الإنسان، والاستلاب لإرادته، والمصادرة لحياته، الذي كثيراً ما كان يأخذ أبعاداً مأساوية دموية، تنتهي إلى قتل الآلاف بل الملايين من البشر، وتشريد أضعافهم وهتك أعراضهم (التسخيري، ١٩٩٥، ص ٥).

وقد أدت تلك المظالم إلى الحروب، وإلى ظهور ثورات على مر التاريخ، سواء كانت دينية، أم فكرية، أم سياسية، أم عسكرية، من اجل الحفاظ على كرامة الإنسان وحرية، فلم تأت حركة حقوق الإنسان لتنافس أي عقيدة أو فكر، وإنما جاءت للنهوض بمن هم بحاجة إلى التخلص من الفقر والتشرد والإضطهاد، جاءت هذه الحركة من اجل كرامة الإنسان والحرية، جاءت من كل مكان، من اجل عالم أفضل عالم يعطي معنى وقيمة لحياتنا (عمر، ٢٠٠٠، ص ١).

وتزعم بعض الأمم التي تبنت النهج الديمقراطي في الحكم والسياسة ك (بريطانيا، فرنسا، وأمريكا) أنها كانت من أوائل المسهمين في وضع حقوق الإنسان وتوحيها لهذه الحقوق من خلال الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨ م، الذي يضمن وجود الإنسان وحرية وكرامته بغض النظر عن جنسه ولونه ومعتقدده (صالح، ٢٠٠٣، ص

٣٠٣). وقد تناسوا، أو لم يعرفوا دور الإسلام في هذا الصدد، وبأنه هو أول من قرر المبادئ الخاصة بحقوق الإنسان في أكمل صورها وأوسع نطاقها، منذ عهد رسولنا الكريم محمد (صلى الله عليه وعلى آله) وحتى الآن، أي منذ ما يزيد على أربعة عشر قرناً من الزمان، فالإسلام قرر منذ بداية عهده أن للإنسان حقوقاً، وهذه الحقوق منحة من الله (سبحانه وتعالى)، أي انه لا فضل فيها لمخلوق يستبد بها ويتحكم فيها، ويمنحها لمن يشاء، ويمنعها عن من يشاء، ومن ثم فإن الحقوق والحريات ليست حقوق طبيعية، وإنما هي منح من الله العليّ القدير، تستمد من أحكام الشريعة وتستند إلى العقيدة الإسلامية، وهذا ما يكسبها قدراً من الهيبة والاحترام والقدسية، والتي تشكل ضماناً أساسية ضد تغول السلطات عليها (عبد الحميد، ٢٠٠٥، ص ٩٣).

والحديث عن حقوق الإنسان في الإسلام ليس حديثاً جديداً، بل هو حديث قديم من حيث العموم الفكري والتأسيس النظريّ المبتوث في مفردات التشريع الإسلامي هنا وهناك (صالح، ٢٠٠٣، ص ٣٠٣) ولعل ما كتبه أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الاشر رضي الله تعالى عليه حين ولاه مصر خير دليل على دفاعه المشهود عن حقوق الإنسان حيث كان الشخص الاول بعد النبي الاعظم (صلى الله عليه واله وسلم) الذي وضع القواعد الدستورية الاسلامية الحققة في موضعها الصحيح واتباعه اقوم الانظمة العادلة لحفظ التوازن بين طبقات المجتمع وتنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم او بين الراعي والرعية وكذلك ضمان حقوق الانسان على اساس العدل الاجتماعي والحق والمساواة وكان ذلك ملاصقاً لشخصيته وسيرته العملية في حقوق الإنسان التي مازالت محط الأنظار ومصدر البحوث الإنسانية والعلمية بشكل مباشر أو غير مباشر. ويأتي البحث الحالي محاولة لتسليط الضوء على اهم ما جاء في عهد الإمام علي عليه السلام لواليه على مصر مالك الاشر رضي الله تعالى عليه في ما يخص حقوق الانسان.

ثانياً : أهمية البحث :

موضوع حقوق الإنسان ليس وليد العصر الحاضر، وإنما هو قديم قد الإنسانية نفسها، ويشكل جزءاً لا يتجزأ من تاريخها، فقد ارتبط بالمجتمعات البشرية منذ بدء الخليقة، وتأثر سلباً وإيجاباً بالظروف الزمانية والمكانية لتلك المجتمعات وبالتيارات الفكرية، والتقاليد السائدة فيها، كما ارتبط بالشرائع السماوية (الطبعيات، ٢٠٠١، ص ٣٦).

وقضايا حقوق الإنسان والدعوة لاحترامها في الوقت الراهن من الموضوعات ذات الأهمية القصوى فيما يخص العالم أجمع، ويحظى هذا الموضوع باهتمام بالغ في المجتمعات الديمقراطية عامة وفي دول الاتحاد الأوربي والولايات المتحدة الأمريكية خاصة، وذلك انطلاقاً من المفاهيم والأفكار الغربية المستندة إلى القوانين الوضعية والمستمدة من فكرة القانون الطبيعي لحماية الحقوق الطبيعية للإنسان (الراجحي، ٢٠٠٤، ص ١٤). حيث بات الحديث عن حقوق الإنسان حديث الساعة حتى غدى الاهتمام به واضحاً من خلال عقد المؤتمرات والندوات، وإبرام المواثيق والاتفاقيات على المستويين: الإقليمي والدولي، وذلك من أجل معالجة جميع الجوانب والظروف التي تسهم في تعزيز حقوق الإنسان التي تعد معياراً لمعرفة مدى التزام دولة ما بمبادئ العدل والإنصاف وحماية حقوق مواطنيها وحرّياتهم كما أنه يعد معياراً لقياس مدى إدراك ووعي تلك الشعوب بالتمتع بها، بل هو عنصر مهم في الأنظمة الديمقراطية (الشنقيطي، ٢٠٠١، ص ٤٥). إلا أن الاهتمام الغربي المعاصر، بهذا المجال على مستوى التنظير والممارسة، وصولاً إلى تقنينه في مواثيق وإعلانات عالمية، جعل هذا الاهتمام يأخذ بعداً عالمياً لم يسبق له مثيل من قبل، وكان من نتائجه المهمة، الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي صدر عن منظمة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٨م (دكير، ١٩٩٨، ص ١٩٠).

فحقوق الإنسان كانت في الماضي مسألة فردية أو محلية تعنى بها التشريعات أو

الممارسات الداخلية لدولة ما، ولكنها أصبحت اليوم قضية تتصف بالعالمية وليس من المبالغة القول بأنها غدت شأنًا إنسانياً مشتركاً يحتضن كل حقوق الإنسان أنى وجد، وإلى أي دين أو عرق انتمى (خلف، ٢٠٠٤، ص ١). حيث باتت موضوعاً يمس حياة كل الشعوب والدول، وتطورها باختلاف حضاراتها ومواقعها الجغرافية وأنظمتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وهي مسألة تمس حياة كل إنسان كفرد بحكم طبيعته وتكوينه، فطبيعة الإنسان ذات الصفة المزدوجة، كونه كائناً فردياً وكائناً اجتماعياً في آن واحد، هي التي أدت إلى ظهور حقوق الإنسان، وتطور حركتها العالمية والوطنية، فالحقوق لا وجود لها إلا في مواجهة الآخر (هادي، ٢٠٠٠، ص ٩).

ولأهمية حقوق الإنسان وتأثيرها في المجتمعات، صيغت عدة وثائق دولية، لعل أبرزها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي تمتع عند اعتماده بتأييد دولي عريض القاعدة فعلى الرغم من أن الدول الأعضاء الثماني والخمسين التي شكلت الأمم المتحدة في ذلك الوقت كانت تختلف فيما بينها من حيث أيديولوجيتها ونظامها السياسي وخلفياتها الدينية والثقافية ونماذج تنميتها الاجتماعية والاقتصادية، فإن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان قد مثل بياناً مشتركاً بالأهداف والتطلعات التي تتقاسمها، وهي رؤية للعالم كما يود المجتمع الدولي أن يكون عليه (دي ميلو، ٢٠٠٣، ص ٣).

ولقد شهدنا في العقود الأخيرة وكمظهر من مظاهر الصحوة الإسلامية، وبحث أمتنا الإسلامية عن هويتها الإسلامية، وعن هويتها الحضارية المتميزة في تراثها الفكري والحضاري، شهدنا كتابات طيبة وجيدة تبرز حديث الإسلام وسبقه في التقنين لحقوق الإنسان وهو ميدان خصب ومهم، ما زال ينتظر كثيراً من الجهود التي يمكن أن تسليح إنساننا المسلم ضد الاستيراد والقهر والاستلاب من جهة، وتثري الفكر الإنساني الخاص بهذه القضية المحورية، من جهة أخرى، وتنصف حضارتنا الإسلامية، وفكرنا الإسلامي وديننا الحنيف من جهة ثالثة، إنه ميدان مهم من ميادين البحث والاجتهاد، ومن الضروري أن يهتم به الباحثون (عمارة، ١٩٨٥، ص ١٤).

إن الحقوق في الدين الإسلامي نظرية وتطبيق، وإذا كان التطبيق لا يعطي الصورة الواضحة فإنه يصبح من الواجب العودة إلى النظرية (طي، ٢٠٠١، ص ١٠٧). فالحديث عن حقوق الإنسان في الإسلام ليس حديثاً جديداً، بل هو حديث قديم من حيث التأصيل الفكري والتأسيس النظري المثبت في مفردات التشريع الإسلامي (صالح، ٢٠٠٣، ص ٣٠٣). لقد تبنى الإسلام بصورة جادة وموضوعية جميع حقوق الإنسان، ورصد له أروع الأحكام التي تنتظم بها حياته، وقوميته ولغاته ومذاهبه، فليس في تشريعاته ما يشذ عن سنن الطبيعة ويخالف مناهج الكون (القرشي، ٢٠٠٥، ص ٧).

لقد نظر الإسلام بعمق وشمولية إلى الإنسان، ووقف على جميع إبعاد حياته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فوضع له المناهج السليمة التي توفر له حقوقه التي لا غنى له عنها، ومن أبرزها أن تسود العدالة الاجتماعية بأوسع معانيها في الأرض، بحيث لا يبقى أي ظل للبؤس والحرمان، ويعيش الإنسان حياة وادعة آمنة مطمئنة، يعمها الرخاء والأمن والاستقرار والسلام، إن حقوق الإنسان التي أعلنها الإسلام هي التي توفر للمجتمع الحياة الكريمة في ظل نظام آمن مستقر، لا طغيان فيه ولا ظلم ولا استبداد،

ولا تسلط للحاكم على المحكومين، فالسيادة للقانون الذي شرعه الإسلام، وتسري نظمه على الحاكم والمحكوم على حد سواء، فلا ميزة لأحد على أحد إلا بالتقوى التي هي المقياس في التفاوت بين الناس، وتعني نكران الذات وعمل الخير وصنع المعروف (القرشي، ٢٠٠٥، ص ٧-٨).

لقد حملت الأمة الإسلامية مشعل الحضارة، وكانت الإنسانية مدينة لها في مختلف العلوم والمعارف، وحسبك ما لا يقل عن ثلاثة ملايين مخطوطة موزعة في مختلف أنحاء العالم (فهد، ١٩٨٨، ص ٥). ويوجد في المكتبة الوطنية في لندن (١٣٠٩٥) مخطوطة إسلامية تُعدّ من أنفس المخطوطات في مختلف صنوف العلوم والمعارف (baker، ٢٠٠١).

هناك مؤشرات متزايدة تدل على أن الإنسان المعاصر غدى مهيباً لتقبل الإسلام وتفهمه واعتناقه، ومن ثم إمكانية الشروع بفتوحات إسلامية جديدة من طرف المسلمين، إذا تحلوا بالكفاءة والجدارة اللازمة لهذا الدور التاريخي (آل نجف، ١٩٩٩، ص ٥٧).

لقد جاء الإسلام خاتم لكل الأديان والرسالات حيث جاء الإسلام من أجل تحرير الإنسان من الرق والعبودية وظلم الإنسان للإنسان، جاء من أجل كرامة الإنسان جاء من أجل سعادة الإنسان، وكذلك نبه خاتم الأنبياء والمرسلين، محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وعلى آله) فقد ضرب لنا الإسلام أروع الأحكام والتشريعات التي تلبى حاجات الإنسان المادية والروحية، وتمثلت تشريعاته بالقرآن الحكيم، والسنة النبوية الشريفة، من قول النبي الأكرم (صلى الله عليه وعلى آله) أو فعله أو تقريره، ثم الأئمة الاثنا عشر من أهل بيت الرسول صلوات الله عليهم اجمعين، كما نص عليهم رسول الله (صلى الله عليه

واله وسلم) (١).

فجاء ابن عمه علي بن أب طالب (سلام الله عليه) ليكمل ما جاء به الرسول وثبت دعامته الأساسية، إذ أن حقوق الإنسان موجودة منذ القدم وان لم يتطرق إليها بصورة واضحة وتحت هذا المسمى من قبل ولكن كل الأديان السماوية نصت عليها وأكدت على وجوب تحقيقها وصيانتها.

ونحن هنا في مسار بحثنا هذا سنتطرق إلى مفردة حقوق الإنسان وتفرعاتها عند الإمام علي بن أبي طالب لنؤكد مره أخرى بان الإمام أكمل ما جاء به الرسول والدين الإسلامي من خلال الإنسان والحفاظ على حقوقه عندما ساوى بين الناس جميعا. ولعل ذلك يتضح جليا من خلال عهده لمالك الاشر رضوان الله تعالى عليه حينما ولاه عليه السلام مصر.

١ قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): (يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي) (سنن الترمذي، ١٩٨٣، ج ٥ ص ٣٢٨)، وقال ((٢): (إني أوشك أن أدعى فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما) (مسند ابن الجعد، ١٩٩٦، ص ٣٩٧، المسند لابن حنبل، د.ت، ج ٣ ص ١٧، مسند أبي يعلي الموصلي، ١٩٩٢، ج ٢ ص ٢٩٧)، وقال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): (النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس) (المستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري، د.ت، ج ٣ ص ١٤٩) وقال (ص): (لا يزال هذا الدين عزيزا إلى اثني عشر خليفة، كلهم من قريش) (سنن أبي داود، ١٩٩٠، ج ٢ ص ٣٠٩، والكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي، ١٩٨٥، ص ٩٥)، وقال (صلى الله عليه واله وسلم): (لا يزال أمر أمتي صالحا حتى يمضي اثنا عشر خليفة، كلهم من قريش) (التاريخ الكبير للبخاري، د.ت، ج ٨ ص ٤١١، والمستدرک على الصحيحين للحاكم النيسابوري، د.ت، ج ٣ ص ٦١٨)، وقال ((٢): (بعدي اثني عشر خليفة كلهم من بني هاشم) (ينابيع المودة للقندوزي الحنفي، ١٩٧٧، ج ٢ ص ٣١٥).

ثالثا : اهداف البحث

يهدف البحث الى محاولة التعرف على ما يأتي :

- ١ . مقتطفات من عهد الامام علي (عليه السلام) لمالك الاشر رضوان الله عليه والتي تتضمن الاشارة الى حقوق الانسان.
- ٢ . امكانية توظيف تلك النصوص في وقتنا الحاضر.

رابعا : حدود البحث :

تحدد البحث ببعض ما نقل من مقتطفات لعهد الامام علي (عليه السلام) لمالك الاشر رضوان الله تعالى عليه من الموروث التاريخي وما كتب عنه في هذا المجال من المصادر العلمية والتاريخية الرصينة والمعتمدة والتي تتميز بالموثوقية والموضوعية.

خامسا : منهج البحث :

استخدم البحث المنهج التاريخي الوصفي الذي يتسم بالدقة والموضوعية والموثوقية في عملية العرض والتحليل للمباحث التي تضمنها.

سادسا : مباحث البحث :

يشتمل البحث على المباحث الآتية:

المبحث الأول

مقتطفات من حياة مالك الأشتر رضوان الله تعالى عليه

في السيرة الذاتية: لمالك بن الحارث الأشتر النخعي

اسمه: مالك، ولقبه «الأشتر» وكنيته «أبو ابراهيم». وقد أورد أكثر المؤرخين وعلماء علم الأنساب سلسلة نسبه كالتالي: هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن خزيمة (خديمة) بن سعد بن مالك بن نخع ومن أشهر ألقابه اثنان: «الأشتر» و «كباش العراق». ولا يُعرف تاريخ مولد الأشتر بدقّة، لكن كتاب السّير اتفقوا على أنه رأى النور في عهد الجاهلية، وربما بين عامي ٢٥ - ٣٠ قبل الهجرة (شرح نهج البلاغة: ٦ / ٣١٥، سفينة البحار: ٤ / ٣٧٩).

إسلام وإيمان مالك وشهادة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) له بذلك: مما لا شك فيه أن مالك الأشتر قد أسلم في زمن الرسول الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) وظل راسخاً في إسلامه. وقد نال درجةً من الايمان بلغت حدّاً شهد له فيه النبي الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) بالايان بشكل قاطع، وعبر عنه في حديث شريف بأنه «مؤمن» أو «مؤتمن». ويُروى كذلك أنه حينما ذكّر مالك عند رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قال: «إنه المؤمن حقّاً».

الأشتر نصير علي (عليه السلام) والمدافع عن حكمه: لم يقصّر مالك الأشتر ملامّة ظفر من أجل تهيئة الأجواء لقيام الحكم العلويّ، وعاش سنين طوالاً بأمل إقامة هذا الحكم. وعندما قامت خلافة الإمام علي (عليه السلام) كان مالك مطيعاً إطاعة تامّة ومسلماً تسليماً محضاً لأوامره (عليه السلام)، كما لعب دوراً رئيسياً وحيويّاً في جميع الأحداث والوقائع الأساسية والهامة التي حصلت أثناء خلافة أمير المؤمنين (عليه

السلام). فقد كان لملك دور كبير في انتصار جيش أمير المؤمنين خلال حرب الجمل، من خلال بناء جيش الإمام وجنده، وعبر المشاركة العسكرية الشجاعة فيها. ويروي صاحب «روضة الصفا» إن مالك الأشر حمل ثلاث مرات على المحيطين بجمل عائشة أثناء حرب الجمل، وكان يقطع في كل مرة واحدة من أرجل ذلك الجمل.

ولمبادرات مالك الشجاعة دور كبير في فتح الرقة وحران، وطرد عمال معاوية منها، وكذلك جهاده وقتاله البطولي في صفين، فقد صنعت منه بطلاً تاريخياً أطبقت شهرته الآفاق على مر التاريخ. لقد استحق مالك وبجدارة لقب بطل صفين الكبير بعد الإمام علي (عليه السلام) نظراً لشجاعته النادرة وتضحياته في تلك الحرب.

استشهد مالك الأشر المؤلمة: كان الإمام علي (عليه السلام) يعتبر مالك الأشر جديراً بحكم مصر، فلذلك فقد دعاه الى الكوفة وأعطاه عهده المعروف، وبعث به إلى هناك. فما كان من معاوية الذي كان يدرك أنه لو دخل مالك الأشر مصر فانها ستتحول الى قاعدة قوية وراسخة للخلافة العلوية، فدبر خطة لاغتياله، وهو ما تحقق له في نهاية المطاف. فقد استشهد مالك الأشر في أرض القلزم بمصر على يد نافع مولى عثمان بن عفان - الذي سقاه شراباً مزيجاً من السم والعسل.

تاريخ إستشهاده ومحل دفنه: ذكر بعض المؤرخين أن مالك الأشر استشهد في رجب عام ٣٧ هـ (٦٥٧ م)، ولكن يبدو أن الصواب هو الخامس والعشرون من ذي القعدة عام ٣٨ للهجرة. ومن الأدلة المتوافرة يمكن تخمين عمره بأكثر من سبعين عاماً. أما فيما يتعلق بمحل دفن جثمانه الطاهر، فقد ذهب بعض المؤرخين إلى أنه دُفِنَ في القلزم ذاتها، ولكن كثيرون يعتقدون أيضاً أن جثمانه هُمل من القلزم ودُفِنَ في المدينة المنورة، حيث يوجد قبره المعروف والمشهور الآن. وسبب ذلك هو أن مرافقيه لم يدفنوه في القلزم خشيةً من أن يأمر معاوية - لشدة معاداته له - بنش قبره وإهانة جثمانه الطاهر.

حُزن أمير المؤمنين على مالك: كان الإمام علي (عليه السلام) ينتظر على أحرّ من الجمر أن يبعث إليه في الكوفة واليه على مصر تقريراً حول الفوضى الحاصلة في تلك الديار، لكن شيئاً من ذلك لم يحصل، مما أقلق الإمام وأثار هواجسه، حتى بلغه نبأ استشهاد الأشر في العشرين من ذي الحجة الحرام عام ٣٨ للهجرة، مما أدى الى حزن الإمام (عليه السلام) حزناً بالغاً والبكاء عليه كثيراً، ثم ارتقائه المنبر دافع العين، وقوله: «لله درّ مالك، لو كان من جبل لكان أعظم أركانه، ولو كان من حجر كان صلداً. أما والله ليهدن موتك عالماً، فعلى مثلك فلتبك البواكي» ثم قال: «إنا لله وإنا إليه راجعون والحمد لله ربّ العالمين، اللهم إني أحسبه عندك، فان موته من مصائب الدهر، فرحم الله مالكا، فقد وفي بعهدة وقضى نجه ولقي ربه، مع أنا قد وطّنا أنفسنا أن نصبر بعد مصابنا برسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فإنها من أعظم المصيبة». ثم نزل (عليه السلام) من المنبر كسير الخاطر محزون القلب وتوجّه الى بيته. وفي هذه الأثناء، تشرف مشايخ قبيلة نخع (وهم أبناء عمومة مالك) بزيارة بيت الإمام لتعزيته، فوجدوه يتلهف ويتأسف عليه وهو يقول: «لله درّ مالك، وما مالك لو كان من جبل لكان فندا، ولو كان من حجر لكان صلداً. أما والله ليهدنّ موتك عالماً وليفرحنّ عالماً، على مثل مالك فلتبك البواكي وهل موجود كما لك». قال علقمة النخعي: فما زال علي (عليه السلام) يتلهف ويتأسف حتى ظننا أنه المصاب به دوننا، وعرف ذلك في وجهه أياماً. وجاء بعدها جمع من رجال قريش للتعزية أيضاً. وظل أمير المؤمنين حزينا متألماً، فقال راداً على تعازي القرشيين: «مالك وما مالك، لو كان جبلاً لكان فندا، ولو كان حجراً لكان صلداً، لا يرتقيه الحافر ولا يوفي عليه الطائر» وقال: «لا أرى مثله بعده أبداً».

لمحات من مناقب وفضائل مالك الأشر ناصر الإمام عليّ وحببيه: قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في وصف مالك: «ليت فيكم مثله إثنان، بل ليت فيكم مثله واحد يرى في عدوي مثل رأيه». وقد علّق المحدث القمّي (رحمه الله) على هذه الرواية في الهامش قائلاً: «إن عمرو بن الحمق الخزاعي الذي كان من حوارى أمير المؤمنين (عليه السلام)

ومشهوراً بالجلالة والفضل، بل قيل في حقه أنه كان من أمير المؤمنين بمنزلة سلمان من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «ليت أن في جندي مائة مثلك». لكنه قال في الأثر: «ليت فيكم مثله واحد» فتأمل في ذلك ليدلك على مرتبة رفيعة وجلالة عظيمة للأشتر رضوان الله عليه.

المبحث الثاني

السمات العامة لعصر الإمام علي عليه السلام

لما قتل عثمان بن عفان أطبقت الأمة علي بيعة الإمام علي (عليه السلام) خليفة لها، ولكن الإمام ردّ عليهم بقوله: «دعوني والتمسوا غيري»، ولكنهم أصروا عليه مراراً وبصورة إجماعية وحينئذ قال: «واعلموا أني إن أحببتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب». فسارعوا إلى قبول تلك الشروط وبايعوا الإمام على السمع والطاعة، وكانت المهمة الأولى له (عليه السلام) أن يزيل صور الانحراف المختلفة التي طرأت على الحياة الإسلامية، وأن يعود بالأمة إلى منهج الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، فنراه (عليه السلام) حدّد صفات ولاة الأمر وموظّفي الدولة بقوله: «أنّه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل، فتكون في اموالهم نهمته؛ ولا الجاهل فيضلّهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم؛ ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطلّ للسنة فيهلك الأمة».

هذا في الميدان السياسي والاداري، وأمّا في الميدان الاقتصادي فإنه (عليه السلام) سارع إلى إلغاء طريقة توزيع المال القائمة على التمييز في العطاء، وأبدلها بطريقة المساواة في التوزيع التي قد انتهجها رسول الله (صلى الله عليه وآله). وقد اوضح بأن السابقة في الاسلام والتقوى والجهاد وصحبة الرسول (صلى الله عليه وآله) أمور لا تمنح أصحابها

مراتب أو مميّزات في الدنيا، وإنّما لتلك المزايا ثوابها عند الله في الآخرة. وقد بين (عليه السلام) هذه الأمور في كلام له تضمّن ما تقدّم، وجاء في آخره: «... وإذا كان غداً - إن شاء الله - فاغدوا علينا، فإن عندنا ما لا نقسمه فيكم ولا يتخلّفن أحد منكم عربي ولا عجمي، كان من أهل العطاء أو لم يكن إلّا حضر إذا كان مسلماً حرّاً».

وهكذا قرن (عليه السلام) القول بالفعل، ولما صار الغد دعا كاتبه عبيد الله بن أبي رافع وقال له: ابدأ بالمهاجرين فنادهم، واعط كل رجل ممّن حضر ثلاثة دنانير ثم ثنّ بالأنصار فافعل معهم مثل ذلك، ومن حضر من الناس كلهم: الاحمر والاسود فاصنع به مثل ذلك. إنّ نهج أمير المؤمنين (عليه السلام) وعدالته مع الناس جميعاً، وعهده السياسي والإداري إلى مالك الأشرر يدعوننا إلى تسليط الضوء على ذلك العهد وخصوصاً فيما يرتبط منه بحقوق الانسان ذلك المصطلح الجديد القديم.

المبحث الثالث

مقتطفات من عهد الإمام علي عليه السلام

ومحاكاتها مع الواقع الذي نعيشه في وقتنا الحاضر. ويتضمن عدة مطالب:

الأول: نبذه عن حياة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب (عليه السلام) وقد كانت له مكانة مرموقة في الإسلام اعز به الإسلام وأهله وأذل بها الكفر وأهله فهو عليه السلام ابن أبي طالب عم الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وجده عبد المطلب أمير مكة وسيدّ البطحاء وكان نسبه يعود إلى قبيلة بني هاشم وكانت من أعظم القبائل فهي المغرس المبارك ومعدن العلم ونبوعه فمنها كان الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) وهو ابن عم علي (عليه السلام) وقد زوجه الرسول ابنته سيّدة النساء فاطمة الزهراء أم الحسن والحسين عليهما السلام، وقد لازم الإمام علي (عليه السلام) الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وعلى اله وسلم (في صباه منذ كان فتياً يافعاً في غدوه ورواحه وفي سلمه وحره، حتى تخلق بأخلاقه واتسم بصفاته فقد أكد ذلك الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) عندما قال) أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة والحكمة فليأتها من بابها (وفي هذا القول تأكيد على مدى رسخ القيم الإسلامية السامية لديه (عليه السلام) والتي اقتبسها من شخصية الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) (زوير، ٢٠١٥، ص ٥١٦).

الثاني: الإمام علي (عليه السلام) وتطور مفهوم حقوق الإنسان.

أن مفردة حقوق الإنسان تمثل مجموعة القواعد التي تصان من خلالها الحقوق والحريات وبذلك نرى أن حقوق الإنسان صارت متعارفاً عليها بصفاتها حقوقاً وحرّيات يجب التمتع بها من قبل جميع الأفراد في علاقاتهم مع غيرهم من الأشخاص أو مع الدولة، وان حقوق الإنسان لا تمثل مفهوماً عاماً مجرداً ولكنها.

مرتبطة إلى حد كبير بطوائف فكرية وعقائدية وتاريخية ومن ثم لا يمكن الزعم بان ضمانات حقوق الإنسان في أوروبا وأمريكا تمثل مفهوم الضمانات في الدول النامية ذلك أن العوامل السياسية والاقتصادية والعقائدية السائدة في الدول على اختلاف أشكالها تؤدي أيضاً إلى تباين واضح في تطبيق المبادئ العالمية لحقوق الإنسان والإسلام لم يغفل المبادئ الأساسية لحقوق الإنسان بل إننا لا يسعنا أن نفكر بأساسيات وأصول حقوق الإنسان دون الرجوع إلى ديننا الحنيف الذي أكد في أساسه الإنسان وحرية وكرامته وصونها من إي اعتداء عليها، وهو بذلك قد أضاف لتلك الحقوق طابعا اجتماعياً وجعلها أهدافاً حضارية يسعى الجميع إلى تحقيقها فضلاً عن طابعها الديني (زوير، ٢٠١٥، ص ٥١٧).

الثالث: مفهوم حقوق الانسان

الإنسان منذ ولادته ولدت معه حقوقه، ومادام الإنسان المخلوق الوحيد القادر على الإبداع والتفكير فالحقوق ظهرت بوجوده وتطورت بتطور عقله، وبنضال الأفراد وشجاعتهم وعملهم الدؤوب من اجل حماية حقوقهم والحفاظ عليها خصوصاً بعد إن أكدت عليها الكثير من الشرائع السماوية والحضارات القديمة فقد عمل الإنسان على الحفاظ على تلك الحقوق بالرغم من الانتهاكات الكثيرة التي تعرضت لها على مر التاريخ ولمعرفة ماهة مفردة حقوق الإنسان لابد من تجزئتها إلى مفردة (الحق) أولاً والإنسان ثانياً فالحق هو كل مركز شرع من شأنه إن ينتفع به صاحبه او غيره، والحق هو قدرة شخص من الأشخاص على القيام بعمل معين منحه له القانون وكل حق يقابله واجب. فحقوق الإنسان هي: مجموعة الحقوق الطبيعية التي يملكها الإنسان واللصيقة بطبيعته والتي تظل موجودة وان لم يتم الاعتراف بها، بل أكثر من ذلك حتى وان انتهكت من قبل سلطة ما، وهناك من عرفها على أنها فرع خاص من الفروع

الاجتماعية تختص بدراسة العلاقات بين الناس استنادا إلى كرامة الإنسان وهي تجديد للحقوق والرخص الضرورية لازدهار شخصية كل كائن إنساني، وكذلك تعرف بأنها: قدرة الإنسان على اختيار تصرفاته بنفسه، وممارسة نشاطاته المختلفة دون عوائق مع مراعاة القيود المفروضة لصالح المجتمع (نفس المصدر السابق).

الرابع: بعض المقتطفات من عهد الامام علي (عليه السلام) لما لك الاشتهر (رضي الله عنه) والتي تركز على حقوق الانسان

كان الإمام أمير المؤمنين يحسم الحكم ككيان مجتمع الاطراف، معقود الحواشي حيث الإنسان الصالح للتطبيق الصالح وحيث الفرد الصالح في المجتمع الصالح فلا يوجد في حكومته الا من كانت لديه اللياقة الذاتية للحكم حسب سلوكه الطبيعي والاجتماعي وحسب ايمانه العقائدي فيما اوكل اليه القيام به وفي ذلك قوله كما جاء في نهج البلاغة [اذا قوى الوالي في عمله حركته ولايته على حساب ما هو مركز في طبعه من الخير والشر]. ويرى الامام ان المجتمع الفاضل موكول بالحكم الفاضل ولا يتأتى الحكم الفاضل بدون ولاة امر فضلاء يدركون موضعهم ويعملون بما يدركون وكما قال [من اراد ان يكون اماماً لغيره فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليبدأها بسيرته قبل لسانه].

وكما يقال في اغلب الاحيان ان الناس على دين ملوكهم وسيرة ولاة امرهم فاذا تسامح الحاكم مع نفسه ولم يتقيد بما فرضه على الناس من واجب تسامح الرعية في العدل اتكالا على سيرة ولي الامر، ولم يجعل الامام سلطته مطلقة ولا حكمه لازماً بلا قيد أو شرط وانما قيد نفسه بأكثر مما فرضه على غيره واطلق للناس حرية النقد والتعبير وبالطبع ان ذلك وارد لنزاهة الوالي بإفساحه المجال للامة على نقده وبهذا يصلح الراعي ولم يجعل للوالي من الحق الا بمقدار ما عليه من الواجب ومن اجري الحق في الرعية جرى اليه، والحق لازم به ولازم عليه، وعلى ذلك هذا ما ورد في كلام امير المؤمنين في «نهج البلاغة

ص ٢٢٣ شرح محمد عبده» وجاء فيه [اما بعد فقد جعل الله لي عليكم حقاً بولاية امركم ولكم عليّ من الحق مثل الذي لي عليكم، فالحق اوسع الاشياء في التواصف واضيقها في التناقض ولا يجري لاحد الا جرى اليه ولا يجري عليه الا جرى له] وكما هو ذكره مما جاء عنه في نهجه [أأمروني ان اطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه.] (الحاج مسلم). ولعل عهد امير المؤمنين(عليه السلام) لواليه على مصر مالك الاشتهر(رضي الله عنه) من اكبر المصاديق على مراعاته عليه السلام لحقوق الانسان وبما ان التسميات التي اتسمت بها حقوق الإنسان قد اختلفت فالبعض صنفها على أنها حقوق أساسية وأخرى ثانوية وذلك بحسب أهميتها بالنسبة للإنسان، والبعض الآخر صنفها على أنها حقوق فردية وحقوق جماعية وذلك حسب ما تمثله من أهمية ارتباط الفرد مع الآخرين داخل المجتمع. فإننا سنركز هنا على أهم الحقوق الأساسية في فكر الإمام علي(عليه السلام) ومفهومه لحقوق الإنسان فقد وضع الإسلام القواعد التي تضمن للإنسان حقوقه وتحافظ عليها ومن ابرز تلك الحقوق:

٣. الحق في الحياة:

كان علي (عليه السلام) وكما ينقل لنا التاريخ احرص الخلفاء علي دماء الرعية وكان السلم والعفو هما الخيار الذي يلتجئ اليه الامام في حله لمشاكل الدولة الداخلية او الخارجية. وكانت انطلاقة وفق المعايير الإسلامية لا وفق الهوى منطلقاً من الآيات التي تحرم قتل الناس من دون حق ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً...﴾ سورة النساء اية ٩٢ ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ المائدة ٣٢ ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الانعام ١٥. هذه الآيات كانت شاخصاً امام الامام علي(عليه السلام) وهو يحكم الرعية وفي تثبيت نظامه وحكومته، لذلك ما كان ليرمي سهما في

الحرب او يبتدأ بحرب الا اذا ابتدئ بها فهو القائل : (لا نقاتلهم أي- اصحاب الجمل- حتى يقاتلونا). كما وكان حريصا في ترسيخ هذا المبدأ فباشر تفعيله عمليا من خلال ممارساته وأدائه السياسي مع معارضيه ونظريا وثقه في دستوره الذي ارسله الى واليه على مصر مالك الاشر فقد قال له موصيا : [ولا تقوين سلطانك بسفك دم حرام] . و [ولا تكن عليهم سبعا ضاريا] . والذي يزيدك يقينا في حرصه على الدماء دون سفكها انه اعتاد ترويض شعبه ورعيته على انتقاد حتى الحكومة اذا ما تجاوزت حدودها واخذت تسفك الدماء بغير حق لمجرد المعارضة السلمية. (نهج السعادة ج ٢ ص ٤٨٥).

٤. حق المساواة:

من اهم النصوص التي وردت في ذلك العهد والتي تبين بشكل جلي مراعاة امير المؤمنين (عليه السلام) للمساواة في الرعية ((واشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكن غليهم سبعا ضاربا تغتتم اكلهم. فانهم صنفان اما أخ لك في الدين او نظير لك في الخلق. وقد وضعت الفقرة الاخيرة من هذا القول على جدار في الامم المتحدة للدلالة على المساواة في الحقوق، والابتعاد عن التمييز.

٥. حق العدالة:

واوضح مصداق لذلك قوله عليه السلام (وان افضل قرة عين الولاية استقامة العدل في البلاد وظهور مودة الرعية، وانهم لا تظهر مودتهم الا بسلامة صدورهم.. فافسح في امالهم، واوصل في حسن الثناء عليهم، وتعدد ما ابلى ذوا البلاء منهم، فان كثرة الذكر لحسن فعالهم تهز الشجاع، وتحرض الناكل (الجبان) ان شاء الله.

٦. حق الضمان الاجتماعي:

ونراه في قوله عليه السلام ((ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين، والمحتاجين، واهل البؤس والزمنى، فان في هذه الطبقة قانعا ومعتزا واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسما من بيت مالك، وقسما من غلات صوافي الاسلام في كل بلد، فلا يشغلنك عنهم بطر، فانك لا تعذر بتضييعك التافه لأحكامك الكثير المهم. ففرغ لأولئك ثقتك من اهل الخشية والتواضع فليرفع اليك امرهم، ثم اعمل فيهم بالإعذار الى الله يوم تلقاه فان هؤلاء من الرعية احوج الى الانصاف من غيرهم، وكل فاعذر الى الله في تادية حقه اليه))

٧. حق السكن واحترام الملكية الخاصة:

حيث اوصى مالكا بقوله (ولا تمسن مال احد من الناس مصل ولا معاهد) كما أشار عليه السلام الى اهمية اعمار الارض ((وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لان ذلك لا يدرك الا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة اضر بالبلاد واهلك العباد، ولم يستقم امره الا قليلا.. فان العمران محتمل ما حملته.

٨. حق التعبير والاجتماع وحرية الرأي:

حيث اشار عليه السلام ((يا أيها الناس ان ادم لم يلد عبدا ولا امة ان الناس كلهم احرار)) اما وصيته لمالك الاشرى في هذا الجانب فقد قال عليه السلام (واجعل لذوي الحاجات منك قسما تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلسا عاما، فتواضع فيه لله الذي خلقك، وتقعده عنهم جندك واعوانك، احراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متتع) فاني سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يقول: ((لن تقدر امة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتع)).

سابعاً : التوصيات

- بعد هذا العرض الموجز لاهم المقتطفات التي تؤكد الدور البارز لأمير المؤمنين عليه السلام في التأكيد على حقوق الإنسان من خلال عهده لملك الاشر رضوان الله تعالى عليه لا يسعنا إلا القول بأننا بأمس الحاجة إلى تفعيل تلك الوصايا في وقتنا الحاضر خصوصا ونحن نرى ما نرى من انتهاك لحقوق الانسان ويمكن ان يتم ذلك في خلال:
١. النقد للحاكم إذا ما ارتكب خطأً، وهو دليل أيضاً على إعطاء الإسلام مساحة للرأي الآخر في ضمن الإطار والحد الإسلامي ان لا احد فوق القانون. والدفاع عن حقوق الفرد في العيش الكريم في ظل دولة عادلة لا يخشى بطشها.
 ٢. عدم التساهل في الدماء وعدم الالتجاء إلى السيف والقبضة الحديدية في التعاطي مع من يعارضون الحكم مالم يلتجؤوا إلى العنف كوسيلة للتعبير عن الرأي. مع الأخذ بعين الاعتبار أن يكون الحاكم عادلاً ومسلماً كعلي وأن لا يلزم من ذلك التهريج والفوضى أو عدم وجود التكافؤ أو المصلحة العليا للإسلام، وكل هذه القيود الاحترازية تحتاج معرفتها إلى عقول استراتيجية وعقول فتوائية تجتمع للوصول إلى الحكم في الأمر والبت في القضايا.
 ٣. تحقيق العدالة والمساواة بين افراد المجتمع جميعاً.
 ٤. ابتعاد السلطة عن التهيب والقمع وسياسة تميم الافواه.
 ٥. ضمان حقوق الافراد في السكن الذي يحفظ كرامته.
 ٦. العدالة في توزيع الثروات.
 ٧. المساواة بين الجميع في الحقوق والواجبات.
 ٨. أهمية اعداد فلسفة حديثة لمؤسساتنا التعليمية تستمد افكارها من الوصايا التي جاءت في عهد امير المؤمنين(عليه السلام) لملك الاشر (رضي الله عنه) ليس فقط

فيما يتعلق بحقوق الانسان وانما تتناول كل الجوانب التي تطرق اليها عليه السلام في ذلك العهد حيث يعده الباحثون والمنصفون دستوراً متكاملًا لبناء الدولة على اساس العدل والمساواة.

٩. توجيه القنوات التلفزيونية الفضائية والبرامج التعليمية ببيان الاثر الكبير لفكر أمير المؤمنين عليه السلام في هداية البشرية والارتقاء بها على مر العصور.
١٠. اقامة دورات تدريبية وعقد ندوات تخصصية لكل المعنيين بدراسة القانون الدولي والدساتير لحثهم وتوجيههم على الاستفادة من الافكار الواردة في ذلك العهد. لما له من مضامين فكرية فذة.

ثامناً؛ المقترحات

استكمالا لهذا البحث وتعميماً للفائدة يقترح البحث اجراء بحوث ودراسات ضمن نفس المجال لغرض الاستفادة من التراث الكبير للدين الاسلامي الحنيف والافكار الربانية الخالدة لائمة اهل البيت عليهم السلام والتي تنبع من الخالق العظيم سبحانه وتعالى لغرض الاستفادة منها في تطوير المجتمع وبنائه على اساس رصينة لا ظلم فيها ولا تفرقة ولا استئثار بالمال والسلطة لفئة على حساب الفئات الاخرى.

وفي الختام فقد تناولت باختصار جانباً من سلطة الحق وحقوق الانسان في حكومة امير المؤمنين والتي كانت المثل الاعلى لإرساء قواعد العدل وبسط سلطة الحق ورعاية حقوق الانسان ونسأل الله ان يثبنا اجراً على كتابة هذا المجهود المتواضع بحق مولانا اسد الله الغالب علي ابن ابي طالب (عليه السلام) انه سميع مجيب.

مصادر البحث :

١. القرآن الكريم
٢. آل نجف، عبد الكريم (١٩٩٩): الدولة الإسلامية دولة عالمية، مجلة المنهاج، العدد ١٤، بيروت.
٣. التسخيري، محمد علي (١٩٩٥): حقوق الإنسان بين الإعلانين الإسلامي والعالمي، دار الثقليين، بيروت.
٤. الجزائري، علي فاخر محسن (٢٠١٠): رسالة الحقوق للإمام السجاد (عليه السلام) والإعلان العالمي لحقوق الإنسان- دراسة تربوية مقارنة-رسالة ماجستير غير منشورة كلية التربية (ابن رشد) جامعة بغداد.
٥. الحاج مسلم، سعدي جواد (ب.ت): اضواء على سلطة الحق والحقوق في حكومة أمير المؤمنين (عليه السلام).
٦. خلف، حسام عبد الأمير (٢٠٠٤): دور المنظمات الدولية في حماية حقوق الإنسان، رسالة ماجستير غير منشورة، المعهد العالي للدراسات الدولية، الجامعة المستنصرية.
٧. دكير، محمد (١٩٩٨): حقوق الإنسان في الإسلام من التأهيل إلى التقنين، مجلة المنهاج، العدد ١١، بيروت.
٨. دي ميلو، سيرجو فيرا (٢٠٠٣): مبادئ تدريس حقوق الإنسان أنشطة علمية للمدارس الابتدائية والثانوية، جنيف.
٩. الراجحي، صالح بن عبد الله (٢٠٠٤): حقوق الإنسان وحرياته الأساسية في الشريعة الإسلامية والقانون والوضعي، مكتبة العبيكان، الرياض.
١٠. زوير، انتظار رشيد (٢٠١٥): الإمام علي عليه السلام ومفاهيم حقوق الانسان (حقوق المرأة انموذجاً)، مجلة واسط للعلوم الانسانية، المجلد ١١،

العدد ٣٠.

١١. صالح، نبيل علي (٢٠٠٣): رسالة الحقوق الأثر الخالد، مقال في مجلة المنهاج، العدد ٣١، بيروت.
١٢. الطعيمات، هاني سليمان (٢٠٠١): حقوق الإنسان وحرياته الأساسية، دار الشروق، عمان - الأردن.
١٣. طي، محمد (٢٠٠١): حقوق الطفل في الإسلام، مجلة المنهاج، العدد ٢٢، بيروت.
١٤. عبد الحميد، عبد العظيم عبد السلام (٢٠٠٥): حقوق الإنسان وحرياته العامة وفقاً لأحدث الدساتير العالمية والمواثيق الدولية، دار النهضة العربية، القاهرة.
١٥. عمر، عماد (٢٠٠٠): سؤال حقوق الإنسان، عمان، الأردن.
١٦. فتحي، محمد (ب.ت): الفكر القانوني الاسلامي بين أصول الشريعة وتراث الفقه صفحة ٣٠٤-٣٠٦.
١٧. فهد، بدري محمد (١٩٨٨): تاريخ الفكر والعلوم العربية، جامعة بغداد، كلية الآداب.
١٨. القرشي، باقر شريف (٢٠٠٥): الإسلام وحقوق الإنسان، دار الهدى.
١٩. هادي، رياض عزيز (٢٠٠٠): العالم الثالث وحقوق الإنسان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

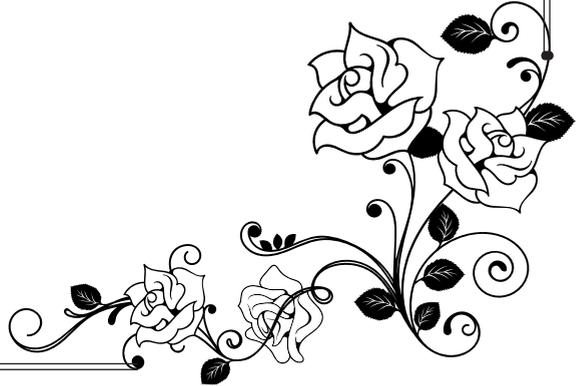
المنطلقات الإنسانية والأخلاقية

في رسالة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

إلى مالك الأشتر (رضي الله عنه)

أ.م.د. خميس غربي حسين

العراق- جامعة تكريت- كلية الآداب



المقدمة

من المسلم به أن الإسلام نظام إيجابي، يدعو إلى إقامة دولة تكون في غاية العدالة، تقوم سياستها على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويتعد نظامها عن كل ما يؤدي إلى استغلال الإنسان أو استعباده، ويبيح الإسلام للإنسان حرية القول والفعل في تغيير كل منكر يراه، والروح الإنسانية والأخلاق القويمة هي الأساس التي يقام عليها المجتمع، وهي كذلك المعيار الحسن لصلة الإنسان بربه وحسن تعامله مع أخيه الإنسان وتما انسجامه مع نفسه.

وفق هذه المعايير، فإن الإسلام دين الإنسانية والمثل الأخلاقية السامية، جاء برسالة تفيض بالمحبة والإخاء والدعوة الصارخة لتحقيق إنسانية الإنسان، وقد ظهر أدب الوصايا في فترة مبكرة من تاريخ الإسلام، فكان الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وسلم) أول من بدأ تحرير الرسائل والكتب إلى عدد من ولاة أمر المسلمين، وكان (عليه الصلاة والسلام) يوصي من تسند إليه وظيفة أو ولاية عامة، على ضرورة التعامل بالحسنى والأخلاق الفاضلة مع من هم في إمرته.

واستمر هذا الأمر في عهد أبي بكر وعمر وعثمان، فكانوا يشددون على حكام الولايات الإسلامية، وأمراء الجيش، أن يكون المعيار الأخلاقي والإنساني هو السبيل الوحيد لسياسة الرعية وقيادة الدولة، ولم يكن هذا المنهج ليطبق مع الرعية من المسلمين فحسب، بل امتد ليشمل جميع أفراد المجتمع على اختلاف مذاهبهم وأديانهم وألوانهم وأعراقهم، مما يبين حالة إنسانية وأخلاقية في منهج الإسلام وسلوك أفرادهم ممن يؤتمن عليهم مسؤولية القيادة في الدولة الإسلامية.

تأتي أهمية الموضوع من كون رسالة الإمام علي (عليه السلام) تعد دستوراً عظيماً بحد ذاته، تضمنت الكثير من الأطروحات الناضجة في مجال السياسة، والإدارة، والقضاء،

فضلاً على ما حوته من منطلقات إنسانية وأخلاقية تمثل الأفكار الأساسية في المنهج الإسلامي القائم على سمو الروح الإنسانية والأخلاق الفاضلة، وهذه كانت صفة ملازمة لشخصية الإمام علي (عليه السلام)، لا يمكن بأي حال من الأحوال تجاهلها عند الحديث عن أخلاق المسلمين ومنطلقاتهم الإنسانية.

عندما وصلت الخلافة إلى الإمام علي (عليه السلام) وارث الدوحة المحمدية، وهو الذي اشتهر ومنذ وقت مبكر من حياته بعدلته وصدق إيمانه، كانت المعايير الإنسانية والأخلاقية هي التي ترسم سلوكه في الحياة العامة، وسياسته مع الرعية، يتضح ذلك من عديد الوصايا والرسائل التي كان يوجه بها العمال والولاة على الأمصار الإسلامية. ولأن سياسة الدولة في مفهوم الإمام علي (عليه السلام) ليس في إطارها أضييق الذي ينبغي تحقيق غاية ما، مهما كانت الوسيلة إلى ذلك، بل أن مفهوم القيادة والإدارة في منطلقات الإمام (عليه السلام) تبدأ من حيث الحفاظ على القيم السامية التي دعا إليها الإسلام، والمساهمة في مواجهة الانحرافات التي بدأت تظهر في المجتمع الإسلامي، ومن ثم تقويمها واستبدالها بقيم تتوافق مع روح الدين الإسلامي.

من المعلوم أن نصائح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) نابعة من إيمانه بمبادئ الإسلام الإنسانية والأخلاقية والتي كانت في معانيها تهدف إلى إقامة نظام اجتماعي يتصف بالعدل، كما تجعل الإنسان غاية سامية بعيداً عن الأطر الضيقة التي كانت تعيشها البشرية، ولأن هذا الدين، دين التناصح والأخوة والمحبة وهو، أي الإسلام، يعمل على توجيه الإنسان والأخذ بيده إلى طريق السعادة وتحقيق إنسانيته، وحيث أن كل إنسان لا يستطيع أن يعرف أخطائه، أو قد يتغافل عنها لطبيعة في تركيب نفسيته؛ فإن الله تعالى ورحمة بعباده جعل من حق الأخ على أخيه أن يبصره بعيوبه، وأن يكون له مرآة يرى من خلالها ما به من نقص، كما جعل مبدأ النصيحة شعار المجتمع

الإسلامي^(١).

وانسجاماً مع ما سبق ذكره، فإن المؤسسات الإدارية والسياسية والقضائية والاقتصادية في منظور أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يمكن أن توضع فيها الأفكار والقضايا السياسية والقانونية والإدارية والخطط والبرامج والتوجيهات التي تحدد سياسة الدولة وترسم ملامحها وبأدق التفاصيل وهي تنحوا إلى هدف مهم وجوهري، ألا وهو خدمة الرعية وتحقيق سعادتهم، وهي كذلك، لا تخرج عن كونها قوانين وقرارات ومواقف واتجاهات تأخذ طريقها نحو التطبيق، في الواقع السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، من قبل الجهات المختصة بالتنفيذ والتطبيق في المجتمع، وعلى ذلك، يوصي الإمام علي (عليه السلام) مالك الأشتر^(٢) (رضي الله عنه) ((فولّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك، وأطهرهم جيباً، وأفضلهم حلماً، ممن يبطئ عن الغضب، ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضعفاء، وينبوا عن الأقوياء، وممن لا يثيره العنف، ولا يقعد به الضعف))^(٣).

وكما هو معلوم، أن غاية الدولة في الفكر السياسي للإمام علي (عليه السلام) هي خدمة الرعية والسهر على راحتهم وليس في أن يتسلط الوالي أو الأمير على رقاب الناس أو كبجهم بالخوف، ولكن الغاية الأخيرة منها هو تحرر كل إنسان من الخوف طالما كان غير مقترف لذنوب أو معصية أو اعتدى على الآخرين، كما يتضح من وصية الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى مالك الأشتر (رضي الله عنه) واليه على مصر بقوله : ((و اشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللفظ بهم، ولا تكونن سبعا ضارياً تغتمم أكلهم فأنتهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد و الخطأ))^(٤) وعند ذلك يعمل الفرد في دولة الإسلام بجو من الطمأنينة والأمن، ويعيش في وئام مع نفسه، وممن يحيط به من الناس، وهذه الفكرة التي كانت

في سلم أولويات القيادة عند الإمام علي (عليه السلام) نجد صداها عند الكثير من المفكرين الغربيين، كما ذهب إلى ذلك (ول ديورانت) بقوله : ((إن الغاية الدولة ليست تحويل الناس إلى وحوش آلات صماء، ولكن الغاية تمكين أجسامهم وعقولهم من العمل في أمن واطمئنان، وان ترشدهم إلى حياة تسودها حرية الفكر والعقل، كي لا يبددوا قواهم في الكراهية والغضب والغدر، ولا يظلم بعضهم بعضاً، وهكذا فإن غاية الدولة هي الحرية في المجتمع))^(٥).

إن القارئ المدقق، والمتأمل للرسالة التي بعثها (عليه السلام)، إلى والي مصر مالك الأشتر (رضي الله عنه)، سيجد أن الجوانب الإنسانية والأخلاقية تكاد تغطي على ما سواها، ولأن الجوانب الإنسانية والأخلاقية من هواجس الإمام علي (عليه السلام)، فكان الإمام (عليه السلام) يحاول أن يزرع في نفوس الولاة مبادئ وقيم الدين الإسلامي، التي تتضمن حب الخير، والتطلع للأفضل، فيما يرتبط بالعلاقات بين الولاة والرعية من المسلمين وغير المسلمين، والتي يجب أن تتحلى بالسلوك الحسن الذي يضمن السعادة لأبناء المجتمع. وهذا هو الذي صاغ الحياة الإسلامية، والفكر الإسلامي، وهو الذي قامت عليه حضارة الإسلام يوم قدر لها أن تسود العالم، وأن ترف راية الإسلام في الشرق والغرب.

وبطبيعة الحال، فإن هذه الوثيقة ذات أبعاد عمومية، لأن هذه الرسالة وأن كانت موجهة إلى والي أحد الأمصار بعينه، إلا أنها تشمل كل من تسنم منصب، أو تولى أمر المسلمين في دولة الإمام علي (عليه السلام)، من هنا تتضح أهمية هذه الدراسة على المستوى الأكاديمي، والعلمي، والفكري، كون أن هذه الوثيقة تشكل دستوراً لبناء دولة إنسانية، ومن هنا أيضاً توجب على الدارسين والباحثين وقادة المسلمين المعاصرين أن يستفيدوا من دراسة هذا السفر السياسي الاجتماعي والقضائي والاقتصادي.

إن كلمة (منطلقات) التي جعلناها أحد مفردات عنوان هذا البحث نعني بها، كيف

أن الإمام علي (عليه السلام) كان يؤسس لبناء منظومة قيمية ذات منهج يرتكز في أساسه على الجانب الإنساني والأخلاقي، ويتجه قادة المسلمين وأولي الأمر لتكون الأخلاق الفاضلة عنوان فاصل بين دولة الإسلام ذات التعاليم الربانية، وبين دول التعاليم الوضعية، وهذا يعني أن الإمام علي (عليه السلام) كان ينطلق في تفكيره وأقواله وأفعاله ودعوته إلى منهج الإسلام بمصدره: القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد اتضح ذلك في مفردات الرسالة التي خص بها أمير المؤمنين (عليه السلام) واليه على مصر مالك الأشر (رضي الله عنه).

اقتضت طبيعة هذه الدراسة تقسيمها على ثلاث مباحث، سبقتها مقدمة وانتهت بخاتمة، تضمنت المقدمة بيان أهمية الموضوع والإشارة إلى المنهج السياسي الإسلامي كذلك تكلمنا عن الأسلوب التي اتخذها الإمام علي في قيادة الدولة الإسلامية، من خلال الوصايا والرسائل والتوجيهات التي كان يسديها إلى الولاة وعامة الناس، أما المبحث الأول، فقد تضمن بناء شخصية الإنسان في فكر الإمام علي (عليه السلام)، وتطرق المبحث الثاني، إلى الجوانب الأخلاقية في عهد الإمام علي (عليه السلام)، وتكلمنا في المبحث الثالث، إلى الجوانب الأخلاقية في العهد، وانتهت الخاتمة إلى بيان أهم النتائج التي توصلنا إليها في البحث.

المبحث الأول

بناء شخصية الإنسان في فكر الإمام علي (عليه السلام)

من المعلوم أن الدراسات التي تختص بفكر الإمام علي (عليه السلام) ولا سيما في الجانب السياسي تكتسب أهميتها ونوعيتها لأن الإمام علي (عليه السلام) من الشخصيات التي تركت أثراً كبيراً وعميقاً في تاريخ الفكر السياسي الإسلامي^(٦)، وقد بين الإمام (عليه السلام) في أكثر من مناسبة أن قيامه بالأمر لم يكن ليحصل لولا أنه يريد إقامة العدل، ولم ينظر إلى منصب الخلافة على أنه منصب تشريف^(٧)، بل منصب تكليف لتحقيق الجوانب الإنسانية والأخلاقية التي دعا إليها الإسلام.

وإن الدارس لسيرة الإمام علي (عليه السلام) سيجد أنه قضى شطراً كبيراً من حياته محاولاً بناء دولة الإنسان التي جل اهتمامها ينصب في الحفاظ على كرامته محمداً ذلك بضوابط منها العدل والقدوة الحسنة، فضلاً عن المساواة بين أفراد المجتمع من المسلمين وغير المسلمين ضمن الدولة الإسلامية، تبين ذلك من خلال الأقوال والأفعال التي صدرت عنه (عليه السلام)، وكانت سياسته حتى مع المعارضين له قائمة على الحوار والنقاش الهادئ البناء، يقول المفكر العربي طه حسين: ((لم يكن الإمام علي (عليه السلام) يستبيح لنفسه مكرراً ولا كيداً ولا دهاء، كان يؤثر الدين الخالص على هذا كله، وكان يتحمل الحق مهما ثقلت مئنته، لا يعطي في غير موضع للعتاء، ولا يشتري الطاعة بالمال، ولا يجب أن يستقيم أمر المسلمين على الرشوة، ولو شاء الإمام علي (عليه السلام) المكر لكاد، ولكنه آثر دينه وأبى إلا أن يمضي في طريقه إلى المثل العليا من الصراحة والحق والإخلاص والنصر لله وللمسلمين، عن رضي واستقامة، لا عن كيد والتواء))^(٨).

وتظهر مسألة بناء شخصية الإنسان في المجتمع الإسلامي وفق المنظور العلوي،

عندما كان الإمام علي (عليه السلام) قدوة للرعية كي يكون كلامه يوافق فعله وتصرفه، رأى ابن عباس الإمام علي (عليه السلام) وهو يخصف نعله ((فسأله الإمام علي (عليه السلام) ما قيمة هذا النعل؟ فقال ابن عباس: لا قيمة لها، فقال الإمام: والله هي أحب إليّ من أمرتكم إلا أن أقيم حقاً أو ادفع باطلاً))^(٩).

كان منهج الإمام علي (عليه السلام) يركز في أساسه على تعاليم القرآن والسنة النبوية، وكان (عليه السلام) يقرر هذا المنهج قولاً وفعلاً، ويمكن تلمس ذلك من خلال حرصه على تطبيق الأحكام الشرعية بشكل فعلي في إطار التنظيم المالي والإداري إبان خلافته والتي تظهر بشكل واضح في خطبه ووصاياه إلى عماله^(١٠)، ففي رسالة إلى محمد بن أبي بكر عندما وليّ مصر أوصاه الإمام علي (عليه السلام) بتقوى الله والإحسان إلى الرعية، بقوله (عليه السلام): ((واني أوصيكم بتقوى الله فيما انتم عنه مسئولون، و عما أنتم إليه صائرون، فإن الله قال في كتبه (فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّكَ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ^(١١)، فعليك بتقوى الله فإنها تجمع من الخير ما لا يجمع غيرها ويدرك بها ما الخير ما لا يدرك غيرها، من خير الدنيا وخير الآخرة))^(١٢).

والإمام علي في دعوته للإصلاح يؤكد على أهمية الوعي بأخبار السالفين، والاستفادة من تجارب السابقين والأخذ منها، فيصبح الإنسان كأنه عاش معهم، ففي وصية لولده الإمام الحسن (عليه السلام) يقول ما نصه: ((بابني إني وإن لم أكن قد عمرت عمر من كان قبلي، فقد نظرت في أعمارهم، وفكرت في أخبارهم وسرت في آثارهم حتى عدت كأحدهم، بل كأني بما انتهى إليّ من أمورهم قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضرره، واستخلصت لك من كل أمر نخيله وتوخيت لك جميله))^(١٣).

لقد كان الإمام علي (عليه السلام) حريص جداً، في تحقيق المبادئ الإنسانية في ظل الخلافة الإسلامية، واتباع أساليب متعددة في سبيل تحقيق هذا الهدف منها، سياسة إرسال العيون إلى الأمصار لمتابعة عماله، فيشجع المحسن ويعاقب المسيء، يقول الإمام في وصيته لمالك الأشر (رضي الله عنه) : ((ولا يكون المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء، فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة، وألزم كل منهم ما ألزم نفسه))^(١٤).

والإمام علي (عليه السلام) يريد بناء شخصية الوالي، من خلال العلاقة الطيبة مع الرعية والقائمة على التفاهم والانسجام بين الطرفين، وهذا يتحقق من خلال حسن ظن الوالي برعيته كي تزداد الثقة بين الطرفين. يظهر ذلك في عهده إلى مالك الأشر (رضي الله عنه)، يقول (عليه السلام) : ((واعلم أنه ليس شيءٌ أدعى إلى حسن ظن والي برعيته من إحسانه إليهم وتخفيفه المؤونات عليهم، وترك استكراهه إياهم، على ما ليس له قبلهم، فليكن منك في ذلك أمرٌ يجتمع ل كبه حسن الظن برعيتك، فإن حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً، وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده، وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده))^(١٥).

المبحث الثاني

الجوانب الإنسانية

يقودنا الحديث عن الجوانب الإنسانية في وصايا ورسائل الإمام علي (عليه السلام) إلى تأكيد أمر في غاية الأهمية، وهو أن الإسلام جاء ليرسي القيم الإنسانية في الأرض، ويخرج الناس من قهر العبودية والتسلط إلى فضاء الحرية والعدل والتعامل على أساس الأخوة الإنسانية، ونجد الخليفة علي (عليه السلام) يجسد هذا المعاني في أقواله وأفعاله، لا سيما في رسائله ووصاياه إلى الولاة، وقد تجسدت القيم الإنسانية في هذه الوصايا وفق مفاهيم تربوية وأخلاقية وإنسانية، منها مساعدة الضعفاء والفقراء، والتأكيد على حسن معاملة الرعية حتى من غير المسلمين، وفق منهج الإسلام الذي بني على الروح الإنسانية، والتي تتمثل في حق الرعية على الوالي، وحق الوالي على الرعية، ولعل ذلك من أهم المبادئ التربوية والأخلاقية والإنسانية التي جاء بها الإسلام.

وليس أدل على الجوانب الإنسانية في نهج الإمام علي (عليه السلام) هو إلغاء للتمييز في توزيع العطاء، والذي كان جزءاً من سياسة إصلاحية بعيدة المدى تنسجم مع مبادئ الإسلام^(١٦)، إذ رأى (عليه السلام) أن التقوى والسابقة في الإسلام، والجهاد والصحة للرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) أمور لا تمنح أصحابها مراتب أو مميزات في الدنيا، وإنما لتلك المزايا ثوابها عند الله في الآخرة، ومن كان له قدم فإن الله تعالى يتولى جزاءه، أما في هذه الدنيا فإن الناس سواسية في الحقوق المالية في القضاء الإسلامي، وفي الواجبات والتكاليف^(١٧).

إن ما ذكرناه آنفاً قد تجسد في عهود الإمام إلى ولاته، ففي وصيته إلى محمد بن أبي بكر، والي مصر دعوة إلى ضرورة التعامل مع الرعية بالحسنى، سواء كانوا مسلمين أو من أهل

الذمة، كما يأمره بالعفو عن الناس، يقول الإمام علي (عليه السلام) ((أمرك بتقوى الله، والطاعة في السر والعلانية، وخوف الله في الغيب، وباللين على المسلم، وبالغلظة على الفاجر، وبالعدل على أهل الذمة، وبإنصاف المظلوم، وبالشدّة على الظالم، وبالعفو عن الناس، وبالإحسان ما استطعت))^(١٨).

ومن وصاياه إلى عماله في ضرورة التعامل بروح الإنسانية التي جاء الإسلام لتحقيقها في المجتمع قوله (عليه السلام) إلى عدد من عماله : ((أما بعد فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظةً وقسوةً، واحتقاراً وجفوةً، ونظرت فلم أرهم أهلاً لن يدنوا لشركهم، ولا أن يقصوا ويجفوا لعهدهم، فلبس لهم جلباباً من اللين تشوبه بطرف من الشدة، وداول لهم بين القسوة والرأفة، وامزج لهم بين التقريب والإدناء، والإبعاد والإقصاء. إن شاء الله))^(١٩). والإمام (عليه السلام) كان يتحرى في تطبيق أحكام الشريعة ومحاسبة عماله، وتظهر شدته أن عامله (مصقلة بن هبيرة) لما أحس الخطر المحدق به أثر الهروب من مواجهة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بسبب خطأ اقترفه هذا العامل^(٢٠).

والجوانب الإنسانية في وصايا الإمام علي (عليه السلام) إلى عماله تظهر واضحة لكل دارس لسيرته (عليه السلام)، ففي رسالة إلى والي البصرة زياد بن أبيه تحذير من الاستئثار بأموال الرعية، وخيانة الأمانة التي كلف بها على اعتبار أن الذي يقوم بخدمة عامة في دولة المسلمين يجب أن يتبنى الروح الإنسانية في كل ما هو مؤتمن عليه^(٢١)، ومن الجوانب الإنسانية في شخصية الإمام علي (عليه السلام) شدته في الحق، كتب إلى ابن عمه عبد الله بن عباس عندما ولاه البصرة ما نصه : ((فما أتاك من الدنيا فلا تكثر به فرحاً، وما فاتك فلا تكثر عليه جزعاً، واجعل همك لما بعد الموت. فكان ابن عباس يقول : ما اتعظت بكلام قط اتعاطي بكلام أمير المؤمنين))^(٢٢).

إن المنطلقات الإنسانية التي نجدها عند الإمام علي (عليه السلام) في السلم والحرب على حد سواء فهو يوصي أتباعه قبل لقاء العدو بقوله : ((لا تقاتلوهم حتى يبدءوكم،

فإنكم بحمد الله على حجة، وترككم إياهم حتى يبدءوكم حجة أخرى لكم عليهم، فغن كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مديراً؛ ولا تصيبوا مُعوراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم، وسببن أمراءكم فإنهن ضعيفات القوى والنفس والعقول؛ إن كنا لنؤمر بالكف عنهن وإنهن لمشركات، وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالفهر أو الهراوة، فيعير بها وعقبه من بعده ((^{٢٣})، وهذا يظهر الأبعاد الإنسانية والأخلاقية في منهج الإمام (عليه السلام) في تربية أعوانه على محاسبة أنفسهم والخوف من الله في كل صغيرة وكبيرة.

وتظهر العدالة الاجتماعية والمعايير الإنسانية في تأكيد الإمام علي (عليه السلام) على ولاته في أن يجعلوا في حساباتهم أن لا يكون هم العمال جلب الخراج فقط، بل الإنفاق على عمارة البلاد كي لا يلحقها التدهور والخراب، يتضح ذلك من قوله (عليه السلام) : ((وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد، وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً، فإن شكوا ثقلًا أو علةً، أو انقطاع شرب، أو بالة أو إحالة أرض أعتمرها غرقً، أو أجحف بها عطش، خفت منهم بما ترجو أن تصلح به أمرهم... وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها، وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع، وسوء ظنهم بالبقاء، وقلة انتفاعهم بالعبء)) (^{٢٤}).

كانت وصيته في التخفيف عن الفلاحين من أجل إصلاح أمرهم، لما يصيب الأراضي الزراعية من آفات، وهي في الوقت نفسه تظهر الفكر الراجح لدى الإمام علي (عليه السلام) في بناء مجتمع وفق منظومة إنسانية قائمة على الأخلاق وليس استغلال أصحاب الأراضي بالخراج، لأن ذلك سوف يعوض في الازدهار المرتقب، مستقبلاً وسيشعر الناس أن الدولة مهتمة بهم، وتساعدهم في حل مشاكلهم، وبذلك تكون معهم في الضراء والسراء.

المبحث الثالث

الجوانب الأخلاقية

تظهر الأخلاق الفاضلة عند الإمام علي من خلال وصاياه وفي أحلك الظروف، فعندما طعنه ابن ملجم أوصى (عليه السلام) أولاده والمقربين بكلام كله مثل وأخلاق، توضح عظمة شخصية الإمام علي (عليه السلام) ورسوخ مبادئ الإسلام في نفسه، قال (عليه السلام): ((وصيتي لكم أن لا تشرکوا بالله شيئاً، ومحمد صلى الله عليه وآله، فلا تضيعوا سنة، أقيموا هذين العمودين، وأوقدوا هذين المصباحين، وخلاكم ذم، أنا بالأمس صاحبكم، واليوم عبرة لكم، وغداً مفارقكم، إن أبق فأنا ولي دمي، وإن أفنى فالفناء ميعادي، وإن أعف فالعفو لي قربة، وهو لكم حسنة))^(٢٥).

إن الأخلاق الفاضلة عند الإمام علي تتجلى في وصاياه لعمالة وولاة أمر المسلمين ليتمسكوا بالقيم الإسلامية التي تدعو إلى سمو الأخلاق ومراعاة حقوق الناس وعدم البذخ والإسراف من بيت مال المسلمين ففي إحدى وصاياه إلى عماله يقول (عليه السلام): ((فدع الإسراف مقتصداً، واذكر في اليوم غداً، وامسك من المال بقدر ضرورتك، وقدم الفضل ليوم حاجتك، أترجوا أن يعطيك الله أجر المتواضعين وأنت عنده من المتكبرين، وتطمع في نعيم الآخرة، وأنت متمرغ في النعيم تمنعه الضعيف والأرملة))^(٢٦).

ومن نافلة القول أن نشير هنا، إلى أن الإمام علي (عليه السلام) قد اتبع سياسة حازمة تتسم بالإنسانية والأخلاق الفاضلة نابعة من فهمه للإسلام ومبادئه، فكان يختار أعونه ومساعدته في إدارة الدولة ممن تتوافر فيهم صفات العدل والصدق والأمانة^(٢٧)، ويكتب لمن يعينه في منصب عام عهداً يقرأه على الناس في بداية ولايته، فإن انحرف عنه وجبت عليه العقوبة، وكان يراقب العمال مراقبة دقيقة، من خلال العيون التي كانت تنقل له

الأخبار عن الوالي في كل مصرٍ على حدة^(٢٨). ففي رسالة بعثها أمير المؤمنين علي (عليه السلام) إلى زياد بن أبيه وهو خليفة عامله عبدالله بن عباس على البصرة يتضح فيها حزم الإمام (عليه السلام) وشدته في ضرورة أن يكون الوالي حريصاً على العدل والحفاظ على المال العام وعدم الجور على الرعية، يقول (عليه السلام): ((وإني أقسم بالله قسماً صادقاً، لئن بلغني أنك خنت من فئ المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً، لأشدن عليك شدة تدعك قليل الوفرة، ثقيل الظهر؛ ضئيل الأمر والسلام))^(٢٩).

ومن أخلاق الإمام علي (عليه السلام) عدله في القضاء، وهذه سمة لازمت الإمام علي (عليه السلام) قبل تولي الخلافة وبعدها، يروى عن الإمام علي (عليه السلام) لما بعثه الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) قاضياً على اليمن وهو لا يزال شاباً، قوله: ((بعثني الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) وأنا شاب اقضي بينهم، ولا ادري ما القضاء، قال فضرب صدري وقال: اللهم ثبت قلبه وثبت لسانه، فو الذي فلق الحبة ما شكلت بعد ذلك في القضاء بين اثنين))^(٣٠). وقد بين الإمام علي منهجه في القضاء بقوله: ((الذليل عندي عزيز حتى أخذ الحق له، والقوي عندي ضعيف حتى أخذ الحق منه))^(٣١)، وعدل الإمام علي (عليه السلام) هو المثال الإنساني الخالد في التعبير عن كلية العدل ووحدانية فروعها في الأفكار وفي الممارسة، وفي العلاقة على الصعيدين الفردي والجماعي^(٣٢).

وفي عهده (عليه السلام) إلى مالك الأشتر (رضي الله عنه) والي مصر، هناك جوانب أخلاقية منها الدعوة إلى إقامة سلطان الإسلام المبني على العدل، وعدم المساومة في إحقاق حق، أو إزهاق باطل، يقول الإمام (عليه السلام): ((أنصف الله وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك هوى فيه من رعيته، فإنك إلا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خصمه الله ادحض حجته، وكان لله حرباً حتى ينزع أو يتوب، وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من إقامة

على ظلم، فإن الله يسمع دعوة المضطهدين، وهو للظالمين بالمرصاد)) (٣٣).

والجانب الأخلاقي في الرسالة يظهر بوضوح، عندما ينطلق الإمام علي (عليه السلام) في توجيه مالك الأشتر (رضي الله عنه) من منهج إسلامي أخلاقي أصيل، وروح إنسانية وثابة، في الدعوة إلى ضرورة توخي الحذر في تعامله وسلوكه وإدارته للبلاد، والابتعاد عن الأبهة والكبر، لأن الله سائله يوم القيامة عن جميع أعماله وأفعاله، يظهر ذلك من قوله (عليه السلام): ((فأعطهم من عفوك وَصَفْحِكَ، مثل الذي تحب وترضى أن يُعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك، وقد استكفأك أمرهم، وابتلاك بهم، ولا تنصبن نفسك لحرب الله، فإن هلا يدي لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته)) (٣٤).

يؤكد الإمام علي (عليه السلام) على أهمية رضا الرعية عن الوالي، وهذه بطبيعة الحال، لا تأتي من دون العمل والسهر من قبل الوالي على مصالح الرعية، وفي هذا يوصي الإمام علي (عليه السلام) مالك الأشتر (رضي الله عنه) بالتوسط في جميع الأمور بغية الوصول إلى الحق الذي هو جزء من الأخلاق ((وليكن أحبَّ الأمور إليك أو سخطها في الحق، وأعمها في العدل، وأجمعها لرضا الرعية، فإن سخط العامة يجحف برضا الخاصة، وإن سخطَ الخاصة يغتفرُ مع رضا العامة)) (٣٥)، وعلق مؤلف كتاب شرح نهج البلاغة على هذه الخاصية في الوالي بقوله: ((ثم عرفه أن قانون الإمارة الاجتهاد في رضا العامة، فإنه لا مبالاة بسخط خاصة الأمير مع رضا العامة، فأما إذا سخط العامة لم ينفعه رضا الخاصة، وذلك مثل أن يكون في البلد عشرة أو عشرون من أغنيائه، وذوي الثروة من أهله، يلازمون الوالي ويخدمونه ويسامرونه، وقد صار كالصديق لهم، فإن هؤلاء ومن ضارهم من حواشي الوالي وأرباب الشفاعات والقربات عنده لا يغنون عنه شيئاً عند تنكر العامة له، وكذلك لا يضر سخط هؤلاء إذا رضيت العامة، وذلك لأن هؤلاء عنهم

غنى، ولهم بدل، والعامّة لا غنى عنهم ولا بدل منهم، ولأنهم إذا سغبوا عليه كانوا كالبحر إذا هاج واضطرب، فلا يقاومه احد، وليس الخاصة كذلك)) (٣٦).

لا ينحصر المفهوم الأخلاقي الإنساني عند الإمام علي (عليه السلام) في علاقة الوالي الايجابية بالرعية بل يتعدى ذلك إلى إقامة علاقة مبنية على المحبة لهم، يقول (عليه السلام) في عهده إلى مالك الأشتر (رضي الله عنه) : ((أطلق عن الناس عقدة كل حقدٍ، واقطع عنك سبب كل وترٍ، وتغاب عن كل ما لا يضح لك، ولا تعجلن إلى تصديق ساعٍ، فإن الساعي غاش وإن تشبه بالناصحين)) (٣٧).

الخاتمة والاستنتاجات

بعد أن أكملنا هذا البحث لا بد أن نضع خاتمة نبين فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها، وهي الآتي :-

أولاً :- ظهر أدب الرسائل والوصايا في الحقبة المبكرة من تاريخ الإسلام، إذ أن الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) كان يوصي ولاية أمر المسلمين بضرورة مراعاة حقوق الرعية والخشية من الله، ومحاسبة أنفسهم في كل صغيرة وكبيرة، فضلاً عن ذلك، فقد بعث الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) بعدد من الرسائل إلى ملوك الدول المجاورة، يطلب منهم الدخول في الإسلام، واستمر هذا الأمر في عهد الحكام الثلاثة الأول، وكان الإمام علي (عليه السلام) لورعه وتقواه وخشيته من الله، معروفاً بكثرة رسائله إلى ولاته ومعارضيه يحذرهم فيه على مراعاة أوامر الله ونواهيه، ويحث على التعامل مع الرعية من منطلق الإنسانية والأخلاق التي دعا الإسلام إلى التمسك بها.

ثانياً :- لقد كان في رسالة الإمام علي (عليه السلام) إلى واليه مالك الأشتر (رضي الله عنه) دروساً وعبراً أراد الإمام (عليه السلام) أن يبين من خلالها جملة من المفاهيم والقيم

الإنسانية والأخلاقية النابعة من فهم الإمام علي (عليه السلام) للدين الإسلامي الحنيف، وهذا ما يتضح في معظم فقرات الرسالة، التي تفيض عدلاً ومحبةً وإنسانيةً، والدعوة إلى التمسك بتعاليم الإسلام في الإدارة وسياسة الرعية.

ثالثاً: - ولأن الجوانب الإنسانية والأخلاقية من هواجس الإمام علي (عليه السلام)، فكان الإمام (عليه السلام) يحاول أن يربي ويزرع في نفوس الولاة مبادئ وقيم الدين الإسلامي، التي تتضمن حب الخير، والتطلع للأفضل، فيما يرتبط بالعلاقات بين الولاة والرعية من المسلمين وغير المسلمين، والتي يجب أن تتحلّى بالسلوك الحسن، والمبادئ الإنسانية والأخلاقية التي تحقق السعادة لأبناء المجتمع. وهذا هو الذي صاغ الحياة الإسلامية، والفكر الإسلامي، وهو الذي قامت عليه حضارة الإسلام يوم قدر لها أن تسود العالم، وأن ترف راية الإسلام في الشرق والغرب.

رابعاً: - يعد عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى الوالي مالك الأشتر (رضي الله عنه) برنامج عمل، يصلح لإدارة دولة الإسلام في الوقت الحاضر، ذلك لما تضمنته من مقاصد منها، سعة العدل التي تجعل المجتمع خالياً من الظلم، وذلك بإرجاع الحق إلى المظلوم بانتزاعه من الظالم، وكذا الإحسان الذي يعني في منهاج الإمام علي (عليه السلام) أن يطبق القانون على الجميع دون تمييز ولو كان من خاصة بيت الإمام علي (عليه السلام).

خامساً: - الحرص على أموال المسلمين وتوزيعها بالعدل دون النظر لقرابة أو عرق أو مذهب أو اتجاه فكري، كي لا تكون الأموال دولة بين طبقة محددة وطبقة من أبناء المجتمع، وهذا ما يحصل في الوقت الحاضر في العديد من الدول التي تدعي أنها تدين بالإسلام، دين الأخلاق الفاضلة والمبادئ الإنسانية وهذا المنهج طبقه الإمام (عليه السلام) على نفسه وأهل بيته وقرابته أولاً.

سادساً: - في عهد الإمام (عليه السلام) برنامج عمل، وخطط تنموية لبناء شخصية

الفرد المسلم، تصلح لسياسة وإدارة الدول الإسلامية في الوقت الحاضر، وعلى ولاية الأمر في هذه الدول الانتباه لما حوته هذه الرسالة واستنطاقها لأنها منطلق الإصلاح ودستور حياة، وإقامة ورش عمل وندوات تثقيفية، لا سيما في بلد مثل العراق تتقاذفه الأمواج، ولا يعرف ولاية الأمر فيه كيف السبيل للخلاص من هذه المحنة التي يعيشها أبناءه، ونحن هنا نرى أن يوزع كراساً من عهده على جميع المسؤولين وأعضاء البرلمان في العراق ليطلعوا على هذه الوثيقة المهمة.

سادساً: - نجد في العهد أدلة تبين حرص الإمام علي (عليه السلام) في المحافظة على أموال المسلمين، وإقامة العدل بينهم، فضلاً عن زهده (عليه السلام)، والمساواة بين الناس على اختلافهم، ولا غرابة في ذلك، فالإمام علي (عليه السلام) لا يخضع لعاطفة، أو مساومة لأن منهجه مستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ثبت المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولاً:- المصادر الأولية.

١- ابن أبي حديد : شرح نهج البلاغة، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط ٢، (القاهرة/ ١٩٦٧م).

٢- أبي حديد : شرح نهج البلاغة، مراجعة وتحقيق : لجنة إحياء التراث منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت/ د.ت).

٣- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير : تاريخ الرسل والملوك، المطبعة الحسينية، (القاهرة/ ١٩١٧م).

٤- الشيخ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن : الأمل، قدم له السيد محمد باقر بحر العلوم، مطبعة النعمان (النجف / ١٩٦٤م).

٥- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد : معالم الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق : أحمد عبد الستار فراج، وزارة الإرشاد، (الكويت/ ١٩٦٤م)، ج ١، ص ١٠٣.

٦- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب : تاريخ اليعقوبي، مطبعة أمير، (طهران/ ١٩٥٢م).

ثانياً:- المراجع.

١- صمد محمد الصمد : نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، (بيروت/ ١٩٩٤م).

٢- طه حسين : علي وبنوه، دار المعارف للطباعة، (مصر/ ١٩٦٥م)

٣- عبد الرضا الزبيدي : في الفكر الاجتماعي عند الإمام علي، ط ١، (لا.ب/ ١٩٩٨م).

٤- عبد الزهرة عثمان : العدالة الاجتماعية عند أمير المؤمنين علي (عليه السلام) - صور ومصاديق - المركز الوطني للدراسات الاجتماعية والتاريخية، (البصرة/ ٢٠٠٣م).

- ٥- عبد الوهاب التازي سعود : الأخلاق الإسلامية، مراجعة : محمد المكي الناصري، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ط٢، (الرباط / ١٩٩١م).
- ٦- عزيز السيد جاسم : علي سلطة الحق، منشورات الاجتهاد، (قم / ٢٠٠٧م).
- ٧- محمد باقر المجلسي : بحار الأنوار، دار المعارف للمطبوعات، ط١، (بيروت / ١٤٢١هـ).
- ٨- محمد طي : الإمام علي ومشكلة نظام الحكم، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط٢، (النجف / ١٩٩٧م).
- ٩- محمد عبده : شرح نهج البلاغة، مؤسسة الأعلمي، (بيروت / د.ت).
- ١٠- ول ديورانت : قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ترجمة : فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، ط٣، (بيروت / ٢٠٠٤م).
- ثالثاً : الرسائل والاطاريح الجامعية.
- ١- علاء كامل صالح العيساوي:النظم المالية والإدارية في عهد الإمام علي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة البصرة / ٢٠٠٥م.

الهوامش:

١. عبد الوهاب التازي سعود : الأخلاق الإسلامية، مراجعة : محمد المكي الناصري، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ط ٢، (الرباط / ١٩٩١ م)، ص ٢٣.
٢. هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث بن مسلمة بن ربيعة بن خزيمة بن سعد بن مالك ابن النخع بن عمرو بن علة بن خالد بن مالك بن أدد، وقد وصفه الإمام علي عند توليته الإمارة على الجيش بقوله : وقد أمرت عليكما وعلى من في حيزكما مالك بن الحارث الأشتر، فاسمعاه وأطيعاه واجعله درعاً ومجناً، فإنه ممن لا يخاف وهنه، ولا سقطته، ولا بطؤه عما الإسراع إليه أحزم، ولا إسراعه إلى ما البطء عنه أمثل. (ابن أبي حديد : شرح نهج البلاغة، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط ٢، القاهرة / ١٩٦٧ م، ج ١٥، ص ٩٨).
٣. ابن أبي حديد : شرح نهج البلاغة، مراجعة وتحقيق : لجنة إحياء التراث منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت / د.ت) مج ٥، ص ٣٨.
٤. ابن أبي حديد : شرح نهج البلاغة، مج ٥، ص ٢٤.
٥. قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ترجمة : فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، ط ٣، (بيروت / ٢٠٠٤ م)، ص ١٤٨.
٦. عبد الرضا الزبيدي : في الفكر الاجتماعي عند الإمام علي، ط ١، (لا.ب / ١٩٩٨ م)، ص ٢٠٧.
٧. محمد طي : الإمام علي ومشكلة نظام الحكم، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ط ٢، (النجف / ١٩٩٧ م)، ص ٤٠.
٨. علي وبنوه، دار المعارف للطباعة، (مصر / ١٩٦٥ م)، ص ١٢١.
٩. ابن حديد : شرح نهج البلاغة، ج ٢، ص ١٧٦.

١٠. علاء كامل صالح العيساوي : النظم المالية والإدارية في عهد الإمام علي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة البصرة / ٢٠٠٥م، ص ١٦.
١١. سورة الحجر، آية : ٩١.
١٢. الشيخ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن : الآمالي، قدم له السيد محمد باقر بحر العلوم، مطبعة النعمان (النجف / ١٩٦٤م)، ص ٢٥.
١٣. محمد باقر المجلسي : بحار الأنوار، دار المعارف للمطبوعات، ط ١، بيروت / ١٤٢١هـ)، ج ٧٤، ص ٢٠١.
١٤. ابن أبي حديد : شرح نهج البلاغة، مج ٥، ص ٣٣.
١٥. ابن أبي حديد : نهج البلاغة، مج ٥، ص ٣٤.
١٦. عبد الزهرة عثمان : العدالة الاجتماعية عند أمير المؤمنين علي (عليه السلام) - صور ومصاديق - المركز الوطني للدراسات الاجتماعية والتاريخية، (البصرة / ٢٠٠٣م)، ص ١١.
١٧. عبد الزهرة عثمان : العدالة الاجتماعية عند الإمام علي، ص ١١.
١٨. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير : تاريخ الرسل والملوك، المطبعة الحسينية، (القاهرة / ١٩١٧م)، ج ٣، ص ٢٣٩.
١٩. ابن أبي حديد : شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ص ١٣٧.
٢٠. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد : معالم الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق : أحمد عبد الستار فراج، وزارة الإرشاد، (الكويت / ١٩٦٤م)، ج ١، ص ١٠٣.
٢١. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب : تاريخ اليعقوبي، مطبعة أمير، (طهران / ١٩٥٢م)، ج ٢، ص ٢٠١.
٢٢. اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٠٥.
٢٣. شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ص ١٠٤.

٢٤. نهج البلاغة، ص ٥٥٦-٥٥٨.
٢٥. ابن أبي حديد: شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ص ١٤٣.
٢٦. ابن أبي حديد: شرح نهج البلاغة، ج ٣، ص ١٩.
٢٧. صمد محمد الصمد: نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، (بيروت/ ١٩٩٤م)، ص ١٥٣.
٢٨. صمد محمد الصمد: نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، ص ١٥٣.
٢٩. شرح نهج البلاغة، ج ١٥، ص ١٣٨.
٣٠. جعفر النقدي: الأنوار العلوية والأسرار المرتضوية، المطبعة الحيدرية، ط ٢، (النجف/ ١٩٦١م)، ص ٩١.
٣١. محمد عبده: شرح نهج البلاغة، مؤسسة الأعلمي، (بيروت/ د.ت)، ج ١، ص ٨٩.
٣٢. عزيز السيد جاسم: علي سلطة الحق، منشورات الاجتهاد، (قم/ ٢٠٠٧م)، ص ٤١٧.
٣٣. ابن أبي حديد: شرح نهج البلاغة، مج ٥، ص ٢٦.
٣٤. ابن أبي حديد: شرح نهج البلاغة، مج ٥، ص ٢٤ - ٢٥.
٣٥. ابن أبي حديد: شرح نهج البلاغة، مج ٥، ص ٢٦.
٣٦. ابن أبي حديد: شرح نهج البلاغة، مج ٥، ص ٢٧.
٣٧. ابن أبي حديد: شرح نهج البلاغة، مج ٥، ص ٢٧.

المحتويات

مقدمة	٧
المبحث الأول: حقوق الإنسان عند الإمام علي (عليه السلام) في عهد مالك الأشتر	٩
المبحث الثاني: قراءات في نماذج لحقوق الإنسان	١٣
الخاتمة :	١٨
الهوامش	٢٠
المصادر	٢٤

ركائز التضامن والوحدة في العراق بين الماضي والحاضر

(عهد الإمام علي عليه السلام) أنموذجاً

تعدد الدعوات المعاصرة :	٣٠
أهداف المؤتمر من وجهة نظرنا :	٣١
تمهيد بين يدي الموضوع	٣٣
أما دعوته التضامن والوحدة الوطنية والإسلامية :	٣٤

- ٣٥ الركيزة الأولى : تكوين الإنسان و سنن الحياة.
- ٣٨ الركيزة الثانية : منهج القانون والتشريع الإسلامي السمح.
- ٣٩ (١) ففي الصلاة :
- ٤٠ (٢) وفي الصيام :
- ٤٠ (٣) - أما الزكاة :
- ٤٠ أما الحج وهو الركن الأعظم :
- ٤١ الاجتماعيات :
- ٤٣ وهناك مجال الحكم في سلطاته الثلاث :
- ٤٥ الركيزة الثالثة : واقع الحياة الذي نعيشه والتيارات السياسية التي حولنا .
- ٤٧ وحدة العراق المنشودة :
- ٤٨ أولاً : التعريف بـالك الأشر : :
- ٤٩ ظروف ومصادر وسند «عهد الأشر» .
- ٥٠ ثانياً : أهداف العهد وأهم موضوعاته .
- ٥٢ تطبيق العدالة :
- ٥٣ حول القضاء :
- ٥٤ الخاتمة .
- ٥٦ الهوامش .
- ٥٧ المصادر .

القيم الأخلاقية الفاضلة للقائد الرسالي في فكر الإمام أمير المؤمنين علي ابن ابي

طالب (عليه السلام) لمالك الاشر (رضي الله عنه)

وتوظيفها في مؤسسات الدولة مستقبلا / دراسة تحليليه

- الفصل الاول: مدخل عام شامل ٦١
- الفصل الثاني: القيم الأخلاقية الفاضلة بصورة عامة ونظرة الاسلام لها بصورة خاصه ٦٩
- الفصل الثالث: القائد وطبيعة القيادة ٨٢
- الفصل الرابع : القائد الرسالي والقيم الأخلاقية الفاضلة التي ينبغي ان يحملها في فكر الاسلام..... ٨٩
- الفصل الخامس: القائد والقيادة للإمام امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) ٩١
- الفذة عبر التاريخ
- الفصل السادس: القيم الأخلاقية الفاضلة الموجهه من قبل الامام امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) الى مالك الاشر النخعي (رضي الله عنه) دراسة تحليليه . . ٩٩
- الاستنتاجات ١١٦
- التوصيات والمقترحات ١١٨
- المصادر ١١٩

صلاح الراعي وإصلاح الرعية

قراءة في عهد الامام علي (عليه السلام) لمالك الاشر (رضي الله عنه)

- المقدمة ١٢٥
- المقدمة : للتعريف بالبحث..... ١٢٧

١٢٨ المدخل
١٢٨ مالك الاشر (رضي الله عنه):
١٣٤ عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشر :
١٣٤ معنى العهد لغةً :
١٣٤ معنى العهد اصطلاحاً:
١٣٥ أهمية مصر :
١٣٨ المبحث الأول: صلاح الراعي
١٣٨ الصلاح لغةً :
١٣٨ الصلاح اصطلاحاً:
١٤٩ المبحث الثاني: إصلاح الرعية.
١٤٩ الإصلاح لغةً :
١٤٩ الإصلاح اصطلاحاً :
١٥١ الرعية :
١٥١ تعريف الرعية لغة :
١٥٢ أولاً: علاقة الراعي بالرعية
١٥٧ ثانياً: علاقات الرعية مع بعضها (طبقات الرعية)
١٦٦ الخاتمة
١٦٧ الهوامش
١٨٣ قائمة المصادر والمراجع

الإمام علي (عليه السلام) يؤسس لأول دولة مدنية

المبادئ والحريات والحقوق الإنسانية

١٩٣	مشكلة البحث:
١٩٣	فرضية البحث:
١٩٣	مخطط البحث:
١٩٤	تقدمة
١٩٦	الفصل الاول: أسس الدولة المدنية
١٩٦	تمهيد
١٩٧	أسس الدولة المدنية
١٩٨	ملامح المدنية الجديدة
١٩٩	مشروع السجون الإصلاحية
٢٠٢	أسس الحكم الديمقراطي الاسلامي
٢٠٤	الفصل الثاني: الحقوق والحريات في عهد الأمام علي عليه السلام
٢٠٤	مدخل
٢٠٥	التعددية وقبول الآخر
٢٠٦	حرية التعبير عن الرأي
٢٠٧	حرية المعتقد
٢٠٨	العدالة الاجتماعية
٢٠٩	حقوق المرأة
٢١١	أخرى

٢١٢ الخاتمة
٢١٤ الهوامش والإحالات
٢١٥ الهوامش

حقوق الانسان في عهد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام)

لمالك الاشر (رضي الله عنه)

٢١٩ ملخص البحث:
٢٢٠ التوصيات :
٢٢١ المبحث الاول: حقوق الانسان مفهومها وخصائصها
٢٢١ مفهوم حقوق الانسان :
٢٢١ نشأة حقوق الانسان :
٢٢٥ المبحث الثاني: حقوق الانسان في الشريعة الإسلامية
٢٢٦ مظاهر التكريم الإلهي للإنسان:
٢٢٨ خصائص حقوق الإنسان في الإسلام:
٢٢٨ ١- حقوق الإنسان في الإسلام تنبثق من العقيدة الإسلامية:
٢٢٨ ٢- حقوق الإنسان في الإسلام منح إلهية:
٢٢٨ ٣- حقوق الإنسان في الإسلام شاملة لكل أنواع البندوق:
٢٢٩ ٤- حقوق الإنسان في الإسلام ثابتة ولا تقبل الإلغاء أو التبديل أو التعطيل:
٢٢٩ ٥- حقوق الإنسان في الإسلام ليست مطلقة بل مقيدة بعدم التعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية:

- مقارنة بين المواثيق الدولية وحقوق الانسان في الشريعة الاسلامية : ٢٢٩
- أولاً: من حيث المصدر. ٢٢٩
- ثانياً: من حيث الإلزامية. ٢٣٠
- ثالثاً: من حيث الأسبقية. ٢٣٠
- رابعاً: من حيث حماية حقوق الإنسان وضمائنها في الإسلام، وفي الوثائق الدولية. ٢٣١
- رابعاً: من حيث الشمول..... ٢٣٢
- المبحث الثالث : حقوق الانسان في عهد الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) ٢٣٤
- لواليه على مصر مالك الاشر. ٢٣٤
- مسند عهد الامام علي (عليه السلام) لمالك الاشر : ٢٣٤
- بداية العهد وبنوده..... ٢٣٥
- بنود في العهد..... ٢٣٧
- الخاتمة : ٢٤٨
- المبحث الرابع : النتائج والتوصيات ٢٦٢
- مصادر البحث :..... ٢٦٤
- الهوامش ٢٦٦

الفقراء وذوو الاحتياجات الخاصة

بين عهد الإمام علي لمالك الأشر والإعلان العالمي لحقوق الإنسان

- ملخص البحث ٢٧١
- حقوق الإنسان بين الإمام علي (عليه السلام) والإعلان العالمي..... ٢٧٢

٢٧٥	وهنا يجدر الانتباه إلى أمور مهمة هي:
٢٧٩	إهمال الاعلان العالمي لذوي الاحتياجات الخاصة.
٢٨٢	الفقراء وذوو الاحتياجات الخاصة في عهد الإمام علي (عليه السلام).
٢٩٣	الخاتمة
٢٩٦	نتائج البحث
٢٩٧	هوامش البحث
٣٠١	مصادر ومراجع البحث

حقوق الإنسان .. جدل النظرية وإشكالية الممارسة

(حقوق الإنسان عند الإمام علي (عليه السلام) إنموذجا)

٣٠٩	المقدمة
٣١١	المبحث الأول: لمحة في تاريخ حقوق الإنسان
٣١١	أولاً: تعريف حقوق الإنسان
٣١٢	ثانياً: حقوق الإنسان في الفكر الشرقي القديم
٣١٧	ثالثاً: حقوق الإنسان في الأديان السماوية
٣٢٣	رابعاً: حقوق الإنسان في العصر الحديث
	المبحث الثاني: حقوق الإنسان عند الإمام علي (عليه السلام) في ضوء عهده للملك
٣٢٧	الأشتر (رضي الله عنه)
٣٢٨	أولاً: الحقوق المدنية
٣٢٨	حق العمل والملكية الخاصة:

- الضمان الاجتماعي: ٣٣٠
- حرية التنقل والسكنى: ٣٣٢
- حرية الاعتقاد: ٣٣٤
- حق الحياة: ٣٣٥
- العدالة: ٣٣٧
- ثانيا: الحقوق السياسية والقضائية ٣٤١
- الحقوق السياسية: ٣٤١
- الحقوق القضائية ٣٤٧
- الخاتمة ٣٥٠
- الهوامش ٣٥٤
- المصادر: ٣٦١

حقوق الانسان في عهد الامام علي (عليه السلام) الى مالك الاشر (رضي الله عنه)

- المقدمة ٣٦٧
- اهمية حقوق الانسان ٣٦٨
- حقوق الانسان لدى الامام علي (عليه السلام) ٣٧٠
- الخاتمة ٣٧٨
- المصادر ٣٨٠

حق المواطنة والحريات العامة

في ضوء عهد الامام امير المؤمنين (عليه السلام) لمالك الاشر (رضى الله عنه)

المقدمة	٣٨٣
المواطنة والحريات العامة في عهد الامام علي (عليه السلام) لمالك الاشر (رضى الله عنه) ..	٣٨٤
الخاتمة	٣٩٠
الهوامش	٣٩٢

حقوق الإنسان في الإسلام

عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشر (رضي الله عنه) (انموذجا)

الملخص	٣٩٥
أولاً: مشكلة البحث	٣٩٧
ثانياً: أهمية البحث :	٣٩٩
ثالثاً: اهداف البحث	٤٠٤
رابعا : حدود البحث :	٤٠٤
خامسا : منهج البحث :	٤٠٤
سادسا : مباحث البحث :	٤٠٤
المبحث الاول: مقتطفات من حياة مالك الاشر رضوان الله تعالى عليه	٤٠٥
في السيرة الذاتية: مالك بن الحارث الأشر النخعي	٤٠٥
المبحث الثاني: السمات العامة لعصر الإمام علي عليه السلام	٤٠٨
المبحث الثالث: مقتطفات من عهد الإمام علي عليه السلام ومحادثاتها مع الواقع الذي	

- نعيشه في وقتنا الحاضر . ويتضمن عدة مطالب: ٤١٠
- الأول: نبذه عن حياة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ٤١٠
- الثاني: الإمام علي (عليه السلام) وتطور مفهوم حقوق الإنسان. ٤١٠
- الثالث: مفهوم حقوق الانسان..... ٤١١
- الرابع: بعض المقتطفات من عهد الامام علي (عليه السلام) لمالك الاشر (رضي الله عنه)
والتي تركز على حقوق الانسان ٤١٢
- سابعاً: التوصيات ٤١٦
- ثامناً: المقترحات..... ٤١٧
- مصادر البحث : ٤١٨

المنطلقات الإنسانية والأخلاقية

في رسالة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

إلى مالك الأشر (رضي الله عنه)

- المقدمة ٤٢٣
- المبحث الأول : بناء شخصية الإنسان في فكر الإمام علي (عليه السلام)..... ٤٢٨
- المبحث الثاني : الجوانب الإنسانية ٤٣١
- المبحث الثالث: الجوانب الأخلاقية..... ٤٣٤
- الخاتمة والاستنتاجات..... ٤٣٧
- ثبت المصادر والمراجع ٤٤٠
- الهوامش : ٤٤٢